دكتور حامد الهادى

الحرفيون

بين التكيف مع الفقر و صناعة رأس المال

مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة القاهرة
الطبعة الأولى
٢٠٠٦

مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العنوان: (١) ش الشهيد عبدالهادى صلاح (الرماحة سابقاً)

بريد الأورمان – الجيزة

تليفون: ٧٤٨٥٤٢١ – ٧٤٨٦٤٣٤

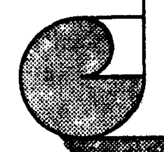
فاكس: ٣٣٨٥٣٦٦



إهداء واعتذار

إلى أبي الذي كنتُ بعد عناء كل يوم عمل في الدراسة الميدانية أذهب إليه لأقدم تقريراً عن إنجازاتي وإخفاقاتي، فيشد من أذري، ويشحذ همتي، ويوم حصاد نتائج بحثي هذا بمؤتمر جامعة القاهرة في ٢٠٠٥/٥/٣ سقطتُ من منصة المؤتمر بأزمة في القلب ، وسقط هو في اليوم ذاته بالزقازيق، وطلب أن يراني فقالوا له أنني في مؤتمر، ولقي ربه دون أن ألقاه أو أشيعه إلى مثواه.

إلى اعز وأغلى الناس أبي رحمه الله وجعل الجنة مثواه... آمين.



حامد الهادي

فهرس البحث

تقديــم

لا شك أن الاهتمام بدراسة الحرف التقليدية في الوقــت الــراهن لــه مدلولاته الهامة ووقعها الطيب لدي المنشغلين بالعلم، لاسيما المهتمين منهم بقضــايا المجتمع المصري . إن هذا الاهتمام يعكس محاولة التحرر من حدود الزمان والسير في أغوار ذكراه التاريخ المصري لاستلهام الماضي، وحيث كانت الحرف الركيــزة الصناعية الرئيسية في الوقت ذاته يعكس الاهتمام بدراسة الحرف التقليديــة الرغبــة الكامنة في استمرار تواصل الخبرة الإنسانية وعدم انفصالها عن ماضيها، وإذا كــان التاريخ يسجل لمصر كيف كانت للحرف النصيب الأكبر فــي تشــكل حضــارتها وشواهدها التى نراها بيننا، ولا يستطيع المرء أمامها إلا أن يقر بعظمة المصــريين القدماء، لا تزال مصر في مسيس الحاجة في الوقت الراهن لمــن يــدعم الحــرف التقليدية ودورها الاجتماعي والاقتصادي المتوازي مع ما تأخذ به من آليات التطــور التقني في الصناعة الحديثة. وعندما يتكامل الاهتمام بالحرف التقليدية ودورهــا فــي تطوير المجتمع جنبا إلي جنب مع الاهتمام بالصناعات المؤسسية سيتعافى الاقتصاد المصري من انتكاساته الراهنة.

إن غالبية الحرف تستوطن الريف المصري صاحب النصــيب الأكبــر مــن سلبيات العولمة المتمثلة خاصة في زيادة الإفقار، فإن ما يمكن أن تلعبــه الحــرف التقليدية في مواجهة هذه السلبيات، يتطلب بالضرورة من الباحث أن يكــون قــادرا على الاستقصاء الجيد للشواهد، كما يتطلب من الباحث انتقــاء الأســاليب البحثيــة الملائمة لطبيعة الموضوع مجال الدراسة، فضلا عن التزام الحيدة في الحكــم علــى طبيعة النشاط الحرفي ودوره في تنمية مجتمع القرية ، وفي هذا السياق يقدم الزميل الدكتور حامد الهادي بقسم الاجتماع كلية الآداب جامعة الزقــازيق، بحثــاً ميــدانياً

يتكامل فيه المنهج الجيد مع وضوح المفهومات حول حرف : صناعة ورق البردي ، صناعة منتجات ومخلفات النخيل، وصناعة حلج القطن وعصر البذرة، في بعض قري محافظة الشرقية. وكيف لهذه الحرف – من خلال ما يعرض له الزميل من تطور في القرية المصرية – أن تتبني مدخلا رأسماليا في مواجهة عملية الإفقار مع عرض شيق للمراحل التى تمر بها كل حرفة لتضيف إلي المكتبة العربية اهتماما بالحرف في الريف المصري إذ ظل البحث الاجتماعي حتي وقتنا الراهن الأكثر اهتماما بالحرف الحضرية.

وفي خاتمة هذا التقديم أرجو أن يكون هذا العمل موجها لمزيد من الدراسات السوسيولوجية الجادة عن الحرف ودورها الاقتصادي الاجتماعي في تنمية المناطق الريفية .وحقا لقد سعدت بهذا العمل العلمي الجاد.

والله الموفق،،

أ.د. اعتماد محمد علام

أستاذ علم الاجتماع

بكلية البنات جامعة عين شمس

مقدمـــــة

تُعتبر الحرف التقليدية أحد أهم الميكانيزمات الاجتماعية والشـعبية لمواجهـة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية الطارئة والمستقرة، وتُعتبر أيضاً أحد أهم عوامـل التمكين الاجتماعي لدعم إرهاصات المحاولات المحلية المتفرقة للتنميـة التعاونيـة المعتمدة على الذات، وإذا كان الحرفيون قد حركوا الزمان، فإن الحرف التقليدية قـد بدلت وطورت المكان، وعندما التقي الزمان والمكان، تفاعل الحرفيون مع الحـرف؛ فجذبت الحرف التقليدية الحرفيين، فأبدعوا فيها وحافظوا عليها ، واستثمر الحرفيون الحرف التقليدية في محاولتهم للتكيف مع الفقر وصناعة رأس المـال بعـدما جـار عليهم الزمان وكاد أن يلفظهم المكان خاصة في الريف، من خلال إفقـار الفلاحـين نتيجة عوامل كثيرة خارجية وداخلية...

وترجع قصة هذا البحث إلي عام ٢٠٠٢م، حيث أُسند إلـي الباحـث إجـراء الدراسة الميدانية وكتابة التقرير الاجتماعي للمخطط الإرشادي لاثنتي عشرة قريـة بمحافظة الشرقية حتي عام ٢٠١٧م ، لصالح الهيئـة العامـة للتخطـيط العمرانـي بوزارة الإسكان والمرافق والمجمعات العمرانية،ضمن فريق بحث علمي في العديـد من التخصصات المتصلة بالمخطط الإرشـادي، برئاسـة كليـة الهندسـة جامعـة الزقازيق، فاطلع الباحث على نماذج من محاولات الفلاحين بـبعض تلـك القـري لمواجهة الإفقار الذى تعرضوا له، والفقر الذي يعيشونه، واطلع أيضاً علـى نمـاذج من إبداع الفلاحين من خلال الأساليب التعاونية المحلية، التـي تمثـل إرهاصـات للتنمية المعتمدة على الذات، وعلى استثمار الموارد البيئية مهما كانـت متواضـعة، من أجل التكيف مع الفقر خاصة فى حالة العمالة الحرفية من غير أصحاب النشاط، ومن أجل صناعة رأس المال فى حالة بعض الحرفيين من أصحاب النشاط الحرفي، ولا يعني التكيف مع الفقر حالة من الرضا عن الفقر، بل حالة من السعي يقوم بهـا الحرفيون لتجنب آثاره المدمرة للإنسان والمكان.

حول كل ذلك يدور هذا البحث الذي يمثل المرحلة الوصفية التحليلية لبحث سبق أن أُنجِزَتْ مرحلته الاستطلاعية التى كانت بعنوان " الحرف التقليدية وتنمية القرية المصرية دراسة ميدانية فى محافظة الشرقية" عامي ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣ ، وتم نشرها في المؤتمر الرابع لتنمية الريف المصري. جامعة المنوفية في ١٥-١٧ سبتمبر ٢٠٠٣ ، ثم تم تطويره إلي البحث الراهن بعنوان" الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال" الذى أُنْجِزَ في الفترة من ٢٠٠٤-٢٠٠٥ وتم عرضه ومناقشته ضمن أعمال مؤتمر قسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة في ٢٠٠٥/٥/٣ .

ويضم هذا البحث سبعة فصول حيث جاء الفصل الأول ليناقش قضية " الفلاحون والفقر بين العوامل والعمليات " ، وتناول الباحث في الفصل الثاني " الحرف التقليدية بين العالمية والمحلية " وفى الفصل الثالث " التوجه النظري والمنهجي للبحث" وعرض في الفصل الرابع " الحرفيون والنشاط الحرفي في مجتمعات البحث" وفى الفصل الخامس" خصائص العاملين في الحرف الثلاث " وفى الفصل السادس " خصائص أصحاب العمل فى الحرف الثلاث "، ثم جاء الفصل السابع والأخير مشتملا على " نتائج البحث".

لقد حاول الباحث أن يطرح قضية أعتقد أنها تحتاج للبحث والدراسة ، فإن كان قد أصاب فهذا مبتغاه، وإن كانت الأخري فعُذرُهُ أن الجُهد بُذِلَ وأن النية خلصت، والحمد لله على الحالين.

وفى الختام يتقدم الباحث بخالص الشكر والامتنان إلي كل من أسهم بفكرة أو توجيه أو تشجيع لإنجاز هذا العمل، لكل هؤلاء وللحرفيين في مجتمعات البحث الثلاث أتقدم بكل الشكر والتقدير.

حامد الهادي



الفلاحون والفقر بين العوامل والعلميات

مقدمـه

أولا : فلاحو الدول النامية بين الإفقار واقتصاد الإعاشة.

ثانيا : فلاحـــو مصر بين الإفقـــار واقتصاد الإعـــاشـــــة.

ثالثا : فقراء الفلاحيـن والتكيف مع الفقر: مصر نموذجا .

رابعا : صناعة رأس المال: تجارب مــن الدول الناميـــة.

خاتمة

مقدمة :

يبدو أن حديث العلم والعلماء عن الإنسان، سوف يستمر إلى زمن طويل يركز على قضيتي الثروة والفقر، وأسباب كل منهما، وما السبيل لتجاوز الفقر، وكيف يمكن صناعة الثروة هنا أو هناك، وكيف نواجه الفقر، وإذا كان آدم سميث قد كتب عام ١٧٧٦ عن "ثروة الأمم" فالبنك الدولي يناقش في تقاريره الآن قضية "فقر الأمم"، بل أصدر دراسة بعنوان "أصوات الفقراء صيحة للتغيير" جاء على غلافها ما يلي:

"هناك ٢,٨ مليار خبير في شؤون الفقر، هم الفقراء أنفسهم، وإيمانا بأن هؤلاء هم أدرى الناس بواقعهم، لذا لا يجب الاعتماد على خطاب التنمية المتعلق بالفقر، الذي تروج له وجهات نظر وخبرات غير الفقراء من المهنيين والسياسيين، ولكن يتم التركيز مباشرة على وجهات نظر الفقراء وخبراتهم حول ما يعانونه من عجز، وبؤس، وفقر، وكيف يواجهون ذلك(ديبان برايان :٢٠٠٢: الغلاف).

وكانت أغلب الأنشطة البحثية والسياسية المرتبطة بدراسات الفقر قد تم تنفيذها بمعرفة الأكاديميين والرواد، الذين يبحثون عن وضع تعاريف محددة عن الفقر، وطالما أن الأكاديميين ليسوا من الفقراء، فإن التعاريف التى تبنوها وطوروها بصفة عامة تتجاهل النظرة الموضوعية للفقر الذى تعارف عليه الفقراء. حيث عرفت البشرية الفقر منذ أقدم العصور، وتعرض لدراسته المفكرون والفلاسفة والرسل وأهتموا بوضع الحلول لعلاج المشاكل الناجمة عنه، فالفقر إذن ظاهرة تاريخية اجتماعية موغلة فى القدم وليست وليدة عصر معين؛ فقد اهتم مفكرو ديانات الشرق القديم بالفقر وحاولوا معالجة تلك المشكلة من خلال أحكام سنوها، وطقوس وضعوها، ودعوات أشاعوها بين الكافة، ومن أشهر أولئك المفكرين " جوتامابوذا" (صلاح رسلان:٤١٦:١٩٩٩)، الذي يُعد أحد كبار المجددين للفكر، ومؤسس الديانة البوذية فى القرن السادس قبل الميلاد، وقد اعتبر " بوذا " الفقر مقدسا، ودعا إلي كراهية كل ما هو بشري والنضال من أجل التغلب

على الرغبة والشهوة، وسارع "بوذا " بترك حياة البذخ وهجر حياة الملوك، ورحب بحياة البؤس والفقر والحرمان، وشارك الفقراء في ألوان معيشتهم ليحـث الأثريـاء على التوقف عن جمع مزيد من الثراء على حساب الفقراء.

وقد نهج نهج " بوذا " عدد كبير من مجددي الديانة البراهماتيـة فـي شـبه القارة الهندية ، كما قلده في الصين أتباع المذهب " التاوي" ، من حيث الدعوة إلي اعتزال أفراد المجتمع وانسحابهم من تجميع الثروة على حسـاب الفقـراء، وفـي فارس نجد الحكيم " زاراد شت" ، والذى ولد في أذربيجان غربي بحر قزوين عام ٦٦٠ ق.م، يدعو إلي الإيمان بالإله الواحد، ومحاربة الشيطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأشاد بالعمل الصالح المنتج، واعتبره وسيلة للقضاء على الفقر والشر (صلاح رسلان: ١٩٩٩: ٤١٧) ورأي أن الذى يسلك طريق الإله الواحـد، عليه أن يكون محسنا يساعد المحتاجين والفقراء عن طريق قيامه بفلاحـة الأرض، وزراعة الأشجار وتربية الماشية، وأن يكون رحيما بالحيوانـات النافعـة،من هنـا احترم الفارسيون الرجل العامل المكافح، الذى يصرف جهده للقضاء علـى الفقـر والشر، بقيامه بفلاحة الأرض ورعي الأغنام والماشية، واحتقروا في مقابـل ذلـك الرجل العاطل الذى لا يؤدي عملا نافعا، ونظروا إليه علـى أنـه رجـل شـرير، فالاحترام والتوقير إذن لكل من يعمل عملا صـالحا يكسـب بـه عيشـه، وينفـع الآخرين، ويسد الطريق إمام الفقر بكفاحه وكده وعرق جبينه.

وتفرق الفلسفة اليونانية خاصة عند الفيلسـوف " أرسـطو" (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) بين نوعين من تكوين الثروة (صلاح رسلان: ١٩٩٩: ٤١٧) وهما:

النوع الأول: يسميه الاقتصاد، وهو الثراء الناتج عن وسائل طبيعية كالصـيد والرعي والزراعة، بل عد الحرب طريقة طبيعية لصيد الرجال، وأيضا كل ما مـن شأنه العمل على إشباع حاجات الأفراد.

النوع الثاني: هو الذى أسماه: فن تداول المال(خريما تيكا)، وهو الثراء، أو الغني الناتج عن طرق غير طبيعية مثل، التجارة التى تصبح الغايـة منهـا اقتنـاء

الثروة من أجل الثروة، وليس إشباع الحاجات الطبيعية المادية للأفراد، ومن هنـــا، فإنها فى هذه الحالة، تتجاوز حدود الغايات الطبيعية السليمة، ومـــن الطـــرق غيـــر الطبيعية أيضا لتكوين الثروة فى جانب والفقر فى الجانب الآخر، " الربـــا"، الـــذى يقوم على استغلال حاجة الآخرين للمال، والحصول على مبالغ ماليـــة زائـــدة فـــى حالة تجاوز المدة المحددة لدفع الدين، وهو خطر وغير صالح للمجتمـــع، حيـــث لا يعود على المجتمع بأى فائدة بل سلبياته أكثر وضوحا وآثاره أشـــد تـــدميرا علـــى المجتمع حيث تزيد من الفقر والبؤس.

والفقر هو القصور المادي، والاجتماعي، والعاطفي، والإنفـــاق الأقـــل فـــى التغذية وفى الملبس عما هو معتاد عند متوسط الدخل(بيتي آل كوك: ٢٠٠٠: ١٣) وعدم التأمين للمرضي، وهبوط المستوي التعليمي، وعدم تأمين المســـكن، وعـــدم توفر معاش طويل الأمد، وقد تعالت الصيحات تنادي بأن ثلث سكان العالم يعيشون فى مستوي حياة الفقر. وقد عـــرف " تونســـند" Townsend (بيتـــي آل كـــوك: ٢٠٠٠: ٣٨) الفقر والفقراء بما يلي: الأفراد والعائلات والمجموعات من الســـكان التى يمكن أن يطلق عليها أنها فقيرة عندما تعاني من نقص المواد للحصول علـــى أنواع من التغذية، والمشاركة فى الأنشطة، والحصول على الظروف الملائمة مـــن الحياة والاحتياجات الأساسية اللازمة للاستهلاك للأفراد والمجتمعات التـــى تـــرتبط بها معيشتهم. وإذا كان " تونسند" فى تعريفه هذا للفقر انطلق من حالة الفقراء فـــى انجلترا عام ١٩٧٩م فكيف يكون التعريف فى الدول النامية حسب ظروف كل دولة على حدة.

وإذا كان هذا حال الفقر فى إنجلترا، فـــإن الحـــال فـــى الولايـــات المتحـــد الأمريكية أكثر صعوبة، حيث تصف " جويل شارون " Joel.M.Charon فى عام ١٩٩٨م. تصف حال الفقر هناك، بأن ما بـــين ١٥% إلـــي ٢٠% مـــن الشـــعب الأمريكي يعيش فى فقر مدقع (حكمت أبو زيد: ١٩٩٩: ٨٤)، ممـــا يـــؤثر علـــى قدراتهم الجسمانية والعقلية، وهم يعانون بسبب هذه الحالة عدم القدرة على العمـــل المنتج، وتتفشي فيهم البطالة، كما أنهم محرومون من الفرص التعليميـــة ويعـــانون

ضعفا وتفككا أسريا، وهم محرومون من حقهم كمواطنين فـي الحمايـة القانونيـة، والفقير الأمريكي يعيش ليومه فقط، لا يفكر في غدة، ولا يـتمكن مـن التخطـيط لمستقبله، ويري البعض أن نسبة كبيرة من الشعب الأمريكي تصل إلي أكثـر مـن ٤٢ % تعيش بالدين، وتموت وهي مدينة.

وتسهم السياسات الاجتماعية والاقتصادية في صناعة الفقر، لذا يعـد تـاريخ الفقر هو تاريخ عصر السياسات الموجهة إلي الفقراء، لقد ثبت أن الفقر يكون نتاجا للرأسمالية (بيت آل كوك: ١٩٩٩: ١٨)، حيث عن طريقها ينبـع الخـوف عنـد العمال من الوقوع في الفقر بضرورة التوجه لسوق العمـل، فتـنخفض أجـورهم، فيتحولون إلي فقراء.

ويهدف **الفصل الأول** إلي مناقشة وعـرض آثـار التحـولات الاجتماعيـة والاقتصادية وما يتبعها من سياسات وقوانين على المجتمعات الريفية، مما أدي إلي تزايد أعداد الفقراء بين الفلاحين وبالتـالي ابتـداعهم لأسـاليب وطـرق وحـرف تساعدهم على التكيف مع الفقر، والاتجاه إلي المزيد من الأساليب حسب المرحلـة التاريخية التي يمر بها المجتمع، وحسب خصائص وإمكانيات المجتمـع وعلاقتـه بالبيئة المحيطة على المستويين الداخلي والخارجي أو المستويين الأصغر والأكبـر، أو المحلي والعالمي، وفيما يلي توضح ذلك:

أولا: فلاحو الدول النامية بين الإفقار واقتصاد الإعاشة:

١- أسباب الإفقار وسمات الفقراء في الدول النامية:

أ- يرجع البعض أهم أسباب إفقار الفلاحين في الدول النامية إلي التغيرات العالميـة التي أفرزت النظام الرأسمالي العالمي، وفـرض إعـادة الهيكلـة الرأسـمالية، وبروز ما سُمي بالنظام العالمي الجديد الذى قادته الولايات المتحدة الأمريكيـة، التي أصبحت القوة العظمي الوحيدة في العالم.(منصور مغاوري:٢٠٠٥: ٦٠) ، ومحاولة فرض هذا النظام على العالم من خلال الشركات متعددة الجنسـيات

أو العابرة للقارات، والدور العالمي المتنامي لثورة المعلومات و الاتصالات، وما أسهمت به في انتشار الثقافة الغربية والأجنبية وسيطرتها، وساعد في حدوث هذه التغيرات، الأزمة العالمية التي ارتبطت بحالة الركود الاقتصادي التي سادت بعد منتصف السبعينيات، وتفاقم أزمة البطالة في الاقتصاديات الغربية خاصة في القطاعات الصناعية، يأتي بعد ذلك فشل سياسات وبرامج التنمية التي طُبقت في غالبية الدول النامية في تحقيق أهدافها، ولعل من بين أهم التغيرات الاقتصادية العالمية انتهاء جولة مفاوضات " أورجواي " بعد ثمان سنوات من المفاوضات، وعقد اتفاقيات الجات، وإنشاء منظمة التجارة العالمية، وظهور التكتلات الاقتصادية العملاقة في دول أوربا وآسيا وأمريكا الشمالية، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا والمسكيك، ومن بينها السوق الأوروبية، ومجموعة النافتا NAFTA، وهذا بالإضافة إلي بروز فاعلية القطاع الأهلي، والقطاع الخاص، وتزايد دور مؤسسات المجتمع المدني العالمي في مقابل تراجع دور الدولة في قيادة عملية التنمية.

ب- وعندما يناقش الباحثون موضوع العولمة نراهم يربطون بينها وبين الفقر ويناقشون موضوعات مجتمع الخمس الثري والأخماس الأربعة الفقراء، وكل شيء صار موجودا في كل مكان، وديكتاتورية ذات مسئولية محدودة، وشريعة الذئاب، وأكاذيب ترضي الضمير، ولينقذ نفسه من يستطيع ولكن من هو ذا الذي سيفلح، وجناه أم ضحايا، ولمن الدولة، وهل العولمة خرافة ضرورية، والعولمة وتاريخ الاقتصاد العالمي، والشركات متعددة القومية وتدويل نشاط الأعمال، وتجارة الشمال والجنوب والتنافس العالمي، والاقتصادات النامية والعولمة... وغير ذلك من الموضوعات التي تؤكد أن الفقر ليس من صنع الطبيعة بل من صنع الإنسان لمواجهة وقهر إنسان، لصالح ولثراء إنسان، ولن يستطيع القضاء عليه وتجاوزه إلا الإنسان، لكن الأساليب التي يتبعها الإنسان تختلف على مستوى الزمان والمكان، وعلى مستوى علاقته بالفقر بين الفاعل والمفعول به.

جـ- وإذا كان البعض يُطلق مقولة "تأنيث الفقر" عند الحديث عن المقارنة بين الذكور والإناث في علاقتهم بالفقر، فإن الكثيرين يمكنهم القول "بترييف الفقر"، أي أن الفقر في الريف أكثر انتشاراً ووضوحاً عنه في المدينة، أو أن الفقر ظاهرة ريفية في المقام الأول. ويُرجع البعض ذلك إلى العديد من الخصائص والسمات الريفية، ويرجعها البعض الآخر إلى عوامل خارجية عن الريف ذاته، أما الذين يرجعون ذلك إلى الريف ذاته، فكانوا يرون أن السبب في ذلك يرجع إلى خصائص وسمات الريف، وأن الفلاحين يتميزون بخصائص وسمات ثقافية خاصة تجعلهم يندرجون فيما يسمى بالثقافة الفرعية للفلاحة The Sub Culture of Peasantry، تلك الثقافة التي تتخطى الحدود القومية للدول، وتشمل الفلاحين أينما كانوا، وذلك بالرغم من التنوع والاختلاف الذي يميز ثقافة كل مجتمع عن ثقافات غيره من المجتمعات.

د- ومن السمات التي تُشاع عن الفلاحين في إطار الثقافة الفرعية للفلاحة: الشك المتبادل والإدراك المحدود للفرص المتاحة، وكراهية السلطة الحكومية مع الاعتماد عليها، والعائلية، ونقص الميل للتجديد، والقدرية Fatalism، وانخفاض التعاطف، ويذهب "توماس، وزنانيكي" وغيرهما إلى أن حياة الفلاحين تفتقد روح الترشيد والحساب، وأن تفكيرهم غالباً ما يكون ذاتياً، ولا يسلم في بعض الأحيان من الوقوع في التناقض، حيث يميل الفرد إلى التسليم برأيين متناقضين في وقت واحد، كما أن "بيت ريفرز" Pit Rivers يبرز الملامح الأساسية لمجتمع الفلاحين، على أنه مجتمع محلي مقفل، ويوضح ما به من صلات شخصية دائمة، وزواج داخلي، وتجانس في القيم، وتأكيد لقوى الامتثال والتضامن الجماعي الوثيق، فضلاً عن مساواة تربط مختلف الأفراد، كما يذهب "بانفيلد" Banfield وآخرون، إلى أن الفلاحين عادة ما يستسلمون للمقادير، وأنهم يكشفون عن سلبية واضحة حينما يواجهون بآمال المستقبل، كما أنهم عادة ما يستشعرون الخوف من العالم المحيط بهم، وأن علاقاتهم الشخصية فيما بينهم تتسم بالعدوانية، ولقد أرجع البعض السبب في ذلك إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي عاش في ظلها الفلاحون طوال تاريخهم،

وما لاقوه من ظلم واستغلال واضطهاد في ظل ما أطلق عليه "هولمبرج" Holimberg ثقافة الكبح Culture of repression، وأرجعها "أوسكار لويس" O.Lewis إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية التسلطية في العائلة القروية، التي تعمل على إنجاب أفراد يتسمون بالجمود(محمد الجوهري وعلياء شكري: ١٩٨٠: ١٩٤).

ويعتقد الباحث أن العديد من تلك الخصائص والسمات قد تغيرت الآن بفعل العولمة وما طرأ على الريف على مستوى العالم من تحولات شملت جوانب عديدة منه، لذا كان ازدهار الطرح القائل بأهمية العوامل الخارجية في تخلف الريف وإفقاره، وتم طرح قضية العولمة بشكل أساسي في تفسير ظاهرة الفقر الريفي على المستوى العالمي، ولعل ثورات الفلاحين واحتجاجاتهم ضد العولمة في كل مناسبة تعقد فيها المؤتمرات هنا وهناك خير دليل على ذلك.

٢- عوامل تهميش الفلاحين فى الدول النامية:

أ- فقد همشت العولمة الفلاحين في إثيوبيا، حيث دخلت في مواجهة مع الممارسات الصالحة بيئياً، وتعمل عولمة الإنتاج الرأسمالي وأنظمة السوق على تقويض وجود إنتاج محلي وأنماط استهلاك محلية في البلدان النامية بشكل عام وفي إثيوبيا بشكل خاص، حيث تكشف بعض الأمثلة الواقعية التأثير السلبي على الفلاحين الإثيوبيين نتيجة الانقياد لاقتصاد السوق، حيث في حين فرضت الحكومة في عهد "هيلاسلاسي" Haile Sellassie ضرائب على أدوات الزراعة اليدوية مثل "المنجل" والمجراف، فقد تم إعفاء الجرارات وغيرها من المعدات الثقيلة،(وركيني كابيسا : ٢٠٠٣: ٣٤٣-٣٤٤) ووقود المزارع (خلال عام ١٩٧٣)، والمبيدات، والأسمدة من رسوم الاستيراد، وذلك من أجل تشجيع الزراعة الرأسمالية المكثفة، كما شجعت الحكومة ملكية المزارع التجارية الشاسعة من أجل استخدام الأراضي الخصبة في إنتاج محاصيل ترفيه أوسع غير غذائية معدة للتصدير للخارج. وهكذا بدأت الحكومة التغيير في الإنتاج الزراعي باتجاه الزراعة التجارية من أجل السوق العالمي.

ب- وكانت المحصلة النهائية للإنتاج الزراعي التجاري مخيبة للآمال، فبفعل الزراعة التجارية، تم ترحيل "بدو عفار" من مراعيهم التقليدية في "وادي عواش"، وأدى كفاحهم من أجل البقاء في المرتفعات إلى تدهور النظام البيئي، مما أسفر عن نفوق الماشية وموت البشر جوعاً، وتدهورت صحة الرعاة والماشية في "وادي عواش" بسبب صرف مخلفات الصناعات الخاصة بالزراعات النقدية (مثل القطن)، وصناعة السكر في "نهر عواش"، واستخدام المبيدات الحشرية في المزارع التجارية بدون ضوابط، بل أن مئات صغار الفلاحين قد تم إخلاؤهم عن منازلهم التقليدية في منطقة " جومارو أبو " Gumaro Abo في "إلوبابور" Ilubabor (غرب إثيوبيا)، بواسطة الحكومة من أجل إنشاء مصنع "جومارو" للشاي، وقد انتزعت الحكومة أراضي الفلاحين لتزرع الشاي وأشجار الأوكالبتوس (المستعملة في إنتاج الأدوية) من أجل هذا المصنع، الأمر الذي دفع العديد من الفلاحين إلى الإفراط في استغلال ما تبقى من الأراضي.

جـ- ومن الواضح أن الإصلاحات الاقتصادية، لم تحسن الأوضاع المعيشية لفقراء الريف، حيث يعتبر الأثر الاجتماعي لهذه الإصلاحات سيئاً، فقد أدى تخفيض العملة، وتحرير الأسعار، إلى ارتفاع تكلفة الإنتاج، وقد تأثر العديد من السكان بسبب ارتفاع أسعار معظم السلع التي تستخدم لتباع في المنافذ التجارية الحكومية (مثل الصابون والملابس.... الخ)، وبسبب التدني المتزايد للدخول نتيجة تطبيق سياسات التكيف الهيكلي(وركيني كيبيسا : ٢٠٠٣: ٣٥٠) تم فصل الآلاف من وظائفهم الحكومية، فعلى سبيل المثال، توقفت أنشطة الشركة الإثيوبية العامة للبناء والتشييد، وهيئة النقل البحري، وتم تسريح نحو ٢٥٠٠ عامل، بالإضافة إلى إنهاء توظيف حملة الشهادات الجامعية في المؤسسات العليا، الأمر الذي فاقم من مشكلة البطالة، وما تبعها من مشكلات أهمها الفقر وما يولده من مشكلات عديدة.

د- لقد أفضت عملية التوسع الرأسمالي على مستوى العالم إلى تحولات في معظم التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية قبل الرأسمالية بصفة عامة، وإلى تغير في إعادة الإنتاج الفلاحي في هذه التشكيلات بصفة خاصة، حيث أصبح الفلاحون مرتبطين بالسوق بطرق عدة، فهم يبيعون جزءاً من إنتاجهم ويشترون عناصر استهلاك إنتاجي (منتجات زراعية) واستهلاك فردي (طعام وملابس)، وعناصر استهلاك أخرى للدار، وفي هذا الصدد يقول هنري برنشتاين H. Bernstein : "إن تحطيم شروط الاقتصاد الطبيعي يخلق في الوقت نفسه بعض الشروط الاجتماعية للإنتاج السلعي، وفيما يتعلق بأوضاع الفلاحين، فإن إعادة إنتاجها تصبح متضمنة استهلاك السلع للوفاء بالحاجات التي كانت فيما قبل تشبع عن طريق إنتاج القيم الاستعمالية وتبادلها بصورة بسيطة، وتتطور حاجات جديدة في الوقت الذي تتآكل فيه ثقافة إنتاجية برمتها، كانت موجودة في أنساق الاقتصاد الطبيعي السابق" (فتحي أبو العنين: ١٩٩٨ : ١٤١).

هـ- وقد تمثلت أهم الآليات التي تم من خلالها تحطيم الاقتصادات الطبيعية كما يراها "إلفرت، وونج" ELWERT & WONG فيما يلي (فتحي أبو العنين: ١٩٩٨ : ١٤٢):

١- التدخل الاستعماري.

٢- ظهور التعامل المالي ضمن العلاقات الاجتماعية التقليدية.

٣- ازدياد الاعتماد على المنتجات الصناعية وحلولها محل السلع التقليدية المنتجة ذاتياً.

٤- تطور حاجات جديدة.

٥- تحطيم التوازن الإيكولوجي.

٦- تفكك الاقتصاد المحلي، والالتزامات الاجتماعية، والأشكال التقليدية للعمل التبادلي والجمعي.

و- ويرى "سمير أمين" أن الانهيار الحثيث لأنماط الإنتاج والاستهلاك في الدول النامية، يفضي إلى إفقار نسبي يتجلى في تدني معدلات النمو، وإلى إفقار مطلق يتضح فيما تتعرض له قطاعات واسعة من السكان من تهميش ومن إعادة خضوع للأشكال التقليدية والحديثة لإنتاج الكفاف في الريف والحضر على السواء،(فتحي أبو العنين: ١٩٩٨ : ١٥٢). وعلى المستوى الاجتماعي تعبر سمة اللاتجانس البنائي في المجتمعات المحيطية عن نفسها في تنوع الشرائح الطبقية والفئات الاجتماعية، وتعايش معظمها مع بعضه البعض، بحيث يصبح تحديد انتماء تلك الطبقات والفئات إلى أساليب إنتاجية معينة مسألة صعبة، ويزيد من هذه الصعوبة، أن الفئات التي ترتبط بالقطاعات الحديثة في الإنتاج مرتبطة في الوقت نفسه بأصولها (اللارأسمالية) التي انحدرت منها .

ز- ويرى البعض أن الفقر الريفي لا يعني الكثير بالنسبة إلى كل من الاقتصاد الوطني أو السوق العالمي، ولذلك فهو لا يلقي إلا القليل من الاهتمام من الحكومات، ويؤدي الفقر الريفي إلى استمرار التبعية والتخلف (ج تيمونز، أيمي هايت: ٢٠٠٤ : ٨)، لأن بإمكان الفقير الالتفات إلى إنتاج مورد رزقه عندما تكون الأجور والأسواق الرأسمالية غير قادرة على تغطية احتياجاته المعيشية. والفقر يولد الفقر؛ لأنه يصبح من المنطقي للناس الريفيين الفقراء إنجاب الكثير من الأطفال، باعتبار ذلك يمثل الفرصة الوحيدة للحراك، وكذلك كنوع من الحماية والأمان من صعوبة الأيام والعجز والشيخوخة، هذه الدائرة من الفقر تضمن بقاء فائض العمالة الزائد من العمال في كل من الريف والمدينة، مما يديم استمرار بقاء الأجور منخفضة انخفاضاً بالغ القسوة.

٣- سمات التغلغل الرأسمالي وأساليب المواجهة في الدول النامية:

أ- أنه يتضمن تدميراً لاقتصاديات الإعاشة، وإتمام التحويل البروليتاري للعمال وفي المحيط تنخفض كلفة العمالة أيضاً عبر تحررها، ولكن بسبب التفكك الاجتماعي لا توجد عقلانية لتوسع السوق من خلال التحول البروليتاري، ومن ثم وكلما كان ذلك ممكناً، كما في الزراعة، ستجري المحافظة على اقتصاديات الإعاشة، وسيسمح هذا بتخفيض أكثر لتكلفة العمالة، لأنه يسمح باستغلال غير مباشر لعمل العائلة المشغولة في إنتاج القيمة الاستعمالية والبضاعة الثانوية التي تغطي جزءاً من معيشة العامل. وهناك تحويل بروليتاري للعمالة على مستوى صاحب العمل الذي يفقد العامل في مؤسسته كلاً من علاقات الحيازة والملكية، ولكن هناك نصف تحويل بروليتاري للعامل الذي حافظ على علاقات الحيازة، وتؤدي المنافسة القوية بين الأراضي الصغيرة في سوق العمل إلى أجور تحت الكفاف، والتي تشكل تتمة الفجوة بين الحاجات المعيشية للعامل وعائلته، والقيم الاستعماليه المنتجة في أرضه. ويؤدي تحرير العمالة في المحيط إلى زيادة مستوى استغلالها، وأن الثنائية الكفافيه الزراعية الرأسمالية هي الانعكاس البنيوي لعقلانية التراكم المحيطي، وهي تؤلف نظاماً فاعلاً يعرض ويجسد تناقضات الرأسمالية المحيطية. (ج تيمونز، أيمي هايت: ٢٠٠٤ : ٨)

ب- وبما أن السيطرة على القطاع الإعاشي تتزايد، فإن، الصراع من أجل البقاء يغري ببحث مكثف عن مصادر إنتاجية إضافية، وعوامل غير تقليدية من أجل زيادة إنتاجية اليد العاملة، ولكن هذا البحث متناقض بشكل كبير، لأن أدوات البقاء نفسها المتوافرة للمزارع الصغرى هي أيضاً عوامل إفقار إما بشكل فردي على المدى البعيد (التناقض البيئي) وإما بشكل اجتماعي (التناقضات السكانية الكمية والنوعية).

جـ- إن التهميش من قبل المؤسسات التي توزع القروض والمعلومات، يعني ضمناً أن الفرص لتحسين المحاصيل الممكن وجودها لم تكن متوافرة للفلاحين الذين يعملون من أجل معيشتهم، وهكذا فإن الأرض غير الخصبة، والتكنولوجيا المتخلفة ينتج عنهما غلة ضعيفة وإنتاجية ضعيفة. التناقض الأكثر وضوحاً وإلحاحاً والذي يجبر فيه الفقر المتزايد على زراعة الكفاف هو تدمير الموارد الطبيعية المنتجة، عندما يزداد الفقر، فإن الاستخدام المتزايد للموارد المتوافرة يصبح ضرورياً، وتتعرض الأرض للدمار. إن الغلة المتدنية تعني فقراً متزايداً، يفرض بدوره استغلالاً أكبر للأرض، ويتم إتلاف البيئة تدريجياً في القطاع الكفافي، ويزداد التخلف، لقد حدث إتلاف الأرض في كثير من دول العالم الثالث.

د- ولقد طور الفلاحون وسائل من أجل إعادة إنتاج حياتهم، في ظل شروط متغيرة تفرضها عليهم بصفة مستمرة آليات السوق التي أخذت تغزو ريف العالم الثالث، وتجبرهم على تغيير أنماطهم الإنتاجية والاستهلاكية، وتشعرهم بالتالي بأن عناصر ثقافتهم التقليدية والمستقرة (نسبياً)، قد أصبحت معرضة للانتهاك، من هنا شرع الباحثون العلميون في تطوير بعض الأفكار حول الأبعاد المختلفة لما يسمى "إنتاج الكفاف" أو "الإنتاج الإعاشي" Subsistence Economy منطلقين من مبدأ محدد هو أن الإنتاج من أجل الاستهلاك، والعمل غير المدفوع من أجل إعادة الإنتاج هو المجال الأجدر بالبحث (فتحي أبو العنين: ١٩٩٨ :١٣٨)، الذي يصبح مركز الاهتمام فيه متمثلاً في الأفراد العاملين سواء كانوا إناثاً أم ذكوراً، وتصبح وحدة التحليل هي الأسرة المعيشية Household، أي الوحدة المعيشية التي يقوم أعضاؤها بالإنتاج والاستهلاك من أجل إعادة إنتاج ذواتهم، المهم أن الأسرة المعيشية هنا لا ينظر إليها بوصفها شكلاً فريداً وخالصاً، أو منعزلاً للإنتاج الاجتماعي، بل بوصفها وحدة توجد دائماً في مرحلة تفاعل وارتباط مع نسق محدد للإنتاج الاجتماعي، سواء كان هذا النظام خراجياً، أو سلعياً بسيطاً، أو رأسمالياً، والقضية التي يوليها أصحاب منظور "إنتاج الكفاف" جل إهتمامهم هي الكيفية التي ينتج بها أعضاء

الأسرة المعيشية وسائل البقاء Survival في ظل ظروف معينة تحددها وتحتمها "أنظمة الإنتاج"، أي أن "الأنظمة" تكون محل اهتمام هذا المنظور في علاقتها بعمليات إعادة الإنتاج التي يقوم بها الأفراد .

هـ- وكثيراً ما يلجأ الفقراء لمواجهة أحوالهم المعيشية غير المستقرة إلى السعي لتنويع مصادر دخلهم وغذائهم، فهم يعملون في الأرض، وفي المحاجر والمناجم، ويتصيدون أعمالاً مؤقتة، ويبيعون أنواعاً لا نهاية لها من السلع في الشوارع، ويمارسون أعمالاً بالقطعة في المصانع وفي منازلهم، وهم يوفقون بين ما يجمعونه من المصادر المختلفة، ويزرعون مساحات الأرض المحيطة بمنازلهم، ويلجأ كثير من الفقراء إلى مقرضي النقود وأصحاب المحلات المحليين للحصول على البضائع بالائتمان في حالات الطوارئ وخلال الأوقات الصعبة، وقليل منهم يستطيع الحصول على ائتمان رسمي وعلى خدمات الادخار، ويضطر كثير منهم بسبب قلة الفرص إلى الانسياق لممارسة أنشطة لكسب العيش، تتسم بدرجات مختلفة من الخطورة وعدم الشرعية ومعاداة المجتمع، تشمل السرقة، والتعامل في المخدرات، والدعارة، والاتجار في النساء والأطفال، وتشغيل الأحداث.

و- وقد تمثل التكيف مع الفقر في قرى "لاوكاي" في فيتنام (ديبان برايان، وآخرون: ٢٠٠٢: ٤٥)، في قيام الفلاحين بجمع وبيع منتجات الغابات الضئيلة مثل الأعشاب الطبية وفروع الخيرزان، وصيد وبيع الطيور والثدييات والثعابين، والتخصص في زراعة أعشاب طبية معينة لا يزرعها إلا قليلون غيرهم، وصناعة أدوات ومعدات ومستلزمات منزلية محلية، وصنع مواد غذائية للسوق مثل فطائر القمح والذرة والفاصوليا المسلوقة والنبيذ، وصناعة المنسوجات والثياب وبسبب البطالة يفرط الشباب في احتساء الخمر، ويرتكبون الجرائم، ويمارسون الاغتصاب وسرقة الماشية، حيث قال عاطل من بلغاريا: لقد مارست العمل طوال ٢٣ عاماً، ولم أمس يوماً ممتلكات شخص آخر، ولكن انظر الآن إلى ساقي، لقد كُسرت عندما كُنتُ أسرق كمية من المنجنيز من

محطة للسكة الحديد، لقد تحرك القطار بمجرد أن حاولت الصعود إليه، هل تظن أنه يمكن أن أخاطر بحياتي من أجل لا شيء لو كان لدي عمل، هل تعرف مدى ما ينتابك من ألم عندما ترى أبناءك يبكون لأنهم جائعون.

٤- وتمثلت إستراتيجيات الدفاع والبقاء المختلفة لدى الفلاحين في أمريكا اللاتينية فيما يلي:(جاك تشونشك: ١٩٩٠: ٢٧ - ٢٨)

أ- تكثيف وتنويع الأنشطة الإنتاجية في داخل الأرض، وهذا يدفع الفلاحين إلى زيادة الاستثمار العائلي لأكثر مواردهم وفرة وهو عمل الأسرة، فهم يستخدمون عملهم في إزالة الغابات، وقلع الأعشاب، وتنظيف الحقول، وتحسين الصرف والري، وحماية أراضيهم من خطر الفيضانات... الخ.

ب- إن الفلاحين يجرون عدداً من التغييرات الفنية التي في متناول يدهم؛ فهم يستخدمون بذور أحسن، وأسمدة كيماوية، ومبيدات حشرية، وهذه التكنولوجيات تجعل من الممكن الحصول على محاصيل أعلى يعوض المحدودية الشديدة لمزارعهم، وإذا كانوا لا يستخدمون هذه التكنولوجيات على نطاق أوسع، فيرجع السبب في ذلك جزئياً إلى ارتفاع تكلفة المستلزمات التي يحتاجونها بالمقارنة بإمكانياتهم، وجزئياً أيضاً إلى أن تكلفتها أحياناً تكون أعلى من الدخل الإضافي الذي يمكن أن يحصلوا عليه من الإنتاج الإضافي (سبب ظروف التسويق الفقيرة) بالإضافة إلى أن التمويل المؤسسي الذي يمكنهم من الحصول على عوامل الإنتاج الجديدة، غالباً ما يكون غير متاح، حيث أن التفضيل يكون للتركيز لصالح الزراعة الرأسمالية الواسعة النطاق.

جـ- إن الفلاحين مستعدون لتقبل المنتجات الجديدة التي يطلبها السوق والتي ليست من بين محاصيلهم التقليدية، وقد رأينا هذا في حالة فلاحي "جويريرو" الذين تبنوا زراعة الشمام، وحب العزيز، والحماض الجاميكي، وحبوب السورغام، والطباق في حالة فلاحي "بوياكا"، وفي "بيرو" تلاحظ أن صغار

الفلاحين في "السييرا" قد بدأوا يعملون في المحاصيل الصناعية مثـل الـبن لمصانع الألبان، والشعير لمصانع البيرة، وفي "البرازيـل" حيـث انتشـرت بشكل كبير زراعة فول الصويا في السنوات الأخيرة.

د- من الجوانب الأساسية لاستراتيجية البقاء والدفاع عن الفلاحين تحريك قوة عمل العائلة في داخل ذات المنطقة، أو في مناطق أخرى من البلاد أو مـدن أو حتى بلدان أجنبية لزيادة الدخل الخارجي، وهذا يسـتحق تحلـيلاً عميقـاً لظاهرة الهجرة الريفية التي زاد نطاقها بشكل كبير في العقـود الأخيـرة، وهذه الهجرة قد تكون من ريف إلى ريف، أو من ريـف إلـى مدينـة، أو داخل نفس البلد، أو عبر الحدود لدول مجاورة، وقد تكون دائمة أو لفتـرة طويلة أو موسمية، ومع ذلك فإن ما يبدو أنه هجرة دائمة للمدن ليس كـذلك تماماً، وفي جميع الأحوال لا تنقطع روابـط الفلاحـين بـريفهم وبيـوتهم الأصلية كما وضحة بجلاء "بريان روبرتس" في حالة "ليما"، والعديد مـن الناس الذين هاجروا من الزراعة على نطاق صـغير إلـى مـدن أمريكـا اللاتينية (ليما، ساوباولو، كويتو) يحتفظون بروابط مركبة جداً، ويقـدمون خدمات فيما بين الريف والأماكن التي يسكنون بها، وهكـذا يلعبـون دوراً هاماً في بقاء الزراعة الريفية الصغيرة، وبالمثل في حالة المكسـيك، فـإن الهجرة الموسمية وحتى الهجرة لعدة سـنوات للعمـال المكسـيكيين فـي الولايات المتحدة الأمريكية تلعب دوراً اقتصاديا هاماً في بقـاء الزراعـة الريفية الصغيرة في جنوب وسط المكسيك.

هـ- تعمير الأراضي البكر واستصلاحها ففيما بين ١٩٥٠ و ١٩٨٠ تـم إدمـاج أكثر من ٢٠٠ مليون هكتار في الأراضي الزراعية لأمريكا اللاتينية .

وهكذا نرى أنه رغم الظروف السياسية والاقتصادية السائدة في مجتمعـات أمريكا اللاتينية، أي التحديث الرأسمالي الذي يهمشهم ويحـولهم إلـى بروليتاريـا، ورغم فقرهم وقلة مواردهم، ورغم الظروف المحيطة بهم من ناحية نوعية الأرض

وخصائصها السطحية، وبنيتها التحتية الأساسية، وكلها ظـروف معاكسـة وغيـر مواتية، ورغم ضعف تنظيمهم؛ ورغم تخلفهم من ناحية الفـرص الزراعيـة التـي يقدمها المجتمع الحديث، إلا أن فلاحي أمريكا اللاتينية ما زالوا يمثلون نسـبة لهـا وزنها من السكان الريفيين في المنطقة، وأنهم حتى عندما يتحولون إلى بروليتاريـا، أو يتحولون إلى المدينة فهم لا يفقدون صلاتهم تماماً بطريقة حياتهم وقـيمهم التـي طبعوا عليها لأجيال عديدة. وعلى الرغم من كل ذلك إلا أنه بسبب تضـافر عامـل ارتفاع معدل النمو السكاني مع عدم قدرة النظام الصناعي في المدن على اسـتيعاب كل العمالة الزائدة التي يخلقها التحديث الرأسمالي في الريف، فإن الزراعة الريفيـة تسعى إلى إعادة تجديد نفسها كملاذ لملايين الريفيين الذين تمنعهم الظروف البنيوية للتحديث من أن يصبحوا بروليتاريا بشكل كامل. ومن آليـات الفلاحـين لمواجهـة أزماتهم والحفاظ على حياتهم في اقتصاد الإعاشة أنهـم يبحثـون عـن محاصـيل جديدة، ويتخلون جزئياً عن محاصيل تقليدية، ويكونون روابـط مـع الصـناعات المعتمدة على الزراعة، ويعملون في المنـازل فـي مشـاريع قرويـة صـغيرة، ويصنعون بعض السلع اليدوية، ويرسلون جزءاً من قوة عملهم للمـدن والمنـاطق الريفية الأخرى، بل وفي بعض الأحيان يزرعون محاصيل ممنوعة مثل الكاكاو... الخ . وفي سعيهم هذا نحو آفاق جديدة، يتطور الفلاحون بأشكال مركبة جداً تشـمل الناس والبضائع والنقود والمعرفة... الخ، وحتى أولئك الـذين يهـاجرون هجـرة نهائية يحتفظون بروابط مختلفة دائماً مع أسرهم .

٥- عمالة الأطفال كآلية للتكيف مع الفقر

أ- لقد مثلت عمالة الأطفال أحد آليات تكيف الفقراء في دول العالم الصـناعية والنامية علي حد سواء حتي أصبحت عمالة الأطفال تمثل إزاحـة عالميـة تعاني منها المجتمعات كافة ، حيث تثير نسبة الأطفال الذين يقومون بعمـل في البلدان الصناعية الدهشة من حيث ارتفاعها ،ففي المملكة المتحدة تشير أكثر التقديرات مصداقية إلى أن ما بين ٢٦,١٥ % ممـن بلغـوا الحاديـة عشرة وما بين ٦٦,٣٦ % ممن بلغوا الخامسة عشرة قد دخلوا فعلا سـوق

العمل (علا مصطفي ونانيس حسن : ٢٠٠٣ : ٢١) هذا علماً بأنه لا يوجد ذكر لهؤلاء الأطفال العاملين في إحصاءات العمالة التي تصدرها منظمة العمل الدولية بسبب تصنيف هؤلاء الأطفال بأنهم طلبة ملتحقين بالمدرسة ويعد هذا بالطبع تعبيرا غير صادق عن الواقع الفعلي .

ب- يتأثر عمل الأطفال في الدول النامية بشكل العوامل الاقتصادية السائدة، فالمتغيرات الخارجية تلقي بظلالها علي تلك الدول فتقيد حركتها وتجعلها تلجأ إلى خيارات لم تكن لتلجا إليها في الظروف العادية مثل عمالة الأطفال ومن هذه المتغيرات نظام التجارة العالمي الجديد والقيود التي يصنعها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وتتضافر تلك المتغيرات مع الظروف الاقتصادية المتمثلة في فشل نماذج التنمية المستعارة من الغرب (عُلا مصطفي ، ونانيس حسن : ٢٠٠٣ : ٢٢) وتختلف التكنولوجيا المستخدمة،مما يؤثر في انتشار عمل الأطفال حيث يتزايد الطلب عليهم لانخفاض أجورهم وتقبلهم القيام بمهام يمتنع البالغون عن أدائها وتشترك معظم الدول النامية في تشابه الظروف الاقتصادية لمواطنيها ، والمتمثلة أساسا في انخفاض دخول الأفراد مما يشكل محدداً هاماً لالتحاق الأطفال بالأعمال المختلفة فنجد أطفال يعملون لدي الأسرة أو لدي الغير في الحقول والورش والمحلات وفي المنازل والشوارع بل قد يصل الأمر أن يعمل الأطفال في المناجم والمحاجر حيث تقع هذه الأنشطة في بعض الدول في القطاع غير الرسمي الذي يتهرب من الرقابة .

جـ - هكذا صارت مشكلة عمالة الأطفال الفقراء قضية ملحة تفضح كثيراً من الأنظمة والسياسة، لقد بلغ عدد الأطفال العاملين في العالم أكثر من ٢٥٠ مليون طفل يعملون في ظروف قاسية، وفي مهن تضر بصحتهم النفسية والجسدية، وبتطورهم الاجتماعي السليم. وفي آسيا وحدها ٦١ % من الأطفال العاملين في العالم أي بما يوازي ١٥٣ مليون طفل، وهؤلاء الأطفال يعملون في أكثر المهن خطورة بل والأقسى من ذلك أن الاعتماد

علي أجورهم أمراً يكاد يكون أساسيا لكثير من الأسـر الفقيـرة التـي لا تستطيع أحياناً توفير سلعها الأساسية بدون هـذه الأجـور (حسـن عبـد الوهاب : ٢٠٠٣ : ٣) حيث تمثل عمالة الأطفـال إلـى أعـدادهم فـي مجموعة من الدول الآسيوية ما يلي : ٤,٣ % في الهنـد و ٢٦,٤ % فـي باكستان، ١١,٨ % في بنجلاديش ، ١٤,٨ في سيريلانكا و ٢٣,٥ % في نيبال ، ٢٢٦ % في تايلاند ، و ١١,٧ في كمبوديا و ٢,٢ % في ماليزيـا و ١٧,٨ في الفلبين، و ٣,١في الصين و ٠,٤ % في تايوان و ٣,٣ % في كوريا الجنوبية ، و ٦ % في اليابان وبمتوسط ٦,٥ % في آسيا .

د - مع أن عمل الأطفال هو أسلوب للتكيف مع الفقر يمارسة الفقراء وأبناؤهم، فقد قررت اليونيسيف اعتبار عمل الأطفال استغلاليا إذا ما اشتمل علي أيام عمل كاملة للطفل في سن مبكرة ، وساعات عمل طويلة، وأعمال مجهـدة من شأنها التسبب في توترات جسدية أو اجتماعية أو نفسية لا مبرر لهـا ، العمل والمعيشة في الشارع في ظروف قاسية، اجر غير كاف، مسـئوليات زائدة عن الحد الطبيعي، عمل يحول دول الحصول علي التعلـيم وأعمـال يمكن أن تحط من كرامة الأطفال واحترامهم بنفسهم، الأعمال التي يمكـن أن تحول دون تطورهم الاجتماعي والنفسي الكامـل (عـلا مصـطفي ، ونانيس حسن : ٢٠٠٣ : ٢٣)

٦ - وهكذا اعتمدت سياسات الدول النامية للتكيف مع الفقر فـي الخمسـينات علي استراتيجية النمو الاقتصادي للإقلال من الفقر، وفي السبعينيات تحول الاهتمام إلى الأداء المباشر للخدمات الصحية والتغذية والتعلـيم، وفـي الثمانينـات تحـول التركيز علي برامج التكيف بعد الركود الشامل، وفي التسعينيات بـرزت خطـورة مشكلة الفقر وهنا شملت استراتيجيات مواجهة الفقر جميع جوانب السياسة الوطنية، هذا مع الاستفادة من التجارب القطرية (عايدة فؤاد ١٩٩٩ : ٤٣٤ - ٤٣٥) وكل هذا من خلال :

أ -نهج النمو الاقتصادي في الفترة من السبعينات حتي بداية التسعينات، وفيه يتم خيار العمل من خلال توفير فرص العمل المنتجة والمجزية، وإعادة توزيع الدخول والحاجات الأساسية، وإعادة التكيف الهيكلي، وظهور القطاع غير الرسمي، مثل الباعة الجائلين، وجامعي القمامة، والعمال الموسميين، والمنتجين علي نطاق صغير ،وأسفرت نتائج البحوث علي أن مرحلة إعادة التكيف ارتبط بها مخاطر جمة متمثلة في تزايد عملية الإبعاد المنظم عن القطاع الرسمي، وتهميش القطاع غير الرسمي، ومن ثم تزايدت حالات الإفقار وفي هذا الصدد كشف التراث عن كم هائل من البحوث التي تهتم بالآثار المترتبة علي عمليات التكيف الهيكلي التي مهدت الطريق لبحوث أخرى اهتمت بدراسة التحفيز للتنمية بهدف تقديم الحد الأدني للحماية والأمان .

ب – نهج رأس المال البشري وظهر في السبعينيات، وعاود الظهور في التسعينيات مدعماً ومصححاً لاستراتيجية النمو مع العدالة، وقد تبلور بفضل الإسهامات النظرية التي تسعي نحو رفاه الجنس البشري منها نظرية " امارتيا سين A.sen " حيث طرحت مفهوم تعزيز القدرات البشرية

جـ – وقد أجمع المهتمون بتخفيف حدة الفقر علي النهج الجديد الذي يطرح فرصاً كبيرة أمام البلدان النامية للاستثمار في القدرات البشرية من خلال دوران رأس المال البشري بفاعلية، ومن ثم ارتفاع إنتاجية العمل، وحدوث زيادة في الأجور التي بدورها تزيد من الاستثمار في رأس المال البشري، ويتم الاستثمار البشري عن طريق المساواة بين الجنسين من خلال تمكين المرأة والنمو المناصر للفقراء ،وإدارة العولمة بعناية لمزيد من المساواة العالمية ،وتعزيز دور الدولة في توفير بيئة ملائمة، والدعم الدولي للحالات الاستثنائية، ويتم كل ذلك علي مستوي الدول النامية من خلال آليات دولية، وإقليمية،وقومية، وآليات المجتمع المحلي، ويقولون: أفريقيا الفقر الأسود، وأمريكا اللاتينية النمو بلا رحمة، والبلدان العربية نمط إغاثي لا إنمائي .

ثانياً: فلاحو مصر بين الإفقار واقتصاد الإعاشة

لم أقصد من هذا العنوان أن جميع فلاحي مصر يعانون من الإفقار ومن اقتصاد الإعاشة، بل قصدت الفئة أو الشريحة العريضة منهم التي تعاني من الإفقار وتعيش ضمن نظام اقتصاد الإعاشة، وهي شريحة عريضة على امتداد ريف مصر لا يستطيع أحد إنكار وجودها، ولا يعني الحديث المطروح رسمياً عن الزيادة في الدخل تجاوز الفقر أو اقتصاد الإعاشة، حيث يرى "جان جالبرث" John K Galbraith، أن الاتجاه المنتشر في الدول النامية هو "توازن الفقر" The Equilibrium of Poverty حيث أن ارتفاع الدخل، يؤدي إلى عوامل جديدة تستهلك الزيادة وتعيد المستوى الاقتصادي إلى ما كان عليه من قبل، ولذا فإن الناس يحبطون، ويتوقفون عن المحاولات، لأنه لا يوجد مؤشرات أو حوافز تدل على أنهم لو حاولوا فإن وضعهم الاقتصادي والاجتماعي سوف يتحسن، وهذه الحالة يُطلق عليها "توازن الفقر"(Galbraith:1979:45- 55) وهي أكثر وضوحاً في القرى، حيث ندرة العناصر التي قد تعين الإنسان على تجاوز حد الكفاف ونظراً لأن ظروفهم قريبة جداً من مستوى الكفاف Level of Subsistence ، فلا يوجد توفير، حيث بدونه وبدون استثمار منتج لرؤوس الأموال لا يمكن الاعتماد على الاقتصاد الزراعي وحده في تطوير نظم الري والتقنيات الزراعية والبذور المهجنة، بالإضافة إلى أن خوف الفقراء من المغامرة يحول وإقدامهم على بعض المبادرات، حيث أن مثل تلك المبادرات قد تؤدي إلى فقدان القليل الذي يملكونه، وهذا يعني الجوع أو الموت.

١ – خصائص الفقر والفقراء في مصر

أ – لقد أجمع المهتمون بالفقر في مصر علي أنه ظاهرة معقدة في إطار خصوصية المجتمع المصري ، حيث يتباين بين القطاعات السكانية والاقتصادية فحسب ، وإنما داخل كل قطاع ، وأن تحديده وفق مؤشر الدخل محاط بمخاطر جمة ، ثم استند علي مدخل الحاجات الأساسية ، وتعددت خطوط الفقر ، حيث إلي جانب

خط الفقر وفقا للدخل ظهرت خطوط للفقر تستند إلـي الحاجـات الأساسـية خاصة الغذاء ، وجاء فى تقرير التنمية البشرية عـن عـام ١٩٩٦، أن هنـاك خمسة خطوط فقر متباينة (عايدة فؤاد : ١٩٩٩ : ٤٤١) الأول يعتمـد علـي سلة الغذاء، واثنان وفقا لمعدل الإنفاق أدني – أعلي، واثنان وفقا لمعدل الـدخل أدني – أعلي وبلغ إجمالي السكان الفقراء عام ٩٠ / ١٩٩١ م إلى ٢٣ % مـن سكان مصر مع ملاحظة تفوق الريف علي الحضر ، أي ارتفاع نسبة الفقـراء في الريف عنها في الحضر ، وبلغت نسبة أشد الناس فقراً ٧ % مـع ارتفـاع الحضر نوعا عن الريف ، وأن ربع سكان مصر علي الأقل فقراء مع اختلاف المستويات ، والرابع هامش فقر ، وظهر فقر القدرة ، ثم الفقر البشري تمشـياً مع التطورات الراهنة وفقر القدرة ٣٤ % في مقابـل ٢٣ % فقـر الـدخل ، وتزايد الفقر في الريف إلى ٤٣ % مقارنة بالحضر ٢١ % .

ب – نتيجة لتزايد أعداد الفقراء في مصر ، نوقشت آليات الإفقار من خلال عمليات الإبعاد المتعددة ، خاصة الوصول إلى بعض الأصول الأساسـية ، فالأصـول الاقتصادية متمثلة في الأرض الخصبة والمياة وفرص العمالة المنتجـة ، إلـى جانب رأس المال المادي والبشري مثل التعليم المناسب والصحة الجيدة ، أمـا الأصول الاجتماعية مثل الخدمات العامة وشبكات العلاقات بالمجتمع المحلـي ونظم الدعم الأخرى ، فعلي الرغم من أن عمليات الإبعاد عـن الأصـول قـد نوقشت باستفاضة في بحوث عديدة ، إلا أن عمليات الإبعاد المنظم مـن قبـل الدولة لم تحظ باهتمام يذكر (عايدة فؤاد ١٩٩٩ : ٤٤٣) باسـتثناء عمليـات الإزاحة المستمرة إلى الاقتصاد غير الرسمي ، وترجع عمليات الإبعاد المـنظم من قبل الحكومة إلى انتشار الأمية ، والافتقار إلى المهـارات البيروقراطيـة ، ومن هنا يبتعد ملايين من الفقراء عن بيروقراطية الدولة ، وبالتـالي الوصـول إلى الخدمات الأساسية ، مثال ذلك أن المرأة المُعيلة نتيجة الترمل أو الطـلاق تمنح معاشاً حكومياً ولغياب الهوية الشخصية لا تسـتطيع الحصـول عليـه ، ونظرا لافتقارها للتعليم ولمهارات ، فإنها تدفع مع غيرها مـن الفقـراء إلـى القطاع غير الرسمي .

ج – ويرجع اختلاف خط الفقر في الريف عن الحضر لاختلاف تكلفة المعيشة في الريف عنه في الحضر ، ويشير خط الفقر الأعلى إلى أن من يقع عليه أو تحته فهو فقير ، بينما من يقع أعلي أو أسفل خط الفقر الأدنى فهو فقير مُدقع، والهدف من وضع درجات للفقر هو التعرف علي أنماط الفقراء الذين يمثلون مجموعات غير متجانسة يختلفون في الأسباب التي جعلتهم فقراء ، وكذلك في درجة ما يعانونه من فقر ، وبالتالي يتعين علي صانعي السياسات مراعاة ذلك عند تصميم سياسات مكافحة الفقر، وهناك عدد من الدراسات يشير لخط الفقر وتحديد الفقراء في الريف ، بدلالة حيازة الأراضي الزراعية ، فيحدد " محمود عبد الفضيل " فقراء الريف بأنهم الحائزين فدانين فأقل (أشرف عبد اللاهي : ١٩٩٩ ، ٥١٣) ، حيث الأغلبية الساحقة من الفلاحين تتدرج بالتحديد تحت هذه الشريحة من فقراء الفلاحين، وهي تحتوي على ٥٠% من الأسر الحائزة للأرض سواء كانت مالكة أو مستأجرة وهي تضم فيما تضم، الفلاح المعدم الذي يستأجر قطعة أرض صغيرة بحثاً عن قدر من الدخل يسد رمقه ، ويتفادي العمل لدي الغير بصفة أساسية كعامل أجير ، كما يذكر أن وضع هؤلاء " الفلاحين الفقراء " لا يختلف كثيراً عن وضع المعدمين ، حيث أن ناتج الزراعة لا يكفي لسد احتياجاتهم الغذائية ولإعالة أسرهم ، ومن ثم يضطرون للبحث عن دخل إضافي بالعمل إجراء ، وحدد " عبد الباسط عبد المعطي " الحيازة أقل من ثلاثة أفدنة يكون حائزها فقيراً .

د – ويطرح " رشدي سعيد " رؤية تشكيل المجتمع المصري منذ السبعينات والانفتاح الاقتصادي ، ويري فيها أن المجتمع المصري يتكون من كتلتين : " كتلة طافية " و" كتلة غاطسة " وتمثل الكتلة الطافية " ١٤ % من المصريين ويحصلون علي ٧٥ % من دخل مصر ، والكتلة الغاطسة " تمثل ٨٦ % من المصريين ويحصلون علي ٢٥ % من دخل مصر ، (رشدي سعيد : ٢٠٠٢ : ١٥ – ١٧) ، ويري أن الدخول تتراوح في كل من " الكتلتين الطافية والغاطسة " تراوحاً كبيراً قد يصل في حدها الأعلى في حالة الكتلة الطافية إلى متوسط قد يزيد علي الخمسين ألف جنية في الشهر ، كما أنها قد تصل في حدها الأدنى في الكتلة الغاطسة إلى متوسط بين ١٠٠ – ٥٠٠ جنية في الشهر،

ويسكن ٥٦ % من " الكتلة الغاطسة في الريف ، ويشكل صغار السن ممن تقل أعمارهم عن ١٢ سنة حوالي ثلث أعضاء الكتلة البشرية الغاطسة ، ونسبة الأمية في هؤلاء عالية تبلغ حوالي ٦٠ % ، وهي أعلى في الإناث عن الذكور ، حيث يذهب إلى المدرسة ٢٥ % من الإناث ، ويتسرب من المدرسة عدد كبير ، ولا يصل من رافد هذه الشريحة التي تذهب إلى المدارس إلا ٢٠ % منها إلى المدرسة الثانوية ، أما الباقي فيتساقطون ويدخلون سوق العمل ، ومع ذلك بلغت نسبة المتعطلات علي مستوي إجمالي ريف مصر ٣٠,٣ % (عادل سلطان وآخرون : ٢٠٠٥ : ١١٥) أي أن حوالي ثلث إناث ريف مصر ممن هن داخل قوة العمل لا يعملن بالفعل ، هذا وترتفع نسبة المتعطلات في إقليم الوجه البحري لتصل إلى ٣٣,٩ % مقابل ٢٠,٣ % و ١١,٢ % بالنسبة لإقليم الوجه القبلي ومحافظات الحدود .

٢ – وتمثلت أسباب إفقار الفلاحين فيما يلي(حسنين كشك : ٢٠٠٤ : الغلاف)

أ – فصل- من خلال الإكراه الاقتصادي – المنتجين المباشرين عن ملكية وسائل الإنتاج في القرية ، مما ينتج عنه العمال المعدمين في جانب ، وطبقة مالكي وسائل الإنتاج في الجانب الآخر .

ب – البطالة المنتشرة في الريف بين الجنسين .

ج – انخفاض الأجور الحقيقية .

د – تشغيل النساء والأطفال بأجور تقل عن أجور الرجال .

هـ – ما تمارسه الإمبريالية من نهب تجاري ومالي للريف .

٣ – هذا وقد تم طرح نموذج تفسيري لحركة الإصلاح الاقتصادي في مصر ، علي أساس أنها تتأثر إلى حد كبير بعملية توازن القوي بين الدولة والمجتمع ، ويتضمن أربعة سيناريوهات مختلفة لحال الدولة والمجتمع (عيادة فؤاد ١٩٩٩ : ٤٤٤ – ٤٤٥) هي كما يلي : –

ا – السيناريو الأول : دولة ضعيفة ومجتمع ضعيف : فيه تعاني الدولة والمجتمع معا من الافتقار إلى القدرة علي الإصلاح ، مما يترتب عنه تدخل القوي الخارجية لفرض عملية الإصلاح وتحرم الدولة من فرصة لاختيار نموذج الإصلاح الذي يخدم مصالحها .

ب – السيناريو الثاني : دولة قوية ومجتمع ضعيف : وفيه يكون الإصلاح الاقتصادي نتاجا لإصرار الدولة لدعم استقلالها ومع ذلك لا تستطيع دفع عملية الإصلاح علي المدي الطويل وتختار نمط الإصلاح الذي يخدم مصالحها القومية في الغالب .

ج – السيناريو الثالث : مجتمع قوي ودولة ضعيفة : فيه تصعد البرجوازية الوطنية في اتجاه الإصلاح وتستغل ما تتمتع به من قوة في الضغط علي الدولة من أجل دفع عملية دفع الإصلاح في المسار الذي يخدم مصالحها .

د – السيناريو الرابع : دولة قوية ومجتمع قوي : فيه يحدث توازن قوي بين المهتمين بنتائج الإصلاح ، كما يحدث اتفاق للرأي العام المجتمعي ، وقد تلجأ الدولة لآليات سياسية لتحقيق هذا الاتفاق العام مع مشاركة مجتمعية فعالة .

٤ – وفي إطار النموذج السابق في ضوء خصوصية المجتمع المصري تبدو مصر حالة كلاسيكية سواء من حيث المعطيات التاريخية أو متغيرات القرن العشرين وأثرها علي المجتمع المصري (عايدة فؤاد : ١٩٩٩: ٤٤٥ – ٤٤٨) كالآتي :

أ – حقبة ما قبل الثورة : شهدت مصر طوال تاريخها الممتد آلاف السنين وهيمنة الدولة والطبقات المستغلة (بكسر العين) علي فائض الإنتاج وفائض العمل ، حيث لا يبقي للقطاعات الكبيرة من السكان ما يكفي لتحقيق الحد الأدنى من ضرورات الحياة، واستمر الوضع كذلك أثناء الحقبات الاستعمارية، حيث

تعاون الاستعمار مع الصفوة السياسية المحلية مع بقاء السواد الأعظم من السكان في حالة تهميش واستغلال

ب – حقبة عبد الناصر : شغلت هذه الحقبة الخمسينات والستينات من القرن العشرين وشهدت تحولاً سياسياً لثورة يوليو ارتبط بها جملة تحولات اقتصادية واجتماعية، فعلي الصعيد الاقتصادي ، برزت بوضوح أول استراتيجية للدولة لمواجهة الفقر من خلال النمو الاقتصادي مع التوزيع العادل لعائدات النمو عن طريق تدخل الدولة وتحكمها في عملية النمو الاقتصادي ، وبدأت بقرار التأميم، وإنشاء القطاع العام،وسن قوانين الإصلاح الزراعي وتحديد الملكية، وتميزت هذه المرحلة ببداية الخطط الخمسية، وتحققت إنجازات علي المستوي الاجتماعي ، والتركيز علي التعليم والصحة ، والرعاية ، والمساعدات الاجتماعية ،' ودعم الغذاء والصحة والملبس والنقل ، ولكن يلاحظ استحواذ المناطق الحضرية علي نصيب الأسد من الخدمات علي حساب القطاع الريفي .

ج – حقبة السادات : بدأت الحقبة محملة بالأعباء نتيجة الحروب وتعثر خطط التنمية، لكنها شهدت هجرة وتحويلات نقدية للعاملين بالخارج ، وقروض ومنح الانفتاح وأصبح الدعم يمثل عبئاً مالياً وتراجعت السياسات الداعمة اجتماعيا، مع استمرار تفوق الحضر علي الريف في الاستحواذ علي الخدمات والدعم وهي حقبة " رأسمالية تجارية طفيلية " ومن أهم ملامح الحقبة الساداتية ، ظهور فئة البرجوازية الذين أطلق عليهم الأغنياء الجدد ، وهم دائماً يتهربون من الضرائب ، وهذا إلى جانب تزايد الاستيراد والاستهلاك وانتشار الفساد وبالتالي عدم الاستقرار.

د – حقبة مبارك : بدأت كمرحلة انتقالية عانت خلالها مصر من جملة متغيرات سواء علي الصعيد المحلي أو العالمي ، منها تدهور الأسعار العالمية للنفط ومن ثم الركود العالمي هذا إلى جانب تأثير حرب الخليج الأولى في انخفاض ملحوظ في التدفقات المالية ، خاصة التحويلات والمنح من دول الخليج ، لذا فقد حلت الديون الخارجية محل المساعدات من الدول النفطية ، وبحلول منتصف

الثمانينات تدفقت المساعدات وعائدات البترول داخل ميزانية الدولة وبدأت الضغوط من الداخل والخارج لدخول مصر الانفتاح بشكل أكثر شمولية كآلية لمعالجة الإختلالات الهيكلية ، والبدء في برامج الإصلاح الهيكلي التي عرفت بالاستقرار الاقتصادي، وقد رافقت برامج التكيف الهيكلي موافقة مصر علي جملة تعهدات مع صندوق النقد الدولي ، إلا أن النتيجة كانت ارتفاع الأسعار، واختفاء الدعم، وتحرير السوق من تدخل الدولة، وقانون العلاقات الزراعية ،وزاد تهميش الفقراء، والضعفاء، وأصحاب الدخول المنخفضة،وكان لابد أن تقوم منظمات المجتمع المدني بدور واضح في دعم الفقراء والضعفاء وخاصة المرأة.

٥ – ويرى "عزت حجازي" أن الفقر ليس قدراً محتوماً بالنسبة للإنسان، وإنما هو واقعة تاريخية ظهرت في ظروف محددة واستمرت باستمرارها(عزت حجازي :١٩٩٦: ١٥٧). ولسنا مازلين حتى نرى ما حققه المصريون في مجال التغير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية والتحديث، منذ منتصف القرن حتى الآن، وحتى على مدى حوالي القرنين منذ الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨) معجزة، فما تحقق هو في غاية التواضع، وفي بعض الأمور لا يبدو أنه تحقق أي تقدم على الإطلاق (وفي مقدمة هذه الأمور أوضاع الفقر وأحوال الفقراء)، المعجزة المصرية، هي بدلاً من ذلك، الجهود الخارقة، أو غير العادية على الأقل، التي تبذلها قطاعات كبيرة من المصريين ليضمنوا لأنفسهم وذويهم استمرار الحياة أو مجرد الكفاية العضوية.

٦– وعلى سبيل المثال لا الحصر كان لقانون الإيجارات الزراعية ٩٦ لسنة ١٩٩٢ أكبر الضرر على صغار المستأجرين الذين يتجاوز عددهم المليون فلاح، يستأجرون ثلاثة أفدنة فأقل، حيث بفرض أن المستأجر الواحد يعول أسرة مكونة من ستة إلى سبعة أفراد على الأقل، فإن عدد المضارين يتجاوز الستة مليون مواطن، وسوف تزيد معدلات البطالة داخل الأسرة الريفية بمعدل ٤٩%، وهي حجم نساء وبنات المستأجرين، ويصل تعدادهم إلى ٢ مليون و ٤٥٠ ألف امرأة، وجميعهن كن يعملن في الحقل لمساعدة آبائهن وأزواجهن(كرم صابر : ٢٠٠١: ٢٣٦)... وهؤلاء سيتم اختفائهن باختفاء وسيلة العمل التي كانت تمتص هذا الكم، وبالتالي ستتضاءل فرصة المعيشة الكريمة لهن. وهؤلاء جميعاً يمثلون شريحة

كبيرة من المجتمع المصري، كان يتوجب وضع مصالحها بعين الاهتمام والاعتبار، وخصوصاً وأنها كانت شريحة منتجة ومؤثرة في مختلف نواحي المجتمع وخصوصاً مجالات الإنتاج الغذائي، وهذا الرقم الكبير صار ضحية تطبيق هذا القانون بعد طردهم من الأرض الزراعية، وبذلك سيتحول الفقر إلى إخطبوط، ويتحول الريف المصري إلى غابة مشتعلة بالفتن. وينتج عن ذلك تحويل الريف المصري إلى مجتمع طارد، فقد كانت استراتيجية المستأجر الصغير هي الاعتماد على أسرته في العمل معه، أولاده وبناته وزوجته بدلاً من عملهم لدى الغير بالأجرة، وبذلك يكون قد حصل على أجر أسرته من خلال عملهم بصورة كريمة في أرض يستأجرونها.. ولكن بعد اقتلاعهم من الأرض المستأجرة، سوف ينضمون إلى طابور البطالة الكبير... وهذه الفئة التي تشكل – كما توقع البنك الدولي – فئة الحائزين لفدانين فأقل، وهي تتجاوز الستة ملايين فرد ستدخل إلى حيز الفقر، كما ستواجه ارتفاعاً كبيراً في تكاليف معيشتها في الوقت الذي قد يمثلون فيه وقوداً للمواطن القادم من الريف، والذي سيسعى إلى المدن المجاورة بحثاً عن فرصة عمل وتأثير ذلك على المدينة ومشاكلها، بل وعلى المهاجرين إليها من الريف وعلى إعادة صياغة العلاقة بين الفلاحين والأرض والوطن.

٧- لقد صاحب عملية اندماج المجتمع المصري في النظام الرأسمالي العالمي تغلغلاً لعلاقات السوق وقيم التبادل النقدي، وأثر ذلك على شكل الإنتاج العائلي الذي كان طوال حقب التاريخ المتعاقبة مميزاً للحياة الاقتصادية والاجتماعية في الريف المصري، إن عملية التحول الرأسمالي قد خلقت شروطاً جديدة للحياة في الريف المصري، لكنها لم تجهز تماماً على شكل الأسرة المعيشية فيه، فقد استمر النمط الإنتاجي المعيشي قائماً، وإن كان قد طور من الآليات والاستراتيجيات ما يضمن له إعادة إنتاج نفسه كنمط إنتاج لا رأسمالي في إطار عملية التحول السلعي المتعاظمة(فتحي أبو العنين: ١٩٩٨ : ١٤٥). إن سلوك الناس واختياراتهم هي في جوهرها مبطنة بتوجهات قيمية، تحدد لهم أفعالهم وردود أفعالهم في مختلف المواقف. فالحرص على حيازة الأرض، والرغبة في حيازة المزيد منها، وتقسيم العمل في الحقل والدار، وتعاون الفلاح مع زميله، وتخزين

الغلة، وعدم تنظيم الإنجاب، والزواج الداخلي، والأكل في ماعون واحد... الخ، هي كلها أشكال من السلوك ذات أسس وذات معنى في حياة الفلاحين، وهذا المعنى كامن فيما تتبناه الجماعة المعيشية من قيم، والقيم بحكم طبيعتها كعنصر ثقافي مهم، ليست أبدية، بل نسبية ومتغيرة، كما أنها تتسم بالتباين والصراع خاصة في المراحل التي يتعرض فيها حاملو القيم لمواقف متناقضة بسبب تبدل شروط الحياة.

٨- ويرى "جالبرث" أن الناس في الدول المتقدمة يتوقعون أن تتحسن وتزداد دخولهم، لذا فقد كيفوا أنفسهم وتوقعاتهم وتفكيرهم مع ذلك التوقع في تحسن الدخل وزيادته. أما في الدول النامية، فإن الناس لا يتوقعون زيادة في دخولهم، لذا نجدهم قد هيأوا أنفسهم وتكيفوا مع حالة الفقر التي يعيشونها وخاصة في الريف (Galbraith :1979:56)، فالناس الذين عاشوا كثيراً في حالة فقر وفي عزلة نسبية في القرى، وصلوا إلى مرحلة بناء علاقة مع هذا النوع من الحياة واعتادوها، وان أحوال ملاك الأرض استمرت على حالها، لأن الأجراء عندهم قد تكيفوا مع فقرهم، وأن ذلك هو السبب الحقيقي لحماية الملاك واستمرارهم، وأن زيادة درجة الفقر، تعني زيادة في درجة التكيف معه، وأن التعايش مع الفقر لفترة أطول يعني زيادة في درجة التكيف معه.

٩- إن ثقافة الفقر هي تكيف ورد فعل الفقراء على مكانتهم الهامشية في مجتمع طبقي، إنها تمثل جهداً للكفاح والتغلب على المشكلات، مع شعور بفقدان الأمل واليأس الذي يتطور من إدراك عدم احتمال إنجاز النجاح بقيم وأهداف المجتمع الأكبر، حقاً يمكن للعديد من سمات ثقافة الفقر أن تُرى على أنها محاولات لتقديم حلول محلية من أجل مشاكل لم تقابلها المؤسسات والوكالات القائمة(جي تيمونز، أيمي هايت: ٢٠٠٤: ١٦٩)، لأن الناس غير مؤهلين لها، ولا يستطيعون تحملها، أو أنهم جاهلون أو مرتابون في أمرها، هم غير قادرين على الحصول على اعتمادات من البنوك، ويلقي بهم فيتركون لمواردهم الخاصة، وينظمون وسائل اقتراض دون فائدة . إن ثقافة الفقر على أي حال ليست فقط تكيفاً مع الظروف الموضوعية للمجتمع الأكبر، بل إنها عندما تأتي إلى حيز الوجود تميل

إلى أن تخلد نفسها من جيل إلى جيل بسبب تأثيرها في الأطفال، في الوقت الذي يصبح فيه عمر الأطفال في السادسة أو السابعة يكونون قد تشربوا عادة القيم والسلوكيات الأساسية لثقافتهم الفرعية وغير مهيئين ليستفيدوا استفادة كاملة من الظروف المتغيرة أو الفرص المتزايدة التي قد تحدث في مدى حياتهم، وينتج أناس ثقافة الفقر ثروة قليلة، ويتلقون بالمقابل القليل جداً، إن لديهم مستوى منخفضاً من التعليم والثقافة، ولا ينتمون إلى اتحادات عمل، وليسوا أعضاء في أحزاب سياسية، وعموماً لا يشاركون في مؤسسات أو منظمات الرفاهية الوطنية، ولا يستفيدون من البنوك إلا قليلاً، ولا من المستشفيات والمتاجر والمؤسسات الصحية والمتاحف... الخ، وينتقدون ولا يثقون في السلطة أو المواقع العليا. وعندما يحاولون التكيف مع الفقر فإنهم يتجمعون في أماكن متقاربة ويحاولون تكسب دخلهم من أية مهن ولو وضيعة، ويقللون لأقصى درجة من إنفاقهم على متطلباتهم الأسرية والشخصية ويتضامنون، ويلعب الأبناء والزوجات أدواراً في مواجهة الفقر والإسهام في الدخل.

١٠- ولقد أوضحت الدراسة التي أجراها "أحمد زايد" بالاشتراك مع "علياء شكري" و "حسن الخولي" في ثلاث قرى بمحافظة الفيوم(فتحي أبو العنين: ١٩٩٨ : ١٦٩)، ظهور أشكال جديدة من النشاط المعيشي لا ترتبط بالضرورة بالزراعة، ويمارسها في الغالب أعضاء الأسر المعدمة، التي تضيق أمامها فرص العمل في الزراعة، أما أسر صغار الفلاحين، فإن الأدوار التي يقوم بها أعضاؤها، والتي تتصل بالزراعة، قد صارت الآن متوازية، ومتشابكة، ومتداخلة، مع أدوار أخرى لا تتعلق بالنشاط الزراعي، فمع الارتباط بقطعة من الأرض، قد تجد من بين أعضاء الأسرة من يمارس وظيفة حكومية أو يعمل بالتجارة الصغيرة، أو يقوم بنشاط حرفي داخل القرية أو خارجها، وقد تهتم الأسرة بتعليم الأبناء، بهدف إلحاقهم بوظائف حكومية لضمان دخل ثابت لها، وكل هذه الأنشطة هي في النهاية بمثابة أساليب لمواجهة نفقات المعيشة،ولإعادة إنتاج حياة الأسرة في ظل التحول نحو اقتصاديات السوق .

١١- إن مرونة الأسرة المعيشية الريفية تُعدُ من استراتيجيات التكيف، ويضطر أعضاء الأسرة المعيشية ــ حسب الظروف ، إما إلى الهجرة أو العودة عند الحاجة، وقد استخدمت هذه الاستراتيجية بصورة منظمة خلال السبعينات والثمانينات، عندما حدثت هجرة واسعة النطاق من المناطق الريفية إلى دول البترول الغنية، وقبل ذلك كان ذكور العمال يعملون في "التراحيل"، حيث يبحثون عن أعمال موسمية في المشاريع الزراعية الكبيرة والأشغال العامة في الريف، وبعض مواقع الإنشاءات، ويتركون زوجاتهم وأولادهم ليقوموا بدورهم في البحث عن أعمال مولدة للدخل(راجي أسعد، وملك رشدي: ١٩٩٦: ٣٥- ٣٦). وتتمتع الأسرة المعيشية الريفية بميزة العمل في أماكن لا تعترف بالحدود بين ما هو عام وما هو خاص، ولا تفرق بين أماكن العمل والأماكن الاجتماعية، فشوارع القرى وأزقتها تُعدْ امتداداً للبيوت، وفيها تتم عدة أنشطة مثل إعداد الطعام، وإرضاع الأطفال، حيث يجتمع النساء ويمارسن حياتهن الاجتماعية، ويتم الاحتفال بالكثير من المناسبات الاجتماعية الخاصة كالزواج، والعزاء في الشوارع، وكذلك تستخدم الحقول كأماكن للمفاوضات التجارية والمناسبات الاجتماعية، وملاعب للأطفال. هذه الأبعاد لها أهميتها في توفير الفرص الجديدة لإتباع الاستراتيجيات اللازمة للتكيف من أجل البقاء.

١٢- ولما كان الفقراء في مصر ــ وفي غيرها من المجتمعات ــ لا يشكلون كتلة متجانسة، وإنما هم فئات تختلف الخصوصيات التي تتميز بها كل منها والظروف التي تعيش فيها اختلافات غير هينة، فإن من الطبيعي أن نتوقع تنوعاً وتبايناً كبيرين في الاستجابة لواقع الفقر، والتكيف معه، واستراتيجيات مقاومته، وأولى فئات استجابة الفقراء في مصر لواقع الفقر ــ وهي لحسن الحظ ليست كبيرة ــ هي تلك التي تصدر من أولئك الذين ضاعت منهم فرص الحياة، وسُدت أمامهم أبواب العيش، إلى حد أن يشعروا ــ وهم في غمرة اليأس ــ بعدم القدرة على استمرار مقاومة التردي، ويقدموا على الانتحار، والمحزن في الأمر أن الانتحار لا يحل المشكلة في العادة وإنما يعقدها أكثر، إذ تبقى هناك زوجة وأبناء

وربما معالون غيرهم يعانون أكثر — ولن ينسى الباحث ما نشرته وسائل الإعـلام المصرية عام ٢٠٠٥ عن زوجة الأب التي قتلت طفل زوجها ضرباً لأنه أكل ربـع رغيف زيادة عن المقرر له في اليوم من وجهة نظرها " التي لا تسد رمق الطفل " مراعاة للفقر الذي يعيشونه وأنصبة باقي إخوته من الأرغفة ، وتضم الفئـة الثانيـة أولئك الذين ينحرفون أو ينزلقون إلى الانحراف والجريمة، وقصـص الإنـاث — صغيرات وكبيرات — اللاتي يدفعهن العوز إلى احتراف الدعارة، أي العـيش مـن بيع الجسد، أو أجزاء منه مثل بيع الكُلي ، وتجارة الأعضاء البشرية، والشيء نفسه يمكن أن يُقال عن كثير من جرائم النشل والسرقة والتزوير والاختلاس والارتشاء.

١٣- لكن ليس كل من يقاسون من العوز يحلون مشكلتهم بإنهاء حياتهم أو الانزلاق في الانحراف والجريمة، الذين يفعلون ذلك هم القلة، أما الأغلبية الساحقة، فهم أولئك الذين لا يتوقفون عن السعي لتجاوز الفقر أو تحجيم تأثيراته على الأقـل، ويظلون يعيشون على أمل أن يكون المستقبل أفضل، وربما كانـت أكثـر صـور التكيف مع الفقر شيوعاً التدني بنوعية الإشباع لخفض الإنفاق، ومـن ذلـك مـثلاً صرف النظر عن الانتقال إلى مسكن جديد ملائم، أي الاستقلال في السكن بالنسـبة لحديثي الزواج، وقبول إهدار الخصوصية، والازدحام في السكن إلى درجة تقترب من الاختناق وغير ذلك، وكذلك تأجيل الإشباع مثل تأخير سن الزواج سنوات قـد تطول، أو إلغائه كليه، وهو نفس ما يحدث بالنسبة للرغبة في اقتناء سـيارة مـثلاً، وطبيعي أن ترتبط نوعية الاستجابة بين ضغط الإنفاق وإلغائـه بحيويـة الإشـباع بالنسبة للفرد والأسرة. ويمثل الدفع بالأطفال إلى سوق العمل أو ما يمكـن تسـميته اختزال الطفولة، واحدة من أخطر الظواهر المرتبطة بالفقر والمترتبة عليه، ولـيس غريباً أن يصل عدد الأطفال العاملين في مصر إلى حوالي المليونين، أي ما يزيـد عن ١٤% من مجموع القوى العاملة في مصر في أوائل التسـعينات والتـي تبلـغ ١٤مليون، وأقل قليلاً من ٣٠% من إجمالي عدد الأطفال في سن ٦-١٤ سنة.

١٤- والدافع الأقوى وراء نزول الأطفال إلى سوق العمل، هو العامل الاقتصادي، أي حاجة أسرهم إلى أجورهم، وتشير نتائج دراسات حديثة إلى أن ٧٥% من الأسر الفقيرة في ريف مصر، وفوق ٥١% من الأسر الفقيرة في الحضر، بها أطفال يعملون(عزت حجازي: ١٩٩٦: ١٥٩-١٦٠)، ويتراوح إسهام الأطفال العاملين في دخل الأسرة بين أقل قليلاً من ٢٣% من إجمالي الدخل وأقل قليلاً من ٣١% منه. أما التسرب من المدرسة والتوقف عن متابعة التعليم الرسمي، فليس في حد ذاته سبباً في نزول الأطفال إلى سوق العمل، وإنما هو ظرف مُهيىء ووضع مساعد، وهو يرتبط بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأسرة وعجزها عن الوفاء بمتطلبات تعليم أطفالها وتقييمها السلبي له، ويجد طلب الأطفال ـ أو أسرهم بمعنى أدق ـ للعمل، وتهافتهم عليه، تشجيعاً من كثيرين من أصحاب العمل؛ فهؤلاء يفضلون تشغيل الأطفال، حين يكون ذلك ممكناً، لأنهم يدفعون لهم أجوراً ضئيلة ولا يتحملون أعباء التأمين عليهم، ولا يلتزمون بساعات محددة ليوم العمل وغير ذلك من صور الاستغلال، بالإضافة إلى عمل الأطفال هناك الجمعيات الدوارة بمبالغ متواضعة للغاية، وكذلك عودة الأسرة الممتدة.

١٥-وثمة حزمة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتي تتضافر فيما بينها مفضية إلى انبعاث، ومن ثم تصاعد ظاهرة عمالة الأطفال، وفي الوقت الذي يصعب فيه حصر تلك العوامل، إلا أنه من الممكن القول إنها تتمحور بوجه عام ضمن روافد رئيسية عدة: اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وديموجرافية، وسياسية، فيما يلي أبرزها(خالد سليمان ، وسوسن عرفة :٢٠٠٢: ١٣٦- ١٣٧):

أ- **عوامل اقتصادية**: تتفاوت معدلات إسهام كل من العوامل المجتمعية المختلفة في انبثاق ظاهرة عمالة الأطفال إلى حيز الوجود، إلا أن العامل الاقتصادي يتبوأ في أغلب الأحيان موقع الصدارة على هذا الصعيد، ومما قد يثبت صحة هذا الافتراض انحسار وجود الظاهرة في البلدان الغنية قياساً إلى البلدان الفقيرة، ففي قارة أوربا برمتها لا يزيد عدد الأطفال العاملين ممن هم دون سن ١٥ سنة على مليون طفل، أما في قارة آسيا

التي تدرج بلدانها عادة ضمن قائمة البلدان النامية، فلا تقل أعداد الأطفال العاملين فيها دون السن ذاته عن ١٤٠ مليون طفل، وتدعم الدراسات المتوافرة هذا الطرح بتأكيدها الارتباط الوثيق بين ارتفاع معدلات انتشار الظاهرة من جهة، وتدني المستويات المعيشية والاقتصادية من جهة أخرى، ويشكل الدخل الضئيل الذي يتقاضاه الأطفال العاملون أحياناً المصدر المالي الوحيد الذي يحول دون وقوع الأسرة في براثن الجوع والاستجداء، مما يُعدُ دافعاً قوياً لبروز تلك الظاهرة واستمراريتها، ومن المتوقع في ظل غياب العدالة الاجتماعية وسوء توزيع الدخل، واستشراء الفساد في دول العالم الثالث، أن يدفع الفقر بكثير من الأسر إلى إلقاء أطفالهم في معترك الحياة العملية في مراحل مبكرة من أعمارهم تحت وطأة الظروف الاقتصادية البالغة القسوة والإجحاف. وضمن هذه الرؤية يمكن الإشارة إلى الدور الذي يلعبه الفقر أحياناً في إلقاء الأطفال في جحيم المعارك والحروب، ففي ليبيريا مثلاً، شوهد أطفال لم يتجاوزوا السابعة ضمن صفوف المقاتلين، ويفسر مدير منظمة الصليب الأحمر هناك الأمر بقوله: أن من يحمل بندقية يستطيع الحصول على الطعام، وهذا ما يحدث أيضا في ماينمارا، فقد ضحى كثير من الأهالي بأطفالهم للقوات المتمردة نظير تقديم المأكل والملبس لهم، وبات هؤلاء الأطفال يشكلون حوالي ٢٠ % من المقاتلين.

ب- عوامل اجتماعية: ربما يمكن تفسير ظاهرة عمالة الأطفال في ضوء رغبة بعض الآباء في الحفاظ على استمرارية مهنهم التي ورثوها في الغالب عن آبائهم، التي يعتزون بها غاية الاعتزاز، ويرون فيها إرثاً نفسياً لا يجدر التفريط فيه، وذلك عن طريق توريثها إلى الأبناء. هذا بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية والمعيشية والأسرية غير المواتية. وقد ينظر العديد من الأفراد إلى عمالة الأطفال في محيط العائلة بمنظار إيجابي، بدعوى إسهام مثل هذا النوع من العمل في إكساب الطفل بعض الخبرات والمهارات، وتعزيز ثقته بنفسه وقدرته على مواجهة تحديات الحياة

مستقبلاً، وقد يكون ذلك صحيحاً إذا ما اقتصر على قيام الطفل ببعض الأعمال البسيطة التي لا تشكل خطراً على صحته ونمائه، إلا أن عمل الطفل لدى العائلة كثيراً ما يتجاوز هذه الأعمال، فنجد الطفل نفسه مضطراً تحت وطأة الضغط إلى إنفاق ساعات طويلة في أعمال مرهقة تستنزف جهوده وطاقته وتؤثر سلباً على صحته ونموه السليم.

١٦- وإذا كان هذا حال الأطفال، فإن حال النساء يُعتبر هو الأسوأ، حيث أن ثلثي مجموع العمل المبذول على نطاق العالم يقوم به النساء، أما الثلث الآخر فيقوم به الرجال، هذا ما توضحه الكاتبة الألمانية "ماريا ميز" في مؤلفها المعنون "الأبوية والتراكم على نطاق العالم"(شرف شحاته: ١٩٩٨ : ٢٤١ – ٢٤٤) بأن نسبة ٧٠% من القوى العاملة في مناطق الإنتاج الحرة في جنوب شرق آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، مكونة من النساء، وأن أغلب هؤلاء النساء تتراوح أعمارهن بين ١٤ و ٢٤ سنة ـ وكأنها تقصد البنات اللاتي تعملن في مهنة حرفة البردي في دراستنا هذه ـ وإذا أضفنا إلى النساء اللاتي يعملن في مناطق الإنتاج الحرة، والتي بدأت تزحف على البلاد أولئك العاملات في الأنشطة الموجهة للتصدير والصناعات الزراعية والصناعات التكميلية، والصناعات المنزلية أو الحرفية. إن عمل المرأة خارج البيت مقابل أجر لا يختلف في الجوهر عن عمل الرجل، ربما الفارق الأساسي هو أن المرأة تخصص لها أدنى الأعمال، وتلك التي تحتاج إلى الصبر، والطاعة، والحذق اليدوي، مثل قطف أوراق الشاي، أو تجميع صفائح الألكترونيات الدقيقة، أو تطريز الرسومات، أو صنع السجاد، وفي كثير من الأحيان تتلقى أجراً أقل من الرجل، ولا تترقى إلى نادراً إلى مسؤوليات الإدارة والإشراف، والمرأة لها وضع خاص في البنية الاقتصادية والاجتماعية يختلف عن وضع الرجل، وهو أنها تقوم بأعمال حيوية دون أجر، بينما الرجل لا يقوم بعمل إلا إذا تقاضى أجراً أو دخلاً، وهذا الفارق الجوهري هو سمة من سمات المجتمع الطبقي الأبوي الذي نعيش في ظله، ورثناه ـ والقول لماريا ميز ـ منذ عصور العبودية في التاريخ، فالعبد هو الذي يقوم بعمل بلا أجر، وإنما مقابل الإعاشة التي تسمح له بالبقاء على قيد الحياة، والقيام بالجهود التي يطلبها منه مالكه أو سيده في الحقل أو المنجم، أو

الحرفة، أو بخدمته في العزبة أو البيت، والمرأة كذلك تقوم بالخدمة في البيت مقابل إعاشتها، وكانت كلمة "فاميليا" عند الرومان تعني ما يملكه الرجل من حيوانات ونساء وعبيد!!!.

١٧- ويجب أن يجسد عمل النساء كامل الأبعاد الثلاثة: العمالة المأجورة في القطاع الرسمي، والعمالة غير الرسمية المأجورة، والعمالة غير المأجورة في المنازل، حيث معظم نساء العالم يعملن في اثنتين أو ثلاث من فئات هذه الأعمال، وهو وضع أسمته "كارين هوسفلد" "المناوبة الثلاثية" التي تصل إلى ست عشرة ساعة يومياً للنساء في الكاريبي، وكانت النساء تعملن في وادي السليكون في حدود خمس عشرة ساعة في اليوم، وتقضي النساء الفقيرات في حدود ستين ساعة أسبوعيا في عمل منزلي بدون أجر وتلعب المرأة الشابة في مصر دوراً هاماً داخل الأسرة باعتبارها قوة عمل أساسية للأسرة، وتمارس عدداً من الأنشطة تتمثل فيما يلي(أشرف عبد اللاهي: ٢٠٠١ :٢٣٣):

أ- القيام ببعض الأنشطة الإنتاجية داخل الوحدة المعيشية مثل تربية الطيور، وحلب اللبن، وتصنيع بعض المنتجات كالجبن والزبد وغيره لاستخدام الأسرة، أو قد تسهم في تسويق هذه المنتجات بغرض البيع في السوق... الخ .

ب- العمل في الأنشطة الإنتاجية المختلفة في الحقل سواء كان ذلك على مستوى الوحدة المعيشية (بدون أجر) أو خارج الوحدة المعيشية (العمل بأجر).

جـ- اتخاذ بعض القرارات التي تتعلق بالإنتاج كتحديد نوع وكمية المحاصيل التي تحتاجها الوحدة المعيشية وتحديد أولوياتها.

د- هذا إلى جانب بعض الأنشطة مثل رعاية الأبناء والأعمال المنزلية المختلفة وغيره من الأنشطة.

١٨- وتلعب المرأة كزوجة وأم دوراً حيوياً في الأسر الفقيرة(كريمة كـريم : ٢٠٠٥ : ٣٥٤)، فالزوجة أو الأم هي التي تدبر شئون الأسـرة، حتـى تجعـل الدخل الصغير يفي بحاجات الأسرة، وهي التي تتحمل المسئولية في إيجاد الوسائل للحصول على دخل كاف لإطعام أطفالها، إذا ما كان رب الأسرة ينفق دخله علـى مصروفاته الشخصية مثل (السجائر والشاي والقهوة والمشروبات ... الخ) وهي قد تعمل أو تلحق واحداً أو أكثر من أبنائها أو بناتها بعمل، أو تقترض أو تبيع بعـض ما تملكه هي، أو تملكه الأسرة لتوفير الإنفاق على الاحتياجات الأساسية لأسـرتها، وعندما لا يجد رب الأسرة عملاً، أو عندما يكون دخله شديد الانخفاض، بحيـث لا يفي باحتياجات الأسرة، تكون الزوجة هي من يشجعه على الهجرة إلى المدينـة، أو حتى الهجرة إلى دولة أخرى للبحث عن عمل، وتتحمل هي كافة مسئوليات الأسرة في أثناء غيابه، وفي كثير من الحالات تكون هي أيضاً من يعتمـد عليـه لتمويـل سفره عن طريق بيع حليها التي تملكها، أو عن طريق الاقتراض، أو عـن طريـق الادخار من مصروفات العائلة والانضمام إلى جمعية دوارة لتوفير تكاليف السـفر. هذا وسوف نرى في الفصول القادمة الدور الذي لعبته المرأة في التكيف مع الفقـر أو صناعة رأس المال في دراستنا الميدانية للحرف الثلاث في مجتمعات الدراسة.

١٩- دخول المرأة الريفية الفقيرة سوق العمل:

يرجع دخول المرأة الريفية الفقيرة لسوق العمل إلي زمن بعيد، بعدما بـدأت تشعر بأن الدخل الذى يحققه الزوج من عمله لا يكفي الأسرة، بـدأت تتـرك إدارة البيت لبعض الوقت وتخرج للعمل لدعم زوجها والأسرة، وكانت كلمة " الاقتصـاد" economy ترجع فى أصلها اليوناني القديم إلي Oikoأى البيـت و Nomos اى إدارة، أى إدارة البيت، فالكثيرون يربطون بين الاقتصاد (إدارة البيت فى اليونانية القديمة) وبين إدارة المرأة للبيت، وكان خروج المرأة الفلاحـة الفقيـرة لمساعدة زوجها فى أعمال الزراعة بالإضافة لإدارتها للبيت يمثل بداية دخول المرأة سـوق العمل لأن ذلك كان يمثل مقدمه لعملها فى حقول الآخرين (مزاملة)، حيث تعمـل

لدي الغير عددا من الأيام، وعندما يحتاج زوجها لمزيد من اليد العاملة، فإنه يسترد عدد الأيام التى عملتها زوجته لدي الغير بعدد مماثل من إناث الغير، ثم بعد ذلك بدأت المرأة تعمل لدي الغير بأجر بالمياومة. وذلك على الرغم من أنها لم تترك إدارتها للمنزل ، فهي أول من يصحو من النوم استعدادا لليوم الجديد(عاصم الدسوقي : ٢٠٠٥ : ١١) وهي آخر من ينام من أهل البيت بعد الاطمئنان على أحوالهم . ومن هنا جاء المعتقد الشائع بين الناس أن المرأة خُلقت للبيت لترتيب شئونه ورعاية أهله زوجاً وأولاداً.

٢٠ - أسباب دخول المرأة سوق العمل:

أ- اضطرت المرأة الفلاحة الفقيرة للدخول فى علاقات عمل، عندما كانت تشتري الكتان الخام- مثلا - من السوق لتقوم بغزله ثم بيعه للنساجين، وهي علاقة ظلت قائمة حتي أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، حيث لاحظ علماء الحملة الفرنسية أن نساء الفلاحين فى معظم أنحاء الدلتا، وفى منوف خاصة، يشتغلن فى غزل الكتان الذى يشترينه خاماً من الأسواق، ثم يقمن بتجهيز الغزل فى ربطات للبيع. وفى الصعيد، وخاصة فى قنا كان فصل الكتان عن مشتقاته يتم عن طريق تمريره بين أسنان مشط من الحديد (عاصم الدسوقى: ٢٠٠٥: ١٢-١٣)، ثم يوضع فى ربطات ويباع فى أسواق المدن أو القري الكبيرة، وتحصل عليه الغازلات، وتقوم النسوة بتبييض الكتان المغزول عن طريق غليه فى مغسول من النطرون والجير الحي، ثم غسله فى ماء بارد، ويجفف ليقدم للنساج، وتحصل المرأة على أجرها، وفى هذا الخصوص كان بعض النساء يقمن بعملية الغزل لحسابهن الخاص، حيث كانت الواحدة منهن تشتري المادة الخام من السوق بنفسها، ثم تقوم بغزلها وبيعها فى السوق لحسابها، وبعضهن كن يعملن لحساب الغير من خلال وسيط يقوم بتسليم المادة الخام إلي الغازلات لإعادتها مغزولة بعد فترة نظير أجر متفق عليه.

هناك حرفة أخري احترفتها المرأة المصرية غير الغزل، الذى كـان حرفـة شائعة وهي صناعة الأواني الفخارية فى صعيد مصر، فقد كان البرام – أى آنيـة الطبخ – بالغ الخشونة، وجدرانه سميكة (٢ – ٣سم)، ومن أجل تقليل هذا السمك، كان يتم تحويل حجر البرام إلي مسحوق يخلط بكمية مماثلة من الصلصال من سفح جبل أسوان، ويضرب هذا الخليط لمدة ثلاث ساعات أو أربع، ويوضع فـى آنيـة تقوم النسوة بتدويرها باليد، حيث تستطيع المرأة الواحدة إعداد خمسة أو ستة أواني فى اليوم الواحد.

ب- وعندما بدأ " محمد على " فى تكـوين الجـيش مـن الفلاحـين المصـريين، وانكمشت عمالة الرجال فى مشروعات الري والزراعة التى كان " محمد علـى " قد شرع فيها، وعلى هذا، وتلافيا لنقص العمالة الرجال قام بتشـغيل المـرأة الريفية فى مشروعات الري، مثل بناء السواقي، وإنشـاء الجسـور والسـدود، وشق القنوات والترع، وأكبر مثال على تلك الترع المحمودية، بل إنه فى حالـة خروج جميع رجال النواحي لحفر الترع وشق القنوات، كان " محمـد علـى " يأمر بجمع النساء للعمل فى تنقية الأرض من الحشائش، والزروع من الديـدان والآفات، والقيام بالحصاد.

جـ- وأثناء قيام " محمد على " بتطبيق نظام الاحتكـار فـى الزراعـة والصـناعة والتجارة منذ عام ١٨١٦، تأثر عمل النساء بهذا النظام، إذ خضعت المرأة التى تعمل فى الغزل – شأن الرجل – لدور الدولة الجديد، وبمقتضي هـذا النظـام تولت الحكومة إمداد العاملة بمقادير معينة من المادة الخام- سواء من القطن أو الحرير أو الصوف أو الكتان – من خلال شيخ البلد فى القرية أو شيخ الحـارة فى المدينة لتعيدها خيوطا تشتريها الحكومة بسعر تحدده، ومن هنا بـدأ تنظـيم عمل المرأة الريفية فى الصناعة بمعرفة الدولة، حيث أخذت تستأجر المرأة فى الصناعات الحكومية فضلا عن الرجل بطبيعـة الحـال (عاصـم الدسـوقي: ٢٠٠٥: ١٤) ففي عام ١٨٢٥م، أمر " محمد على " باستجلاب ثلاثين إمرأة أو بنتا للعمل فى مصنع الطرابيش فى فوه (كفر الشـيخ)، وفـى عـام ١٨٢٩،

أصدر أوامره إلي شيوخ الحارات وشيوخ طوائف الحرف بجمع كل حُرمه (أى امرأة) ذات ذوق ومهارة للعمل فى تطريز كسوة الكعبة المعروفة بالمحمل الشريف، وفى عام ١٨٢٣، طلب خمسة آلاف عاملة من مديرية الشرقية للعمل فى الغزل. وعندما شرع فى إنتاج خيوط الحرير بتربية دود القز على ورق شجر التوت فى الشرقية ، وكانت حرفة جديدة تحتاج إلي تمرين وخبرة ، نراه يطلب من مدينة بلبيس عشرا من الصبية البالغين ، وعشرة من البنات كدفعة أولي ، لكي يقوم بتزويجهم ، مع تحمله مهورهن وسائر نفقات الزواج للعمل فى زراعة شجر التوت وتربية دود القز ، والإقامة حيث يعملون.

د- وتزداد معاناة فقراء الفلاحين فى كافة جوانب احتياجاتهم ، وذلك لضعف الدعم للفلاحين ، حيث عندما كان الإنفاق الحكومي على الصحة فى القطاع الفقير من المصريين يمثل ٤٩,٢% من المبلغ العام على الصحة فى مصر، كان ما تم دفعه كأجور يمثل ٦٣,١٩% من المبلغ، والنفقات الخارجية تمثل ٣٦,٩%، وتم إنفاق ١٥% منها على الرعاية الوقائية، و ٢٢% على الرعاية الأساسية، ونسبة ٦١% فقط علي الرعاية العلاجية، إلا أن ٩٥ % من القيمة المخصصة للعلاج تم توجيهها لعلاج الفقراء فى الحضر، ولم يتبق لفقراء الريف سوي ٥% فقط(محيا زيتون: ١٩٩٨: ٤١).

هـ- ويمثل ذلك مع العديد من العوامل الأخري دافعا للفقراء بالدفع بأبنائهم الأطفال إلي سوق العمل كمحاولة للتكيف مع الفقر، ولدعم الأسرة للتغلب على مشكلاتها المالية، ويقدر عدد عمالة الأطفال فى مصر فى العقد الأخير من القرن العشرين ما بين اثنين إلي ثلاثة ملايين طفل، ويتوزع الأطفال العاملون فى الريف والحضر، فيقيم فى الريف حوالي ٨٥% منهم، نشاطهم هو الزراعة وما يتعلق بها، بنسبة تبلغ ٧٨% من المقيمن فى الريف، بينما يعمل معظم المقيمين فى الحضر فى مجال الخدمات والمجال الصناعي وبخاصة الحرفي (علا مصطفي، ونانيس حسن: ٢٠٠٣: ٢٣) ويتقارب حجم الأطفال العاملين من الذكور مع حجم الإناث، حيث يبلغ حجمهم ٥٤% مقابل ٤٦ % من

الإناث، ويقع الأطفال العاملون فى فئة الأميين بنسبة كبيرة (٥٠%منهم) مقابل ١٨,٦% يقرأ ويكتب، أي أن حوالي ٧٠% منهم لم يكمل أى مرحلة دراسية.

و- وهكذا استخدم فقراء الفلاحين كافة ما أتيح لهم من أجل التكيف مع الفقر، خاصة عمالة النساء والأطفال، وتلقي المساعدات من الجمعيات الأهلية، واستغلال ما هو متاح من المواد الخام المحلية، وتلقي المساعدات والقروض من بنك ناصر، والمساعدات المقدمة من وزارة التأمينات والشئون الاجتماعية، بالإضافة إلي بيع الأثاث المتواضع الذى يملكونه، أو العمل لساعات أطول، وقبول أجر أقل، والعمل فى مهن القاع، وسحب الأبناء من التعليم، وإنجاب الأكثر من الأبناء على أمل أن يمثلوا مصدراً للدخل إذا عملوا فى سوق العمل كأطفال، وقد يلجأ الفقراء إلي التسول، وغير ذلك من الأساليب، ويُعتبر الاتجاه إلي العمل بالحرف أحد أهم أساليب التكيف مع الفقر عند الفقراء من الفلاحين المصريين كما سيتضح فيما بعد.

ثالثا: فقراء الفلاحين والتكيف مع الفقر: مصر نموذجا.

١- المحاولات المصرية لمواجهة الفقر:

أ- أنجزت مصر العديد من المحاولات التنموية التي مورست في الريف المصري منذ ثورة ١٩١٩، حيث صدرت عده قوانين وتشريعات وبرامج للإصلاح القروي كان أهمها(المنظمة الإفريقية ١٩٧٠: ٢١٨) صدور قانون التعليم الإلزامي، وقانون الجمعيات التعاونية الزراعية في عام ١٩٣٢، ثم أنشئت بعض المستشفيات للبلهارسيا والانكلستوما في القرى الكبيرة عام ١٩٣٢، ثم بدئ بتنفيذ المراكز الاجتماعية الريفية عام ١٩٤١، وصدر قانون تحسين الصحة القروية عام ١٩٤٢، وأنشئت المدارس الريفية عام ١٩٤٣، ثم صدر قانون الوحدات الزراعية عام ١٩٤٤، وقانون المجالس القروية عام ١٩٤٥م، وقامت في عام ١٩٤٦ حركة تهدف إلى القضاء على الفقر والجهل والمرض،

وخصصت في ميزانية الدولة بعض المبالغ الضئيلة للإنفاق منها على هذا المشروع في الريف المصري آنذاك.

ب- **واتجهت حكومة الثورة عام ١٩٥٢ نحو ميدان التنمية الريفية في ثلاثة اتجاهات هي:**

١- صدور قانون الإصلاح الزراعي ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الأول والثاني، لتنظيم الملكية والحيازة الزراعية.

٢- أنشئ المجلس الدائم للخدمات العامة لدراسة الخدمات الريفية في ميدان الشئون الاجتماعية، والصحة، والتعليم، ورسم الخطة التي تضمن توفر ميزة الخدمات في القرى، وقد أدت هذه الدراسات إلى مشروع الوحدات المجمعة.

٣- الاتجاه نحو اللامركزية في الإصلاح القروي، إذ صدر قانون ١٢٤ لسنة ١٩٦٠، لتنفيذ نظام الإدارة المحلية الذي كان من أهم نتائجه إنشاء المجالس القروية.

جـ- رسم الميثاق عام ١٩٦٢ في بابه السابع الملامح الرئيسية للتنمية الريفية بتدعيم التعاون الزراعي للقيام بمراحل عملية الإنتاج في الزراعة من بدايتها إلى نهايتها، وتأكيد دور الامتداد الأفقي والرأسي في الزراعة، وصدر قانون الإصلاح الزراعي الأخير والتعاون الزراعي عام ١٩٦٩.

د- ومع كل الجهود المحلية في ريف العالم الثالث هنا وهناك، إلا أن الوضع يزداد سوءاً في العديد من بلدان العالم بفعل تبعيته للعالم الأول وما تبع ذلك من خصخصة وعولمة وتكيف هيكلي، وقد أشار تقرير التنمية البشرية في العالم(مركز دراسات: ١٩٩٦: ٩-١١) عام ١٩٩٥، إلى قضية التفاوت طويل المدى بين دول العالم الثالث والعالم الأول، حيث ارتفع معدل دخل الفرد في الدول الأغنى مقارنة بالدول الأفقر في العالم في الفترة من ١٩٧٠ حتى

١٩٨٥، من أحد عشر مثلاً إلى إثنين وخمسين مثلاً، كما أن التفاوت على المستوى الدولي زاد أيضا، ففي حين كان نصيب أل ٥٠% الأفقر في العالم من الناتج العالمي ٧,٣% في عام ١٩٦٠، فقد انخفض إلى ٦,٣% في عام ١٩٨٦، وفي المقابل ارتفع نصيب أل ٢٠% الأغنى في العالم من ٧١,٣% إلى ٧٤,١% خلال نفس الفترة. ولا يمكن القول بأن تحرير التجارة سوف يعم بالخير على جميع عمال دول العالم، وإنما ستظل عوائد كل عامل في كل دولة متوقفة على استجابة كل دولة على حدة، من خلال سياستها لهذا التحدي، ومن خلال استجابة كل عامل على حدة للمنافسة التي يلقاها، ليس في مجتمعه المحلي فقط ولكن على مستوى العالم أيضا.

هـ- ومع أنه على صعيد الدول المرسلة للعمالة، فإن تحويلات هؤلاء العمال تساهم بنصيب هام لبعض الاقتصادات، حيث تمثل من ١٠% إلى ٥٠% من الناتج القومي الإجمالي في الأردن، وليسوتو، واليمن، والضفة الغربية، وغزة، كما أن نسبة التحويلات إلى الصادرات يمكن أن تصل من ٢٥% إلى ٥٠% كما هو الحال في بنجلاديش، وبوركينا فاسو، ومصر، واليونان، وجاميكا، ومالاوي، والمغرب، وباكستان، والبرتغال، وسريلانكا، والسودان، وتركيا، وقد يرجع هذا إلى أن التفاوت في الأجور والمرتبات بين بلدان العالم كبير – ومع كل ذلك – يرى "سمير أمين" أن العولمة الجديدة، إن هي إلا درجة من درجات التطور التاريخي للنظام الرأسمالي العالمي على صعيد التراكم الكمي، وبالتالي فإن النظام العالمي الجديد، لا يعدو أن يكون سوى مرحلة جديدة للنظام العالمي الرأسمالي القائم، تضاف إلى مراحله المتعاقبة، ذلك أن نظاماً عالمياً جديداً لابد أن يقوم على أنقاض النظام الرأسمالي القديم، وغني عن البيان أن ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، قد ترتب على انهيار بعض الوقائع وبروز وقائع جديدة، داخل النظام الرأسمالي القديم دون أن يأتي عليه كلية، فالأمر لا يتعلق هنا بنظام عالمي جديد، وإنما بنوع من النظام العسكري العالمي المرافق للنظام الرأسمالي النيوليبرالي المتوحش.

و- ولقد شهد المجتمع المصري تغيرات سريعة ومتلاحقة، ارتبطت دوماً باتساع دائرة التغير في العالم بأكمله، ونتج هذا عن ما يسمى بالعولمة أو الكوكبية أو الكونية Globalization - كما يطلق عليها محمود الكردي (محمود الكردي: ٢٠٠٢ : ٢٢١- ٢٢٣)- وهي تلك العملية التي تم وفقا لها إلغاء الحدود بين الدول والشعوب رغم تباعدها وانفصالها جغرافياً وسياسياً وعرقياً، والتحكم في مجرى الأمور عن طريق نخبة عالمية من أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية، وترجع بدايات العولمة إلى القرن الخامس عشر، حيث تزامنت مع التوسع الكنسي، وبروز مجموعة من النظريات التي تتحدث عن وحدة العالم والبشرية، وقد بدأت مصر طريقها إليها في السبعينات عندما أهملت قاعدتها الإنتاجية، وفقدت كوادرها الفنية بهجرة نسبة عالية منها للخارج، وتدفقت في هذه الفترة القروض والمعونات، مما جعلها تخضع للدول المانحة بدلاً من اتجاهها للتواؤم مع متطلباتها للدخول في الاقتصاد العالمي.

ز- وبرزت العولمة في عقد التسعينات في أشد تجلياتها العالمية، وتحولت إلى قوة مؤثرة في الوقائع الحياتية المعاصرة، وهي التي تقود البشرية الآن للمستقبل. ويتضح أن محاولات العولمة ومساعيها، لم تكن حديثة ولكن كان لها بدايات قديمة استمرت حتى وصلت إلى ذروتها في العقد الأخير. ومن المؤكد أن العوامل الخارجية ارتبطت بعوامل وظروف داخلية في المجتمعات الآسيوية والأفريقية، أسهمت بدرجة كبيرة في إتاحة الفرصة لنمو العولمة، وبروز آثارها على جميع المستويات، ولقد واجه المجتمع المصري منذ عام ١٩٧٤ أزمة التبعية للرأسمالية العالمية، وتزايد حجم الديون الخارجية، وضعف الإنتاج، وتراكم مخزون سلعي غير قابل للتصريف بسبب ضعف القوة الشرائية في الداخل، والافتقار للأسواق في الخارج، فضلاً عن مخزون نقدي في البنوك لا يجد الفرص الملائمة لاستثماره، وتآكل من مساحة الأرض الزراعية، وقد اُتفِق على إطلاق مصطلح التكيف الهيكلي على عمليات التغيير التي يمليها صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، لتعميق نمط الإنتاج الرأسمالي التابع.

ح- وبدأت الحكومة المصرية منذ منتصف السبعينات في تطبيق الانفتاح الاقتصادي الذي جسد تطبيقاً جزئياً لبعض سياسات برنامج الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي، قبل الدخول في تطبيقها الكلي كمجموعة متكاملة منذ مارس ١٩٩١، وتتبع سياسات الإصلاح الاقتصادي مجموعة إجراءات تؤثر بدرجات متفاوتة على التنمية ومنها: سياسات خفض الإنفاق العام (بتخفيض دعم الحكومة للخدمات الاجتماعية نتيجة لعجز الإنفاق العام في مجالات التعليم والصحة والعمل... الخ. مما ترتب عليه زيادة تكاليف الحصول على خدمات الرعاية الصحية في الوقت الذي يزداد فيه انتشار أمراض لم تكن معروفة من قبل، مثل الفشل الكلوي والكبدي نتيجة التلوث، ومنها أيضاً سياسة الخصخصة بانسحاب الدولة من النشاط الاقتصادي المباشر، وانفراد القطاع الخاص به، مما يترتب عليه زيادة اللامساواه في توزيع الدخل لصالح رأس المال على حساب العمل، وسعي القطاع الخاص لتحقيق الربح أكثر من رغبته في التنمية البشرية، مما قد يؤدي إلى طمس الجانب الإنساني لعلاقات رأس المال بالعمل، بالإضافة إلى ممارسات تؤدي نتيجة الرغبة في تحقيق أقصى ربح إلى تلوث البيئة.

ط- وكان من بين سياسات الإصلاح الاقتصادي كذلك سياسات تحرير التجارة، وذلك في ظل ظروف غير متكافئة، مما يؤثر على القدرة التنافسية للمنتجات المصرية في السوق المصري، وتقليص للطاقات الإنتاجية المستخدمة في الاقتصاد المصري، وانخفاض الطلب على قوة العمل. وهناك أخيراً سياسات تحرير الزراعة بتعديل قوانين الإصلاح الزراعي، الأمر الذي ينعكس على العلاقة الإيجارية بين مالك الأرض الزراعية ومستأجرها، في اتجاه إخضاعها لتعاقد اختياري، يتفقان بموجبه على تحديد مدة سريانه، وعلى تحديد القيمة الإيجارية في ضوء أسعار السوق، وقد عانى من ذلك صغار ملاك الأرض الزراعية والشريحة الدنيا من متوسطيهم، الذين أغرتهم الأسعار المرتفعة للأرض الزراعية على بيعها لازدياد الطلب عليها بهدف البناء، وما يرتبط بذلك من إخضاع المنتجين الزراعيين الفقراء للاستغلال من جانب تجار هذه

المنتجات بسبب ضعف قدراتهم التفاوضية، كذلك نلاحظ ازدياد التحول إلى إنتاج محاصيل للتصدير على حساب محاصيل الغذاء، وما لا يستطيع فقراء المزارعين المنافسة فيه، وما يترتب على هذا من ارتفاع في أسعار محاصيل الغذاء وازدياد تكلفة معيشة الفقراء.

٢- مستويات الفقر فى مصر:

أ- ويوجد أعلى مستوى للفقر في مصر في القطاع الريفي في الوجه القبلي والمحافظات الحدودية، وتأتي بعدهما بفارق كبير محافظات الوجه البحري، وفي القطاع الريفي بالوجه القبلي، تبلغ نسبة الأسر الفقيرة ٨٢,٤%، بينما تعيش نسبة تبلغ ٦,٥% في فقر مدقع، ويكاد الفقر المدقع لا يذكر في ريف المحافظات الحدودية، إلا أن نسبة تبلغ ٨١,١% من الأسر تعيش في فقر، وفي القطاع الريفي بالوجه البحري ٤٧,٥% من الأسر تعيش في فقر، بينما أن نسبة ١,٨% فقط هي التي تعيش في فقر مدقع، ويوجد في القطاع الريفي بالوجه البحري أدنى مستوى للفقر في محافظات دمياط ١٢,٩% وكفر الشيخ ٢٧,٩%، والإسماعيلية ٢٨,٧%بينما يوجد أعلى مستوى للفقر نسبياً في محافظة الشرقية ٧٤,٧%، والبحيرة ٦٩,٢%، كما يوجد أعلى مستوى للفقر المدقع في البحيرة ١٠,٩%، والغربية ٨%، وأقل مستوى في الدقهلية ١%، وكفر الشيخ ١,١%، والمنوفية ٢,٧%، بينما الفقر المدقع في كل من دمياط والشرقية لا يكاد يذكر.(كريمة كريم : ٢٠٠٥: ٨٧ – ٨٨).

ب- ولقد حددت "كريمة كريم". خط الفقر في الحضر المصري عند ٤٠٩,٧ جنية مصري ينفقها الفرد على الغذاء سنوياً، وفي الريف المصري عند ٣٩٠,٥ جنية مصري ينفقها الفرد على الغذاء سنوياً، وأن خط الفقر المدقع يقع عند إنفاق ٢٨٦,٧ جنية مصري فأقل للفرد على الغذاء سنوياً، والفقراء المدقعون هم أفقر الفقراء، ولكنهم ليسوا هؤلاء الذين يعانون من المجاعة، وبمعنى آخر ينبغي تعريف دخولهم بأنها أقل مستوى ممكن للدخل تحت الدخل عند خط

الفقر، ولكنها في الوقت نفسه ينبغي أن تكون أعلى من الدخل عند مستوى المجاعة، وتحديد دخل الفقير المدقع كنسبة جزافية من دخل الفرد على المستوى القومي ($\frac{1}{2}$ أو $\frac{1}{3}$ دخل الفرد)،(كريمة كريم: ٢٠٠٥: ٧٢،٧٣، ٧٦) كما يحدث في بعض الكتابات، لا يعتبر ضماناً أن هذا المستوى المحدد للدخل يكفي تماماً لحماية الفقراء من المجاعة، ولذا فإن الدخل عند خط الفقر المدقع يتم تعريفة: بأنه مستوى الدخل الذي يرتفع بما يكفي حماية الفقير المدقع من التعرض للمجاعة، ولكنه منخفض بالقدر الذي لا يمكن الفقير المدقع من الحصول على المستوى الأمن من السعرات الحرارية والبروتينات اللازمة في معظم أيام السنة، وبالتالي فإنه يجب في تقدير خط الفقر المدقع أن يستوفي شرطين أولهما أن يكون عند أدنى مستوى ممكن تحت خط الفقر، وثانيهما أن يكون في الوقت نفسه فوق مستوى دخل المجاعة.

جـ- ولقد بلغت تقديرات نسبة الأسر الفقيرة تحت خط الفقر إلى إجمالي الأسر الريفية في عامي ١٩٧٤-١٩٧٥ نحو ٦٠,٧% وفقاً "لأدمز"، ونحو ٥٠,٩% وفقاً لتقدير "كريمة كريم" عام ١٩٨٧، بينما قدر "رضوان" و"لي" نسبة الأسر الريفية الفقيرة في عام ١٩٧٧، وهي سنة قريبة من عام ١٩٧٤-١٩٧٥ بنحو ٣٥% فقط طبقاً لتعريفهم الأكثر اتساعاً للفقر (أي استبعاد الفقراء الحديين)، بينما ارتفعت هذه النسبة إلى ٥٦% طبقاً لتعريف الدخل عند خط الفقر عند "رضوان، ولي" عام ١٩٨٦ (كريمة كريم : ٢٠٠٥: ١٧).

٣- تمثلت خصائص الفقراء في إحدى الدراسات(كريمة كريم:٢٠٠٥: ٣٤-٣٧) فيما يلي :

أ- يُعتبر سوء التغذية من الخصائص المشتركة للفقراء، ليس لعدم توازن الوجبات كما هو الحال عند غير الفقراء، بل لعدم كفاية الدخل للفقراء، حيث يقل غذاء الفقراء في ريف مصر بنسبة ٢٠% عن متوسط احتياجاتهم من السعرات الحرارية، على الرغم من احتمال قيامهم بأعمال ثقيلة وصعبة، أي

هناك ارتباط وثيق بين الفقر وسوء التغذية، ويبدو أن سوء التغذية ليس موزعاً بالتساوي بالنسبة للنوع والعمر، وقد لوحظ انتشار سوء التغذية بين الأمهات والأطفال.

ب- الكبر النسبي لحجم الأسرة، حيث ٦,٤ فرد للأسرة الريفية الفقيرة، و ٥,٢ فرداً للأسرة الريفية غير الفقيرة.

جـ- ارتفاع نسبة الإناث عن الذكور.

د- نقص الأصول التي يملكونها سواء كانت مادية كالأرض والمباني، أو رأسمال بشري كالتعليم والمهارات.

هـ- يمثل الفقراء ٥٦% من الأسر الريفية، ويملكون ٣٦% من إجمالي الأصول الإنتاجية.

و- يعمل الفقراء بالحرف التقليدية، والتجارة الصغيرة، أما غير الفقراء فيتاجرون في المواشي، والتجارة الأكبر.

ز- أصبحت النظرة إلى عمل المرأة في الريف دليلاً على الفقر، على عكس النظرة السابقة على ذلك.

حـ- ويقدر دليل التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٩٣، نسبة الأفراد الذين يعيشون في فقر مدقع في مصر في الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٩ بحوالي ٢٣%، وترتفع هذه النسبة في الريف إلى ٢٥%، بينما تقل في الحضر إلى ٢١%، أما وزارة الشئون الاجتماعية، فإنها تعرف الفقر والفقراء، بأنهم من يتلقون مساعدة مالية من الدولة، وبهذا المعنى، فإن عدد الفقراء الذين تصل إليهم الوزارة من خلال برامج المساعدات يمثلون ٦,٨% فقط من السكان. وفي تقدير للبنك الدولي أن الفقراء المعدمين (وهم من يمثل إنفاقهم على الأغذية ٨٠% من إجمالي الدخل) يمثلون١٢,٨% تقريباً من

الأسر الريفية و١٠,٨% من الأسر الحضرية(راجي أسعد، وملـك رشـدي: ١٩٩٦: ٦- ٧).

ط- ويقدر البنك الدولي في تقريره عـن التنميـة فـي العـالم عـام ٢٠٠٣، أن ٢٣,٣% من سكان الريف المصري تحت خط الفقر، وأن ٢٢,٥% من سكان الحضر في مصر تحت خط الفقـر(البنـك الـدولي: ٢٠٠٣ : ٢٣٦)، وأن ٢٢,٩% من جملة المصريين يعيشون تحت خط الفقر وأن الـذين يعيشـون على أقل من دولار في اليوم يمثلون ٣,١% مـن سـكان مصـر وأن مـن يعيشون على أقل من دولارين يومياً يمثلون ٥٢,٧% من سكان مصـر.وأن الإنفاق على الغذاء من إجمالي إنفاق الأسرة الفقيرة عند خط الفقر فى الريف يمثل ٦١% وبالتالي فإن الإنفاق السنوي عند خط الفقـر لعضـو الأسـرة الريفية هو ٦٤١,٢ جنيه ، وأن خط الفقر الخاص بإنفـاق الأسـرة الريفيـة المكونة من ٥,٢ فرد هو ٣٣٣٤,٢ جنيه مصري ، حيث دخل الأسرة الريفية عند خط الفقر عام ١٩٩١ هو ٣٧١٣,٣ جنيه(كريمة كـريم :٢٠٠٥: ٧٣-٧٤).

٤- أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية فى الريف المصري:

أ- ويرى البعض أن عملية الإصلاح الاقتصادي في الزراعة المصرية بدأت منـذ عام ١٩٨٧، بمجموعة من الإجراءات في إطار برنامج التكيف الهيكلي، شملت تحرير الأسعار، والتسويق لعدد من المحاصيل كانـت موضـع تسـعير إداري وتسويق إجباري (تعاوني)، وكان على رأس هذه المحاصـيل القمـح، والأذرة الشامية، والفول السوداني، وتم تحويل التسويق الإجباري إلى تسويق اختيـاري لهذه المحاصيل، وتوالت بعد ذلك الإجراءات التحريرية خلال السنوات الأولـى من التسعينات، وشملت تحرير زراعـة الأرز، وكـذلك إلغـاء الـدعم علـى مستلزمات الإنتاج الزراعي (الأسمدة الكيماوية، والمبيدات، والتقاوي)، وتحرير أسواقها، وتزايد دور القطاع الخاص فيها، وقد تحقق الإلغاء الكامل للدعم لهـذه

المستلزمات بنهاية عام ١٩٩٤، كما تم إلغاء الدعم على الفائدة الممنوحة للقروض الزراعية،(جمال صيام : ٢٠٠١: ٤٣-٤٤) وكان من أهم الإجراءات التحريرية كذلك إلغاء القيود الممنوحة للقروض الزراعية، وإلغاء القيود على التركيب المحصولي، وتحرير قرارات المزارعين فيما يتعلق بالدورة الزراعية. وشهد النصف الثاني من التسعينات تحرير تسويق وتجارة القطن، وتحرير العلاقة الإيجارية للأراضي الزراعية بعد انتهاء الفترة الانتقالية (خمس سنوات من ١٩٩٢-١٩٩٧) للتحول من الوضع القديم، إلى علاقة حُرة تستند إلى آليات العرض والطلب في تحديد القيم الإيجارية للأراضي الزراعية، وفي ضوء هذه التطورات التي استغرقت نحو عقد من الزمان (الفترة من ١٩٨٧-١٩٩٧)، لم يتبق إلا القليل من القيود، أو مظاهر التدخل الحكومي وهي بالتحديد حالة قصب السكر، فما زال تسعيره يتم إدارياً، ويتم تسليم المحصول بالكامل للحكومة، والتدخل لتحديد المساحة المزروعة أرزاً، ولو أن المساحة الفعلية غالباً ما تتجاوز المساحة المحددة من قبل الحكومة، وأخيراً التوزيع الصنفي للأقطان على مختلف المراكز المختارة لزراعة القطن.

ب- وهكذا شهد الريف المصري في الأعوام العشرين الأخيرة تحولات اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية عميقة الأثر. حيث من الناحية الاقتصادية، شمل التغيير السياسة الاقتصادية، فبدلاً من التأكيد على ضرورة إعادة توزيع الملكية الزراعية وتشجيع التعاون بين الفلاحين، والاهتمام بتوفير مدخلات الزراعة على نحو يساعد أغلبية الفلاحين، اتجهت الدولة وبدرجة متسارعة منذ منتصف الثمانينات، نحو الأخذ بسياسات السوق، وقد تمثل ذلك في العديد من الإجراءات والسياسات، وكانت بدايتها تحرير الفلاحين من الالتزام بتركيبة محصولية معينة، وتحرير أسعار المنتجات الزراعية، وتحرير أسعار مدخلات الإنتاج الزراعي في صورة أسمدة ومبيدات، وبفعل هذه الإجراءات، حدث تغيير كبير في التركيب المحصولي، فبرزت أهمية الحبوب، وتنامت أهمية

الفاكهة، في حين احتفظت الخضروات بمكانها، وتراجعت أهمية القطن، الـذي كان يمثل عماد الزراعة المصرية.

جـ- ومن الناحية الاجتماعية (جمال صيام : ٢٠٠١: ٤٣-٤٤)، شـهدت القريـة المصرية تغييراً واضحاً في التركيب المهني لسكانها، وأصبح كثيرون مـنهم لا يعملون في مجال الزراعة، بل إن بعض الخدمات التي كانت لصـيقة بالمـدن فقط صارت متوافرة في الريف، ومن أمثلة ذلك عيادات الأطباء، والصيدليات، بل وأيضاً محال "الكوافير"، التي انتشرت في العديد مـن القـرى المصـرية، وبلغت هذه التغيرات قمتها بإصدار القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢، الخاص بالعلاقـة بين المالك والمستأجر، والذي ترك تحديد قيمة إيجارات الأراضـي الزراعيـة لقوى السوق، مما أدى إلى رفع قيمة الإيجارات إلى ٢٢ مثل قيمتها الاسمية.

د- وعلى جانب آخر، لم تعد مقولة أن الفلاح المصري لا يرضى بتـرك أرضـه، سليمة تماماً، فقد شهدت السنوات العشرون الأخيرة هجرة أعـداد كبيـرة إلـى الخارج، وخاصة إلى دول الخليج، أو ليبيا، والعراق، والأردن، وهنـاك أيضـاً من ذهب للعمل في المدينة، وقد كان لهذا التحول أثره، ونظراً لأن هؤلاء الذين غادروا الريف عادوا إليه بعد أن اكتسبوا أنماطاً سلوكية تختلف عـن الأنمـاط التي كانت تميز الريف، وهنا يمكن الإشارة إلى نمط جديد هو السهر لمشـاهدة برامج التليفزيون، والميل إلى اقتناء السلع الاستهلاكية المعمرة، وكذلك التحـول من نمط المنازل الريفية المبنية من "الطوب اللبن" إلى المنازل المبنية "بـالطوب الأحمر"، وما زالت القاعدة الكبرى لهرم الملكية الزراعية تتـألف مـن فقـراء الفلاحين وصغار الملاك، بينما تحظى نسبة محدودة لا تتجاوز ٤% من الملاك بملكية $\frac{١}{٣}$ الأراضي الزراعية، ونسبة تقل عن ١% تملك ١٥% مـن إجمـالي المساحة الزراعية، أي أن الاستقطاب الحاد بـين كبـار المـلاك مـن ناحيـة وصغارهم من الناحية الأخرى ما زال سمة رئيسية للريف المصـري، ويقلـل منها فقط أن فقراء الفلاحين ربما يعتمدون على مصادر دخـل أخـرى غيـر الزراعة، كالهجرة للخارج أو للعمل بعض الوقت في المدينة، كذلك يلاحـظ أن

النخبة السياسية الجديدة في الريف، لا يوجد فيها مكان للفلاحين وإنما أصبح موظفو الحكومة، والأثرياء الجدد، وبعض المتعلمين، وميسورو الحال، هم الذين يمثلون صفوة القوة في الريف المصري.

هـ- وتذهب بعض الكتابات(رأي بوش: ٢٠٠١: ٢١) إلى الإشادة بالإصلاحات الاقتصادية باعتبارها إصلاحات ناجحة، إلا أنه في الوقت الذي حدثت فيه تغيرات في أنماط التركيب المحصولي، والتحرير التدريجي لأسعار عناصر الإنتاج، وبيع الناتج، فإنه لم يتحقق بلوغ المستوى المرغوب من النمو في القطاع الزراعي، بل إن نمو الناتج الزراعي منذ عام ١٩٩٠ جاء أقل مما سجلته السنوات ١٩٨٠-١٩٨٧، كذلك حدثت زيادة حادة في الواردات من المنتجات الزراعية التي يتسم الطلب عليها بضعف مرونته، وفي مقابل ذلك، شهدت صادرات مصر الزراعية انخفاضاً في السنوات الأخيرة، وتتألف معظم واردات مصر من المنتجات الزراعية من سلع أولية تتسم بانخفاض مرونة الطلب عليها، مثل القمح، والسكر، وزيوت الطعام، وعلى العكس من ذلك، فإن معظم صادراتها تتسم بارتفاع مرونة الطلب عليها، وعلى حين زادت قيمة الصادرات من المنتجات الزراعية من ٤١٨ مليون جنية مصري في عام ١٩٨٠ إلى ما يقل قليلاً عن ١,٩ مليار جنية مصري في عام ١٩٨٨، فإن واردات المنتجات الزراعية ارتفعت خلال المدة ذاتها من ١,٢ مليار جنية مصري في عام ١٩٨٠ إلى ١١ مليار جنية مصري في عام ١٩٩٨، وواقع الأمر أن قيمة صادرات المنتجات الزراعية انخفضت من ٦١٥,٥ مليون دولار أمريكي في عام ١٩٩٤/١٩٩٥ إلى ٣٢٠,٧ مليون دولار أمريكي في عام ١٩٩٥/١٩٩٦، وتسبب قطاع الزراعة في ٣٣% من عجز الميزان التجاري لمصر في عام ١٩٩٨، ومع أن هناك تفاؤلاً كبيراً في مصر بإمكانية زيادة صادرات الحاصلات البستانية، إلا أن التحرير التدريجي على مدى أكثر من عشر سنوات، لم يؤد إلى تحقيق دفعة لنمو الصادرات، ففي عام ١٩٩٨ قدر إنتاج مصر ب ٢١ مليون طن من الحاصلات البستانية صدر منها ٥% فقط، ويبدوا أن هناك مشكلات حقيقية تواجه استراتيجية القطاع الزراعي في مصر،

فقد أدت إلى زيادة حدة الفقر في الريف، ولم تحدث إلا زيادة محدودة في الإنتاج تحقق معظمها بفضل استراتيجيات طبقها المزارعون لزيادة غلة الفدان، وتغيير نمط التركيب المحصولي، وليس نتيجة لزيادة في أسعار بيع المزارعين للمحاصيل، كما أدى تواضع أداء الصادرات، والاستراتيجية المطبقة في القطاع الزراعي وفق أحد التقديرات إلى فقد ٧٠٠ ألف فرصة عمل في القطاع الزراعي خلال السنوات ١٩٩٠/١٩٩٥.

و- وقد أدى القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ إلى إخراج أعداد كبيرة من المستأجرين من الأراضي التي كانوا يستأجرونها، وزيادة حدة الفقر، وزيادة المديونية في الريف، وزيادة الرغبة لدى الشباب من أبناء عائلات مستأجري الأراضي السابقين إلى الهجرة من الريف بحثاً عن عمل، كما أدى هذا القانون إلى نوع جديد من السخرة، وهذه العمالة ليست العمالة الحرة بأجر، التي نشأت نتيجة توسع سوق الرأسمالية الريفية، بل هي تشغيل العمالة بصورة تقترن بالسخرة في ظل ضغط اقتصادي واجتماعي شديد على كتلة البروليتاريا الريفية، وهكذا فإن الزراعة في مصر تمر الآن بنقطة تحول، ستؤدي على الأرجح إلى زيادة التباين الاجتماعي في الريف، وهذا سيؤدي إلى الحد بصورة أساسية من إمكانيات استمرار فقراء الريف في تدبير حياتهم بالطريقة التي استطاعوا بها ذلك منذ الخمسينات، فشبكات الأمان يجري الآن سحبها، والتحرير التدريجي للسوق يزيد من الطابع النقدي لاقتصاد الريف بطرق ستجعل الاعتماد على الاقتصاد النقدي أهم وسيلة للحفاظ على مستوى المعيشة، إلا أن اقتصاد السوق – لاسيما في وقت التباطؤ الاقتصادي – يكون على حساب من لديهم موارد مالية محدودة، أو من لديهم قدرة محدودة على الوصول إلى السيولة النقدية (رآي بوش: ٢٠٠١: ٢١).

ز- وتزداد أزمة الفقراء المصريين خاصة إذا علمنا أن ١٤% من السكان في مصر يستولون على ثلاثة أرباع الدخل القومي، و ٨٦% من السكان يحصلون على الربع الباقي من الدخل، وقد وقعت إدارة البنك الدولي والحكومة المصرية

اتفاقاً في يونيو ٢٠٠٥، ارتكز على ثلاثة محاور أهمها زيادة دور القطاع الخاص، وتحسين مناخ الاستثمار مقابل ٢ مليار دولار سنوياً تدفع للحكومة المصرية خلال الفترة من ٢٠٠٦ حتى ٢٠٠٩، وأعرب التقرير عن مخاوفه من هذا الاتفاق الذي سيؤدي إلى زيادة نسب البطالة، وتشريد العاملين، وغلق المصانع، وطرد الفلاحين من أراضيهم، وهدم منازل الفقراء وطردهم منها، وانهيار الخدمات العامة، والرعاية الصحية والتعليم(http: // www.Islamonline.net :) ، كما أشار التقرير إلى انخفاض نسبة الدعم المباشر، والذي يستفيد منه أصحاب الدخول المحدودة من ١٠,٣ % عام ١٩٩٠ إلى ٥ % عام ٢٠٠٤م من إجمالي النفقات العامة. وقد تم تسريح حوالي مليون عامل مصري حتى نهاية عام ٢٠٠٤ تحت مُسمى المعاش المبكر، وتم بيع ١٩٠ شركة من إجمالي شركات قطاع الأعمال، ومازال في قائمة الانتظار ١٧٩ شركة أخرى، وزاد عدد العاطلين طبقاً للإحصاءات الرسمية بـ ٩,١ % عام ٢٠٠٢م، وقدرتها الإحصاءات غير الرسمية بـ ١٧,٦ % من حجم قوة العمل، وبعد أكثر من ١٢ عاماً من تطبيق برنامج الخصخصة، انخفض معدل النمو إلى ٣,٥ % بعد أن كان ٧ %.

حـ- وبالإضافة إلى كل ذلك تعاني مصر من أزمة بطالة واضحة يتطلب علاج مختلف صنوفها، إيجاد فرص عمل كافية، يوظف فيها العاملون قدراتهم لأقصى حد، بما يحقق كفاءة إنتاجية عالية ومتزايدة من ناحية، ويوفر كسباً مرتفعاً ومتنامياً يكفل إشباع الحاجات الأساسية للناس في المجتمع، وارتقاء مستوى الرفاه البشري مع الزمن من ناحية أخرى، ويعني هذا الهدف المركب إيجاد فرص عمل أفضل من المتاح حالياً، على جانبي الإنتاجية والكسب على حد سواء، وأكثر بكثير من المطلوب لمجرد مواجهة البطالة السافرة، بحيث يمكن للمشتغلين فعلاً في أي نقطة زمنية الانتقال لأعمال أعلى إنتاجية وأوفر كسباً.

ومن جانب آخر، يتعين الارتقاء بنوعية رأس المال البشري من خلال الاستثمار المكثف في التعليم والتدريب المستمرين، وفي الرعاية الصحية،

مع توجيه العناية الخاصة للمستضعفين الفقراء والنساء، حتى يتأهلوا لفرص العمل الأفضل في سوق العمل، وهذه مهمة تاريخية ليس لها إلا الدولة.

ط- وعلى حد وفائها بهذه المهمة سيتحدد مدى خدمتها لقضية التقدم، حيث لا يتوقع أن يتمكن رأس المال الكبير من خلق فرص العمل الكافية لمواجهة تحدي البطالة، نظراً لتركيزه على الأنشطة كثيفة رأس المال ونادرة العمالة، فيتعين توفير البنية المؤسسية المواتية لقيام المشروعات الصغيرة بدور مهم في خلق فرص العمل، مع إيجاد تضافر فعال بين المشروعات الصغيرة وقطاع الأعمال الحديث، ويتطلب تحقيق ذلك الهدف تمكين عموم الناس وخاصة الفقراء من الأصول الإنتاجية بالإضافة إلى رأس المال البشري، ويأتي على رأس القائمة، الائتمان بشروط ميسرة، والأرض والماء في المناطق الريفية حيث يعيش أغلبية الفقراء، كذلك يتعين أن تتوفر البيئة القانونية والإدارية لتسهيل قيام المشروعات الصغيرة ورعايتها، حيث تتسم هذه المشروعات بالضعف، وارتفاع احتمال الفشل،(نادر فرجاني: ١٩٩٩: ٨-٩) ويمثل ذلك التوجه - إن تم - تحولاً جذرياً في بيئة الاستثمار الحالية، التي توفر الحوافز لرأس المال الكبير، بينما تترك المستثمر الصغير قليل الحيلة، يعاني تحت ثقل أقسى العوائق التمويلية والإدارية والتسويقية على وجه الخصوص، وتعمل السياسات الحالية على زيادة تركيز حيازة الأرض الزراعية، بما ينذر باستشراء الفقر في الريف ، الذي يصعب مواجهته إلا بتضافر الجهود، والاستثمار الأمثل للموارد المتاحة .

ي- وتمثل طاقات المجتمع جملة الموارد التي يمكن أن يستثمرها المجتمع في إحداث التغيرات الوظيفية والهيكلية، والتي يُطلق عليها "الموارد المتاحة" Available Resources، ويُطلق على هذا الجزء المستثمر فعلاً في إحداث هذه التغيرات تعبير "الموارد الميسرة" Accessible Resources، وعلى هذا الأساس، فإنه ليست كل الموارد المتاحة ميسرة، بينما كل الموارد الميسرة متاحة(المنظمة الإفريقية: ١٩٧٠: ٢٥٨)، ويمكننا أن نتصور أن أقصى ما

يمكن أن يصل مجتمع ما إليه هو استثمار كل الموارد المتاحة بأعلى الدرجات الممكنة بالمستوى التكنولوجي الميسر له . وتعكس الفجوة بين الموارد المتاحة والموارد الميسرة حجم ونوعية التحدي الذي يجابهه المجتمع، والذي يجب أن يحاول التغلب عليه للوصول إلى أقصى استثمار لطاقات المجتمع، وذلك بزيادة حجم الموارد الميسرة، وتشكيل نوعيتها، وتوجيه استثمارها، ولذلك فإن التنمية البشرية هي عملية توسيع الخيارات المتاحة أمام الناس، ومن حيث المبدأ، فإن هذه الخيارات بلا حدود، وتتغير بمرور الوقت، وأهم هذه الخيارات أن يحققوا حياه طويلة خالية من الأمراض، وأن يكتسبوا المعرفة، ويتمتعوا بمعيشة كريمة، إلا أن التنمية البشرية لا تنتهي عند هذا الحد، فهناك خيارات إضافية يهتم بها الكثير من الناس، وهي تمتد من الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى فرص الإبداع، وضمان حقوق الإنسان، واحترام الإنسان لذاته، وهو ما أسماه آدم سميث " بالقدرة على مخالطة الآخرين دون الشعور بالخجل"(حاتم المقدم: ٢٠٠٤: ٨-٩) . والتنمية هي التي تجعل هذه الخيارات في متناول الناس، ورغم أنه ليس هناك من يضمن سعادة البشر، وأن الخيارات المتاحة لهم تنبع من ذاتهم، فإن عملية التنمية ينبغي على الأقل أن توفر المناخ الذي يستطيع الناس من خلاله تنمية إمكانياتهم بالشكل الكامل، كما يتيح لهم فرصة معقولة لكي يحيوا حياة منتجة وخلاقة تتناسب مع احتياجاتهم واهتماماتهم.

ك- وهكذا، فإن التنمية البشرية لا تهتم فقط بتكوين وتشكيل القدرات البشرية، مثل تحسين مستوى الصحة، ومستوى المعرفة، إذ هي تهتم أيضاً بالانتفاع بهذه القدرات سواء في العمل أو التمتع بوقت الفراغ أو في الأنشطة السياسية والثقافية، وإن لم تستطع التنمية البشرية أن تُوازن بين تكوين القدرات البشرية والانتفاع بها، فسوف يكون مآل التنمية البشرية هو الإحباط. حيث تجمع التنمية البشرية ما بين إنتاج السلع، وتوزيعها، وزيادة قدرات الإنسان، واستخدامها. وتعمل التنمية البشرية على تحليل جميع القضايا في المجتمع، سواء كان النمو الاقتصادي، أو الحرية السياسية، أو القيم الثقافية، من منظور الناس، ومن ثم

فهي تركز على زيادة خيارات الإنسان، وتنطبق بنفس القدر على البلدان النامية والمتقدمة. ويشترط في التنمية المستدامة (المتواصلة) أن تحقق الأجيال الحالية حاجاتها دون أن يكون ذلك على حساب قدرة الأجيال القادمة على توفير حاجاتها أيضاً.

٥- أهم مكونات التنمية البشرية.

تتمثل أهم مكونات التنمية البشرية النموذجية فيما يلي(حاتم المقدم: ٢٠٠٤: ١٧-١٨).

أ- **الإنتاجية**: وهي تمكين الناس من زيادة إنتاجيتهم، ومن المشاركة الكاملة في عملية توليد الدخل، وفي العمالة بأجر.

ب- **الإنصاف**: يجب أن يكون بإمكان الناس الحصول على فرص متساوية، ومن ثم يجب إزالة جميع الحواجز التي تحول دون الحصول على الفرص الاقتصادية والسياسية، لكي يتمكن الناس من المشاركة في هذه الفرص، ومن ثم للاستفادة منها.

حـ- **القابلية للاستدامة**: يجب ضمان إمكانية الحصول على الفرص ليس فحسب بالنسبة للجيل الحالي، بل أيضاً للأجيال المقبلة، ومن ثم ينبغي تحديد جميع أشكال الفرص المادية والبشرية.

د- **التمكين**: يجب أن تكون التنمية من صنع الناس وليست من أجلهم فقط، ومن ثم يجب أن يشارك الناس مشاركة كاملة في القرارات والعمليات التي تشكل حياتهم.

٦- المتطلبات الهامة لأي عمليــة تنمويــة متواصــلة Sustainable Development هو أن تراعي ثلاثة أبعاد(عبد الله شحاته: ٢٠٠١: ١٧٥):

البعد الأول: هو البعد الزمني، ومعناه أن يتم توزيــع المنــافع والأعبــاء الخاصــة بالعملية التنموية، بطريقة تضمن عدم جــور أحــد الأجيــال علــى مصائر الأجيال الأخرى.

البعد الثاني: وهو البعد التوزيعي، ويشير إلى أن ثمار وأعباء عملية التنمية، لابــد أن يستفيد منها ويتحملها أفراد المجتمع، دون جور على حقوق فئــة أو جماعة، فلا يصح أن يستأثر بعائد عمليــة التنميــة فئــة معينــة ومحدودة، في حين يتحمل الباقي أعباء عملية التنمية ويُحــرم مــن ثمارها.

البعد الثالث: وهو البعد الإقليمي، وفحواه العدالة في توزيع الأعباء والمنــافع بــين الأقاليم المختلفة. هذا وقد أغفلت عملية التنمية المصرية البعد الثالث من أبعاد عملية التنمية؛ فالريف المصري ظل مهملاً ومهمشــاً منــذ بداية عملية التحديث وحتى الستينات من القرن العشرين، ثــم بــدأ الاهتمام به بإدخال نظم الحكم المحلــي لتلقــي متطلبــات الريــف وللمشاركة في تنميته، إلا أن سيطرة المركزية على العقلية المصرية قد قلل من فرص الوحدات المحلية للقيام بتبعاتها، ومع تزايد الفجــوة بين المناطق المختلفة ظهرت العديد من مظاهر التمرد المكاني سواء تلك المتمثلة في الهجرة من الريف إلى الحضر أو تلــك الرافضــة للبيئة والحداثة بأكملها، وفي عام ١٩٩٤ قامت منظمة إعــادة بنــاء وتنمية القرية المصرية ORDEVS بإنشاء برنامج للتنمية الريفيــة المتكاملة والمتوازنة سُمي بمشروع شروق من أجل تقليــل الفجــوة بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية.

٧- ووفقاً للبحوث التي تناولت قضية الفقر في مصر:

فإنه يوجد أربع مؤسسات أساسية تتولى رعاية الفقراء هـي بنـك ناصـر الاجتماعي، ومشروع الأسر المنتجة، والصندوق الاجتمـاعي للتنميـة، وبرنـامج التنمية الريفية المتكاملة " شروق ". ولاستطلاع مدى اسـتجابة وإحاطـة الأفـراد بوجود دور هذه المؤسسات، أوضحت النتائج أشياء مثيرة للانتباه(عبد الله شـحاته: ٢٠٠١ : ١٨٢-١٨٣)، حيث وجد أن ١٨% من وحدات القطـاع العـائلي الـذين شملهم المسح على دراية بوجود تلك المؤسسات، وأن ٥% فقط هم الذين يتعـاملون معها، كما أن ٢٠% من أرباب الأسر لم يسمعوا بوجود تلك المؤسسـات بصـورة عامة وإن اختلفت النسبة للمؤسسات المذكورة، حيث كانت الصـورة ٢٠% بنـك ناصر، ٣٠% مشروع الأسر المنتجة، ٧٧% مشـروع شـروق . أي أن النسـبة العالية من الذين شملهم المسح ليست على دراية بوجود مشروع شروق. وفيما كان يتعلق بالتعاون مع تلك المؤسسات، فقد أشار المسح أن النسبة التي تعاملت مع تلـك المؤسسات تتراوح ما بين ٣% إلى ٧%، وقد كانـت نسـبة التعامـل مـع تلـك المؤسسات ٣% مشروع شروق، و ٤% الصـندوق الاجتمـاعي للتنميـة، و٥% مشروع الأسر المنتجة، و٧% بنك ناصر. وكما هو ملاحظ فإنه يوجد جهل بوجود تلك المؤسسات، وحتى في حالة الدراية بوجودها، فإن معظـم النـاس لا يعرفـون كيفية التعامل معها، ففي غالبية الأحوال، يتلقى الفقراء في مصر دعمهـم بصـورة واضحة من خلال المنظمات المحلية ذات الطـابع الـديني، كمؤسسـات الزكـاة، ورعاية الأيتام، ومساعدة الفقراء وذوي الحاجة، هكذا حيث يفضل الناس البُعد عـن المؤسسات المركزية والحكومية.

٨ - هذا وقد أعلنت الأمم المتحدة أن عام ١٩٩٦ عاما دوليا للقضاء على الفقر.

وحددت المدة من ١٩٩٧ - ٢٠٠٦ كمهلة لتحفيز الدول والمنظمات العاملـة في هذا المجال لإجراء دراسات جادة حول استراتيجيات مواجهة الفقر فـي حـين أوضح تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٧ ، أنه في ظل اقتصاد يبلـغ ٢٥ تريليـون

دولار بدت مشكلة الفقر أمراً شائناً ، حيث أن ثلث سكان العالم النامي أي ما يقرب من ١,٣ بليون نسمة يعيشون علي دخول تقل عن دولار واحد يوميا (عايدة فؤاد : ١٩٩٩ : ٤٣١) وعلي الصعيد المحلي ، أسفرت بعض تقديرات الفقر أن ربع سكان مصر فقراء ، والربع الآخر هامش فقر ، أشارت بحوث إمبيريقية إلى أن الفقر أصبح تحدياً رئيسياً يواجه الجهود الإنمائية ، لارتباطه إلى حد كبير بمحدودية الحصول على الأصول الاقتصادية والخدمات الاجتماعية والصحية .

٩ – استراتيجيات التكيف مع الفقر عند الفلاحين المصريين :

ابتدع فقراء الفلاحين المصريين العديد من أساليب التكيف مع الفقر ، وذلك بتعدد سماتهم وخصائصهم ، حيث لا يمثل الفلاحون كتله طبقية متجانسة، حيث منهم العمال الزراعيون الأجراء المعدمون ، ومنهم الفلاحون الفقراء ، ومنهم الفلاحون الصغار ، وفي داخل كل مجموعة من هؤلاء تقسيمات داخلية، لذا تتراوح أشكال مواجهة الفلاحين للفقر بين التكيف معه ومقاومته ، ويطلق علي أشكال التكيف مع الفقر اسم " استراتيجيات البقاء (Survival Strategies)

وتؤدي بعض أشكال التكيف إلى استمرار الفقر ، أي إلى إعادة إنتاجه ، فهي قد تخفف من شدته ومن أمثلة هذه الأشكال ما يلي (حسنين كشك : ٢٠٠٤: ٦٥) : -

أ – تكوين أسرة كبيرة العدد .

ب – الهجرة الداخلية والخارجية .

ج – الجمع بين العمل العائلي والعمل بأجر لدي الآخرين (مثل الكلافين والتملية)

د – تربية الدواجن والمواشي ... الخ .

هـ – استئجار مساحات قزمية من الأرض الزراعية

و – العمل بأجر في الزراعة وفى غيرها .

ز – الخروج في الترحلية للعمل ط كعمال تراحيل "

وارتكزت دراسة التكيف مع الفقر لأحد الباحثين علي استراتيجيات خمس أساسية (محمد عبد النبي : ١٩٩٩ : ٣٠٩ – ٣١٣) أوجزها فيما يلي : –

الأولى : استراتيجية الحلول الفردية : وتتضمن مجموعة من الأساليب التي تقوم علي السعي للاستغلال المكثف للقدرات الذاتية ، والاستفادة من الموارد المحدودة، والطاقات المتاحة إلى أقصى حد ممكن، بشكل يصل في معظم الأحيان إلى تحقيق أوضاع الاستغلال المكثف للذات، والاستنزاف الحاد للإمكانية، وعلي الرغم مما تؤدي إليه هذه الأساليب من تحقيق توازن مؤقت في أوضاع الفقر، فإنها تؤدي في الوقت نفسه إلى التدهور السريع والحاد في القدرة والإمكانية، وإعادة إنتاج أو استمرارية ظروف الفقر، وعدم القدرة علي تجاوز هذه الظروف ومن هذه الأساليب ما يلي : –

أ – تكثيف العمل: ويتضمن ذلك العمل لساعات أطول وتظهر بصفة خاصة ممارسات أولئك الذين يعملون لحسابهم ، وذلك لتعويض النقص في الإمكانية ورأس المال بالجهد البدني والعمالة ، ويشمل ذلك أيضا العمال الأجراء الذين يعملون لدي الغير لمدة ساعات أطول وبشروط عمل أقل لضمان الاستمرار في العمل في ظل تهديد شبح البطالة ، وما يؤدي إليه من فرض قبول أجور منخفضة وتدني أوضاع المعيشة .

ب – الجمع بين أكثر من عمل ، كأن يعمل في الفاعل أو عتال أو عامل بناء أو خادم أو فى بيت أحد كبار الملاك أو الأثرياء أو يعمل " كلاف " لدي القادرين .

ج – التمسك ببعض ممارسات وصور الإنتاج المعيشي ، والحد من صور الاستهلاك ويتضمن ذلك بعض الطيور والدواجن والماعز .

د – التبعية الداخلية والدخول في علاقة تحالف عرفي مع أحد الأثريـاء تأخـذ علاقة (السيد – التابع) يقوم بموجبها الفقير التابع بخدمة سـيده الثـري، مقابل توفير الاحتياجات الأساسية وصور الرعاية للفقير التـابع وأسـرته وتستمر مثل هذه العلاقة ويتم تكريسها من خلال استخدام جميع أفراد أسرة الفقير وتسخيرهم لخدمة أسرة الثري .

هـ – تلقي الإعانات النقدية والعينية ، خاصة بالنسبة لجماعة الضـعفاء مـن المرضي والمسنين والعجزة والمقعدين الذين لا يستطيعون العمل أو إعالـة أنفسهم

و – الهجرة إلى الحضر أو القري الزراعية المستحدثة أو القري الأيسر حالاً.

الثانية:استراتيجية العمل الأسرى المشترك وتقاسم أفراد الأسرة أعباء الفقر :

وتقوم هذه الاستراتيجية علي مشاركة جميع أفـراد الأسـرة الفقيـرة فـي الأنشطة التي تحقق دخلا للأسرة، أو عملية تجميع الدخل، وفي هـذه الحالـة يـتم الاستعانة بعمل المرأة والأولاد والاستفادة من جميع الطاقات المتاحة فـي الأسـرة، كل في مجاله، أو جميعهم في مجال واحد حسب فرص العمل المتاحـة ، وتشـغيل الأطفال في سن مبكرة وفي نهاية اليـوم الدراسـي أو العطـلات الأسـبوعية أو أنسحابهم من التعليم لمن هم فيه .

الثالثة :استراتيجية العمل الأسري وتقاسم أفراد الأسرة أعباء الفقر:

تنهض هذه الإستراتيجية علي الاعتماد علي علاقات الجيرة والقرابة وصور التعاون والتضامن والتنظيمات الأهلية في المجتمع المحلـي ويأخـذ ذلـك شـكل الحصول علي المساعدات والإعانات التي يقدمها الأهل أعضاء المجتمـع المحلـي لبعضهم في الكوارث والنكبات والظروف الصعبة ، الجمعيات الدواره ومـا شـابه ذلك .

الرابعة : استراتيجية التبرير والصبر وتوليد القبول وتشكيل الطاعة :

يتم فيها تبرير أوضاع الفقر باعتباره أمراً طبيعياً ومشيئة إلهيه وتأخذ شكل توزيع الأرزاق وتحديد شخوص الأغنياء والفقراء ومن ثم لا يكون للتمايزات الطبقية وصور التباين في الأوضاع الاجتماعية لكل من الغني والفقر أي علاقة بالعمل والإرادة الفردية أو سوء التنظيم الاجتماعي وأنماط التوزيع وصور الاستغلال في المجتمع .

الخامسة : استراتيجية الاحتجاج والرفض أو المقاومة : تتشكل هذه الاستراتيجية عادة لدي بعض أفراد جماعات الفقر المدقع أو النسبي من القادرين ذوي الوعي الأكثر تبلوراً بحقيقة التمايزات الاجتماعية وأنماط الاستغلال في العلاقات الاجتماعية القائمة، وفيها يتم التعبير عن عدم الرضا ومشاعر السخط أو عدم الاهتمام، والتراخي في العمل والإهمال المتعمد، والمجاراة والتملق والمراوغة والاختلاس والسرقة وفرض الإتاوات وممارسة البلطجة والإجرام، مما يدفع الأغنياء لتعيينهم الشكلي خفراء لديهم أو حرس خصوصي أو مشرف عمال لاتقاء شرورهم .

وتمثلت آليات التكيف مع الفقر أيضا في إعادة تدوير ما تعود آخرون التخلص منه في القمامة، فإذا تلف إناء من الفخار أو الصفيح أبدعت له وظيفة أخرى ، وإذا كانت هناك بقايا طعام تتحول إلى غذاء للدواجن (حسنين كشك : ٢٠٠٤ : ٧٩) ويتم تخصيص شريط ضيق في طرف الحقل لزراعة بعض الخضراوات للاستهلاك العائلي لدي فقراء وصغار الفلاحين، ويظهر التكامل الاجتماعي بين الفقراء بشكل واضح في مواقف الكوارث والوفاة، ويدفع الفقراء بأبنائهم لوظيفة مأمونة الدخل وينوعون أساليب الاستغلال المكثف للأرض الزراعية وهكذا لم تحظ سياسات مواجهة الفقر باهتمام بحثي في مصر بل جذبت آليات تكيف الفقراء انتباه الباحثين السوسيولوجين والأنثروبولوجيين ورغم قله

البحوث في هذا الصدد إلا أنها أسفرت عن نتائج هامة (عايدة فؤاد : ١٩٩٩ : ٤٥٢) موجزها فيما يلي :

أ – إن آليات تكيف الفقراء لكسب الرزق تختلف وفقا للسياق الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشون فيه .

ب – إن نجاح الفقراء في ذلك يرتبط إلى حد كبير بمدي توافر الموارد المادية وغير المادية .

ج – جاءت آليات التكيف في مجملها ذات توجه جمعي في إطار الوسط المعيشي المحيط بها .

د – كشفت عن نماذج لا حصر لها للتكيف مع حالة الفقر ، منها الإيجابي ومنها السلبي .

هـ - خلصت إلى ضرورة تدخل الدولة لدعم الفقراء وتوفير الخدمات الأساسية لدعم مسيرتهم في محاربة الفقر .

أن الفقراء في مصر لا يشكلون كتلة متجانسة، وإنما فئات متباينة وفقاً للثقافات الفرعية التي تنتمي إليها كل فئة، هذا فضلا عن اختلاف السياق البيئي والاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم الظروف الحياتية التي يعيش فيها الفقراء، لذا فمن المتوقع أن يكون هناك تنوعاً وتبايناً في الاستجابة لواقع الفقر والتكيف معه، وتم طرح بدائل أمام عملية المواجهة، وفي هذا السياق تظهر مشكلة أخرى ترتبط بكيفية الوصول إلى الفقراء ببرامج تستهدف الخروج من دائرة الفقر، وتنسق في ذات الوقت بين هذه الفئات المتنوعة، وكيف نصل إلى أشد الناس فقراً ببرامج الرعاية الاجتماعية من خلال شبكة الأمان الاجتماعي، ومن الآليات المطروحة المجتمع المدني، واستراتيجيات الدولة لمواجهة الفقر .

رابعاً: صناعة رأس المال: تجارب من الدول النامية

١- تهتم دول العالم بصناعة رأس المال انطلاقاً من الأسلوب الذي يروق لهـا، فمنها من تتبع اقتصاد السوق، ومنها من يتبع الاقتصاد التجاري، ومنها من يتبعهما معا، ومن يتبع طريقاً غير هـذا وذلك ينطلـق مـن خصوصـيته وإمكانياته وموارده المحدودة أو شبه المعدومة، لكـن الجميـع يحـاول أن يصنع رأس المال. لذا وجب التنويه إلي الخطوط العريضة للنمطين الأكثر شيوعا عالمياً في صناعة رأس المال وهما اقتصـاد السـوق، والاقتصـاد التجاري:

أ- اقتصاد السوق: لصناعة رأس المال في ظل اقتصاد السوق يجري تشـجيع القدرة علي الإنتاج، لأن المنافسة هي العنصر السـائد، وتجـري خدمـة المستهلك بكفاءة وبصورة اقتصادية، ويقوم اقتصاد السوق علي المنافسـة، وفيه يتعين علي منظم المشروع أن يشبع حاجة زبونه المعني والمهتم فقـط بالثمن، والجودة، وسهولة الحصول علي السلعة المنتجة ولا يعنيـه شـيء من صفات منتجها، ويتسم اقتصاد السوق بسـهولة الـدخول فيـه، ففـي اقتصاديات السوق يمكن لأي إنسان أن يدخل السوق، ينـتج، ويـوزع، أو يحصل علي ترخيص حكومي دون تدخل طرف ثالث.

ب- الاقتصاد التجاري: لصناعة رأس المال في الاقتصاد التجاري يلزم تشجيع القدرة علي كسب الإمتيازات، واستخدام القانون لتحقيق المصالح الخاصة، وذلك لأن العامل المحدد هو التنظيم القانوني الذي تفرضه الدولة، وتحظـي البيروقراطية العامة والخاصة بأفضل خدمة، وتأتي خـدمتها عـادة علـي حساب بقية المجتمع، ومن الأساسيات كسب رضـا الدولـة فـي البيئـة التجارية، ويُعد دهاء منظم المشروع وكياسته الاجتماعية صفتين حاسـمتين للفوز بسياسات وقوانين لصالحه من الدولة، وتُعد القدرة علي صياغة حُجة تتسم بالإقناع، والتلاحم، والقدرة علي الـذيوع، وحسـن التصـرف مـن

الصفات المهمة، غير أن الهدف قد يتحقق أيضاً مـن خـلال المجـاملات الاجتماعية (الرشاوى). وينفق منظمو المشروعات والعمال أوقاتـاً طويلـة تزداد باطراد في العمل السياسي، والشكوى، والمداهنة، والتباحث، ويتعين علي الجميع أن ينتظروا في الطابور ليقابلوا المسـئولين البيروقـراطيين، ويجري استخدام المزيد من المحامين والوسطاء، فضلاً عن السعي لكسـب تواطؤ مزيد من الصحفيين، بينما يتعين علي الحكومة أن تسـتخدم المزيـد من البيروقراطيين، وأن تجري المزيد من الدراسات، حتـى يتسـنَى لهـا التعامل معهم وتبرير قراراتها، وهذا هو السبب في أن كثير من الناس فـي ظل الاقتصاد التجاري ممن كان في استطاعتهم أن يكونوا تجاراً، يعملـون في صفوف البيروقراطية العامة والخاصـة، وإنـه لعـارٌ اقتصـادي أن البيروقراطيين وأعضاء جماعات الضغط - علي عكس العمال الحقيقيـين، لا يستخدمون جهودهم لزيادة الإنتاج أو الاستثمار، ودخول السوق مقيد؛ إذ يستلزم الأمر الحصول علي تراخيص أو تصاريح لكل شيء من الناحيـة العملية، مما يخلق حاجة مستمرة لطلب المسـاعدة مـن مجموعـة مـن أصحاب الامتيازات في القطاع الخاص أو من السـلطات التـي تحـرس بوابات الإدارة.

٢- " إن ضرورة إضاعة ٢٨٩ يوماً في أروقة الروتين في "بيرو" مثلا قبل أن يتمكن المرء من تشغيل مصنع، أو الانتظار قرابة سبع سـنوات قبـل أن يتمكن من بناء بيت، إنما هي عقبات يضعها النظام التجاري علي طريـق دخول السوق"(هرناندو دي سوتو: ١٩٩٧: ٢١١). وبذلك أكون حاولـت، بل قصدت التنويه إلي النمطين السابقين من أساليب صناعة رأس المال في ظل كل من اقتصاد السوق أو الاقتصاد التجاري كل علي حدة حتى تتضح الصورة أو الأسلوب، المتبع في صناعة رأس المال في الدول النامية بعامة، ومصر بخاصة، والحرفيون في مجتمع الدراسة الميدانيـة بصـفة أكثـر خصوصية. مع الاعتراف بأن الاقتصاد في المدرسـة التجاريـة عمومـا

يحاول صناعة رأس المال من خلال نقله، بينما اقتصاد السوق يصنع رأس المال من خلال إنتاجه أي إنتاج رأس المال لا نقله.

٣- ويري"هيرناندو دي سوتو": أن معظم الفقراء يملكون بالفعل الأصول التي يحتاجونها لصناعة رأس المال(هرنانـدو دي سـوتو: ١٩٩٧: ٥ -٦) إن الفقراء يدخرون حتى في أكثر البلدان فقراً، إن قيمة المدخرات لدي الفقراء هائلة في الواقع، أربعون مثل كافة المعونات الأجنبية التي تم تلقيهـا مـن كافة أنحاء العالم منذ ١٩٤٥. ففي "مصر" مـثلا، تسـاوي الثـروة التـي تراكمت لدي الفقراء، خمسة وخمسين مثل مبلغ كافة الاستثمارات الأجنبية المباشرة التي سجلت فيها بما فـي ذلـك قنـاة السـويس وسـد أسـوان، وفي"هاييتي"، وهي أفقر بلد في أمريكا اللاتينية، يزيد مجموع الأصول لدي الفقراء علي مائه وخمسين مثل كافة الاستثمارات الأجنبيـة المتلقـاه منـذ استقلال "هاييتي" عن "فرنسا" عام ١٨٠٤. ولو كانـت الولايـات المتحـدة الأمريكية قد رفعت ميزانية المعونة الخارجية التي تقدمها إلـي المسـتوي الذي أوصت به الأمم المتحدة ٠,٧% من الدخل القومي، لاستغرق الأمـر من أغني بلد في العالم أكثر من ١٥٠ سنة لتحول لفقـراء العـالم مـوارد تساوي تلك التي يملكونها، لكن فقراء العالم الثالـث يحتفظـون بمـواردهم بشكل معيب: بيوت بنيت علي أرض ملكيتها ليست مسجلة بالشكل السليم، ودور أعمال لا تأخذ شكل الشركات ومسؤليتها غير محـددة، وصـناعات قائمة حيث لا يستطيع الممولون والمستثمرون رؤيتها، ونظراً لأن الحقـوق في هذه الممتلكات ليست موثقة علي النحو السليم، فإن هـذه الأصـول لا يمكن تحويلها بسهولة إلي رأس مال، ولا يمكن مبادلتهـا خـارج الـدوائر المحلية الضيقة التي يعرف الناس فيها بعضهم ويثقون في بعضهم البعض، ولا يمكن استخدامها كرهن لضمان القروض، ولا يمكن استخدامها كحصة في استثمار ما.

٤- وعلي العكس من ذلك في الغرب، فإن كل قطعة أرض، وكل بناية، وكل قطعة من المعدات أو مخزن للموجودات، تمثلها وثيقة للملكية تشكل دليلاً مرئياً علي عملية مستترة شاسعة تربط كل هذه الأصول بباقي الاقتصاد، وبفضل هذه العملية الوصفية التمثيلية، فإن الأصول يمكن أن تكتسب حياة غير مرئية موازية إلي جانب وجودها المادي، إذ يمكن استخدامها كرهن ضمان لائتمان ما. إن أهم مصدر وحيد للأموال بالنسبة لمشروعات الأعمال الجديدة في الولايات المتحدة هو الرهن علي مؤسسات منظمي المشروعات، ويمكن لهذه الأصول أيضا أن توفر رابطة بتاريخ المالك الائتماني، وعنوان مختار خاضع للمساءلة لتحصيل الديون والضرائب، وأساس لإقامة مرافق عامة يعول عليها وشاملة، وأساس لإنشاء الأوراق المالية(مثل السندات المستندة إلي رهن)، والتي يمكن عندئذ إعادة خصمها وبيعها في الأسواق الثانوية، وبهذه العملية يبعث الغرب أنفاس الحياة في الأصول ويجعلها تولد رأس المال.

٥- إن لدي سكان الدول الفقيرة وهم يمثلون خمسة أسداس البشرية أشياء يملكونها، لكنهم يفتقرون إلي العملية التي تصف وتمثل ملكيتهم وتخلق رأس المال، ذلك أن لديهم بيوتا، لكن ليس لديهم سندات حقوق ملكية، لديهم محاصيل لكن ليس لديهم صكوك ملكية، ولديهم دور أعمال، لكن ليس لديهم النظام الأساسي للشركات، إن عدم توافر هذه الأنواع الأساسية من الوصف والتمثيل هو الذي يفسر السبب في أن الناس الذين طوعوا كل الاختراعات الغربية الأخرى، من مشبك الورق إلي المفاعل النووي، لم يستطيعوا أن ينتجوا ما يكفي من رأس مال لجعل رأسماليتهم المحلية تثمر. ذلك هو سر رأس المال، ويتطلب حله فهم السبب في أن الغربيين استطاعوا عن طريق وصف وتمثيل الأصول بسندات ملكية، أن يروا فيها رأس المال، وأن يستخلصوه منها. ولقد مثل رأس المال موضوعاً أغوي المفكرين في القرون الثلاثة الماضية(هرناندو دي سوتو: ١٩٩٧: ١١)، فقد قال "ماركس" إنك تحتاج إلي المضي لما وراء الماديات لتلمس

"الدجاجة التي تبيض البيضات الذهبية"، وكان آدم سميث يعتقد أنه يتعين عليك أن تصنع "نوعاً من طريق العربات عبر الهواء" لتصل إلي الدجاجة نفسها، ولكن أين تختبئ هذه الدجاجة؟ لم يقل ذلك ماركس أو آدم سميث، ما هو سر رأس المال؟ كيف يتم إنتاجه؟ كيف يرتبط بالنقود؟ كيف يتعين صناعة رأس المال في مصر ومنها يتعين علي الشخص الذي يرغب في الحصول علي قطعة أرض من الصحراء المملوكة للدولة، ويسجلها قانونياً، أن يشق طريقه خلال ٧٧ إجراء بيروقراطي علي الأقل في إحدى وثلاثين هيئة عامة وخاصة، وقد يستغرق هذا في أي مكان بمصر ما بين خمس سنوات وأربع عشرة سنة، ويتطلب بناء مسكن قانوني علي أرض زراعية سابقة من ست سنوات إلي إحدى عشرة سنة من المشاحنات البيروقراطية، وربما أطول من ذلك، ويفسر هذا السبب أن ٤,٧ مليون مصري اختاروا بناء مساكنهم بصورة غير قانونية، وإذا قرر المواطن بعد بناء بيته أنه يرغب في أن يكون مواطنا ملتزماً بالقانون، ويشتري الحقوق الخاصة بمسكنه، فإنه يخاطر بهدمه ودفع غرامة باهظة، وأن يمضي في السجن ما يصل إلي عشرة سنوات، وتبلغ قيمة رأس المال الذي لا يدر عائداً في العقارات في مصر – وفق الحسابات التي أجراها "هيرناندو دي سوتو" وفريق من الاقتصاديين المصريين(هرناندو دي سوتو:١٩٩٧: ٣٤) – نحو ٢٤٠ مليار دولار، ويبلغ هذا ثلاثين مثل قيمة كل الأسهم المسجلة في بورصة القاهرة، ويبلغ خمسة وخمسين مثل قيمة كل الاستثمار الأجنبي في مصر، ومع ذلك صنع الفقراء المصريون وأبدعوا في مجال تنظيم المشروعات ثروة واسعة النطاق ثروة تشكل حتى الآن أكبر مصدر لرأس المال المحتمل اللازم للتنمية.

٦- ويروي "هيرناندو دي سوتو" حكاية التاجر الهندي قائلاً: "أنه في السنوات التي أعقبت الحرب الأهلية الأمريكية، زرع محاضر أسمه"روسيل كونويل" مختلف أرجاء أمريكا، يبشر برسالة حركت ملايين الأشخاص، كان يروي حكاية تاجر هندي وعده أحد العرافين بأنه لا ريب سيصبح

غنياً بما يفوق الخيال فقط إذا بحث عن كنزه، وجاب التاجر العـالم ليعـود إلي بلده عجوزا حزيناً مهزوماً، وعندما هم بدخول منزله المهجور، شـعر بالرغبة في شربة ماء، لكن البئر الموجودة في أملاكه كانت قد انطمـرت، وأخذ وهو مكدود جاروفه ليحفر بئراً جديدة، ولما هم بذلك ارتطـم فـوراً "بالجولكوندا" أكبر منجم للألماس في العالم"(هرناندو دي سـوتو: ١٩٩٧: ٣٧). لكن "هيرناندو دي سوتو" يقدم رؤية لكيفيـة صـناعة رأس المـال، قائلاً: ما رأس المال؟ كيف نوجده؟ كيف نصنع من البحيرة المرتفعة رأس المال؟ ويجيب قائلاً: في حالة البحيرة المرتفعة، تتمثل عملية تحويلها إلـي رأس مال في إقامة محطة كهرومائية تتيح تحريك مياه البحيرة سريعاً فـي اتجاه السقوط بقوة الجاذبية، وبذلك يتم تحويل إمكانيات البحيـرة الكامنـة الراكدة لإنتاج الطاقة إلي طاقة حركية للمياه التي تسقط بسـرعة، وعندئـذ يمكن لهذه الطاقة الحركية الجديدة أن تـدير التوربينـات، فتخلـق طاقـة ميكانيكية يمكن استخدامها لإدارة وحـدات المغنـاطيس الكهربـائي التـي تحولها عندئذ إلي طاقة كهر بائية، وباعتبارها كهرباء، فإن الطاقة الكامنـة للبحيرة الراكدة (طاقة الوضع) تم تحديدها وتثبيتها عندئذ في الشكل الـلازم لإنتاج تيار يمكن التحكم فيه، ويمكن نقله بعد ذلك من خـلال الموصـلات السلكية إلي أماكن بعيدة لنشر إنتاج جديد، وهكذا فإن بحيـرة راكـدة فـي الظاهر يمكن استخدمها لإضاءة غرفتك، وإدارة الماكينات في مصنع مـا، والشيء الذي كان مطلوبا هو عملية خارجية من صنع الإنسان أتاحت لنا:

أ- تحديد الإمكانيات الكامنة في وزن المياه للقيام بعمل إضافي.

ب- تحويل هذه الطاقة الكامنة(طاقة الوضع) إلي كهرباء يمكن استخدمها لخلق فائض قيمة.

٧- نظرية رأس المال البشري(مني البرادعي: ٢٠٠١ : ٨- ٩) Human Capital Theory:

أ- علي الرغم من أنه من المعروف أن "تيودور شولتز" Thedore Schultz يُعتبر مؤسس نظرية رأس المال البشري، إلا أن أول من استخدم هذا التعبير هو "جاكوب ماينسر" Jacob Mincer عام ١٩٥٨، كما أن عملية إدماج البشر في العملية الإنتاجية كرأسمال، له جذوره في الفكر الاقتصادي، فقد أدمج "آدم سميث" كل قدرات السكان المكتسبة والمفيدة في رأس المال، أي اعتبرها جزءاً من رأس المال، وكذلك "فون تونان" Von Thunen نظر إلي البشر كرأسمال، كما أن "إيرفنج فيشر" Irving Fisher قد وضع الأساس النظري لمفهوم شامل لرأس المال والدخل.

ب- ويتلخص رأس المال البشري- كما يصفه شولتز- في المهارات والمعارف المفيدة التي يكتسبها الأفراد، والتي لم يكن من المعروف قبل ذلك أنها شكل من أشكال رأس المال، وهذا الشكل من رأس المال هو في جزء هام منه ناتج عن استثمار مخطط، والسمة المميزة لرأس المال البشري هو أنه جزء من البشر، فهو بشري لأنه جزء لا ينفصل من البشر، وهو رأسمال؛ لأنه مصدر لأنواع من الإشباع أو المكاسب في المستقبل أو كلاهما وهو ليس متجانس مثله في ذلك مثل رأس المال المادي، فكلاهما يتميز بأنه علي قدر كبير من عدم التجانس، ويري "شولتز" أن رأس المال البشري هذا، قد نما في المجتمعات الغربية بمعدل أسرع بكثير من رأس المال التقليدي (غير البشري) وأن هذا النمو كان أحد أهم السمات التي ميزت النظام الاقتصادي في تلك الدول، وبمقارنة الزيادات في الناتج القومي بالزيادات في كلٍ من الأرض، وساعات العمل، ورأس المال المادي. القابل لإعادة الإنتاج، يتضح أن هناك فرقاً كبيراً بينهما، وكان الاستثمار في رأس المال البشري تقريباً هو التفسير الأساسي للفرق بين هذه الزيادات.

جـ- ويضيف "شولتز" أن فكرته الأساسية عن رأس المال البشري هـي التـي قادته إلي فكرة الاستثمار في رأس المال البشري، بمعني الاستثمار فـي تعليمهم وفي صحتهم وفي عملهم، وفي مهاراتهم التنظيمية، ويترتب علـي ذلك أن كثيراً مما يطلق عليه الاستهلاك يُعتبر في الواقع استثماراً في رأس المال البشري، مثل الإنفاق المباشر علـي التعلـيم، والصـحة، والهجـرة الداخلية للإفادة من فرص عمل أفضل، كذلك المكاسـب الضـائعة علـي الطلاب البالغين بسبب الدراسة أو علي العمال الذين يكتسبون تدريبا أثنـاء العمل، كذلك استخدام وقت الفراغ لتحسين المهارات والمعارف، بكل هذه الطرق وغيرها، تتحسن نوعية المجهود البشري، وترتفع إنتاجيته، ويشـير "شولتز" إلي أن هذا الاستثمار في رأس المـال البشـري، يشـكل معظـم الزيادات الكبيرة في ارتفاع الدخل الحقيقي للعامل.

٨- فروض نظرية رأس المال البشري:

أ- رشادة الأفراد، فالأفراد يعملون علي تنمية قدراتهم كمنتجين وكمستهلكين عن طريق الاستثمار في أنفسهم، وعلي ذلك فالتكوين الرأسمالي سوف يـتم عـن طريق الأفراد ولمصلحتهم الخاصة.

ب- أن مكاسب الأفراد تعتمد علي إنتاجيتهم التي تعتمد بدورها علـي مسـتواهم التعليمي وخبرتهم.

جـ- أن الموارد البشرية لها أبعاد كمية وكيفيه، وأن زيادة النفقات التـي تنمـي هذه القدرات الكيفية هي التي تؤدي إلي زيادة، إنتاجية المجهود البشري التي سوف يترتب عليها معدلاً موجباً للعائد.

د- يمكن تقدير الاستثمار البشري بنفس طريقة تقـدير الاسـتثمار المـادي أي بواسطة النفقات التي تؤدي إلي إنتاج مثل هذا الاستثمار.

هـ- أهم الأنشطة التي تحسن القدرات البشرية هي الصحة، والتدريب أثناء العمل، والتعليم، والهجرة لتحسين فرص العمل، ويُعتبر التعليم أهم وأكثر هذه الأنشطة صلة بتحسين القدرات البشرية.

٩- إسهام نظرية رأس المال البشري في الفكر والواقع الاقتصادي: (منى البرادعي، ومنال متولي: ٢٠٠١: ١٣-١٤)

أ- الواقع أن هذه النظرية قد أسهمت في وضع أسس الاهتمام بالبشر أو البعد البشري في إحداث النمو الاقتصادي وفي التنمية الاقتصادية، وكان "شولتز" بحق هو رائد هذا الاتجاه، وكانت كتاباته أساس ثورة رأس المال البشري، التي بدأت في الستينات من القرن العشرين، ثم استمرت بشكل أو بأخر حتى يومنا هذا، بعد أن تبلور المفهوم إلي مفهوم التنمية البشرية، وإذا كان مفهوم "رأس المال البشري" قد تعرض للنقد الشديد، إلا أنه يرجع إليه الفضل في التنبيه إلي دور البشر في إحداث النمو الاقتصادي والتنمية.

ب- يعود الفضل إلي "شولتز" كذلك في التنبيه إلي فشل المساعدات المالية والفنية الأجنبية في مساعدة الدول المتخلفة علي النمو بدون "الاستثمار البشري".

جـ- ساهم "شولتز" بكتاباته في الاهتمام بالتعليم وضرورته، وبالذات بالنسبة للدول النامية، وفي إرساء وتطوير فرع من فروع علم الاقتصاد، وهو "اقتصاديات التعليم" وبالذات علي حساب الجدوى الاقتصادية للتعليم، ومعدل العائد علي التعليم، والتفرقة بين معدل العائد الخاص ومعدل العائد الاجتماعي، والإشارة لأهمية هذه القضايا بالنسبة للتنمية الاقتصادية والدول النامية.

د- منذ تدشين مفهوم رأس المال البشري اعتبر الإنفاق علي التغذية والصحة، والتعليم بوجه خاص، استثماراً في رأس المال البشري له مردودة علي

مستقبل التنمية، وليس إنفاقاً علي سلع استهلاكية، ومن ثم بدأ هـذا الإنفـاق الاجتماعي يحظى باهتمام حكومات الدول النامية.

١٠- ولقد ذكر "آدم سميث" في كتابه "ثروة الأمم" عام ١٧٧٦ أن العمل السـنوي في أمة ما، هو الذي يمدها بما تستهلكه في خـلال السـنة مـن الأشـياء الضرورية لحياتها، وهذه الأشياء إما نتيجة مباشرة لهذا العمـل، أو هـي استبدلت من الأمم الأخرى مقابل هذا العمل، كما أكد "آدم سـميث" علـي أهمية الموارد البشرية(حـاتم المقـدم : ٢٠٠٤ : ١٢-١٣)- وذلـك لأن رخاء أي أمة من الأمم يتحدد بالمهارة والقدرة علي استخدام ما لديها مـن أيدي عاملة. ولقد كتب "ألفريد مارشال" أحد رواد المدرسة النيوكلاسـيكية يقول: إن الصحة، والقوة البدنية والعقلية، والمعنوية، هي أسـاس الثـروة، كما أن العكس صحيح لأن الأهمية الحقيقية للثروة المادية تكمن في حقيقـة أنها عندما تستخدم بحكمة تؤدي إلي زيادة الصحة والقوة البدنيـة والعقليـة والمعنوية للجنس البشري وتأتي صناعة رأس المال من حُسـن التصـرف مع الموارد المتاحة، بما في ذلك قوة العمل، الثروة ببساطة هي نتاج الجمع بين الموارد القابلة للتبادل فيما بينها، والعمل المنتج، والثروة تتحقق أساسـاً بفضل الجهود الذاتية للمرء، إننا نكتسبها رويداً رويدا في سوق نشيطة، يتم فيها تبادل السلع والخدمات والأفكار، وحيث يـتعلم النـاس دائمـاً وأبـداً، ويتلاءمون مع احتياجات الغير، والثروة تأتي من معرفة كيفيـة اسـتخدام الموارد لا من امتلاكها، هنا الحرفيون في مجتمع الدراسة يمثلون مصـدر ثروة عالي القيمة، حيث يمثلون القدرة علي البقاء للمعدمين وصناعة رأس المال للميسورين كما سنوضحه لاحقاً.

١١- الانتقادات الموجهة لنظرية رأس المال البشري :

على الرغم من أن نظرية رأس المال البشري كانت أسـاس " ثـورة رأس المال البشري " في الفكر الاقتصادي منذ نشأة هذه النظرية فى الستينات ، إلا أنهـا

ووجهت بعديد من الانتقادات سواء النظرية أو المنهجية ، وتتلخص أهم الانتقادات على الجانب النظري ، فيما يلي :-

أ- إمكانية معاملة البشر كرأسمال من الناحية الأخلاقية والفلسفية (مني مصطفي، ومنال محمد : ٢٠١: ١٢- ١٣) فالبشر هم غاية النشاط الاقتصادي .فالمفهوم " يتدني بالإنسان إلي مستوي مورد لازم لعملية الإنتاج، إلي جانب عدم إمكانية فصل عملية الاستثمار فى البشر عن الاستهلاك.

ب- انتقدت نظرية رأس المال البشري على أساس اعتبارات الرفاهة ، بسبب تطبيق المعيار المصرفي للربحية على تحليل الموارد البشرية بالإضافة إلي غيرها من الانتقادات.

حـ - نظرية رأس المال البشري قد ربطت بين فروق الكسب بين فئات الموارد البشرية وبين التفاوت فى الإنتاجية ، مما يعني أن الفرد يستطيع أن يحسن من دخله إذا رفع من قدرته البشرية.

د- يتجاهل هذا الفرض حقيقة أن كلا من الإطار المؤسسي والتكنولوجيا يحددان الطريقة التى يمكن من خلالها للقدرات البشرية أن تزيد من إنتاجية الفرد ومستوى دخله.

هـ- تفترض النظرية أن هناك صلة قوية بين التعليم والدخل ، ولكن الحقيقة أن العوامل المؤسسية والخلفية الاجتماعية يجعلان من الممكن وجود فوارق داخلية بين أفراد ذوي مؤهلات متماثلة.

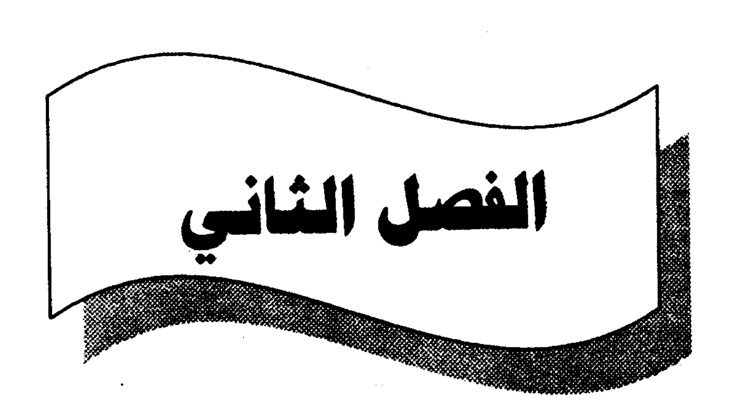
أما من الناحية المنهجية ، فقد انتقدت النظرية كثيرا أيضا ، وأهم ما أشير إليه بالنسبة لعلاقة الاستثمار البشري بالنمو، هو أن هناك عوامل مختلفة تؤثر على الإنتاجية بخلاف مستوي التعليم ، وفى معظم الأحوال فإن المتغيرات الأخرى تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بمستويات التعليم ، وعلى ذلك ، فإن ما تنسبه نظرية رأس المال البشري للتعليم ، يمكن إرجاعه فى الحقيقة إلي عوامل أخري.

خاتمة :

عرضنا فى الفصل الأول لأهم عوامل وعمليات الفقر فى المجتمعات الريفية فـى الدول النامية وفى مصر، وتبين أن الفقراء هم خبراء الفقر فى العـالم ، وأن الرأسـمالية العالمية لعبت دوراً ملموساً فى إفقار الفلاحين ، واستخدمت فى ذلك آليات منها الشركات متعددة الجنسيات، والخصخصة ، والعولمة ، واتفاقية الجات ، وإنشاء منظمـة التجـارة العالمية ، وتعددت آليات تحطيم الاقتصاديات الوطنية فى الدول الناميـة ، وكـان لا بـد للفقراء فى الدول النامية أن يبحثوا عن أساليب واستراتيجيات لمواجهة الفقر، كان آخرهـا وليس أخيرها عمالة الأطفال والنساء بالإضافة إلي العديد من أساليب التكيف مع الفقر.

ثم عرضنا لخصائص الفقر والفقراء فى مصر ، من خلال أسباب إفقار الفلاحين ، ومحاولات الدولة محاربة الفقر بالتنمية، وسيناريوهات العلاقة بـين الدولـة والمجتمـع وأثرها فى الإفقار أو التكيف مع الفقر ، وأثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية فى إفقار فلاحي مصر ، مثلما أدي القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ لمزيد من إفقار الفلاحين وطردهم من الأرض الزراعية ، مما كان دافعا مع غيره من الأسباب لابتداع الفلاحين الفقراء للعديـد من الأساليب للتعايش مع الفقر ، ومع ذلك فإن العولمة والتحولات الاجتماعية والاقتصادية ، عمقت الفقر فى مصر ، وظهرت محاولات كثيرة للتكيف مع الفقر مثل تكـوين أسـر كبيرة ،والهجرة الداخلية والخارجية، والانضمام إلي صفوف عمال التراحيـل ، وتكثيـف العمل، والعمل الأسري المشترك ، والتضامن الأهلي، وظهور العمل على تدوير مخلفات وآنية وأدوات الآخرين والاستفادة منها وانتشار الجمعيات الأهلية وغير ذلك مـن آليـات التكيف مع الفقر.

وتناولنا فى الفصل الأول أيضا صـناعة رأس المـال فـى اقتصـاد السـوق ، والحصول على رأس المال فى الاقتصاد التجاري ، وأن الفقراء يملكون فى كل الدول مـا يمكنهم من صناعة رأس المال مهما كانت عدم الأهمية الظاهرة لموارد الفقراء إلا أنهـم يمكنهم أن يصنعوا منها رأس المال، ثم بعد ذلك عرضنا لنظريـة رأس المـال البشـري وافتراضاتها الأساسية و الانتقادات الموجهة إليها ، وإن كانت صناعة رأس المـال أكثـر انتشارا فى كثير من الدول النامية عنها فى مصر.



الحرف التقليدية بين العالمية والمحلية

مقدمة

أولاً: الحرف التقليدية:أهميتها وخصائصها.

ثانياً: الحرف التقليدية في بعض الدول النامية.

ثالثاً: التطور التاريخي للحرف التقليدية في مصر.

رابعاً: نماذج من الحرف التقليدية في ريف مصر.

خاتمة

مقدمه:

تناول الباحث فى الفصل الأول عوامل وعمليات الفقر فى المجتمعات الريفية عالمياً ومحلياً، وبعد ما تبين أن الفقر – بسبب عوامل عديدة – تغلغل فى الريف المصري ومازال ، لذا ظهرت محاولات متعددة للتكيف معه ، بالإضافة إلي بعض محاولات صناعة رأس المال ، ومع كل ذلك ما زال الفقر واضحاً وشديداً فى الريف ، مما دفع الفلاحين للسعي للبحث عن فرص بديلة وإضافية للعمل داخل القرية ، وذلك بغرض التكيف مع الفقر، واكتساب مهارات جديدة (تنمية بشرية) بالإضافة إلي استثمار ما يمتلكه الفلاحون ولو كان متواضعا ، وذلك لمزيد من التكيف مع الفقر الذي يعانونه . هذا بالإضافة إلي ظهور الجمعيات الأهلية وتركيزها على دعم فقراء الفلاحين ، الذين أثرت عليهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تأثيرات بالغة أدت إلي مزيد من إفقارهم، لذلك بحث الفلاحون عن مصدر للرزق يساعدهم على التكيف مع الفقر ، يكون متاحا ويعتمد على ما تتيحه لهم البيئة التى يعيشون فيها ، وكان هذا المصدر الهام هو " الحرف " والعمل بها من أجل صناعة رأس المال من خلال الاستثمار فى بعض الحرف .

لكل ذلك يهدف الفصل الثاني إلي التعرف على الحرف التقليدية بين العالمية والمحلية ، وذلك من خلال معرفة أهمية الحرف للحرفيين، ومدى الدور الذى تلعبه فى حياة الحرفيين، وكيف يدخل الحرفيون سوق العمل الحرفي، وكيف يتم تنمية قدرات الحرفيين ، ونسبتهم إلي قوة العمل فى الدول النامية ، ثم الدول العربية ، ثم مصر ، والمراحل التاريخية التى مرت بها الحرف ومر بها الحرفيون مع الاستشهاد بنماذج من الحرف فى مصر عامة وريفها بوجه خاص. وكل ذلك بالتركيز على الحرفيين فى بعض الأنشطة الحرفية خاصة أولئك الذين كان عملهم السابق هو العمل بالزراعة وتم إزاحتهم منها بسبب القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ أو بأسباب كثيرة متعلقة بالعولمة والخصخصة ، والتكيف الهيكلي ، وبذلك يهدف الفصل إلي توضيح الحرف المتاحة أمام الفلاحين الفقراء الراغبين فى التكيف مع الفقر الذى يعيشونه ، أو الراغبين فى صناعة رأس المال مما أتيح لهم ولو كان متواضعا ، وذلك من خلال عملهم ببعض الحرف التقليدية فى الريف .

أولاً: الحرف التقليدية : أهميتها وخصائصها

يقول عبد الرحمن بن خلدون: "من البين أن أعمال أهل المصر يستدعي بعضها بعضاً، لمَ في طبيعة العمران من التعاون، وما يستدعي من الأعمال يختص ببعض أهل المصر، فيقومون عليه، ويستبصرون في صناعته، ويختصون بوظيفته، ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه؛ لعموم البلوى به في المصر والحاجة إليه" (ابن خلدون : ١٩٨٢: ٦٧١). وإذا كان الفقراء قادرين على العمل، فإنهم لا يستطيعون البقاء عاطلين لفترات طويلة في انتظار الوظيفة الدائمة، ولذلك من المعتاد أن يلتحقوا بأعمال مؤقتة، أو يوجدوا لأنفسهم مصادر للرزق من قبيل العمل لحساب أنفسهم، ويعتبر العمل المؤقت بأجر ـ خارج نطاق الزراعة ـ هو أقوى نذر الفقر بالنسبة للأسر المعيشية التي يعولها ذكور، فالعمال المؤقتون الذين يسمون "الأرزقية" يعملون على فترات متقطعة في أعمال غير ثابتة بأجور منخفضة، وهم المقابل للعمال الزراعيين الذين لا يمتلكون أرضاً، وهم عادة يفتقرون إلى مهارات محددة، ومحرومون من الأمان الوظيفي والتأمين الاجتماعي، ونصيبهم من التعليم الرسمي محدود أو معدوم، ولذلك فإنهم مجردون تماماً من الأصول الإنتاجية (راجي أسعد ، وملك رشدي: ١٩٩٦ : ٢٧). إلى أين يذهب هؤلاء، وكيف يبقون على حياتهم مع واقعهم المأزوم، الإجابة على هذا السؤال تتمثل في الحرف التقليدية التي تعتبر محاولة لمواجهة الآثار السلبية لتراجع التكنولوجيا كثيفة العمالة، وتغلغل التكنولوجيا كثيفة رأس المال، والتبعية، والخصخصة والرأسمالية الإمبريالية، والتكيف الهيكلي، وطرد العمالة.

وتتضمن موسوعة العلوم الاجتماعية رأيين هامين: أولهما، أن الطوائف الحرفية قد انتشرت خلال العصر الروماني في كل من مصر وآسيا الصغرى ودول ما بين النهرين. وثانيهما، يرى احتمالا لم يؤكده بالدليل أن مصر قد شهدت تنظيمات مستقلة للحرف ذائعة الصيت فترة ما قبل الحكم الإغريقي، وأن من أمثلة

تلك التنظيمات: الكتبة، السكرتارية، الملاحظون، صانعوا الذهب، النجارون، والحرف الأخرى (اعتماد علام: ١٩٩١ : ١٣٠).

إلا أن ثمة اقتصادي مشهور هو "إ. إ. هاجن" E.E.Hagen، ابتدع نظرية عامة للتنمية الاقتصادية تشرح المنظمية Entrepreneurship كنتيجة جاءت لدى جماعات ذات مستوى أدنى تبحث عن وسائل غير تقليدية لتحقيق الذات من خلال مغامرات اقتصادية خلاقة، وفي رأي "هاجن" أن الأفراد قادرون على الإبداع عندما يفقدون وضعهم الشرعي كجماعة لها حقوق مهضومة تضطر أن تجد لها مداخل جديدة للحفاظ على حياتها ووجودها (جالن سبنسر: ١٩٨٩ : ١٠٣). وبهذا يمكن القول أن الحرف التقليدية، تمثل أحد وأهم أساليب التكيف مع الفقر المتاحة في الريف خاصة مع الفقراء.

وتتمثل الأهمية الاجتماعية للحرف في إحداث تنمية اقتصادية مستقلة خاصة لأولئك الفقراء الذين يواجهون صعوبات الفقر والفقر المدقع وما يترتب عليهما، فالحرف بطبيعتها تنتشر في أرجاء البلاد، وبالتالي فيمكن أن تؤثر في سلوك الأفراد وعاداتهم وتفكيرهم وتوجد لهم فرصاً للعمل.

١- وتتمثل الأهمية الاجتماعية للحرف فيما يلي(أحمد حلمي: ١٩٩٤ : ٤٥ - ٤٦):

الأهمية الأولي: إعداد الحرفيين الوطنيين: تعد الحرف في الدول النامية عموماً من إحدى الوسائل الفعالة التي تعمل على تدعيم دور المشاركة الوطنية في تنمية الاقتصاد القومي؛ لأن هذه الحرف يمكن أن تنمو بالاعتماد على رأس المال الوطني والمدخرات الوطنية، وهذا يعني من ناحية أخرى، البعد عن اجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية، ومن ثم يمكن أن تكون أساساً لتكوين مجتمع الوطنيين، سواء حرفيين أو متعلمين قادرين على بناء مجتمعات صناعية جديدة بالاعتماد على التنمية الذاتية، وبالإضافة إلى ذلك إقامة

صناعات كبيرة مستقبلاً تحقق السيطرة الوطنية الكاملة من أبناء الوطن على مقدرات بلادهم.

الأهمية الثانية: تكوين نسق متكامل من أداء الأعمال: تعمل الحرف على خلق قيم اجتماعية لدى الأفراد، وأهمها الانتماء في أداء العمل الحرفي إلى نسق أسري متكامل، وذلك في الحرف التي تتوارثها الأجيال، حيث يبدأ الفرد في اكتساب القيم التي تلقى إليه منذ مراحل الطفولة وحتى ممارسته للحرف التي تمارس في داخل إطار الأسرة الواحدة، الأمر الذي يترتب عليه تكوين فئة من العمالة المنتجة، والتي تعمل في النسق الواحد، خاصة الحرفية منها أو التقليدية أو البيئية، يمكن أن تدعم هذا النسق الأسري المتكامل، ويمكن أن يحقق ذلك على مستوى الأقاليم المختلفة، حيث تنتشر الحرف فيتكون بذلك النسق الاجتماعي المتكامل في أداء الحرف على مستوى المجتمع كله.

الأهمية الثالثة: تطوير الحرف وتفعيل الظواهر الاجتماعية: يترتب على تطوير الحرف التقليدية، ظهور بعض الظواهر الاجتماعية التالية:

١- تنمية القدرات الذاتية للأفراد من حرفيين تقليديين وصناع، خاصة فيما يتعلق بالقدرة على تسويق المنتجات داخلياً وخارجياً، والتعامل مع البنوك والجهات الإدارية المختصة بالحرف، بالإضافة إلى التشجيع على القيام بخدمات وأنشطة صناعية جديدة تتمشى مع احتياجات الاقتصاد الحديث.

٢- معظم المنشآت الحرفية في مصر حالياً من النوع الحرفي التقليدي، ممثلة في صناعات منزلية، وأسر منتجة، وحرف ريفية يدوية، وحرف بيئية، ومعنى التحول إلى استخدام أساليب التكنولوجيا الحديثة سرعة انقراض هذه الحرف التقليدية بمرور الزمن، الأمر الذي يؤدي إلى تحقيق مجتمعات متطورة بسبب تفضيلهم للعمل في صناعات حديثة متطورة عن

ممارستهم لأنشطة أصبحت من وجهة نظرهم ذات إنتاجية منخفضة وقطاع غير اقتصادي.

٣- محاربة أنماط السلوك الاجتماعي غير السوية: أن معظم الحرف تستخدم طرق إنتاج مكثفة للعمل، وتعتمد على استخدام وسائل وأساليب الإنتاج اليدوية البسيطة، وهي تتيح بذلك توفير فرص عمل سريعة دون تكلفة عالية، وبالتالي فهي من أهم الوسائل التي يمكن أن تتصدى لمشكلة البطالة، والقضاء على فرص تكوين فئات من قوة العمل تعاني من عدم توافر فرص عمل، مما يجذبهم إلى ممارسة أنماط سلوكية غير سوية، ينتج عنها تفشي ظواهر الانحراف والفساد الاجتماعي، والذي يمكن أن يضر بمقدرات البلاد الاقتصادية والاجتماعية.

٤- رفع نسبة مشاركة الإناث في النشاط الاقتصادي: وتم ذلك من خلال تدعيم دور الحرف الريفية أو البيئية، والتي تمارس في القرى، أو المناطق النائية، حيث تستوعب عمالة نسائية فيها كصناعة الملابس الجاهزة والمشغولة والمطرزة، وصناعات التريكو، والتي تمارس من خلال مشروعات الأسر المنتجة، الأمر الذي يحقق الاستثمار الأمثل للقوى العاملة من النساء، ويدعم مشاركتهم في النشاط الاقتصادي وبالتالي يحد من البطالة بين النساء.

٥- أشارت بعض المؤشرات القومية منذ عشرة سنوات إلى أن نسبة السكان في مصر في سن العمل قد وصلت إلى ٥٦% من إجمالي السكان، في حين أن القوة العاملة الحقيقية لا تزيد عن ٢٥% من جملة السكان، وبالتالي وصلت نسبة الإعالة إلى ١: ٤، وأدى هذا إلى زيادة بعض المشكلات الاجتماعية ومنها: نقص الدعم المادي والعيني المتاح لبعض فئات المجتمع، كما أدى إلى زيادة البطالة المقنعة والفاقد Wastes بالإضافة إلى هجرة الكوادر.

وعلى الرغم من سيطرة الصناعات الكبيرة في بلدان العالم المتقدم والعالم النامي، إلا أن المشروعات الحرفية لا زالت تمثل أهمية كبيرة على مستوى اقتصاديات معظم هذه الدول منذ سيطرت الحرف التقليدية على النشاط الاقتصادي في مصر وجميع بلدان العالم لأزمنة طويلة وخاصة حتى الفترة التي سبقت بزوغ الثورة الصناعية في أوربا، ومازالت تمثل مكانة كبيرة في معظم الدول المتقدمة كاليابان، والولايات المتحدة الأمريكية، وانجلترا، وسويسرا، وألمانيا، كما أنها أصبحت تمثل مكانة كبيرة في معظم دول العالم النامي خاصة في منطقة جنوب شرق آسيا خاصة في الهند، وتايوان، وتايلاند، وماليزيا، وكوريا الجنوبية، وسنغافورة، بالإضافة إلى هونج كونج، وبعض دول شمال أفريقيا.

وتلعب الصناعات الحرفية دوراً هاماً في الاقتصاد القومي لكثير من الدول المتقدمة والنامية، وتشير التحليلات الاقتصادية والاجتماعية للتجارب العالمية إلى أن معظم الاقتصادات التي اتخذت من الصناعات الحرفية ركيزة لها، قد حققت إنجازات هائلة خلال العقدين الأخيرين، وتحولت من قوى استهلاكية كبيرة إلى قوى إنتاجية خلاقة، باللجوء إلى الحرف التقليدية التي تتلاءم مع الزيادة السكانية وقلة الاستثمارات اللازمة لها، وذلك من خلال استغلال الخامات المتاحة، وابتكار أساليب تكنولوجية جديدة تتلاءم مع وفرة الأيدي العاملة، لإنتاج سلع ومنتجات ترتبط بالحياة اليومية للمواطنين كالحرف المعدنية، والخشبية، والجلدية، والنسيجية، والهندسية، والكيميائية، وغيرها مما تلبي متطلبات الأسواق المحلية والتصدير(محمد حامد علوب: ٢٠٠٣ – ٢٩). ورغم الجهد العلمي الكبير، والاهتمام المتزايد بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالتصنيع ومشكلاته وثقافته، فإن دراسة الحرف، لم تحظ بهذا القدر الكبير من الاهتمام إلا في الستينات حينما بدأ الاهتمام العالمي بقضايا التنمية خاصة في دول العالم الثالث، وفي الوقت الراهن أخذ هذا الاهتمام بالحرف يتزايد عالمياً وبشكل ملحوظ، ولقد أقامت الهيئات الدولية تنظيمات عالمية تعنى بتنمية الحرف التقليدية (اعتماد علام:١٩٩١ : ١٨). ومن ثم لم يعد الاهتمام بتلك الحرف مقتصراً على دول العالم النامي فقط، بل يتسع نطاقه أيضاً ليشمل دول العالم المتقدم صناعياً.

٢- خصائص الحرف التقليدية:

تتسم الحرف التقليدية بخصائص أهمها (محمد حامد علوب: ٢٠٠٣: ١١- ١٣):

أ- هي وحدات غالباً ما تختلط فيها الملكية بالإدارة.

ب- تتخصص هذه الوحدات في عدد محدد من عمليات التصنيع، مما يتيح استخدام تكنولوجيا أقل تعقيداً وأقل كثافة رأسمالية، ومن هنا تنخفض مستويات معامل رأس المال / العمل نسبياً في هذه الصناعات الحرفية، رغم ذلك فهناك حدود دنيا لمستوى معامل رأس المال / العمل لا يجوز تجاهلها إذا ما كان الهدف هو الاستفادة من إنجازات التقدم العلمي التكنولوجي.

جـ- وينجم عن انخفاض مستويات معامل رأس المال / العمل نسبياً في هذه الحرف أنها تكون أكثر قدرة على امتصاص العمالة، وكذلك فهي تعتمد على تكنولوجيا أقل تعقيداً، مما ييسر من عمليات التدريب على استخدامها.

د- تتطلب هذه الأنشطة الحرفية استثمارات رأسمالية منخفضة نسبياً لكل فرصة عمل يوم توفيرها.

هـ- لا تتطلب كوادر إدارية ذات خبرة عالية، حيث تعتمد في أغلب الأحيان على الإدارة الذاتية أو العائلية، مما يؤدي إلى انخفاض التكاليف الإدارية، ومن ثم انخفاض تكلفة المنتج النهائي.

و- أن هذا القطاع لدية إمكانيات تنمية فرص التشغيل، حيث يساعد على خلق فرص عمل بصفة عامة، وتوفير فرص عمل للفئات المهمشة بصفة خاصة.

ز- إن قلة الرأسمال وانخفاض الحجم المطلق لرأس المال اللازم لإنشائها وتشغيلها بالمقارنة بالمنشآت الكبيرة، وذلك حتى في حالة ارتفاع معامل رأس المال/ العمل، يجعلها أكثر جاذبية لصغار المدخرين، وخاصة الذين لا يميلون إلى أنماط المشاركة ويفضلون الإشراف المباشر على استثماراتهم، وهكذا فالحرف نمط للاستثمار أكثر اتفاقاً مع تفضيلات المستثمرين في الدول النامية عموماً ومصر خصوصاً.

ح- تحتاج الحرف إلى استثمارات محدودة إضافة إلى انخفاض متطلباتها من البيئة الأساسية كما تحقق قيمة مضافة أكبر من المشروعات الكبيرة لنفس القدر من الاستثمارات.

ط- لا تطبق أساليب تكنولوجية متقدمة أو معقدة، ومن ثم لا تتطلب مهارات وخبرات فنية عالية بما يتلاءم مع قدرات الشباب حديثي الدخول إلى مجال العمل الحر لأول مرة، حيث تستوعب العمالة غير الماهرة ونصف الماهرة والتي تشكل جزءاً كبيراً من قوة العمل فضلاً عن إسهامها في توفير العمالة المدربة للمشروعات الكبيرة والمتوسطة، وتشكل مخزوناً استراتيجياً للتوسع الصناعي والتقدم الفني والإبداعات والابتكارات التكنولوجية.

ى- تسهم في تعبئة نسبة كبيرة من التحويلات التي إذا تم توظيفها بصورة صحيحة يمكن أن تحول مدخرات الأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط إلى فرص عمل منتجة وأنشطة مولدة للدخل.

ك - تلبي متطلبات المجتمع المحيط من السلع الاستهلاكية أو الوسيطة والمغذية للمشروعات الأكبر بصورة مباشرة، مما يؤدي إلى سهولة التسويق بشرط توافر الجودة والسعر المناسب، حيث تغطي أنشطة كثيرة ومتنوعة كالصناعات النسيجية والكيماوية والمعدنية، والأثاث، والنجارة،

فضلاً عن توفير الخدمات في مجالات الصيانة والتشييد والبناء، والتوزيع، والتسويق، والطباعة، وغيرها.

ل- تتميز بشيوع استعمال العدد اليدوية، وتعتمد على أهمية المهارات الفردية، كما تتميز بمزايا كمية أهمها انخفاض عدد المشتغلين بالورشة الحرفية أو بالمصنع الصغير من ذوي المستويات المهارية المختلفة، حيث يوجد بالوحدة الحرفية، الأسطى، والعامل المساعد، الصبي.

م- أن الحرفيين يغلب على أدائهم المهارة اليدوية وإنتاجهم به لمسة واضحة من القيمة الجمالية مثل منتجات خان الخليلي وغيرها.

و- أن الوحدة الحرفية تختلط فيها مهارة العامل مع مهارة الآلة. وتزداد مهارة الآلة كلما زاد حجم الوحدة الإنتاجية وتجهيزاتها.

ن- أن هذه الحرف لها القدرة والمرونة للتحول إلى إنتاج وتقديم سلع وخدمات تتناسب مع متطلبات السوق التي تتغير وتتطور باستمرار، نتيجة لمتغير الأذواق والعادات الاستهلاكية مع تغير أساليب الإنتاج وأدواته.

ع- المرونة والسهولة النسبية عند الإنشاء والتوسع والتطوير، فضلاً عن القدرة على الانتشار الجغرافي، مما يؤدي إلى تحقيق التنمية المتوازنة جغرافياً.

غ- يضمن النشاط الحرفي أن يسير النمو الاقتصادي والكفاءة الاقتصادية جنباً إلى جنب مع تحقيق المساواة والمشاركة، ولهذا تعتبر هذه الصناعات محركات للنمو.

ف- للحرف القدرة على توفير وظائف جديدة بل والاحتفاظ بالوظائف والعمالة الموجودة؛ حيث إنها لا تتحول إلى استخدام المعدات والآلات المتطورة،

بدلاً من القوى العاملة فضلاً عن أنها لا تتوجه إلى العمل في دول خارجية (الهجرة للعمل بالخارج).

ق- الحرف لها القدرة على التكيف والصمود أمام التغيرات التي تحدث في المناخ العام للاستثمار.

ظ- تتميز الأنشطة الحرفية باختلاف أنماط الملكية، حيث يرتبط انخفاض الحجم المطلق لرأس المال اللازم لإقامة وتشغيل الصناعة الحرفية بأشكال معينة من الملكية تتمثل في الغالب في الملكية الفردية أو العائلية أو في شركات الأشخاص، وهذه الأنماط من الملكية تساعد على استقطاب وإبراز الخبرات والمهارات التنظيمية والإدارية في البيئة المحلية وعلى تنميتها.

٣- وأوجزت "اعتماد علام" ملامح البنية الحرفية فيما يلي(اعتماد علام: ١٩٩١: ١٧):

أ- **من المنظور التنظيمي:** تتأسس الحرف والصناعات التقليدية على جهود فردية غير منظمة، كما تضم سوقاً داخلياً للعمالة الحرفية غير المؤهلة تأهيلاً علمياً.

ب- **من المنظور الاجتماعي:** غالباً ما يسود نمط العلاقات الأولية البنية الاجتماعية ومجال أداء العمل الحرفي.

جـ- **من المنظور التقني:** لا تنهض العملية الإنتاجية وعلاقات العمل والإدارة في الحرف التقليدية على أسس من الإدارة العلمية، كما يكون الفرد الحرفي هو الوحدة المهنية الأساسية للبنية الحرفية، ومن ثم يكون للمهارة اليدوية الهيمنة شبه الكاملة في أداء العمل الحرفي، بينما تمثل الأدوات ذات المستوى التقني البسيط عاملاً ثانوياً إلى جانب تلك المهارة. ومجمل القول أن المستوى التقني البسيط، الذي تتصف به الحرف التقليدية يستمد

استمراريته وقوته من نبع الثقافة المتوارثة والتي تعبر عن الواقع الاجتماعي المتمثل في حاجة المجتمع لممارسات تلك الحرف خلال مراحل تاريخية متعاقبة.

وتضيف إلى ما سبق مجموعة أخرى من الملامح أو جزئتها فيما يلي(اعتماد علام: ١٩٩١: ٣٠-٣١):

د- تتصف عملية تقسيم العمل داخل النظام الحرفي بالطابع الشمولي الوظيفي والدينامي.

هـ- تنخفض درجة التمييز الشكلي داخل أعضاء الجماعة الحرفية، وذلك من حيث الملبس والمظهر العام، ولكن يبقى التمييز بين الحرفي ومساعديه (الصبي أو العامل الأجير) على أساس تباين الوضع المهني المستمد أساساً من الممارسة الطويلة للعمل الحرفي.

و- تتسيد المهارة اليدوية الحرفية مجال الإنتاج الحرفي مع انحسار دور الأدوات الحرفية كعامل ثانوي مساعد لتلك المهارة.

ز- الانتمائية العالية والارتباط القوي من جانب أعضاء النظام الحرفي واعتبار هذا النظام جزءاً أساسياً من البيئة المحلية التي يتعايش معها، كما يتصف تنظيم العمل الحرفي بالعلاقات الشخصية المرنة، التي تحقق تغلب إحساس العامل بالمحلية Local على إحساسه بالعالمية Cosmoplotation على حد تعبير "روبرت ميرتون" Robert Merton

ح- كانت الحرف في الماضي تتصف بمعايير التفرقة العرقية والأساس الديني في ممارستها وتوارثها عبر الأجيال.

ط- تعتمد "الهيراركية" داخل البنية الحرفية على فترة التدريب وعلى مستوى المهارة اليدوية المكتسبة خلال ممارسة العمل الحرفي، ولا تعتبر إحداها

بديلة للأخرى، بل إن الأولوية تعطى للمهارة اليدوية في الأهميـــة داخـــل البنية الحرفية، ولا تكون فترة التدريب محددة المـــدة أو تخضـــع للـــوائح مكتوبة أو قوانين، وقد تزيد أو تنقص وفقاً لقدرات الصبي واستعداده لتعلم فنون الحرفة.

ي- الاستقلالية الكاملة للحرفي في تنظيم عملة بنفسه وتحمله للمسؤولية الفنيـــة والأخلاقية للسلعة الحرفية.

ك- اتصاف النظام الحرفي بنمط تقليدي من المهـــارة الحرفيـــة ذات أصـــول راسخة في تعاملها المباشر مع البيئة الاجتماعية بمواردها المختلفـــة دون حاجة إلى وسيط بينها، فالمادة الخام يتلقاها الحرفي مباشرة من البيئة على هيئتها الطبيعية مشوهة وغير منتظمة.

ل- ندرة حدوث دوران العمل، حيث أن تغير الحرفة لم يكن شـــيئاً شـــائعاً أو معتاداً في النظام الحرفي، ومن ثم كانت الحرفة مؤشراً قوياً لثبات الوضع الاجتماعي للحرفيين.

تعريف الصناعات الحرفية: تتعدد تعريفـــات الصـــناعات الحرفيـــة بتعـــدد الاهتمامات والمتطلبات العلمية للباحث، فمنهم من يرى أن الصـــناعات الحرفيـــة " تعكس شكلاً من أشكال التفاعل الايجابي بين مجموعة من العوامل تكمـــن داخـــل البيئة وهي: السكان، والخامات الطبيعية، والاحتياجات المجتمعية، وأدوات الإنتـــاج المحلي، ومن ثم فإن إحيائها والعمل على تنميتها من شأنه أن يســـتوعب الأعـــداد الكبيرة من قوى العمل المتعطلة الناتجة عن زيادة معدل الكثافة السكانية من ناحية وعجز إمكانيات النشاط الاقتصادي التقليدي عن الوفاء باحتياجات أعضـــائه مـــن ناحية أخرى أو ناتجة عن البطالة وفائض العمالة"(نجوي عبـــد الحميـــد: ٢٠٠٢: ١٧٣).

وهناك عدة تعريفات للصناعات الحرفية على أساس الأصول، وأخرى على أساس رأس المال، وثالثة على أساس العمال، وذلك حيث أن هناك معايير مختلفة لتعريف تلك الصناعات، وتتحدد بمفردات العمالة وحجم رأس المال والدخول السنوية، كما أن التعريفات قد تختلف لاستخدام معيار واحد أو عدة معايير متنوعة، فعلى سبيل المثال، تستخدم ألمانيا تعريفاً على أساس معيار وحيد، بحيث تعتبر أن الصناعات الصغيرة والحرفية هي التي يبلغ عدد العمال بها من ٣-٤٩ عامل. ويأتي التعريف المستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية هو الأكثر وضوحاً حيث يتغير تعريف الصناعات الحرفية طبقاً لتعريف القطاع الذي تقع فيه الصناعة (أثاث ونجارة، جلود، أحذية، أشغال معدنية... الخ) وعليه يتم تحديد الشروط التي تحدد إمكانية الاستفادة من البرامج الفيدرالية التي تخص تلك الصناعات، والتي تتضمن عدد العاملين والإيرادات السنوية، وطاقة الوحدات (ورش حرفية أو مصانع صغيرة وأصولها).

٤- وعموماً فإن وضع تعريف إجرائي للحرف يتطلب ما يلي: (محمد حامد علوب: ٢٠٠٣ : ٢٠-٢١).

أ- تحليل البناء الهيكلي للحرفة.

ب- تحديد درجة المنافسة التي تواجه المنتج الحرفي.

جـ- متوسط حجم الورشة الحرفية.

د- تكلفة إقامة الورشة الحرفية.

هـ- معوقات الدخول في الصناعات الحرفية.

و- حجم المبيعات وحجم العمالة بالورشة الحرفية.

عموماً فالصناعات الحرفية يمكن تعريفها بأنها أنشطة صناعية خاصة يمتلكها فرد أو عدد قليل من الأفراد كشركاء ومؤسسين، ويرى البعض أن الصناعات الحرفية هي تلك التي تتصف بالكثرة العددية وانتشارها مع عدم

تنظيمها، كما أنها في مركز ضعيف من حيث مستوى الخدمات التي تقدمها الدولة، ويضيف البعض على ما سبق أن هذه الصناعات هي التي تنقصها الأصول العلمية لتنظيم عملياتها الإنتاجية، كما أن عبء إدارتها وتشغيلها يقع على عاتق شخص واحد حيث يكون مسئولاً عن الإنتاج والتسويق والتمويل والنواحي الفنية، وعرفت وزارة التخطيط المصرية الصناعات الحرفية، بأنها تلك التي يتم فيها إنتاج بعض السلع أو تقديم بعض الخدمات ذات الطابع البيئي أو الحرفي، وذلك في مصانع صغيرة تعتمد أساساً على المهارات اليدوية، والفردية مع أقل استخدام للآلات، وهي غالباً ما يتم تحديد نوعها وهي صغيرة مهما كان حجمها، ومهما كان رأس مالها أو عدد العاملين بها.

٥- **التعريف الإجرائي للحرف التقليدية:** ترى الدراسة الراهنة في تعريفها الإجرائي للحرف التقليدية، إنها كل نشاط تصنيعي أو تحويلي بسيط، تقليدي، موروث أو مبتدع في القرية "مثل حرفة ورق البردى"، ويدوي يستخدم أدوات وآلات بسيطة وغير معقدة، وتستخدم خامات بيئية تغير من صورتها ووظيفتها وقيمتها، وقد يستخدم في ذلك القوى المحركة العضلية أو الميكانيكية البسيطة، والتي تدار بالقوى العضلية أو الكهربية، ويعمل بها عمالة عائلية أو مؤجرة في كافة الفئات العمرية من الطفولة حتى الشيخوخة من الجنسين، وقد تتسم أو لا تتسم بالتوارث المهني، وتمارس داخل الوحدة المعيشية، أو أمامها، أو فوقها، أو بالقرب منها، أو في أماكن خاصة مملوكة لصاحب النشاط الحرفي أو مؤجرة له، ويكون هدفها توفير منتجات للاستهلاك العائلي أو المحلي أو التصدير، وكل ذلك من أجل التكيف مع الفقر بالنسبة للفقراء، أو صناعة رأس المال بالنسبة للفئات الفلاحية الأيسر حالاً أو أصحاب النشاط، وذلك بالاعتماد على الخامات البيئية، والأرض، والمياه، والحاصلات الزراعية التقليدية، وغير التقليدية، والأشجار والثمار، وتعتمد على استثمار الطاقة البشرية الخاصة بالقرية والقرى المجاورة مع وجود تقسيم عمل أحياناً يرتبط بالعمر والنوع، وأحياناً لا يوجد تقسيم عمل واضح، حيث قد يجيد الجميع جميع مراحل الحرفة حسب نوع الحرفة ومراحلها.

٦- هذا وترى إحدى الدراسات المتميزة (محمد أبو العلا: أسامة خليل : ٢٠٠٣ : ٢٠٩ - ٢١٠) أن الحرف التقليدية تتميز بالتغلغل داخل النسيج العمراني، وتتناسب مع التركيب العمري للأفراد والجنسين، وتختلف البيئة التي تعمل من خلالها منظومة الأداء الناجح لتلك الصناعات الحرفية، في كل زمان ومكان عن الآخر، فهناك مجموعة من العناصر المركبة التي تختص بالمصدر البشري، أو الخامة المحلية، أو أي من المقومات التي تعتمد عليها تلك الحرف تختلف في تكوينها من إقليم إلى آخر، كما يمكن أن تتغير في ذات الإقليم مع تغيير الزمان والأجيال. وبالانتقال إلى بيئتنا المحلية لا سيما في القرية، نجد أن الصناعات الصغيرة بالفعل تحتل مكانه ذات أهمية قصوى في اعتماد الكثير من الأفراد عليها، لتوفير قوت يومه الضروري، ولابد من أن ترتكز على مجموعة من المقومات الأساسية لكي تحقق الغرض منها وهو الارتقاء بالمستوى المعيشي للفرد بناءاً على نجاح الأداء الذي يثبت وجوده أمام تحديات المنافسة العالمية في السوق، وبالتالي المساهمة في رفع المستوى الاقتصادي ككل. وتميزت بعض القرى ببعض الحرف والصناعات الصغيرة، وأصبح لها شهرة محلية وربما ذاع صيتها خارج البلاد، كصناعة الجلباب السياحي والتطريز بقرية "كرداسة" بالجيزة، وصناعة التريكو بقرية "سلامون القماش" بالدقهلية، وصناعة السجاد الحرير بقرية أخميم بسوهاج، ومن خلال تتبع تاريخ ونشأه تلك الصناعات الحرفية نجد أن لها جذوراً تاريخية ترتبط بالعنصر البشري، أي أن أسرة ممتدة كان لها سبق في عمل تنظيم منسق لزرع شجرة مثمرة تتمثل في نشاط إنتاجي مطلوب (حرفة معينة) ويرتبط بالنواحي المكانية واستغلال البيئة، وبهذه البداية يتوطن العمل الحرفي الإنتاجي في المكان، ويتشعب، ويبدأ ظهور التكامل الإنتاجي في صناعات أخرى مشابهة، والتنافس بين الأفراد الذي يخلق التميز والإبداع.

٧- مشكلات ومعوقات الحرف التقليدية:

تتمثل مشكلات ومعوقات الحرف التقليدية فيما يلي (محمد حامد علوب: ٢٠٠٣ :٢٠ – ٢١):

من أجل تأسيس ورشة حرفية، فعلى صاحبها اتخاذ عدة إجراءات مختلفة للحصول على الكثير من الموافقات، والتي تشمل تراخيص إنشاء وتشغيل، وتراخيص تأسيس، وتسجيل مواقع، وطلبات إعفاء ضريبي، والخضوع لحوالي ١٨ قانون على الأقل، بالإضافة إلى ذلك، فإن الترخيص والتسجيل يحكمه أيضا أكثر من مائة قرار جمهوري ووزاري وقرار رئيس وزراء بالإضافة إلى القرارات التي أصدرها المحافظون والمسئولون بالمحليات، هذا فضلاً عن أن هناك حوالي ٢٤٠ وحدة حكومية تدير هذا البناء التنظيمي، ويقدر الوقت اللازم لإنهاء هذه الإجراءات بحوالي عام كامل أو يزيد. وتعاني الأنشطة الحرفية من معوقات تنظيمية، فالأعمال لابد أن تلتزم بالإجراءات المطلوبة المتعلقة بالصحة، والسلامة، واشتراطات مكان العمل.

ويتطلب تغيير أساليب الإنتاج وتقديم منتجات جديدة الحصول على موافقات جديدة للترخيص، ويخضع لإثبات الالتزام بقوانين الصحة، والسلامة، والإشراف، ووزارة القوة العاملة، والتموين، والثقافة، والصناعة، والصحة، والشئون الاجتماعية، والهيئات الدينية. وإذا كانت الصناعات الحرفية تستطيع أن تتجنب الالتزام بالمتطلبات التنظيمية إذا ظلت صغيرة، فإن نموها في الحجم ودخولها في القطاع الرسمي يمكن أن يكون مكلفاً نسبياً، وذلك لأنه كلما كانت الوحدة أكبر حجماً، وأكثر ظهوراً، كلما أصبحت أقل قدرة على تجنب الالتزام بهذه اللوائح التنظيمية، وهذا يعني أن المعوقات التنظيمية أمام الصناعات الحرفية هي عميقة الجذور في القوانين واللوائح التي تحكم تلك الحرف. وتعتبر تكلفة الالتزام بالقوانين واللوائح عائقاً أمام دخول تلك الحرف في القطاع الرسمي بصورة كاملة، مع ملاحظة أن حوالي ٥٤% من هذه الحرف والتي تضم من ١- ١٠ عامل يمكن اعتبارها ضمن القطاع الرسمي بصورة كاملة، بينما يعتبر ١٤% من هذه الحرف نصف رسمية، و ٣٢% منها تعتبر غير رسمية.

ثانياً:الحرف التقليدية في بعض الدول النامية

انطلقت الدراسة الراهنة من قناعتها بأن الحرف التقليدية، كانت وما زالت تمثل عاملاً أساسياً في مواجهة الفقر والتكيف معه خاصة بالنسبة للعمالة، وتمثل أحد أساليب ودعائم صناعة رأس المال خاصة بالنسبة "للمنظمين" ملاك الوحدات أو المنشآت الحرفية، ويؤكد ذلك حال اليابان التي تعد الآن في مقدمة الدول الصناعية والاقتصادية في العالم، والتي أسهمت الحرف في تطورها وتقدمها ونهضتها التي يمكن أن تمثل نموذجاً تتطلع كافة الدول النامية إلى الإقتداء به، خاصة أنها بدأت نموذجها التنموي مع الكثير من دول العالم الثالث خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وكارثة هيروشيما النووية وناجازاكي. فاتجهت اليابان في محاولتها للنهضة إلى ماضيها الموروث في الحرف التقليدية فعملت على تنشيطها وتنميتها وتطويرها فكانت النتيجة نهضة وتطور ياباني غير مسبوق عالمياً، وفيما يلي تجارب بعض الدول مع الحرف:

١- **تجربة اليابان:** لقد عرف اليابانيون الحرف التقليدية الخاصة بالمعادن Metal منذ عام ٣٠٠ ق. م، (http : //www.kougei. or jp) حيث أثرت الحرف التقليدية في حياه الناس هناك وما زالت، وقد سبقت اليابان العالم في صناعة الأدوات المعدنية بآلاف السنين، وتتميز السكاكين اليابانية بشهرة عالمية، وكذلك أدوات النجارة والمقصات الخاصة بتهذيب الحدائق، وبرادات الشاي، والأدوات الأخرى المتعلقة بالمعادن كالأجراس البرونزية المستخدمة في المعابد اليابانية، والتي يقوم الحرفيون بزخرفتها من خلال حرفة الزخرفة المتميزة هناك، والتي انتقلت إلى اليابان من كوريا.

ولقد أبدع الحرفيون اليابانيون في مزج المعادن كالنحاس والذهب والبرونز الأسود الجذاب، واستخدمت الصناعات الصفيحية، وارتبطت بالمشروبات الكحولية والشاي وأوعية مذبح الكنيسة. وتعتبر حرفة منتجات "البامبو" Bamboo مرتبطة بالثقافة اليابانية، (http : //www.kougei. or jp)ويوجد من "البامبو" ٤٦ فصيلة

وحوالي ١٢٠٠ نوع في جميع أنحاء العالم، يستأثر اليابان بعدد ٦٠٠ نــوع منهـــا ويستخدم في صناعات كثيرة أهمها السلال Baskets.

ولقد دعم اليابانيون الحرف التقليدية من خلال جمعية تطـــوير الصـــناعات الحرفية اليابانية بإتباع مجموعة (htp : //www.kougei. or jp)برامج منها ما يلي:

أ- الدعم المعنوي والمادي للحرف التقليدية.

ب- حل مشكلات الحرف التقليدية.

جـ- جعل المنتجات الحرفية التقليدية مبعثاً للسعادة لدى المستهلكين.

د- دعم قوانين الحرف التقليدية في مايو ١٩٧٤، ويوليـــو ١٩٧٥، وإشـــراك الحرفيين في التشريع للحرف التقليدية.

هـ- تحديد مفهوم الحرف التقليدية بأنها تلك التي تنتج سلعاً يجـــب أن تســـتخدم بصورة رئيسية في الحياة اليومية، وأن تكون السلعة مصنعة يـــدوياً، وأن يكون تصنيعها بطرق تقليدية، وأن المواد الخام المستخدمة تكون تقليديـــة، وتتسم بطبيعة إقليمية مميزة.

٢- تجربة كوريا الجنوبية: تمثل الحرف التقليدية أعرق الفنون الكورية الجنوبيـــة، حيث تتسم بالإتقان والكفاءة، وخاصة الأعمال الخشبية، والطلاء، والطباعـــة، والزخرفة التي تتمتع بالجودة والجمال، وصـــناعة صـــناديق المجـــوهرات، وصناديق حفظ بقايا رفات الرهبان، التـــي تحفـــظ فـــي المعابـــد والأديـــرة، وكـــذلك صـــناعات الـــزي الرســـمي للكـــوريين " الهـــانبوك" "Hanbok"، (htp : //www.kougei. or jp) ويجيد الحرفيـــون الكوريـــون الأعمـــال الخشبية المعشقة بدون مادة لاصقة أو مسامير، ويجيدون أيضا حرفتي الـــنقش والتلوين، والطلاء، والزخرفة، وحرف صناعات الذهب، والفضة، والبرونـــز، والحديد.

ويستخدم الكوريـون أسـلوب التـدريب علـى الحـرف للحفـاظ عليهـا واستمراريتها عبر الأجيال، وتهتم الحكومات الكورية بالحرف التقليديـة اهتمامـاً بالغاً وتعتبرها أثراً وإرثاً قومياً يجب الحفاظ على بقائه واسـتمراره، ممـا جعـل الحرف التقليدية الكورية تؤثر وتتأثر بالحياة اليومية في كوريا. ويجيد الكوريـون حرفة الزجاج، وتتم مكافأة الحرفيين المتميزين حفاظاً على الحرفة وتخليـداً لهـا. حتى أن الدولة في كوريا أصدرت قانوناً في سبتمبر ١٩٧٤ يـنص علـى كيفيـة تطوير الحرف التقليدية وأدواتها.

وتعتمد الحرف التقليدية ـ بطبيعتها ـ على محدودية رأس المال المستخدم فيها، كما أنها تُعد أحد المجالات الهامة لاجتذاب مدخرات صغار المدخرين، لأنه من المعروف أن محدودية رأس مال هذه الصناعات تمثل عنصراً لجذب صغار المدخرين أصحاب المدخرات القليلة المتواضعة، لأنها قد تكون كافية لإقامة هذا النوع من الحرف التقليدية، وتمكنهم من المشاركة في الإشراف المباشر على استثماراتهم، ومن ثم يمكن القول أن الحرف التقليدية هي أفضل القنوات الهامة لاجتذاب المدخرات وتحويلها إلى استثمارات ينتج عنها توفير فرص عمل جديدة. وقد أشارت بيانات دراسة أجراها البنك الدولي في كوريا الجنوبية عام ١٩٧٣ إلى أن مصادر الحصول على رأس المال المستثمر في المنشآت الحرفية التي يعمل بها من ٥ – ٤٩ عامل كانت كالآتي(أحمد حلمي: ١٩٩٤: ٢٨٤):

ـ قروض من الأصدقاء والأقارب ٢٥,٥ %.

ـ قروض من مؤسسات التمويل الرسمية ٨,٨ %.

ـ قروض من شركات الإقراض ٦,٤ %.

ـ قروض من مصادر أخرى (أفراد) ٥٩,٣ %.

وهذا يؤكد أن مدخرات الأفراد تكون الشطر الأعظم من رأس المال اللازم لتأسيس وتشغيل الحرف التقليدية.

ولقد أنشأت كوريا الجنوبية بنكاً متخصصاً للحرف التقليدية، يهدف إلى دعمها، عن طريق تقديم قروض وتسهيلات ائتمانية بالعملات المحلية والأجنبية، وقبول الودائع بالمشاركة في رؤوس أموال المشروعات وعمليات النقد المحلي والأجنبي، وتقديم الخدمات الاستشارية في العمليات الإدارية والفنية (مجلس الشوري: ١٩٩٢: ١٩)، كما أنشأت هيئة تدعيم الحرف التقليدية ومهمتها تحديد وسائل الإنتاج، والتصدير، وتشجيع الإنتاج، وتقوية الأنشطة التعاونية بين الصناعات الحرفية. وتقديم خدمات المشورة الفنية والإدارية.

وقد عملت هذه السياسة على إنجاز عدد من المهام وهي(أحمد حلمي:١٩٩٤: ٨٤):

أ- تقوية وتدعيم الأنشطة التعاونية بين الصناعات الحرفية التقليدية.

ب- إنشاء المدن والمجتمعات الصناعية للحرف التقليدية بالإضافة إلى مناطق السكن للعاملين في هذه الحرف.

ج- تحديث وسائل الإنتاج.

د- تقديم الخدمات الاستشارية والفنية والإدارية.

هـ - توجيه أنشطة الصناعات الحرفية لخدمة قطاع التصدير.

و - تنمية الحرف البيئية والريفية.

ز - إنشاء مراكز الإرشاد والمدارس ومراكز التدريب المهني.

٣- تجربة سنغافورة: لقد عملت الحكومة في سنغافورة على تطبيق سياسة تنمية الحرف التقليدية، وذلك من خلال عدد من الخطوات يمكن إيجازها فيما يلي (أحمد حلمي:١٩٩٤: ٢٧٦-٢٧٧):

أ- عملت الحكومة على إنشاء "مكتب المشروع الصغير"، مع تقديم مائة مليون دولار كنقطة بداية لتشجيع وتنمية الحرف التقليدية والمعاصرة؛ ويقوم هذا المكتب بعدد من الوظائف من أهمها ما يلي:

أ- تقديم المساعدات والتسهيلات الائتمانية للحرف التقليدية.

ب- تحسين مستويات الإدارة بهذه الحرف.

ج- تنمية التحديث التكنولوجي وتشجيعه.

د- تقديم أي مساعدات مثل الخدمات الاستشارية والفنية والإدارية.

هـ- حفز وتطوير الأعمال وإقامة المشروعات المشتركة.

ب- إقامة تعاون بين "مكتب المشروع الصغير" والهيئات الأخرى التي تهدف إلى إعانة الحرف التقليدية وذلك من خلال ما يلي:

جـ- معهد سنغافورة للتوحيد القياسي، ويقوم بنقل التكنولوجيا الملائمة للحرف التقليدية.

د- المجلس الوطني للإنتاجية، ويعمل على تنمية الموارد البشرية في الحرف ورفع كفاءتها الفنية.

هـ- مجلس تنمية التجارة، ويختص بمساعدة الحرف على تنمية صادراتها إلى الأسواق الخارجية.

و- مجلس الكومبيوتر الوطني، والذي يقوم بمساعدة المنشآت الحرفية على تصميم برامج كومبيوترية لتنظيم أنشطتها وأعمالها، هذا بالإضافة إلى قيام عدد من الشركات متعددة الجنسية بوضع برامج لتقديم المعونة الفنية لمساعدة الحرفيين في سنغافورة، كما عملت الحكومة على إنشاء معاهد التدريب والبحوث لدعم الحرفيين في العمليات الإنتاجية والإدارية والتسويقية.

٤- تجربة فيتنام: تخصص الحرفيون الريفيون الفيتناميون في إنتاج الخزف، وذلك بسبب وجود الصلصال والغابات، حيث من الأول يصنع الخزف،

ومن الثانية تستخرج الأخشاب لحرق الخزف، .(htp : //www.kougei
or p) والذي من أمثلته السلطانيات، والفناجين، والأطباق، والفازات، ومصابيح الزيت المغطاة بقطع زجاجية ملونة باللون البني، والبرطمانات، وأباريق المياه، وقدور الشاي المغطاة بطبقة زجاجية وتصميمات جديدة.

٥- **التجربة الهندية:** تقدمت كثيراً الحرف التقليدية في الهند، وأسهمت إسهاما واضحاً في إتاحة أكبر عدد ممكن من فرص العمل بعد قطاع الزراعة مباشرة، ففي عام ١٩٨٥/٨٤ بلغ مقدار مساهمتها في خلق فرص العمل ٣١,٥ مليون شخص تمثل نحو ٨٠% من جملة قوة العمل في القطاع الصناعي وتمثلت أهم الركائز التي تقوم عليها تجربة الهند في مجال تنمية الصناعات الحرفية التقليدية فيما يلي (أحمد حلمي: ١٩٩٤ : ٢٧٦ - ٢٧٧):

أ- إنشاء الجهاز القومي للحرف التقليدية يقوم بتعظيم دورها في الاقتصاد القومي الهندي، ويتولى تنفيذ السياسة القومية لتعظيم هذا الدور وذلك من خلال تحقيق هدفين:

الأول: العمل على تقليل الفوارق بين الولايات والأقاليم الاقتصادية.

الثاني: خلق فرص عمالة جديدة وسريعة في التجمعات السكانية التي تعاني، وبشدة من مشكلة البطالة.

ب- وضع نظام للإعفاءات الضريبية على الأنشطة الحرفية، يتدرج عكسياً مع قيمة رأس المال المستثمر، بحيث تصبح نسبة الإعفاء الضريبي للمشروعات الحرفية التي يصل رأسمالها لأقل من $\frac{٣}{٤}$ مليون روبية هندية ما مقداره ١٠٠% ثم تبدأ نسبة الإعفاء الضريبي تقل تدريجياً مع الزيادة التدريجية في رأس مال المشروع الحرفي.

جـ- تشجيع الاستثمار الصغير، ويتم التمويل الحرفي عن طريق البنوك التجارية وبنك الهند للتنمية الصناعية، والبنوك التعاونية، والبنوك الإقليمية، وأجهزة الولايات للتمويل، والجهاز القومي للصناعات الصغيرة والحرفية. وقد عملت الهند على الأخذ بنظام ضمان القروض المقدمة للمشروعات الحرفية سواء ما تعلق منها بالتشغيل أو شراء الآلات والمعدات، حيث تلتزم الحكومة برد ٩٠% من مبالغ القرض المفقودة للبنوك التجارية وكافة الأجهزة التي تعمل على معاونة المشروعات الحرفية.

د- يقوم جهاز تنمية الصناعات الحرفية في الهند منذ منتصف الخمسينات بوضع برامج وسياسات تهدف إلى تنمية هذه الصناعات، وتوفر لها التسهيلات والدعم.

هـ- ومن أشهر الحرف التقليدية في الهند حرفة "الطلاء بالمينا" Meenakari، التي انتقلت من بلاد فارس إلى الهند منذ قرون، وهي حرفة مرتبطة بالأحجار الكريمة، وطلاء الذهب بالمينا، وتنتشر هذه الحرفة في لاهور منذ القرن السادس عشر،(htp : //www.kougei. or p) وأجاد الهنود حرفة الزخرفة في طلاء كل شيء من المجوهرات حتى الأثاث، وتعتبر حرفة "الطلاء بالمينا" حرفة قومية في الهند، فالزينة تصنع من الذهب، ثم تُسلم بعد ذلك إلى حرفي لعمل التصميم المطلوب، لينفذه النقاش، ثم تصل إلى حرفي المينا الذي يخلط ألوان مختلفة، ويستخدم الفرشاة في طلاء النقش بالمينا لزيادة جمال ورونق المنتج بفضل تلاعب الألوان وانعكاسات الضوء والظل، والألوان الشفافة، وتخصص الحرفيون الهنود كذلك في تجليد عقود الزينة الخاصة بالنساء بقشور القماش القطيفة من أجل راحة النساء ومنع الاحتكاك بالجلد، والحفاظ على المينا.

و- ولدى الهنود قناعة بأهمية الحرف التقليدية ودورها في حل مشكلة البطالة المتفاقمة الناجمة ليس بسبب الزيادة السكانية وحدها، بل وبسبب استخدام

التكنولوجيا كثيفة رأس المال أحياناً، حيث أن استعمال خلاط الأسمنت يحل محل من ٥ – ٢٠ رجلاً، وتحل الرافعة محل ٣٠ – ٤٠ رجلاً، أما البلدوزر فيلغي عمل ما بين ٧٠–٩٠ رجلاً عاملاً، بينما الحفار الآلي يتسبب في تعطل ١٦٠ عاملاً(بول هاريسون: ٢٠٠١ : ١٢). وفي محاولتهم للتكيف مع الفقر في بلدة " آجرا " في شمال الهند، حيث في الشوارع الضيقة بحي " جاجد يشبولا " يعيش ٢٠٠٠ إسكافي وعائلاتهم في هذه المنطقة التي كانت العاصمة الأولى للمغول، هي أكبر مركز لصناعة الأحذية في الهند وربما في العالم أجمع، يتكسب منها نحو ٨٠٠٠٠ شخص من بين سكانها البالغ عددهم ٦٥٠٠٠٠ نسمة، ينتجون ٧٥٠٠٠ زوج من الأحذية يومياً(بول هاريسون: ٢٠٠١ : ١٢٩)، وتعمل الأغلبية الساحقة منهم في مساكنهم المكونة من حجرة واحدة، وكما هي الحال في كثير من الصناعات التقليدية وغير الحكومية في دول العالم الثالث، يكسبون منها ما يقيم أودهم، ويتم الإنتاج بوسائل بدائية ويتعرضون بسبب الفقر لأشكال من الاستغلال الماكر.

يقول "بول هاريسون": عندما زرت "باغ ناناك تشاند" وجدته مع ولديه المراهقين وابن أخ له يتيم، يشتغلون بأيديهم صنادل حريمي ذات كعوب سوداء، ويقسمون العمل بينهم تقسيماً بسيطاً للغاية،فيقطع تشاند وابنه الأكبر الجلد للجزء العلوي من الحذاء، ويخيطانه يدوياً، وابن الأخ يثبته على القالب، ويبلل إصبعه في وعاء الغراء ليلصق الأطراف السفلي ثم يدقها بالمسامير ويلصقها بالنعل باستخدام الغراء، ويجلس الابن الأصغر القرفصاء لينهي وجه الحذاء بحديد محمي في فحم متقد أمامه ثم يعطيه اللمسات الأخيرة اللامعة(بول هاريسون: ٢٠٠١ : ١١٦)، وتشهد هذه الأحذية بأناقتها ودقة صنعها مثل كل ما تصنعه " أجرا " لما يلبس في القدم بمهارتهم وجودة حرفتهم، ثم يبيعون هذه الأحذية في دكاكينهم داخل المنازل بأسعار منخفضة، وذلك لأن "تشاند" يستعمل قوالب رخيصة ثمن الواحد منها ٩ روبيات (١,٢دولار) من خشب غير مناسب، فتتكمش هذه القوالب وتبدأ في التآكل بعد صنع عدد قليل من الأحذية، حيث ثمن القالب القياسي ٢٦ روبية، وينتج "تشاند" أثني عشر

زوجاً من الصنادل أو ثمانية أزواج من الأحذية، ويمكنه زيادة إنتاجه إذا استعمل ماكينة صغيرة لتفصيل النعل وخياطته. وليس ضعف الإنتاج كماً ونوعاً هو وحده سبب الحلقة المفرغة من الفقر الذي يمسك بخناق صانعي الأحذية، ومثلهم مثل الكثير جداً من عمال الحرف في الأكواخ بالعالم الثالث الذين يقعون في شباك السماسرة النهابين والمرابين وتجار المواد الخام. ويتحكم في أسعار الأحذية سيطرة السوق، وليس قانون العرض والطلب، وذلك لعدم قدرة الإسكافيين على المساومة كغالبية الحرفيين في العالم الثالث.

٦- تجارب بعض الدول العربية في الحرف التقليدية:

أ- تشغل سوريا عموماً ودمشق خصوصاً مكانة بارزة عالمياً في الحرف التقليدية ، وخاصة في أعمال النجارة، والفسيفساء التقليدية، وأعمال الحفر، والنحت، والتحوير، والتصميم، والتصنيع. ويحتكر الدمشقيون الفسيفساء كحرفة تتميز بالألوان والتصاميم الزهرية، والهندسية، ويرجعها البعض إلى زمن بعيد،(htp : //www.kougei. or jp) وتنتشر في فلسطين حرف خشب الزيتون والصدف، والمسابح، والتطريز، والزجاج اليدوي، والخزف التشكيلي الوراثي، والبسط والسجاد اليدوي، والفخار، والخيزران، والقشيات، والشمع، والفسيفساء، والحلي التقليدية. htp :) //www.islamonline.net) وانتشرت في سلطنة عُمان حرف صناعات السفن، والفخار، والحلوى العمانية، والمجوهرات، والفضيات، والأبواب المنقوشة، والبشوت والمناسيك، والخروج المزركشة وغيرها من أدوات تزيين الإبل، والخوصيات، والجلود، والفخار، والسعفيات. htp :) //www.islamonline.net) وفي الشارقة تنتشر حرفة الصناديق الخشبية العربية القديمة، والنسيج والتطريز، والعطور، والبخور، ونقش الحنة، وصناعة السفن (htp : //www.alwatan, com) .

ب- وتنتشر في عموم الإمارات العربية المتحدة حرف كثيرة منها ما يلي:

السفافة (حصيرة من خوص النخيل)، وصناعة شراع المراكب، والحبال الليف، والخيوط المغزولة من شعر الماعز، وحرفة صناعة السيوف، والرحى، وسلال الخوص، والفحم، والحابول (مطلاع النخيل)، وحرفة صناعة القرقور أو الدوباية (جوبية صيد السمك)، حرفة تمليح السمك، والزفانة (وهي جريد النخيل يرص بجوار بعضة مكوناً حصيرة لتجفيف الرطب فوقها)، وحرفة صناعة السرود (هي دائرة من الخوص توضع فوقها الآنية الساخنة)، وحرفة صناعة البرقع، وحرفة التُلي، وصناعة الليخ (شباك صيد السمك) والمبخرة (هرم من الجريد توضع فيه الملابس لتبخيرها بتمريرها على البخور)، وحرفة صناعة الشاشة (مركب صيد صغير من الجريد يحمل ٤ أفراد)، وصناعات حرفية كثيرة أخرى، مثل بيت الشعر، والتجديع (تفليق النخيل بعد قطعة)، وصناعة الكحل، والسدو (نول نسيج الصوف)، وحرفة صناعة الجفير أو المزماه (سلة مصنوعة من خوص النخيل يستخدمها الصيادون في حمل الأسماك) (htp : .//www.islamonline.net)

جـ- وللصناعات الحرفية في المغرب تاريخ قديم، وعندما تهددت بالاندثار فكرت الحكومة المغربية في الحفاظ عليها، فاتبعت نظام التعاونيات، وخصصت لها منحاً وتبرعات مادية وعينية لتمكينها من الاستمرارية والتواجد دون تعثر، ففي الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٧٧ خصصت الدولة في خطتها الخمسية منحاً استفاد منها عدد كبير من الحرفيين وخاصة الداخلين الجدد للنشاط (أحمد حلمي:١٩٩٤: ٢٩٠). وقد زاد الاهتمام بالصناعات الحرفية للدرجة التي جعلت الدولة تخصص شهراً في السنة لهذه الصناعات الحرفية وهو شهر ديسمبر من كل عام، حيث تقام فيه معارض منتجات هذه الصناعات، وتنقل هذه المعارض داخل أقاليم الدولة، وتقام تحت إشراف وزارة الشئون الاجتماعية ووزارة الصناعة، حيث يتم عرض هذه المنتجات من خلال التعاونيات، كما تنظم ندوات ومناقشات يديرها متخصصون، تكون موضوعاتها الأساسية الاهتمام

بدراسة مشكلات هذه الصناعات الحرفية، وكيفية إعدادها لاستقبال العمالة الزائدة وتوفير فرص العمل.

د- وتعتبر الصناعات الحرفية من أهم دعائم الاقتصاد القومي في تونس، حيث تحتل المرتبة الثانية مباشرة بعد السياحة، وذلك من حيث إسهامها في دعم وتنمية اقتصادها القومي، وتستمد الصناعات الحرفية التقليدية جذورها عبر العصور التاريخية القديمة، حيث أصبحت تمثل الآن تراثاً لأجيال تعاقبت وعملت على المحافظة على هذا التراث عبر الأجيال، وقد ساعد على ذلك نمو قطاع السياحة والذي وفر سوقاً وطلباً مستمراً على المنتجات الحرفية التونسية والتي تكاد تنفرد بها، ومن أهم الصناعات الحرفية في تونس والتي تشتهر بها، نسيج صوفي يُحاك على أنوال عمودية، حيث يتم تنفيذ هذا النسيج بحيث يحافظ على أصالة الفن التونسي المتميز والطابع التقليدي في آن واحد، وقد دخلت هذه الحرفة تونس مع الاحتلال التركي لتونس، ويتنوع النسيج والذي يطلق عليه اسم "الذرابي" في شكل السجاد، والقطيفة، أو السجاد البربري الذرابي والقيرواني نسبة إلى القيروان أقدم المدن التونسية، والتي يقام بها الآن أكبر مجمع للصناعات الصغيرة والحرفية، ويمثل النواة الأولى لأنشطة المجمعات الصناعية المتكاملة هناك.

هـ- ويلي صناعة السجاد من حيث الأهمية، صناعة الخزف والفخار، وهي صناعات لها حضارة قديمة تواكب الحضارات الفرعونية والإغريقية والفارسية (أحمد حلمي:١٩٩٤: ٢٩١)وتتميز منتجات الخزف التونسي بما عليها من رسومات يدوية وزركشة، ومن أهم منتجات الخزف، الأطباق والقناديل، والأواني المختلفة. كما تنتشر صناعات الحرف اليدوية للمنتجات الجلدية وأهمها الأحذية التقليدية، والأحزمة، والأسرجة، وغيرها من الأنواع التي تجذب السياح على اقتنائها، بسبب دقة صناعتها وجودتها العالية. وتعد المنتجات النحاسية اليدوية، أو المشغولات النحاسية من أبرز الصناعات الحرفية في تونس، ومن أهمها القناديل والشمعدانات وأطقم الشاي، والطفايات، ومقابض السيوف والخناجر، والأواني، والأباريق، والصواني المزركشة والمحفورة بمهارة يدوية

عالية. وقد واكب هذا التطور قيام الديوان القومي بفتح منافذ التسويق لتسويق منتجات الصناعات الحرفية بغالبية المدن التونسية، والمناطق السياحية والفنادق المنتشرة في أنحاء البلاد مع منح المشترين تسهيلات في شحن ما يشترونه إلى بلادهم، ومنحهم أيضا نسبة خصم على مشترياتهم ترويجاً لهذه الصناعة ودعماً للاقتصاد القومي التونسي.

و- وكانت حاضرة العُلا في المملكة العربية السعودية تمتهن الزراعة، والتجارة، والنجارة، وقطع الأحجار، والبناء، وتربية الماشية، وصناعة الجلود، والحبال والفخار والسجاد. وكانت صناعاتهم يدويه تتمحور حول النخلة، فكانوا يصنعون منها مأكلهم، ومشربهم، ومسكنهم، وأثاث منازلهم، وأوانيهم؛ (htp : //www.islamonline.net) فصنعوا منها: المكتل (وعاء يستخدم لنقل المنتوجات)، والقفة، والمجلاد (وعاء لحفظ التمر)، والخصفة (حصيرة من الخوص)، والمهفة (مروحة من السعف). والصناعات الخشبية مثل أبواب المنازل، الفأس، وأدوات المطبخ، والضبة والمفتاح، والميزاب (لتصريف مياه المطر من سطح المنزل)، والصحفة وملاعق الطعام، والشرز (السرج)، وصناعة الجلود، مثل السعن (القربة)، والحذاء، والشنة (وعاء يشبه القربة لحفظ التمر)، والصناعات الحجرية مثل الرحى (المجرشة)، والسنان (قطعة تستخدم للهرس)، والمهراس (لهرس الحبوب).

٧- تلعب الحرف التقليدية دوراً هاماً في تنمية المجتمعات العربية من خلال مساهمتها في تحقيق عده أهداف(htp : //www.islamonline.net) منها ما يلي:

رفع الدخل الحقيقي لأبناء المجتمعات الريفية والصحراوية، ولعل الصناعات الحرفية التقليدية المرتبطة بإشباع الحاجات الأساسية (الحرف الإعاشية) مثل الصناعات الغذائية، والأثاث، وبناء المساكن... الخ، مثال جيد على هذا الدور.

أ- دعم نسيج العلاقات الاجتماعية، ومنع تحلله من خلال إضفاء وظائف اقتصادية جديدة في إطار نشر وتطوير الصناعات التقليدية المناسبة في كل مجتمع محلي.

جـ- تجسيد سياسة الاعتماد على الذات على المستوى المحلي، حيث تعتمد الصناعات الحرفية التقليدية على حشد الموارد والإمكانات المحلية، من خامات محلية، وشبكات علاقات لجتماعية، وخبرات ومهارات محلية وصولاً لمصادر تمويل محلية.

د- دعم الاستقرار الاجتماعي والسياسي للمجتمع من خلال إعطاء أولوية للاهتمام بالحرف التقليدية لدى الشرائح الاجتماعية الأكثر حاجة، أو الأشد فقراً، مما يؤدي إلى خفض التباين بين الشرائح الاجتماعية المختلفة.

هـ- توفير فرص عمل للمرأة التي لا تتيح لها ظروفها المختلفة العمل في القطاع الرسمي، وتمثل الصناعات المنزلية بمختلف أطيافها نموذجاً مناسباً في هذا الإطار.

٨- ويمكن تصنيف الصناعات التقليدية وفقاً لأكثر من معيار:

الأول: التصنيف وفقاً للبناء التنظيمي:

١- صناعات منزلية للاكتفاء الذاتي للأسرة.

٢- صناعات منزلية حرفية يقوم بها صانع حرفي.

٣- صناعات منزلية يقوم بها صانع.

٤- صناعات حرفية يقوم بها صانع حرفي في ورشته.

٥- صناعات يقوم بها صانع ـ صاحب ورشة ـ يتخصص في عملية أو عمليات إنتاجية.

٦- صناعات قائمة في مصانع صغيرة.

الثاني: التصنيف وفقاً لطابع الحاجة التي تشبعها الحرف التقليدية:

١- صناعات تشبع احتياجات ضرورية.

٢- صناعات تشبع احتياجات ترفيهية كمالية.

الثالث: التصنيف وفقاً لنمط المنتجات:

١- صناعات سلعية.

٢- صناعات خدمية.

الرابع: التصنيف وفقاً للخامات والمكونات المستخدمة:

١- صناعات بيئية.

٢- صناعات قائمة على خامات طبيعية مشتراة من السوق القومية.

٣- صناعات قائمة على خامات طبيعية مشتراة من السوق العالمية.

٤- صناعات قائمة على خامات صناعية مصنعة محلياً.

٥- صناعات قائمة على خامات صناعية مستوردة من الخارج.

الخامس: التصنيف وفقاً لدرجة الاستمرارية:

١- صناعات موسمية، تعتمد على توافر خامات في أوقات معينة خلال العام، ومثال على ذلك الصناعات الغذائية ؛ عصير وتخليل الزيتون، وكبس العجوة، وتجفيف البلح.

٢- صناعات دائمة، لا تعتمد على خامات موسمية مثل صناعات الفخار، وبناء المساكن، والنجارة، والحدادة، والغزل، والنسيج.

السادس: التصنيف وفقاً للطابع العمراني:

١- صناعات صحراوية.

٢- صناعات ريفية.

٣- صناعات حضرية.

٩- السمات السائدة للصناعات الحرفية التقليدية:

أمكن تحديد أهم السمات للحـــرف التقليديـــة(http : //www.islamonline.net) فيما يلي:-

أ- أنها تنتمي للقطاع الخاص أو المجتمع المدني بشكل عام.

ب- أن إنشائها لا يحتاج لرأس مال كبير، حيث تمثل تكلفة فرصة العمـــل قيمـــة صغيرة للغاية بالمقارنة بمنشآت الصناعات الحديثة الصغيرة.

جـــ- إنها ذاتية النشأة غالباً، أي أن الغالبية العظمى ممن يعملـــون بالصـــناعات المنزلية وأصحاب الورش، والمصانع الصغيرة، هم مـــن أبنـــاء المجتمـــع المحلي بالميلاد (النسب في مصر على سبيل المثال: في أسيوط ٩٥%، وفي دمياط ٩٤%، والإسكندرية ٧٧%، والقاهرة ٦٧%).

د- إن احتياجاتها من خدمات البنية الأساسية متواضعة للغاية.

هـــ- إن احتياجاتها من المعدات والآلات ومستلزمات الإنتاج بسيطة نسبياً، حيث يغلب عليها استخدام معدات يدوية أو ميكانيكية يتم تشغيلها يدوياً.

و- إنها تعتمد بشكل أساسي على الخامات المحلية (سواء على المستوى القـــومي أو مستوى الإقليم أو المجتمع المحلي).

ز- إن الكثير منها يعتمد على استخدام المخرجات الثانوية (صناعات الخـــوص والجريد على سبيل المثال) لبعض الحاصلات، أو علـــى إعـــادة اســـتخدام RECYCLING كافة المكونات والعناصر المتوفرة محلياً (توســـيع مجـــال

استخدام بعض الأجزاء النمطية استخدام الخردة وبقايا الخامات والمخلفات في تصنيع منتجات جديدة).

ح- إنها لا تحتاج بالضرورة لتلقي تدريب على مهارات معينة في المؤسسات الرسمية، ولا للتعليم الرسمي سواء بالنسبة للعمال، أو لأصحاب الأعمال في هذا القطاع.

ط- أن عائد العمل فيها يمثل النسبة الكبرى من عوائد عناصر الإنتاج.

ى- إنها تتميز غالباً بالمرونة العالية وإمكانية التغير السريع التي تساعد على تحقيق الاستجابة السريعة لطلب جديد.

ك- إنها تتميز بالمرونة العالية في توظيف ـ والاستغناء عن ـ العمالة التي تسمح بالاستفادة من مصادر متنوعة للعمالة (الأطفال، الطلبة، سيدات المنازل، العمال) قبل وأثناء وبعد سن العمل القانونية، ومن كافة الوفورات المتاحة في الوقت (إطالة يوم العمل، وتجاوز الساعات الرسمية، عطلة نهاية الأسبوع، العطلات الرسمية، الإجازة الصيفية، وقت الفراغ، وسنوات بعد المعاش... الخ).

ل- المرونة العالية في مكان العمل (حجرة في منزل، فناء المنزل، ساحة مفتوحة، دكان، ورشة صغيرة.... الخ) والمساحة المطلوبة يمكن ألا تتعدى ٢ × ٣ متر في الكثير من الأحيان.

م- ارتباط المنشآت الحرفية بحكم نشأتها الذاتية في مجتمعات محلية معينة، واعتمادها الأساسي على السوق المحلية (فالإقليمي فالقومي) بإشباع الحاجات الضرورية لأفراد المجتمع المحلي (صناعات الملابس، الغذاء، الأثاث، ... الخ).

ثالثاً: التطور التاريخي للحرف التقليدية في مصر

١- الحرف في مصر الفرعونية:

ظهرت الحرف مع ظهور الإنسان القديم، حيث فرضت عليه الطبيعة ممارسة بعض الحرف ليشبع بها حاجاته الأساسية اللازمة لاستمرارية حياته، فمثلا عمل الإنسان القديم بحرفة القنص والصيد، حيث كان ينطلق وراء فرائسه مستخدما قوته في صيدها لغذائه،ثم اكتشف بعد ذلك النار والتي ساعدت على ظهور عدد من الحرف، أهمها طهي الطعام، والحدادة، وتشكيل المعادن(محمد حامد علوي: ٢٠٠٣ : ٣٠).

وعمل الإنسان المصري القديم بحرفة الرعي، ثم استقر على جانبي نهر النيل، وعمل بحرفة الزراعة مستغلا خصوبة التربة مما ساعد على تكوين الجماعات، وإقامة العلاقات بينها وتداخلها مما ساعد على تكوين الدولة، وكانت الحرف لازمة للوفاء باحتياجات الإنسان وإشباعها.

وترتبط كلمة "حرفة" غالبا باليد كأبرز أعضاء الجسد الإنساني التي تترجم النوازع والرغبات البشرية إلى مظاهر فنية مادية ملموسة، ومنذ نشأة الجنس البشرى والإنسان يطوع يده وقواه العضلية لصناعة أشيائه وأغراضه، وينسب إلى العصر الحجري غالباً نشأة الفن البدائي المتمثل في الفؤوس، وأدوات الصيد، والتماثيل النحتية الصغيرة، علاوة على الصور الملونة التي رسمت على حوائط الكهوف، ولما استقر المصري على أرضه وعرف الزراعة، وبدأ يتأمل في آليه الكون ومن يقف وراءها مدبراً ومسيراً، فبدأ في عملية البحث عن وسائط لذلك الإله الذي لا يعرفه. ومن هنا أمسك بالأزميل لينحت صوراً للمعبود طبقا لتخيله عبر الجدارية والتمثال، وعند هذه النقطة بدأ المصريون يدركون بفطرتهم معنى الحرفة بمفهومها الإبداعي القادر على اختراق الصورة المرئية إلى ما ورائها، وقد ارتبطت صناعة التماثيل أيضا بحياة ما بعد الموت، حيث عُثِرَ في كثير من المقابر على نماذج مصغرة لقرين المتوفي(موسوعة الحرف التقليدية:٢٠٠٤: ١٠- ١١)،

إضافة إلي نماذج أخرى لمن كانوا يتعايشون معه قبل الموت، وفي عصـــر بنـــاة الأهرام، ظهرت بشائر حرفة الخيامية، ودلت الكشوف الأثرية علـــي أن الخيمـــة استخدمت لرئيس العمال كمظلة واقية، كما استخدمت أيضا كمظلة ملكية للفرعـــون في رحلاته البرية والبحرية.

ومما يجدر ذكره أن الحضارة المصرية القديمة كانت في أوج عظمتها، ولم يكن ليؤثر عليها أو فيها نموذج هنا أو آخر هناك، فقد كانت قويـــة التـــأثير قليلـــة التأثر، تفرز ما يفد إليها وتطحنه داخل شخصيتها القويـــة، واســـتمرت قـــوة تلـــك الشخصية حتى نهاية الأسرة الحادية والعشرين، وإن كانت هناك بعض التفسخات الداخلية بعد انتهاء حكم أسرة الرعامسة حوالي ١٠٨٥ ق. م، وتعاقبت على مصر بعد ذلك موجات استعمارية متتالية عام ٥٢٥ ق. م، إلى الإغريق ٣٣٢ ق. م ثـــم الرومان ٣١ ق. م، وكلها أثرت على حركة الفنون الحرفية في مصر أحياناً كثيرة بالسلب، والقليل منها بالإيجاب، إذ بدأ السمت المصري يشوبه الاخـــتلاط بأنمـــاط أخرى وافدة، فقد ساد مصر بعد دخول الإغريق ما يسمى بالفن الهيلينى القائم على المحاكاة والتفاصيل المرئية الدقيقة، وهو ما أطاح به الفن المسيحي القائم علـــى الزخرفة والتو ريق، وله الفضل في نشأة فن الأرابيسك، وهذه هي عبقرية مصـــر في استيعاب الآخر والاستفادة من ثقافته ولفظه في الوقت الذي تحدده هي.

إلا أن ما يعنينا هو أن الطوائف الحرفية ظلت موجودة في مصر طوال كل هذا الحراك السياسي والعسكري الذي غيرت خلاله دينها ولغتها عدة مرات، ولكن بقيت هويتها الروحية صامدة، تنتظر كل وافد لتغربل ثقافته وتنتقى منها ما يناسب ميولها حتى جاء الفتح العربي لمصر، وهى تحت وطأة الحكم الروماني عـــام٥١٧ – ٦٣٩ م بقيادة"عمرو بن العاص" في عهد "الخليفة عمر بن الخطاب"، وفي هـــذا الوقت كان الأقباط يمارسون معظم الحرف مثل ا لخـــرط الخشـــبي، والخياميـــة، والتطعيم، والمصاغ الشعبي، والمنسوجات وغيرها من الحرف(موسوعة الحرف التقليدية: ٢٠٠٤: ١٣ – ١٤)، وظل الأقباط والمسلمون يعملون جنباً إلـــى جنـــب لحقب زمنية طويلة تصل إلى خمسة قرون، تعلم فيها المسلمون مـــن المســـيحيين

أصول الحرف، حتى أصبح للفن الإسلامي شخصيته المستقلة، التي لم تؤثر على انسجام الشخصية المصرية بمسلميها ومسيحييها.

ويرجع بعض الباحثين الأصول العرقية للعمالة الحرفية إلى أربعة مصادر هي(اعتماد علام: ١٩٩١ : ٧٤، ٧٩):-

أ- عناصر بشرية قدمت إلى مصر قهراً كأسرى حرب، بسبب الحروب الكثيرة التي كانت تخوضها مصر إبان العصور القديمة.

ب- عناصر بشريه عمورية المنبت جذبتها خصوبة الأراضي الزراعية الشاسعة في مصر وذلك إبان عصور الدولة الوسطي.

جـ- عناصر بشريه قدمت إلى مصر للاشتغال بالتجارة، ثم استوطنت بها بشكل دائم.

د- عناصر بشرية قدمت إلى مصر بحثاً عن العمل والالتحاق بالمعابد للعمل كخدام أو بالعمل في الزراعة كأقنان.

ومن خلال فك رموز البرديات والنصوص المصرية التي عُثِرَ عليها في شبه جزيرة سيناء، يستنتج الباحثون أن العمالة الحرفية في مصر القديمة كانت تضم بعض الرجال الذين مارسوا أنشطه مختلفة، كما ساهموا في إنشاء بعض المقاصير، وشغل عدد من الوظائف داخل التنظيم البيروقراطي للدولة المصرية، كذلك تتضمن بعض البرديات مثل بردية بركلين ٣٥، ١٤٤٦ ما يشير إلى عمالة الأطفال والنساء إلى جانب العمالة الذكرية في بعض الحرف والأشغال المنزلية.

وتؤكد البرديات والنصوص المصرية التي عُثِرَ عليها في أنحاء متفرقة من مصر، أن بدء ممارسة النشاط الحرفي كان متزامناً ومتلازماً مع بزوغ شمس الحضارة المصرية العريقة والضاربة بجذورها في أعماق التاريخ البشرى، وقد مارس المصريون القدماء قبل عصر الأسرات العديد من الأنشطة الحرفية، وقد أنتجت يد الحرفي المصري القديم نماذج فخارية، ومشغولات ذهبية وفضية، وحُلى وتماثيل، وكراسي خشبية ومعدنية، وأبدع كذلك في فنون الزخرفة والنقش، والتحنيط، وحرفة الزجاج الملون، واستخدم القشرة التي يتم لصقها على المنتجات

الخشبية،ومع الثورة الزراعية في مصر حوالي ٣٠٠٠ سنه ق.م، ظهرت حـرف مرتبطة بالزراعة كصناعات الفأس والنورج الخشـبي وبعـض الآلات الزراعيـة الأخرى وصناعات الأسلحة والأواني والملابس والبناء والنجارة.

٢- الحرف في العصر الروماني:

وعندما احتل الرومان مصر عام ٣١ ق. م. لم يكن الحرفيون أوفر حظـاً من نظرائهم في أوربا التي رزحت أحقابا طويلة تحـت سـيطرة الإمبراطوريـة الرومانية، فقد تدهورت الأنشطة الحرفية، وازدادت الأحوال المعيشية والاقتصادية للحرفيين سوءاً، ويرجع سبب ذلك التدهور إلي أطماع الرومان في جباية الأموال، وفرض الضرائب الباهظة علي كل فئات الشعب المصري، ولقد أثقلت الضـرائب كاهل الحرفيين وأصبح معظمهم غير قادرين علي الوفاء والسداد، ومن ثم لم يجدوا أمامهم من سبيل إلا الفرار فهجروا صناعتهم وحوانيتهم، ولم يتبق منهم سوى نفـر قليل. من جهة أخرى وفي أعقاب فترة الحكم اليوناني لمصر، بدأ النظام الحرفـي يستعيد حيويته، فنشطت الصناعات الحرفية، وكثرت الحوانيت الحرفية في الأسواق المختلفة، ولقد مارس الأقباط وبعض أفراد الجالية اليهودية عـدداً مـن الأنشـطة الحرفية، ويذكر بعض المؤرخين أن الأقباط كانت لهم أدواراً هامة في تقدم وتنمية الصناعات الحرفية.

وكان البطالمة يتبعون ثلاثة وسائل مع الحرف:

إما يحتكرون بعض الحرف احتكاراً كاملاً ؛ أو يبيعون لأحد الأفراد حـق احتكار مزاولة صناعة أو حرفة ما في منطقة بعينها، أو يسمحون لمن يشأ مزاولة حرفة بذاتها، ويفرضون عليهم أداء ضريبة عن مزاولة عملهم ودفـع نسـبة مـن أرباحهم، وفي الحالة الأخيرة كان لا يُحدد عدد المشتغلين في كل صناعة أو حرفة إلا عاملان: كان أحدهما مقدرة كل منطقة على استيعاب إنتاج أرباب الحرف؛ فقـد درج أرباب كل حرفة على تحديد عدد المشتغلين بهذه الحرفة. هـذا وقـد سـلك

الرومان مسلك البطالمة في شأن الحرف. وتبين من الوثائق أن الحكومة الرومانية كانت تجبى ضريبة على الورق في الفيوم والإسكندرية، وكانت حرفة النسيج واسعة الانتشار في مصر، لكن أمر تنظيمها يكتنفه غموض شديد، وفي الوجه القبلي كان المشرف على الأنوال histonarch يعطى للنساجين تراخيص بإقامة أنوالهم ومزاولة عملهم، وأن شخصاً يدعى "هيرون" قدم طلباً إلى "آسيون والمشرفين التسعة الآخرين" من أجل احتكار الصباغة والحصول على حق الإشراف لمدة عام واحد على الأنوال في قرية "أرخلايس" archelais بالفيوم (الحسين عبد الله: ٢٠٠٥ : ١٤٢،١٤٤)، لقاء أجر قدره ٣٠٠ ثلاثة مائة دراخمة فضية تدفع على أقساط شهرية متساوية، إلى جانب بعض الرسوم الإضافية. وكذلك فإن النساجين سواء في الفيوم أم مصر العليا كانوا يدفعون على أقساط شهرية ضريبة يميل أغلب المؤرخين إلى اعتبارها ترخيص لمزاولة المهنة، لكنهم لا يتفقون على الأساس الذي، كانت هذه الضريبة تُربط بمقتضاه، ولا على تفسير ما يبدو في الوثائق من تفاوت في قيمة هذه الضريبة من مديرية لأخرى.

وكانت أوراق البردي هي المادة المستعملة قديماً للكتابة، وهي تقابل الورق في العصر الحديث، والتي أخذ الأخير اسمه عنها، حيث كلمة Paper الإنجليزية مشتقة من كلمة Papyrus بمعنى البردي، وتصنع أوراق البردي من ساق نبات البردي، وهو نبات مائي كان ينمو قديماً بكثرة في مستنقعات مصر السفلى، ويبدو في اعتقاد كثير من الناس أن ورق البردي كان يصنع من قشر النبات، لكن هذا الاعتقاد خاطئ، فساق البردي المثلثة الشكل تحتوي على لُباب فليني ليفي ذو عصارة لزجة جداً، وكان الورق يصنع بتقطيع هذا اللباب إلى شرائح رقيقة، ووضع عدد من هذه الشرائح جنباً إلى جنب، ثم وضع طبقة ثانية منها فوق الطبقة الأولى، بحيث تكون متقاطعة معها، وليس هناك دليل ملموس يؤيد الرأي القائل بأن الصمغ الصناعي كان يُستخدم في لصق مكونات الورقة، بل كان اللصقُ يتم من خلال الطرق بمطرقة خشبية، وهكذا تتكون ورقة تظهر الألياف على أحد جانبيها رأسية وعلى الجانب الآخر أفقية، ثم تُطرق الورقة بمطرقة خشبية لتسوية الألياف الخشنة، وبذلك تُصبح صالحة للكتابة عليها، ولم تكن أفرخ الورق التي يسمى كل

منها Kollemata تباع منفردة، بل كانت تُلصق أطرافها بعضها ببعض بمعجون خاص فتكون من ذلك لفافة طويلة. وعلى هذه الصورة كان البردي يخرج من المصنع، ويقتطع المشتري من اللفافة القدر الذي يحتاجه لتأدية غرضه، وكان يراعي عند عمل اللفافة أن تلصق أطراف الأفراخ بعضها بالبعض الآخر بحيث تكون جميع الألياف الأفقية على جانب والألياف الرأسية على الجانب الآخر. وكان وجه الورقة Recto الذي تكون فيه الألياف أفقية هو المخصص أصلاً للكتابة، غير أنه كان من السهل أيضاً أن يكتب على ظهر الورقة Verso صحيح أنه قلما كان النص المدون على الوجه يستكمل على الظهر، غير أنه كثيراً جداً ما كان البردي "المستعمل" يستخدم بعد الاستغناء عن النص المدون على "الوجه" إما لتدوين الخطابات الخاصة والحسابات والمسودات وصور الوثائق الرسمية والقانونية والمذكرات، أو لنسخ المخطوطات الأدبية الرخيصة، وخاصة تلك المخطوطات التي كان المقصود منها أن تكون كُتباً مدرسية.

وكان هناك استثناء واحد من القاعدة التي تقضي بأن تجري ألياف جميع الأفرخ Kollemata في نفس الاتجاه، فقد كان الفرخ الخارجي المعروف باسم "بروتوكوللون" Protokollon أو الفرخ الأول يُلصق بما يليه من الأفرخ مقلوباً، فتكون الألياف الرأسية على "الوجه" والأفقية على "الظهر"؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن الطرف الخارجي في أي لفافة طويلة يتعرض دائماً للشد، فلو كانت الألياف على ظهر هذا الفرخ أفقية لانفصم بعضها عن البعض الآخر، وتفكك البردي، وتلافياً لذلك كان الفرخ الأول يوضع بحيث تكون الألياف الأفقية على "الظهر" (الحسين عبد الله: ٢٠٠٥ : ٦-٧)، وكان من المألوف في العصر البيزنطي، وربما أيضاً في العصر الروماني، أن يكتب على الوجه الأول من اللفافة Protokollon عنوان باسم ولقب الموظف (وهو صاحب الهبات المقدسة في العصر البيزنطي)، الذي كان احتكار حرفة صناعة البردي يدخل في دائرة اختصاصه، وبمضي الزمن أصبح الاسم Protokollon يطلق على هذا العنوان، ثم صار يطلق فيما بعد على النص الذي يلي العنوان، ومن هنا جاء استعمالنا لكلمة "بروتوكول" ومعناها في لغة السياسة النص الأول لمشروع اتفاقية موقع عليها

بالأحرف الأولى من أسماء المتفاوضين، وإن كان معناها في الأصل هو "الفرخ الأول" أو "أول ورقة".

٣- الحرف منذ غزو الإسكندر لمصر حتى الفتح الإسلامي لها:

- اتسمت الحرف إبان حكم الإسكندر الأكبر لمصر بما يلي:

أ- ظلت البنية الحرفية على تشوهها دون تغيير ملموس.

ب- استفادت الخبرة الحرفية كثيراً من خبرة الأتراك في معالجة الحديد، وتُعتبر تلك الفترة بداية حقيقية لانتقال الخبرة الحرفية من تصنيع البرونز إلى تصنيع منتجات أشد صلابة ومتانة باستخدام معدن الحديد.

- اتسمت الحرف في عصر الحكم الروماني لمصر بما يلي(اعتماد علام: ١٩٩١: ٨٠ - ٨١):

أ- تدهورت الأحوال المعيشية للحرفيين، كما هجر الكثير منهم الحرفة تحت وطأة الضرائب الباهظة المفروضة عليهم من قبل الحكام الرومانيين.

ب-ازدواجية دور الحرفي، فقد أصبح صانعاً وبائعاً لسلعته في الوقت ذاته في محاولة منه لتدبير معيشته، وتوفير قوت يومه.

ج-صغر حجم الأسواق الحرفية وانخفاض العرض من السلع الحرفية.

د- الفصل الكامل بين النظام بأنشطته وعمالته عن التنظيم الرسمي للحكومة، والتكاملية بين الأنشطة الحرفية والأنشطة الزراعية.

- **واتسمت الحرف في العصر القبطي بما يلي:**

أ- انتعشت الأنشطة الحرفية وازداد عدد الورش الحرفية بالأسواق.

ب-شاركت عناصر جديدة في العمالة الحرفية مثل الأقباط واليهود.

ج- اتسع حجم السوق الحرفي نسبياً وبشكل غير مسبوق.

٤- الحرف منذ الفتح الإسلامي لمصر حتى عصر سلاطين المماليك:

بدءاً من الفتح الإسلامي العربي لمصر حدث تحول كبير في النشاط الحرفي، وتعتبر تلك الفترة أزهى العصور التي شهدها النشاط الحرفي، حيث كثر عدد المشتغلين بالحرف، كما لقي معلمو الحرف وشيوخ الطوائف اهتماماً كبيراً من قبل الأجهزة الحكومية خاصةً في عهد الفاطميين، ولقد أسهمت تعاليم الدين الإسلامي في رفع المكانة الاجتماعية للحرفيين، ولقد أسهم جميع المصريين من مسلمين وأقباط ويهود في مجال الأنشطة الحرفية دون اضطهاد أو توترات جنباً إلى جنب، ومما يجدر التنويه إليه - كما تقول اعتماد علام - في هذا الصدد أن الأقباط قد أدوا أدواراً هامة في تقدم وازدهار النشاط الحرفي خاصة إبان الحكم الإسلامي في مصر، ولقد انتشرت الأسواق الحرفية في أنحاء كثيرة من المدن والمناطق الريفية في مصر، مثال ذلك حرفة نسيج القطن في كل من القاهرة، وطنطا، والمحلة الكبرى، ونسيج الصوف في الفيوم، والحرير في كل من دمياط والمحلة الكبرى، كذلك انتشرت صناعة أشرعة السفن والخيام بالقاهرة، حيث كان الحرفيون يستخدمون الكتان في صناعتها.

٥- الحرف المصرية في عصر سلاطين المماليك:

وجدت بعض الحرف اليدوية البسيطة التي اعتمد عليها الفلاح في توفير احتياجاته الأساسية، وربما قام ببيع الفائض عن الحاجة منها، كذلك وجدت في القرى بعض الصناعات الصغيرة التي تعتمد على بعض المحاصيل الزراعية، القابلة للتحويل في معامل أو مصانع صغيرة يُطلق عليها "الدواليب" (مجدي عبد الرشيد: ١٨٨:١٩٩٩-١٨٩)، وأول هذه الصناعات، الصناعات القائمة على قصب السكر، مثل السكر والحلويات والعسل الأسود، والتي كانت تنتشر على وجه الخصوص في قرى الصعيد ومدنه، بالإضافة إلى قرى منخفض الفيوم، كذلك انتشرت صناعة المنسوجات في ذلك العصر في أقاليم مصر وقراها بصورة كبيرة، ولعل أهم هذه المناطق منخفض الفيوم وبلاد الوجه القبلي، نظراً

لزراعة الكتان هناك بكميات كبيرة، وبعد الحصاد يقوم "الكتانية" بعطن الكتان وتجفيفه. ثم فصل أليافه عن السيقان بالمحار، وهو ما عرف بعملية "محر الكتان"، ثم يقومون بنسجه على أنوال صغيرة، كما وجد "البزازون" في القرى، وهم عمال صناعة المنسوجات القطنية، و"القزازون" أصحاب أنوال نسيج الحرير، تلك الصناعات التي انتشرت في معظم نواحي مصر وقراها آنذاك، بما فيها بلاد الفيوم التي اشتهرت بصناعة الخيش والستائر، أما المنسوجات والملابس الصوفية، فقد تمتعت بلاد الوجه القبلي بالصدارة في صناعتها، وأسهمت النساء في هذه الحرف بشكل واضح في منازلهن، وقد أطلقت كتب الحسبة اسم "الحائك" على كل من يقوم بعملية الغزل أو النسيج، كذلك كانت هناك حرفة منتشرة في سائر قرى مصر وهي "معامل البيض" التي كان يوقد فيها على البيض بنار تحاكي حرارة الطبيعة في حضانة الدجاجة لبيضها، ومن تلك المعامل كان يخرج معظم دجاج مصر، أيضاً كان هناك صناعة استخراج الزيت خصوصاً الزيت الحار من بذر الكتان، هذا بخلاف عملية اعتصار الخمر التي انتشرت في عدد كبير من قرى مصر خصوصاً إذا كان سكانها أو معظمهم من النصارى.

٦- الحرف في ظل الحكم العثماني لمصر:

تدهور النشاط الحرفي في ظل الحكم العثماني لمصر وذلك نظراً لعدة أسباب منها(اعتماد علام : ١٩٩١: ٩٣) :-

أ- سياسات السلب والنهب التي لجأ إليها الحكام الأتراك في مصر.

ب- عدم إلمام الأتراك باللغة العربية وصعوبة إقامة علاقات عمل واضحة مع القطاعات الإنتاجية.

جـ- قيام الأتراك بنقل الصناع المصريين المهرة إلى الآستانة.

د- فرض العزلة على مصر.

هـ- رقابة الحكومة على الكميات التي تتسلمها الورش من مواد خام لتصنيعها.

و- قيام الحكومة بتسلم المنتجات من الحرفيين بالأسعار التي تحددها الحكومة.

ز- قيام الحكومة بوضع لائحة أسعار للمنتجات الحرفية غبنت الحرفيين.

٧- الدور الاجتماعي لأصحاب الحرف:

ومع كل ذلك كان للطوائف الحرفية حضورها القوي في المجتمع المصري، لاسيما في الاحتفالات الدينية والمناسبات الاجتماعية(موسوعة الحرف: ٢٠٠٤: ٩٣)، كالختان أو الزواج، أو مولد أحد أولياء الأسر الحاكمة، أو مولد أحد أبناء السلطة، وذلك تضامناً من الشعب مع السلطة، وتعبيراً عن شعورهم تجاهه، ومن الطرائف في هذا الصدد احتفال "السيد عمر مكرم" بختان إحدى بناته، فأقام أهل القاهرة مهرجاناً شعبياً إحياءً لهذه المناسبة، سار فيها أرباب الحرف التقليدية المختلفة وهم يقودون عرباتهم، وكل منها تمثل إحدى الحرف الموجودة بالمحروسة، والعربة مزينة ومزخرفة ومجهزة، بحيث توضع عليها كل أدوات الحرفة، ونماذج من الإنتاج، وكأنها محل مصغر متنقل، وأيضاً عندما احتفل "محمد علي" بعقد قران ابنه "إسماعيل" في ١٨١٣/١٢/٣١، نبه على أصحاب الحرف والصنائع بتجهيز عربات ممثلة لحرفهم كي يسيروا في موكب العُرس، وقد بلغت جملة العربات واحداً وتسعين بخلاف أربع أخرى مخصصة للعروس، وكان الحرفيون يتزينون بالملابس الفاخرة، ويخرج أهل القاهرة منذ الصباح لأخذ مواضعهم والجلوس في الأماكن التي سيمر منها الموكب لمشاهدة هذا التلاحم الشعبي الرائع، وكان من فوائد تلك المواكب خلق روح المنافسة بين الطوائف المختلفة، إضافة إلى معرفة الناس بما في بلادهم من حرف تطمئنهم على مستقبل البلاد.

٨- الحرف في عصر محمد على:

اتسمت الحرف التقليدية في عصر محمد على بما يلي(محمد حامد علوب:٢٠٠٣: ٣١-٣٢):

أ- كان الحرفي يحرص على نقل وتعليم الحرفة إلى أبنائه، مما أدى إلى توارث الحرف جيلاً بعد جيل بنفس الطرق والأساليب والعدد والأدوات.

ب- الاعتماد على مهارة العامل الحرفي للوصول إلى الدقة المطلوبة في سلعة الورشة، مثل حرفة خان الخليلي والسجاد والكليم والأحذية.

جـ- استخدام عدد وأدوات محدودة في العملية الإنتاجية، حيث كانت نسبة الاعتماد على الجانب اليدوي في الإنتاج أعلى بكثير من نسبة الاعتماد على العدد (البسيطة) والأدوات.

د- عدم انفصال الملكية عن الإدارة، حيث أن صاحب الورشة هو صاحب رأس المال، وهو المدير والذي كان يحرص على تركز التنظيم والعمالة في الأسرة وبالتالي يحرص على نقل الحرفة إلى أبنائه.

هـ- انخفاض رأس مال الورشة، والذي كان يتمثل في الخامات ومستلزمات الإنتاج والعدد البسيطة التي يعمل بها.

و- قلة عدد الوحدات المنتجة خلال اليوم الإنتاجي، ويرجع هذا لعدة أسباب أهمها:

ز- ضعف مستوى الأدوات والمعدات المستخدمة والاعتماد بالدرجة الأولى على خبرة ومهارة العامل.

ح- مراعاة الدقة الشديدة في الإنتاج للوصول إلى وحدة منتج جيدة.

ط- حرص صاحب الورشة الشديد على نقل الحرفة وتعليمها لأبنائه أكثر من حرصه على تعليمهم أو تأهيلهم علمياً.

وهناك البعض من أصحاب الورش الذين كانوا يعلمون أبناءهم حتى وصلوا إلى المستوى التعليمي الذي يمكنهم من التعرف على مبادئ القراءة والكتابة فقط ويكتفون بذلك، وبعضهم لا يعلمون أبناءهم على الإطلاق، واستمر هذا الأمر في مصر حتى ١٩٥٢. ويصف "على باشا مبارك" (١٨٢٤ - ١٨٩٣) عدد طوائف مصر وحجم العمالة المشتغلة بها فيقول(اعتماد علام: ١٩٩١: ١٣١): وعدد طوائف المحروسة مائه وثماني وتسعون طائفة، أصحاب حرف وصنائع متنوعة، وعدد الشغالة في تلك الحرف والصنايع ثلاثة وستون ألفاً وأربعمائة وسبعة وثمانون شخصاً، والبرابرة نحو ألف وخمسمائة شخص، والخدامون نحو ألفين وخمسمائة، وباقي الطوائف عبارة عن تجار وصيارف، وكتبة، وباعة، ودلالين، ومداحين، وغسالين، ونحو ذلك، وطائفة الفعلة تبلغ نحو ثلاثة آلاف شخص، ولكل طائفة شيخ، ومخاترة، ونقباء، وأسماؤهم مقيدة في المحافظة والدائرة البلدية، وطائفة المزينين تزيد على ذلك، وقد دون أسماءهم في مجلس الصحة، وعددهم يزيد وينقص بالنسبة لكبر تعداد الطائفة وصغره، والمشايخ هم الذين يرجع إليهم في طلبات الحكومة وتوزيع الفرص وتقديرها. واستمرت أوضاع الحرف هكذا تحت مزيد من الرقابة والتدخل من غير المتخصصين ممثلين في الجهات الرسمية الحكومية، مما أثر بالسلب على حال الحرف حتى قيام ثورة ١٩٥٢.

٩- الحرف في عهد ثورة ١٩٥٢:

اتسمت الحرف في عهد الثورة بما يلي(محمد حامد علوب: ٢٠٠٣: ٣٣):

جاءت ثورة ١٩٥٢ بمبادئها التي أحدثت عدداً من التغييرات الاجتماعية، مثل مجانية التعليم وإتاحته لأبناء الدخل المحدود، الأمر الذي أدى إلى دخول فئة جديدة إلى النطاق الحرفي، وهي فئة راسبي الدراسة من جهة ومتسربيها من جهة أخرى. وبذلك فقد ظهر بالورشة:

أ- الصبي الذي يعمل بالورشة من خارج نطاق الأسرة، وبذلك نكون قد خرجنا عن نطاق تركز التنظيم والعمالة في الأسرة.

ب- بداية ظهور الحرفي المتعلم، حيث أن ذلك الصبي الذي قَدِمَ إلى الورشة هو إما راسب أو متسرب من التعليم، وبالتالي لديه القدر المحدود من التعليم، والذي يمكنه من القراءة والكتابة.

جـ- استقلال بعض العمالة الحرفية عن ورشهم التي يعملون بها كعمال، وانتقالهم إلى ورش أخرى كأصحاب أعمال، وهم غالباً الصبية الذين قدموا إلى الورشة كفاشلي أو متسربي تعليم وتدرجوا بالورشة حتى تعلموا الحرفة واستقلوا بعد ذلك بورش خاصة بهم، ويلاحظ أنه خلال الفترة من ١٩٥٢ حتى ١٩٦٠، كان هناك تحول طفيف من نشاط حرفي يدوي خالص إلى نشاط حرفي يدوي ممتزج ببعض العدد والآلات البسيطة، حيث أن هناك بعض الورش التي تطورت وطورت من نظم إنتاجها، وأدخلت بعض الآلات البسيطة جداً لديها.

١٠- الحرف التقليدية في مرحلة الانفتاح الاقتصادي:

استمر القطاع الحرفي مستقبلاً عدد غير محدود من راسبي ومتسربي التعليم، وتزايد هذا العدد حتى ما بعد تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي ١٩٧٤، والذي أحدث عدداً من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، أثرت تأثيراً كبيراً على النسق القيمي للقطاع الحرفي كان من أهمها زيادة دخول الأفراد خلال تلك الفترة زيادة كبيرة، وقد انقسم الحرفيون بالنسبة لتوجيه تلك الدخول وإنفاقها إلى نوعين(محمد حامد علوب: ٢٠٠٣: ٣٤-٣٥):

<u>النوع الأول</u>: ويضم مجموعة الحرفيين المتعلمين، الذين يتوافر لديهم القدر المحدود من التعليم، وزيادة الدخول لدى هؤلاء، تمثلت في زيادة كبيرة في التراكم الرأسمالي لديهم واتجاههم نحو استثمار مدخراتهم في شراء ماكينات

وآلات لخدمة العملية الإنتاجية بالورشة مثل شراء مخارط ومقاشط في صناعة المعادن، وشراء ماكينات الباطس والمكابس في صناعة الأحذية والجلود، وبذلك بدأ ظهور الآلات والماكينات في القطاع الحرفي.

النوع الثاني: وهم مجموعة الحرفيين المتوارثين الحرفة عن آبائهم، ولم يحظوا بأي قدر من التعليم، وأدت زيادة دخولهم إلى اتجاههم نحو زيادة استهلاكهم واقتنائهم سلع الرفاهية كالسيارة، والأجهزة المنزلية، وانتقالهم من مناطقهم السكنية الشعبية إلى مناطق أخرى أكثر رقياً، هذا كله مع الحفاظ على الحرفة وشراء بعض الآلات والماكينات للتفاخر والتباهي بميكنة العمل بالورشة من جانب، وحتى لا يتخلف من حيث الشكل عن جاره الذي أدخل بعض الماكينات والآلات بورشته من جانب آخر. وبذلك فقد أدى هذا إلى انتقال القطاع الحرفي من مرحلة النشاط الحرفي إلى مرحلة الصناعات الصغيرة، ومع استمرارية مجانية التعليم التي يقابلها في نفس الوقت زيادة سكانية مضطردة، فقد ترتب على ذلك فقدان التناسب بين كميات ونوعيات الخريجين من الجامعات والمعاهد والمدارس الفنية المتوسطة، وبين احتياجات سوق العمل الفعلية، الأمر الذي ترتب عليه حدوث بطالة خريجين ترتب عليها التدريب التحويلي منذ ١٩٨٩ حتى الآن، ويتم فيه تدريب خريجي الجامعات والمعاهد والمدارس الفنية المتوسطة على الصناعات الصغيرة أحياناً، وكمحاولة لعلاج مشكلة البطالة، فإنه تم الاتجاه منذ عام ١٩٨٩ نحو التوسع الأفقي للصناعات الصغيرة والحرف من خلال تدريب الخريجين على الحرف المختلفة وفقاً لرغباتهم.

١١-الحرف التقليدية في ظل التكيف الهيكلي في مصر حتى ٢٠٠٥:

تطورت النظرة المصرية للحرف التقليدية. حتى تسهم في مواجهة الآثار السلبية للتكيف الهيكلي على الاقتصاد والمجتمع المصري معتمدة في ذلك على ما يلي:

أ- أن انتشار الحرف التقليدية ودعمها في محافظات مصر، ونشر فكرة الأسر المنتجة وتشجيعها ودعمها، وفتح أسواق سنوية لمشروعات الشباب وغير ذلك سوف يدعم الحرف والحرفيين.

ب- الاتجاه إلى القرية المصرية لنشر الحرف فيها وخاصة تلك المرتبطة بالزراعة أو الخامات البيئية المتاحة.

جـ- التركيز الإعلامي على النماذج الناجحة لبعض الحرف لدفع أبناء الفلاحين على التقليد ثم الإبداع في مجالات حرفية عديدة.

د- إجراء دراسات على النشاط الحرفي وسماته وتراثه وكل ما يتعلق بالحرف ومعارضها وفي هذا الصدد: بدأت جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية في مصر مشروعها لإصدار "موسوعة الحرف التقليدية" (موسوعة الحرف :٢٠٠٥ : ٥-٦) حتى خرج الجزء الأول منها أوائل عام ٢٠٠٤، وكانت تدرك صعوبة التحدي الذي تواجهه بإمكاناتها المادية والمؤسسية المتواضعة، حتى لو حصلت على دعم محدود من هنا أو هناك لمواصلة نشاطها لتواصل الموسوعة التي قد تصل أجزاؤها إلى سبعة أو أكثر، وقيام بناء مؤسسي على المستوى القومي في مصر للنهوض بالحرف التقليدية والعاملين فيها، بل واستنبات أجيال جديدة للعمل في كل حرفة كي تواصل رسالة الأجيال السابقة، وتملأ فراغ أولئك الذين يرحلون في كل يوم من العاملين في شتى الحرف، وقد بادرت الجمعية فعلاً بطرح هذا المشروع القومي على مستويات عدة من مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية والدولية، تحت اسم "المجلس الأعلى للحرف التقليدية" في مصر.

رابعاً: نماذج من الحرف التقليدية في ريف مصر

إذا كانت حرفة الزراعة هي الخاصية الأولى والمميزة للريف عموماً والريف المصري خصوصاً، فإنها لم تكن قديماً ولا حديثاً هي الحرفة الوحيدة، حيث شهد الريف المصري منذ نشأته حتى الآن العديد من الحرف الأخرى غير حرفة الزراعة ولكن معظمها مرتبط بالزراعة أو الخامات البيئية المتوفرة بالريف، كالحرف المرتبطة بالفخار، والمرتبطة بالأشجار كالنجارة، والمرتبطة بالنخيل كالأقفاص والحبال وغيرها، والمرتبطة بالقطن كالحلج والغزل والنسيج وعصر بذرته... إلخ، ومعامل التفريخ للكتاكيت وغيرها، والمرتبطة بالقصب كالسكر والحلوى والعسل، والمرتبطة بالحشائش كالسمار وصناعة الحصر، ونبات الحناء كصناعات السلال من نبات الحناء بالإضافة إلى الحناء ذاتها، والحرف المرتبطة بالكتان، بالإضافة إلى الحرف الخدمية بالقرية كالحلاق، والنجار، ودلال المساحة، وغيرهم كثيرون بكثرة الحرف وتعددها، لذا فالدراسة الراهنة سوف تعرض لحرف ثلاث فقط في الريف، وهي ذات الحرف موضوع الدراسة الميدانية التي سيرد الحديث عنها لاحقاً وذلك من أجل التركيز وتوثيق أوضاع الحرف الثلاث عبر تاريخ مصر كمقدمة للواقع الاجتماعي المعاصر للحرف الثلاث في قرى الدراسة الميدانية، والحرف الثلاث هي البردي، وحلج القطن، ومنتجات ومخلفات النخيل.

١- حرفة صناعة ورق البردي:

نهضت حرفة صناعة ورق البردي في ريف دلتا النيل منذ الفراعنة، حيث كان نبات البردي ينمو في مستنقعات الدلتا، فاتجه المصري القديم لتصنيع نبات البردي إلى ورق للكتابة عليه، وعليه دون حضارته وتاريخه، حيث كانت أوراق البردي هي المادة المستعملة قديماً للكتابة، وهي التي تقابل الورق في العصر الحديث – كما سبق توضيح ذلك – وارتبط بحرفة تصنيع البردي مهنة الوراق، وهو صانع الورق، وربما أطلقت أيضاً على بائعه، ولقد أشارت بعض المصادر العربية إلى أن الورق أنواع، منه الكاغد، والجلود الرقاق، وحرفة الوراق قصد بها

ورق البردي، الذي كان له السيادة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة في إنجاز العديد من معاملات الدولة الرسمية في الدواوين، وكذلك إنجاز بعض مصالح الناس في مجال كتابة العقود بشتى أنواعها: بيع - شراء - زواج - إيجار - عمل - وغيرها. وفي واقع الأمر، إن مصر عريقة في صناعة الأوراق وبخاصة أوراق البردي منذ العهد الفرعوني، وفي العهد الإسلامي ازداد الإقبال على زراعة نبات البردي من أجل تصنيعه ورقاً، لاستيعاب احتياجات الدولة، ولإنجاز معاملاتها ومكاتباتها، وكان يتم تصديره كأحد الصادرات المتميزة التي اشتهرت مصر بها منذ القدم.

ولقد أشار المؤرخ "المقريزي" إلى وجود سوق "الوراقين" في القاهرة حيث كانت تباع فيها مختلف أنواع الأوراق، مما كان ينتج بعضه وراقات الفسطاط، وكان يباع حسب نوعه، وجودته، فيعود ذلك على خزانة الدولة بكثير من المال(سعيد مغاوري:٢٠٠٠ :٨٥٤: ٨٥٥).

وأشار أيضاً "عبد اللطيف البغدادي" (عالم طبيعة عراقي عاش في مصر بين أعوام ٥٨٩م و٦٠٤هـ) إلى أهمية الورق في مصر، وذكر: أن الناس كانوا يبحثون بين المقابر عن الأكفان القديمة من القنب، وكانوا يبيعونها إلى مصانع الورق، وعن اشتهار مصر بهذه الحرفة ذكر المؤرخ السيوطي أن: قراطيس سمرقند لأهل الشرق، وقراطيس مصر لأهل المغرب، ولقد أشار المؤرخ "ابن النديم" إلى أنواع مختلفة من الورق، اشتهرت بها بعض بلدان العالم الإسلامي، فذكر منها "الورق السليماني" نسبة إلى سليمان بن رشد، ناظر بيت المال في خراسان زمن الخليفة العباسي "هارون الرشيد" ١٧٠ - ١٩٣هـ الموافق ٧٨٤ - ٨٠٧ م، والورق "الطلحي"، نسبة إلى طلحه بن طاهر، والورق "النوحي" نسبة إلى الأمير نوح الأول من "بني سامان"، والورق "الجعفري" نسبة إلى جعفر بن يحيي البرمكي، وغيرها من الأنواع. وفي تعدد وتنوع هذه الأوراق دلالة واضحة على شيوع وازدهار حرفة الوراقة في مصر والعالم العربي والإسلامي.

ولما كان العرب قد تمكنوا من السيطرة على جزيرة صقلية، التي تقع في البحر المتوسط، في القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي، واستمر حكمهم لها قرابة ٢٦٣ عام، إلى أن تمكن النورمان من غزوها عام ١٠٩١، اشتهرت صقلية بزراعة نبات البردي ثم صناعة أوراق البردي بفضل العرب (سعيد مغاوري:٢٠٠٠: ٥٧٦) . وفي هذا الشأن يشير "ابن البيطار" إلى أن البردي كان بالديار المصرية، وفي عدة أماكن بصقلية، وخاصة في بركة أمام قصر السلطان، حيث كان ينمو قرب "باليرمو"، وذكر "ابن حوقل": أنه كان يوجد في صقلية مصنعاً للبردي ربما كان خاصاً لبلاط الأمير عام ٩٧٢م. وكان انتشار نبات البردي الذي ينمو في مساحات كبيرة من ريف الوجه البحري، يمثل المعين الذي لا ينضب لتغذية ورش ومصانع أوراق البردي إلى أن بدأ ذلك المعين ينضب ويتوارى نبات البردي فتوارت حرفة صناعة الورق من نبات البردي لدرجة أن "محمد على" قد أنشأ مصنعاً (معملاً) لصناعة الورق في بولاق عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م، وكان يستخدم مخلفات الملبوسات والقش في صناعة الورق، وكانت آلات المعمل تدار بالثيران، ثم استورد آلة بخارية عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م، وكان يعمل على تدبير المواد الخام اللازمة لإنتاج المصنع لمدة سنة كاملة على الأقل، حتى لا يتعطل العمل فيه(صلاح هريدي: ٢٠٠٣: ٢٧٦). وكانت معامل الورق لا تنتج إلا نوعاً واحداً من الورق الجيد المتين اللامع مثل الذي يستخدمه الأتراك، وكان كعادته يتابع إنتاج الورق في معمل الورق، حتى أنه كان يرسل إلى المسئول عن هذه الصناعة ملاحظاته عن رداءة الصناعة وغير ذلك، وهكذا توارت زراعة البردي وصناعة الورق من نباته إلى أن أحياها من جديد في ريف الشرقية الفلاحون كما سيتم توضيحه لاحقاً.

ويؤكد فكرة إحياء الحرف التراثية مثل إعادة إحياء حرفة زراعة وتصنيع البردي في قرية "القراموص" محافظة الشرقية – يؤكدها – ما جاء على لسان المعماري المصري العالمي الشهير "د. حسن فتحي" (جسن فتحي:٢٠٠٠: ٦٥،٦٦ ، ٧٣، ١٠٣، ١٠٤) حينما قال: إن حرف التراث يمكن إعادة إحيائها سريعاً والأمر يحتاج إلى إعادة رد اعتبارها أكثر مما يحتاج لإعادة تعليمها، ويجب على

الفنان أن يعثر على الحرف المخبوءة التي تموت، ويأت بها للنور ويحييها، ويعيد للحرفي مرة ثانية ثقته التي فقدها، ويشجع على نشر الحرفة بزيادة ما يعهد به من مهام جديدة منها، حيث ما من شعب في أي مكان يكون محروماً كل الحرمان من القدرة على الإبداع الفني، ومهما كانت الظروف قامعة، فإن هذه القدرة الإبداعية سوف تجد دائماً طريقها للظهور من خلال شيء ما. ويضيف قائلاً: ولما كنت أعرف أن حجرات الدراسة تكون عرضة لأن تنعزل من الواقع، بما تفعم به من حشو الطباشير وأوراق الامتحانات، وأنه مهما بلغ من حسن نوايا المدرسين، فإن الأطفال يتململون ويتطلعون من النوافذ للخارج، فقد قررت ألا تدرس هذه الحرف في المدرسة، وأفضل من ذلك كثيراً أن تتم الاستفادة بنظام صبي الحرفة، فيعمل الدارسون في دكان معلم الحرفة، وسوف ينغمسون من أول يوم يعملون فيه تحت يده في جو الصنعة، وسيتعلمون كل خدع الحرفة وحيلها، وسوف يرون فائدة معرفتهم هذه ملموسة فيما سينالونه من نقود، ذلك أنهم سيمكنهم بيع إنتاجهم من أول الأمر. ولن تكون هناك أي من تلك الحيرة التي تنتاب معظم التلاميذ عندما يحاولون إدراك العلاقة بين التجريدات التي تلق لهم في حجرة الدراسة وحقائق الحياة الواقعية خارجها، فهم سيكبرون في عملهم متفهمين لكل ما فيه من صعوبة، وإذ يتقنون العمل فإنهم يكتسبون لا المديح من المدرس وإنما النقود من العميل، وصبيان الحرفة عندي لا يمكن أبداً أن يكونوا على مثال أولئك التلاميذ الذين يخرجون من المدرسة بشهادة في أيديهم، ويتحينون في سذاجة أي منفذ ليقفزوا عند أول فرصة إلى وظيفة ما مكتبية.

ويبدو من خلال الدراسة الميدانية لحرفة صناعة ورق البردي – التي سوف نعرض لها في الفصول القادمة – أن إحيائها كان ومازال من خلال التدريب الميداني. لجميع سكان القرية ذكوراً وإناثاً في الورشة أو المصنع الذي أنشأه أول من أدخل الحرفة إلى القرية في سبعينيات القرن العشرين، وكل من اكتسب فنون الحرفة يقوم بتعليمها ونقلها إلى أولاده وبناته وزوجته، وهكذا حتى أصبح جميع سكان القرية يعرفون ويجيدون جميع المراحل التي تمر بها حرفة صناعة ورق

البردي إلى أن أصبح لدى سكان القرية جميعاً خبرات متعددة في صناعة ورق البردي والمراحل السابقة على ذلك وكذلك المراحل اللاحقة.

٢- حرفة حلج القطن وعصر بذرته:

حرفة حلج القطن جاء وصفها في "موسوعة وصف مصر"(علماء الحملة الفرنسية:٢٠٠٢ : ٨٩٩) بأنها حرفة يتم من خلالها فصل البذور عن القطن الشعر، وذلك بواسطة آلة بالغة البساطة، وتتكون هذه من اسطوانتين من الخشب المتين، يبلغ طولها ٤ ديسمتر وسمكها من ١٢-١٥ ملليمتر، وتدخل هاتان الاسطوانتان، وهما متوازيتان فيما بينهما، وبينهما مسافة فاصلة تبلغ ٢-٣ ملليمترات، تدخلان بين رافعتين رأسيتين يبلغ ارتفاعهما ٢,٥ ديسمتر "٢٥ سم"، وهاتان الرافعتان مثبتتان بزاوية قائمة في لوح يبلغ سمكه حوالي ديسمتر واحد "١٠ سم"، وتحمل كل واحدة من هاتين الاسطوانتين الصغيرتين في أحد طرفيها بين الجهة المقابلة مقبضاً صغيراً، وتدور الاسطوانتان في اتجاهين مغايرين مثل سلندرات آلة صقل الورق، وعندئذ تتراجع بذور القطن إلى الخلف، ويذهب القطن الوبر إلى الأمام، وإذا ما رأيت هذه الآلة وهي تعمل فلابد أن تتعرف فيها على الفور على أول نمط للاسطوانات التي كان يمرر بينها القطن في آلات الغزل.

ولقد كان حلج القطن في عهد "محمد على" يتم لدى صغار الزراع بقوس المنجد، ولدى كبارهم بآلة بدائية تدار بالأرجل، وقد كان ما يحلجه العامل قبل عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م، لا يزيد عن ستة أرطال يومياً من القطن(صلاح هريدي:٢٠٠٣ : ٢٥٨)، وبعد هذا التاريخ اضطر إلى إدخال بعض التجديدات على آلات الحليج، واستيراد آلات حديثة من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كانت عملية كبس القطن تتم بالأرجل، ولكن "محمد علي" استورد مكابس لكبس القطن من بريطانيا العظمى، ونتج عن ذلك وفر كبير في نفقات الإنتاج ومصاريف النقل، وقد أنشأ "محمد علي" في بولاق ستة مكابس، ويدير كلاً منها ثلاثة عمال يعبئون في اليوم الواحد من ١٨-٢٠ باله. وكان "محمد علي" يستعلم عن مقدار ما أُنتج من

بذرة القطن التي يمكن استخراجها عن طريق الآلات التي تدار بالخيول، بالإضافة إلى ذلك كان يصدر أوامره بضرورة الاهتمام بعملية كبس القطن، ومعدل إنتاجه اليومي، أما إذا نقص عن هذا المعدل، فسوف يعاقب المتسبب في ذلك.

وكانت مصر قد عرفت نظام التاجر الممول، الذي ساد في أوروبا لفترة طويلة من الزمن، حيث كان التجار يشترون القطن ويوزعونه على الغزالات في القرى والمدن، حيث يجمعون الغزل ويسلمونه للنساجين لحساب التجار، وقد ظل هذا النظام منتشراً في ريف مصر طوال العهد العثماني، يقوم المنجدون، وهم يقيمون بأعداد كبيرة في القاهرة في الشارع المسمى "سكة القطن" وميدان القطن(صلاح هريدي:٢٠٠٣ : ١١٢) بإعداد القطن والصوف قبل غزله، ويتم هذا العمل بواسطة قوس، يقوم العامل بضرب وتره بمدق صغير، وتنفصل مادة القطن تماماً عن طريق الترددات المتتالية للوتر، وهذه الطريقة معروفة جداً لدى الجميع، ويسمى حلاجو القطن "الندافين" أي المنظفين، وبينما تقوم النساء بغزل الكتان والقطن، فإن الرجال وحدهم هم الذين يغزلون الصوف. وكانت الفلاحات تقمن بحلج القطن بأيديهن، ثم تطور الأسلوب إلى استخدام آلة صغيرة تسمى "دولاب" وأخرى أكبر وأسرع تسمى في قرية الدراسة الميدانية باسم "العفريتة" وسوف يتم توضيح ذلك فيما بعد.

٣- حرفة منتجات ومخالفات النخيل:

كانت ومازالت شجرة النخيل هي الشجرة التي تنتشر بشكل عام في كافة أنحاء مصر، وتغطي هذه الأشجار حقولاً بأكملها في الأقاليم المختلفة، ابتداءً من أسوان حتى البحر المتوسط، وقد تحولت ضواحي مدينة ممفيس القديمة اليوم إلى غابة من النخيل، كما في الجزء الشرقي من إقليم بلبيس"(علماء الحملة الفرنسية:٢٠٠٢ : ٩٨- ٩٩) حيث تقع قرية الصالحية الكبيرة (بما فيها قرية القرين) لا يحصد سوى البلح، ويكاد يكون هذا المحصول هو الوحيد للسان الأرض الذي يفصل البحر المتوسط عن بحيرة البرلس، وأخيراً فإن كل قرى مصر محاطة

بأشجار النخيل التي تغطي مرتفعات الأنقاض التي بنيت هذه القرى فوقها، وحيث تحتفظ هذه الأشجار بأوراقها طيلة العام فإن كل قرية، وبخاصة قرى الدلتا، تبدو عن بعد كما لو كانت أيكة واسعة.

وتنمو نخلة البلح عن طريق البذار أو عن طريق شتل الفسائل، وللحصول عليها بالوسيلة الأولى، يوضع نوى البلح عادة في حفر صغيرة يبلغ عمقها ١٥ – ٢٦ سم، تنفذ في منتصف أحواض الري الخاصة بالنباتات الأخرى وهكذا تستفيد بذور النخيل من الري الذي يعطى لهذه النباتات، وعندما تبدأ النخلة الوليدة في الظهور من الأرض بعد مضى ٤٠ – ٥٠ يوماً، فإنها تواصل نموها في حمى الظل والرطوبة التي تهيئها هذه النباتات لها، وبعد خمس سنوات من وضع نوى البلح في الأرض، تقطع الجرائد السفلى التي تغطي ساق الفسيلة الصغيرة، وهكذا يبدأ جذعها يتحدد، ويظل يزيد نمواً وارتفاعاً، إما عن طريق سقوط الجريد القديم بشكل تلقائي، وإما عن طريق القطع السنوي "التقضيب" أو "التقليم" الذي يتم عند انقلاب الشتاء، وفي نهاية عشر سنوات تعطي شجرة النخيل أولى ثمارها، عندما تنمو النخلة عن طريق شتل "الفسائل" تبدأ في إعطاء ثمارها في ظرف ست إلى ثمان سنوات، وتكون طريقة زراعتها فضلاً عن ذلك هي نفس الطريقة المتبعة في حالة استنباتها عن طريق البذور، وهذه الطريقة تتطلب بالمثل رياً متكرراً وبخاصة أثناء السنوات الأولى. ومن المعروف أن هناك أشجاراً مذكرة وأخرى مؤنثة، لذلك يمارس إخصاب "تلقيح" الأنثى على الدوام تقريباً بوضع باقة من زهور الذكر وسط مجموعة زهور الأنثى، وهذه العملية هي الطريقة الوحيدة الصناعية التي يعرف المصريون استخدامها لزيادة محاصيل زراعتهم من النخيل، والاصطلاح العلمي لهذه العملية هو" تأبير النخيل".

وأصناف البلح في مصر كثيرة العدد لحد كبير، وبلح مصر العليا عادة أصغر حجماً من بلح مصر السفلى، وهو كذلك أكثر تبكيراً، ولبابه أكثر جفافاً، ويستهلك جزء من بلح الصعيد في مناطق إنتاجه، ويرسل الجزء الآخر إلى أسواق المدن وبخاصة القاهرة مركز الاستهلاك البالغ الأهمية في كل أنحاء مصر. ولا

يخضع محصول النخيل لأية ضريبة"(علماء الحملة الفرنسية:٢٠٠٢ : ١٠٠-١٠١) . وأشجار النخيل التي نراها حول القرى هي ممتلكات خاصة، أما تلك التي يغرسها الفلاح في أراض ليس له فيها سوى حق الانتفاع، فهي تعود إليه بالمثل وله كل الحق في أن يتصرف فيها حسب إرادته. ومدة بقاء شجرة النخيل تبلغ ثمانين عاماً بل قد تبلغ قرناً بأكمله. ويؤكل البلح طازجاً بعد جنيه بوقت قليل، أو يؤكل جافاً، أو يؤكل بعد بداية تخمر سكري يحدثونه عن طريق تجهيزات خاصة، ويخضع لهذه التجهيزات على وجه الخصوص البلح المسمى "برلسي" ويزرع منه في بلطيم ثلاثة أنواع مختلفة.

ويجنى البلح الأحمر الذي يشكل النوع الأول قبل أن ينضج بقليل، وينتهي به الأمر أن ينضج وهو معرض للشمس فوق الحصير، ويضغط بعد ذلك بين الأصابع، ثم يترك مدة أخرى في الشمس لمدة ثلاثة أيام، وأخيراً يكبس في قفف من سعف النخيل، ويباع هذا العجين (العجوة). أما النوعان: الثاني، ويسمى ركودة، والثالث، ويسمى العامري، فهما بلح أصفر، يجنى قبل نضجه تماماً، ويضغط عند جنيه ويكبس في قفف بعد أن يترك معرضاً في الشمس لمدة ١٥ يوماً بالنسبة للنوع الثاني، ولمدة خمسة وعشرين يوماً للنوع الثالث، ومن بين كل الأشجار التي تنمو في مصر، فإن النخلة هي الشجرة التي يحصل المصريون منها على أكبر النفع في عمليات البناء وفي الاقتصاد المنزلي، فجذوع هذه الأشجار تستخدم كعوارض وكمرات لسقفيات مختلف البيوت، ويصنع من مختلف أجزاء سعفها الأقفاص والسلال والقفف، وباختصار معظم الأثاثات والآنية التي يستخدمها سكان الريف، وأخيراً يستخدم هذا النوع من الضفائر من الألياف الغامقة التي تغطي بداية أغصان السعف في صنع الحبال (الليف).

وتعددت الحرف المرتبطة بمخلفات النخيل، حيث قامت على ألياف النخيل حرفة الحبال التي كان يحتاجها الفلاح، ويبيع منها في القاهرة لشدة الاحتياج إليها(مجدي عبد الرشيد:١٩٩٩: ١٩٠). ولقد وردت هذه الحرفة ضمن نصوص إحدى برديات دار الكتب المصرية بالقاهرة، وأنها مصنوعة من ألياف النخيل ولقد

اشتهرت بها العديد من قرى مصر. وقد أشاد الرحالة "الإدريسي" بهذه الحبال، وخاصة حبال سمسطا بالصعيد بمحافظة بني سويف بقوله: "وتنسب إليها الحزم السمسطية، وهي حزم من الحبال لا يفضل عليها شيء من جنسها" (سعيد مغاوري: ٢٠٠٠: ٣٤٢).

وإلى الحبال يرجع اسم حي "الحبالة"، أحد أكثر أحياء القاهرة فقراً، وتحتاج هذه الصناعة إلى مساحات شاسعة، وتوجد في جنوبي الرميلة، حيث يوجد حي شعبي من أفقر أحياء المدينة هو حي "الحبالة" الذي يخلد ذكرى هذا النشاط. ووجدت هذه الصناعة في كثير من البلاد، وكانت في دمياط طائفة الحبالين، وهي تزود المراكب بدمياط بالحبال، وقامت صناعتها على خامات محلية من ألياف النخيل (صلاح هريدي:٢٠٠٣ :١٣٠). وقد استدعت أهمية تلك الألياف من الأجهزة الإدارية أن تحظر التعامل فيها إلا من خلال ملتزم واحد يحتكر شراءها وبيعها، وقد عرّفه "استيف" بأنه "أنما المشاق" وعليه إمداد الأساطيل العثمانية الحربية والتجارية باحتياجاتها من الأحبال، وكان عليه أن يسجل إيراداته من الألياف ومبيعاته إلى طوائف الحبالين وغيره في دفتر يسمى "دفتر شاهد الليف". وقد بلغت قيمة متحصلات ملتزم الليف في عام واحد على سبيل المثال ستة آلاف قنطار، بلغ ثمنها ٨٣٣٩٥ من الأنصاف الفضية عام ١٠٢٨هـ / ١٦١٨م.

وإذا كانت الحبال تصنع من ليف النخيل، فإن حرفة أخرى نشأت على جريد النخيل، وهي "حرفة القفاصين"، وكان "القفاصون" ينتجون الأقفاص التي تصنع من الجريد، وتستخدم في أغراض عديدة، وخاصة الأفران، حيث يتم جمع الخبز فيها، كما تستخدم في نقل السلع الغذائية إلى الأسواق للبيع، وتصنع من جريد النخيل، ويمسك صانعها بمثقب يحدث به كل الثقوب اللازمة في الجريد لكي يجمع بعد ذلك الأجزاء التي تكون القفص. وصناعة القفص تشبه حرفة الكراسي المصنوعة من الخيزران التي نستخدمها في فرنسا(صلاح هريدي:٢٠٠٣ :١٣١) – على حد تعبير علماء الحملة الفرنسية في كتاب وصف مصر – وإذا كانت الأقفاص تصنع من الجريد، فإن خوص الجريد قامت عليه "حرفة الخواصين"، وقد صنع أصحاب

هذه الحرفة القفف من سعف النخيل الأخضر واليابس على السواء، وهي تستخدم في أغراض عديدة ترتبط بالحياة اليومية للطبقات الشعبية، فضلاً عن ذلك فقد كان الخواصون يصنعون من الخوص أغطية الأزيار الصلبة بالجريد التي يستخدمها السقاؤون في تغطية الأزيار في الأسبلة، وكذلك كانت تستخدم في المنازل في أغراض عديدة، وكانت هناك أيضاً حرفة صناعة "القفف" ويتكون نسيجها من سعف النخيل، وهذه الشجرة "النخل" مصدر بالغ الأهمية في مصر(علماء الحملة الفرنسية:٢٠٠٢: ٢٤٢)، فهي تعطي بوفرة بالغة ثماراً حلوة المذاق، يتخذ منها السكان طعامهم الرئيسي، كما تستخدم جذوعها في عمليات البناء، وتصنع من جريدها الأقفاص، التي يوضع فوقها الفراش أو توضع عليها الأرائك، أما السعف أو الخوص، فيستخدم في صنع جدائل تخاط بعد ذلك لتصنع منها القفف أو السلال، وهي تخاط بمهارة وسرعة بواسطة حبال رفيعة صنعت كذلك من ليف النخيل، تستخدم القفف بكثرة في الريف وتستعمل في تعليب أنواع البضائع والحبوب كما تستعمل في نقل الأرز. هذا ومن المعلوم أن هناك العديد من الحرف المرتبطة بالنخيل سوف ترد تفصيلاً في عرض نتائج الدراسة الميدانية في الصفحات القادمة.

خاتمة:

عرضنا فى هذا الفصل لأهمية وخصائص الحرف ، بالتركيز على الأهمية الاجتماعية،من خلال عمل الإناث والأبناء، واستثمار التمويل العائلي والأسري فى النشاط الحرفي،ودور الحرف فى دعم الاقتصاد القومي، مع مناقشة مشكلات ومعوقات الحرف،هذا بالإضافة إلي الاستشهاد ببعض الحرف والحرفيين فى الدول النامية ، ثم البلاد العربية وأخيرا مصر عبر تاريخها منذ الفراعنة حتي الانفتاح مرورا بالفترة الرومانية والبطلمية، والفتح الإسلامى، وسلاطين المماليك، والعصر العثماني، وعصر ثورة ١٩٥٢، ثم الانفتاح مع الإشارة إلي بعض الأدوار الاجتماعية التى لعبها الحرفيون، بعد ذلك تناول الباحث الحرفيون فى البردي وحلج القطن ثم فى منتجات ومخلفات النخيل وكل ذلك باعتبار الحرف التقليدية تعتبر آلية من آليات التكيف مع الفقر التى يتبعها الفلاحون الفقراء.



التوجه النظري والمنهجي للبحث

أولاً: التوجه النظري للبحث.

١- نظرية التبعية.
٢- نظرية النظم العالمية.
٣- نظرية رأس المال البشري.
٤- نظرية الصياغة البنائية.

ثانياً: الإجراءات المنهجية للبحث.

١- أهداف البحث.
٢- تساؤلات البحث.
٣- المفهومات الأساسية فى البحث.
٤- نوع البحث.
٥- المجال الجغرافي للبحث.
٦- المجال البشري للبحث.
٧- الأساليب المنهجية المستخدمة فى البحث.
٨- أدوات جمع البيانات.
٩- اختيار العينة في البحث.
١٠- وحدة التحليل الأساسية فى البحث.
١١-التحليل الكمي للبيانات.
١٢- المجال الزمني للبحث.

أولاً: التوجه النظري للبحث

تشغل قضية التوجه النظري اهتمام الباحثين في علم الاجتماع عند قيامهم بإجراء بحوثهم، فبعضهم ينطلق في توجهه النظري من نظرية عامة، كتلك التي نجدها في أعمال المنظرين أمثال "تالكوت بارسونز" أو "يورجن هابرماس" أو "ميشيل فوكو" أو "أنتوني جيدنز" أو غيرهم، وبعضهم يكون تركيزه متزايداً على المضامين الإمبيريقية. ومشكلة النظرية الاجتماعية العامة،هي أنها غالباً ما تكون ذات قدرة تفسيرية شديدة الاتساع(ديرك لايدر : ٢٠٠٠: ٦٤)، فينصب اهتمامها إما على مجتمعات بأكملها والعمليات المتضمنة في تطورها، أو على الجوانب العامة للواقع الاجتماعي، كالعلاقة بين الفعل والبناء، أو مستويات التحليل الكبرى (الماكرو) ، وسوف يكون من الخطأ القول بأن الباحث المنصرف كليه إلى النظرية العامة لا يقوم بأبحاث بمعنى الكلمة، وإن كان مصطلح البحث يرتبط غالباً بفكرة جمع الشواهد والبيانات الإمبيريقية. وقد طرح "أنتوني جيدنز" عام ١٩٨٤ بعض الطرق التي يمكن من خلالها استخدام نظريته العامة عن "الصياغة البنائية" لتوضيح الجوانب المختلفة للبحث الإمبيريقي.

تتعدد وتتباين المنطلقات النظرية التي يمكن للباحثين من خلالها دراسة الظواهر الاجتماعية والوقائع الاجتماعية في مجتمعاتهم، ولكل مبرراته في الاختيار دونما الانتقاص من رأي الآخر أو التقليل من شأن منطلقه وتوجهه النظري، لكنها قناعات باحثين انطلاقاً من رؤاهم وتوجهاتهم والمدارس الفكرية التي ينتمون إليها، وليس في هذا غضاضة، ومن هنا ولكل ذلك، يعتقد الباحث، بل لديه قناعة بأن التوجه النظري الأقدر على تحليل وتفسير الواقع الاجتماعي لظاهرة عمل الفلاحين فى الحرف التقليدية في الريف المصري بهدف التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال، هو الانطلاق من نظرية التبعية، وتطويراتها والنظريات المنطلقة منها كالإمبريالية، والمركز والمحيط ،والإفقار، والتبادل اللامتكافئ، والنظم العالمية، والخصخصة والتكيف الهيكلي، ورأس المال البشري، وأخيراً نظرية الصياغة البنائية. فجميع تلك النظريات واشتقاقاتها، يمكنها تحليل وتفسير الواقع الاجتماعي

للظاهرة موضوع الدراسة في الريف المصري بعامـــة وفـــي المجـــال الجغرافـــي للدراسة بوجه خاص.

١- نظرية التبعية: أما عن نظرية التبعيـــة، فتـــرى أن الـــبلاد المتطـــورة والمتخلفة في حالة تبادل تجاري لا متكافئ، وتناول الاقتصادي البرازيلـــي "ســـيلو فورتادو" هذه الظاهرة، ووصف أوضاع التخلف فـــي المحـــيط مســـتخدماً نظريـــة الاقتصاديات الثنائية(توماس.س.باترسون: ٢٠٠٥: ٢٠٠). ويشير "فورتادو" إلـــى أنه عند إدخال البنى والممارسات الرأسمالية، مثل الإنتاج للتصدير إلى بلد يســـودها إلى حد بعيد اقتصاد الكفاف، فإن عدداً صغيراً من العمال، هو الذي يـــتم اســـتيعابه في المشروع الرأسمالي، في حين لا يطرأ تغيير جوهري على البنـــى الاقتصـــادية البالية، ولإحداث هذا التأثير الجوهري، كان يجب استخدام أعداد من النـــاس أكثـــر في القطاع الرأسمالي، فضلاً عن توفر الدخل الـــذي ينفـــق علـــى الاســـتهلاك أو الاستثمار، بيد أن الدخل الذي يوفره القطاع الرأسمالي في بلد تابع هو جزئياً فقـــط مرتبط بهذا البلد، إذ أن الحصة الأكبر من هذا الدخل كانت تصدر وتستثمر لتعزيز القطاع الرأسمالي الديناميكي في الدولة الميتروبوليتانية.

ويعتقد "أندرية جوندر فرانك" ومعه منظرو التبعية، أن تخلف بلدان العـــالم الثالث هو نتيجة للتبادل غير المتكافئ مع بلـــدان الغـــرب الرأســـمالية المتطـــورة، ورفضوا الفكرة القائلة: أن التجارة العالمية كانت مفيدة بشكل متساو لكل أطرافهـــا، لأن العالم الثالث ينتج المواد الخام التي تناسب متطلبات الإنتاج والاســـتهلاك فـــي البلدان الرأسمالية، وفاق الفائض الذي خلقته بلدان العالم الثالث وحولته إلى الغـــرب إلى حد بعيد قيمة البضائع الجاهزة، التي كانوا مجبرين على استيرادها، فضلاً عن أن الرأسمال تدفق إلى الغرب من العالم الثالث، بسبب انخفاض أجور العمـــال فـــي الأخير، الأمر الذي سمح بانتزاع معدلات عالية من فائض القيمة، الذي كان الغرب يستنزفه. ولقد رفض علماء الاجتماع المعنيون بالبنى الطبقيـــة الريفيـــة، وأشـــكال انتزاع الفائض في القطاع الزراعي للهند الحديثة مزاعم "فرانك" حـــول أن الدولـــة التابعة أصبحت رأسمالية منذ ارتبطت بالنظام الرأسمالي العالمي عبر الإمبرياليـــة

والتبادل غير المتكافئ (توماس.س.باترسون: ٢٠٠٥: ٢١٢) ، وزعموا بدلاً من ذلك أن الدول المستَعمَرة سابقاً مثل الهند، تتميز بتطور محدود ومشوه للرأسمالية، لم يفض إلى ثورة في نمط الإنتاج، وفي رأيهم أن العمل المأجور، وبيع حصة كبيرة من الإنتاج في السوق، لم تكن في حد ذاتها دلالات كافية على وجود الرأسمالية، فالأمر الذي لا غنى عنه هو التراكم وإعادة استثمار فائض القيمة على نطاق يتسع دوماً، وعلى نحو من شأنه رفع الإنتاجية في الأرض والعمل.

ويرفض "سمير أمين" المزاعم القائلة أن البلدان الرأسمالية في المركز انتزعت فائضاً من الإطراف، أو أن النظام العالمي الحديث يشكله فقط نمط الإنتاج الرأسمالي، وبدلاً من ذلك يقول أن عملية التراكم الرأسمالي قد جرت على النطاق الكوكبي في عالم منقسم إلى كثرة من المجتمعات الوطنية، التي اجتمع فيها نمط الإنتاج الرأسمالي بمختلف أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالي، وفي رأيه فإن عملية التراكم لم تفض إلى التماثل في أرجاء الكوكب، ولكن على الأرجح قادت إلى توطيد أركان النوعين المتميزين من المجتمعات الوطنية أي المركز والأطراف، ويشير "أمين" في هذا الصدد إلى أن عملية التراكم في الأطراف فمنبسط غير متمركز على الذات ـــ بمعنى أنه يتوقف على علاقات المركز ـــ الطرف، وتكبحه علاقات الإنتاج الرأسمالي، وتقوم المجتمعات في الأطراف على الجمع بين أنماط الإنتاج الرأسمالي وما قبل الرأسمالي.

وركز "سمير أمين" اهتمامه على الكيفية التي اجتمعت بها أنماط مختلفة للإنتاج في مجتمعات الأطراف، إذ أن كل نمط إنتاج منقسم طبقياً كان يتألف من اثنين من الطبقات المرتبطة ببعضها البعض والمتعارضة مع بعضها البعض في آن واحد(توماس.س.باترسون: ٢٠٠٥: ٢١٥-٢١٧)، أي لوردات الإقطاع والفلاحين، الرأسمالي والعامل المأجور، ولمجتمعات الأطراف التي تجمع أنماطا مختلفة للإنتاج بنى طبقية معقدة، وقد يتضمن هذا على سبيل المثال في مجتمع يضم كلاً من نمط دفع الجزية والنمط الرأسمالي، رأسماليين أجانب ووطنيين، ولوردات أرض إقطاعيين وفلاحين، ومنتجين صغار للسلع وتجار وشعوب قبلية،

وتحدد الطبقة التي تتحكم في سلطة الدولة وفي البيروقراطية النمط المهيمن للإنتاج، إذ أن الدولة تلعب دوراً في إنتاج وتراكم وتوزيع الفائض في مجتمعات الأطراف، ونتيجة لهذا الوضع يتسم الصراع الطبقي في مجتمعات الأطراف بالتعقيد؛ لأنه يجري داخل الأطر الوطنية على حدة، وفي سياق النظام العالمي على حد سواء.

وكان "كارل ماركس" قد رأى العلاقة التاريخية بين مراكز التنمية الرأسمالية والمناطق المتخلفة من العالم من منطلق مفهوم التراكم البدائي، حيث كان أحد دوافع ظهور وسيطرة الأسلوب الرأسمالي للإنتاج، باستيلاء القوى الأوربية على الثروة في أفريقيا وآسيا والأمريكتين. اعتقد "ماركس" أن سيطرة أسلوب الإنتاج الرأسمالي سيمتد عبر الاقتصاد العالمي محطماً الجدران بالأسعار الرخيصة للبضائع، وسيقوم الاستعمار بتدمير أسلوب الإنتاج ما قبل الرأسمالي وستتطور كل دولة على نحو ما فعلت انجلترا. ولقد وضع لينين مفهوم الإمبريالية ضمن التحليل الماركسي للتطور الرأسمالي، وأشار إلى أن استغلال مناطق المحيط كان بعداً مهماً للتطور الرأسمالي أكثر من كونه مرحلة عابرة، وقد رأى أن الرأسمالية الاحتكارية بحاجة إلى تصدير رأس المال والاستيلاء على المواد الخام والأسواق في المحيط، وتنبأ بحروب إمبريالية تنتج تقسيماً وإعادة تقسيم المحيط من أجل الرأسمالية المتقدمة، وتوقع "لينين" تراجع المراكز الأصلية للتطور الرأسمالي في أوربا وأن تنتقل مصادر القوة الصناعية إلى المحيط.

وأدى استمرار التخلف في المحيط إلى إعادة تفحص نظرية الإمبريالية والرأسمالية الاحتكارية من قبل "باران" الذي قدم نظريته القائلة: إن تغلغل رأسمالية المركز في المحيط، يضع في الواقع عراقيل أمام التنمية، وبعد ذلك وضع "فرانك" فكرة "تنمية التخلف"، مفصحاً بذلك عن أن فقر المحيط هو عملية حديثة مستمرة وليست حالة أولى، إن مجموع ما كُتبَ عن آلية العلاقة بين المركز والمحيط، التي أعاقت الأخير، ازداد بشكل كبير في السنوات الأخيرة، وتتعامل نظرية التبعية مع

ثلاثة مواضيع رئيسية(ج.تيموتز روبيرتس،أيمي هايت:٢٠٠٤: ٥٥-٥٨)الاستغلال، والتشويه البينوي، وقمع السياسات الاستقلالية.

أ- استغلال المركز للمحـيط: تهتم التنمية الرأسـمالية علـى المسـتوى العـالمي بالمنافسة بين مختلف العوامل (رؤوس أموال ودول) من أجل حصص الفـائض الاقتصادي، لقد تم إيجاد مصادر جديدة، ولكن كمية الفائض الفعلـي الموجـود تكون محدودة دائماً، ويقول " فرانك ": إن اختراق المحيط بواسطة الاسـتثمار الأجنبي، يصرف الفائض من المحيط إلى المركز عن طريق إعـادة الأربـاح الفوائد إلى الوطن، هذا التأثير الاجترافي يراكم رأس المال في المركز، ويؤدي إلى تخلف المحيط.

ويؤكد "سمير أمين" أن هذا النقيض للرأسمالية، ينجم عن العمـل المسـتمر للتراكم البدائي، الذي تدعم بواسطته القـوى السياسـية والعسـكرية الخصـائص الاقتصادية لعلاقات المركز ــ المحيط. ويضيف "إيمانويل فالشتاين" إلـى ذلـك أن الاستغلال مخفي في الأسعار التي يتم بموجبهـا تبـادل البضـائع بـين المحـيط والمركز، وينشأ هذا التبادل غير المتكافئ من اختلاف تركيبه الأجور بين المركـز والمحيط، حيث في المحيط على العامل أن يعمل ساعتين مثلاً، لينتج البضاعة التي يتم تبادلها مع بضاعة ينتجها عامل المركز في ساعة واحدة وبمسـتوى الإنتاجيـة نفسه، وهكذا تكون أسعار التبادل بين المركز والمحيط تتضمن تحويلاً للقيمة إلـى المركز، إن التبادل غير المتكافئ والتنمية غير المتساوية، سيحدثان في أي نظـام يكون فيه توزيع القوى غير متساو، وهذا يحدث بسبب استخدام العمال الأكثر قـوة لقوتهم لتحديد نتائج لصالحهم، ويبدو أن هذا الطرح قابل للتطبيق علـى أي وضـع تكون فيه رفاهية ذوي القوة الأقل غير محمية بمؤسسـات اجتماعيـة أو سياسـية، وبالتأكيد فإن الاقتصاد العالمي هو هذا النظام، إذا كان الاستثمار الأجنبي والـديون تعتبر بنى سيطرة بين الأقوى والأضعف في نظام تنافسي، فذلك قد يؤدي إلى تنمية

غير متساوية، وهكذا افترض حدوث استغلال المركز للمحيط بواسطة اجتراف رأس المال، والتبادل غير المتكافئ، والإخضاع لسيطرة خارجية في نظام تنافسي، ويعتقد أن هذه الآلية تعيق نمو المحيط.

ب- **التشويه البنيوي لاقتصاد المحيط:** يقول بعض أصحاب نظريات التبعية، إن البنية الاقتصادية التي تنبثق في المحيط نتيجة للتقسيم العالمي للعمل، يجري تشويهها بطريقة تضع العراقيل أمام التنمية، إن الاقتصاد الموجه للخارج، والمتخصص في إنتاج المواد الخام للتصدير، لا يطور بنية داخلية مميزة، ويلاحظ " فرانك" أن البنية التحتية التي أوجدت من قبل الاستعمار والاستثمار الخارجي موجهة باتجاه موانئ التصدير، والسكك الحديدية، والطرق، وخطوط التلغراف... الخ، تعمل كلها من أجل نقل المواد الخام إلى خارج البلاد، وإعادة بضائع مصنعة، وهذا يعيق وحدة الاقتصاد الوطني بربط مختلف مناطق وقطاعات بلدان المحيط بالعالم الخارجي بدلاً من ربطها بعضها ببعض، إن التأثير المضاعف الذي يجعل الطلب في قطاع أو منطقة يخلق طلباً في منطقة أو قطاع آخر، هذا التأثير ضعيف، لأن الروابط الموجهة خارجياً تحول الطلب إلى الاقتصاد العالمي، يقول "بريبيش" إن أي اقتصاد وطني يبقى غير متمايز سيعاني من تقلبات السوق الداخلي، وان ذلك يصح خاصة بالنسبة إلى هؤلاء المتخصصين في إنتاج المواد الخام لأن شروط التجارة لهذه البضائع تنحدر تبعاً للبضائع المصنعة، والمعدات الرأسمالية المنتجة في المركز، وأيضاً وبسبب وجود تقلبات أكثر في أسعار المواد الخام في السوق العالمي، فإن عدم الاستقرار يجعل التخطيط الاقتصادي (خاصاً أو عاماً) أكثر صعوبة. بالإضافة إلى ذلك يقول "جرفن واينوس": إن الاعتماد على الديون الخارجية يقلل من النزعة الهامشية المحلية للتوفير، وبالتالي يؤثر سلباً في النمو الاقتصادي بتخفيض تشكيل رأس المال المحلي.

جـ- قمع السياسات الاستقلالية في المحيط: إن التبعية تعيق التنمية بقمعها للسياسات الاستقلالية في الحكومة والأعمال التي تنظم التنمية المتوازنة، ويؤكد "بول باران" أن التبعية تشوه نمو البرجوازية الوطنية، حيث يتعاضد التجار القائمون بتصدير المواد الخام واستيراد البضائع المصنعة مع طبقة أصحاب الأراضي (الذين لهم مصالح مشابهة) لمنع نشوء تصنيع محلي أو برجوازية صناعية، وهم يقومون بذلك بالمنع السياسي لإصدار تعريفة قد تحمي الصناعات الصغيرة ضد منافسة المنتجين المتطورين في دول المركز. إن الروابط القومية بين نخبة المحيط ونخبة المركز تشكل " رأس جسر " من المصالح والعلاقات، حيث التوجه الخارجي لهذه النخبة المترابطة، وحقيقة أن قوتها ومصالحها مرتكزة على علاقاتها مع دول المركز تعني أنهما يقمعان السياسات والقادة الساعين إلى تحريك التنمية المتوازنة إلى الحدود القومية. إن علاقات المجموعات الحاكمة في المحيط التابع مع دول المركز، والشركات متعددة الجنسيات، تخلق بنية سياسية تبقى الأجور منخفضة، وتركز التطور في القطاع العالمي، وتؤدي العلاقات بين المركز ونخبة المحيط إلى زيادة عدم تساو الدخل وذلك بزيادة دخل النخبة، وإبقاء أجور العمال منخفضة، ويتم دعم قوة النخبة في الدول المحيطية التابعة بواسطة حلفائها في المركز، وبذلك يصبحون قادرين على قمع المطالبة بزيادة الأجور وتوزيع الدخل في المحيط، وهكذا تخلق التبعية حالة سياسية تعيق التنمية بربط نخبة المحيط بمصالح المركز، وهذا يمنع ظهور قوى الاستقلال الساعية إلى تحريك التنمية المتوازنة، وتبقى حالة عدم التساوي المفرط في المحيط.

٢- نظرية النظم العالمية: تنهض نظرية النظم العالمية على أربع مسلمات أساسية هي(ج.تيمونز روبيرتس ، أيمي هايت: ٢٠٠٤: ٣١-٣٢) :

أ- هناك مجموعة واحدة من العمليات الأساسية في النظام العالمي، يخضع لها كل الاقتصاديات، ويجب أن يتضمن أي تاريخ لموقع ما فهماً إجمالياً لتاريخ الكل، لذلك فإن الدولة الوطنية على الرغم من أنها متغير مهم في التنمية، ليست هي

المستوى الوحيد للتحليل في فهم عمليات التنمية، بل هناك عوضاً عن ذلك عمليات واسعة على نطاق العالم تعد محددات أساسية للتنمية والتغيير والتطور.

ب- تفصيلاً لعمل منظري التبعية، يتألف النظام العالمي من ثلاث مناطق (المركز، وشبه المحيط، والمحيط)، ويضم شبه المحيط دولاً مثل البرازيل وجنوب أفريقيا، تحمل ملامح من كل من البلاد الفقيرة والبلاد الغنية، وتعمل كوسيط في عمليات استغلال المركز للمحيط، ومن المهم التنويه بأن نظرية النظم العالمية، خلافاً للإشكال الأولية لنظرية التبعية تسمح لإمكان الحراك في تراتبية هذا النظام العالمي الواحد على رغم أن معظم الدول غير قادرة على الصعود إلى أعلى.

جـ- تشبه العمليات التي تستلخص بها الثروة من المحيط، تلك التي وصفها منظرو التبعية: التبادل اللامتكافئ، القمع الواضح أو الخفي، السيطرة على الأسواق.... الخ.

د- تفترض نظرية النظم العالمية، أنه بالإضافة إلى حلقات ودوائر التبعية، فإن للرأسمالية بعض التوجهات العلمانية الأساسية، وتتضمن تلك الاتجاهات توسيع مجالات المشاركة العالمية في التبادل الرأسمالي، والتعميق المستمر لربط كل شئ بثمن السلع، وجعل الجميع عمالاً مأجورين "تحويلهم إلى بروليتاريا" واستقطاب الطبقات الاجتماعية.

إن حجر الزاوية في الفهم الماركسي للمجتمع هو الأساس الاقتصادي وما يترتب عليه من علاقات إنتاج، فلا حياة للإنسان ولا للمجتمع دون العمل الاجتماعي المنتج، الذي يقتضي تنظيماً له ولما يترتب عليه من عائد (سمير نعيم أحمد : ١٩٩٧ : ١٦٥-١٦٦)، كذلك لا يمكننا فهم المجتمع فهماً مطلقاً بمعزل عن الظروف الكلية له، وبمعزل عن حركته التاريخية التي يقتضيها تطور قوى الإنتاج فيه، إن المجتمع وحدة كليه اجتماعية اقتصادية مترابطة في حركة مستمرة وتحول دائم، يحتل فيه نشاط الإنسان في علاقته بالإنسان المقام

الأول. ويقصد "ماركس" و "إنجلز" بالعلاقات الاقتصادية، الأسلوب الذي يستطيع بواسطته أبناء مجتمع معين إنتاج وسائل الحفاظ على حياتهم وتوزيعها فيما بينهم (أوسيبوف : ١٩٧٠: ١٩-٢٠) (بقدر ما يكون هناك من تقسيم للعمل) وهكذا يندرج هنا أسلوب الإنتاج، وأسلوب نقل الإنتاج، والتبادل وطريقته أو طرائقه، بالإضافة إلى توزيع المنتجات والعائد، ويحدث التفاعل الاجتماعي البشري داخل أشكال اجتماعية (أو أشكال من العلاقات) تكونت تاريخياً من خلال التفاعل الاقتصادي، الذي هو التفاعل بين الأفراد، والأفراد والمجموعات الاجتماعية، أو بين الأفراد والنظم الاجتماعية... الخ، وتسمى العلاقات التي تنشأ عن نظام معين من التفاعل الاجتماعي بالعلاقات الاجتماعية. فالعلاقات الاجتماعية إذن علاقات تنمو بين أناس يعيشون في ظل أشكال اجتماعية تكونت في ظل ظروف نوعية، في مكان وزمان محددين، وهي تتضمن العلاقات الطبقية، والقومية، والعلاقات بين المجموعات، والعلاقات الاجتماعية، والنفسية، والفردية، ويطلق على مجموع هذه العلاقات القائمة في نطاق بناء اقتصادي معين اصطلاح البناء الاجتماعي أو المجتمع.

إن العلاقات الإنسانية، تبنى على أهداف وقيم وأنماط ومعايير، ويتأثر طابعها وجوهرها بالأشكال الاجتماعية التي يمارس الناس من خلالها نشاطاتهم في مجالات الصناعة والزراعة والحياة الحضرية والريفية والأسرية والمدرسية... الخ، ويترتب بالضرورة على تغير الأشكال الاجتماعية للتفاعل بين الناس تغيراً في الأهداف والقيم والأنماط والمعايير، ويحدد ذلك في نهاية الأمر اتجاهات الناس الاجتماعية نحو بعضهم البعض(أوسيبوف : ١٩٧٠: ٣٠)، وتحدد التغيرات في العلاقات الاقتصادية ما يحدث للأشكال الاجتماعية من تغيرات، إن الإنسان عبارة عن مجموع علاقات اجتماعية، وهو نتاج أشكال اجتماعية معينة، وهو يتغير بفعل تأثير التغير الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية، إلا أن العلاقات الاجتماعية، والأشكال الاجتماعية للتفاعل الاجتماعي، تتغير بدورها بفعل النشاط البشري في المجتمع.

وقد تأثرت مجتمعات الدول النامية والمجتمع المصري بعامة، والمجتمع الريفي بخاصة في مصر والعالم، بالتبعية وما تبعها من آثار وآليات كان أخيرها وليس أخرها الخصخصة والعولمة، وتأثيراتها العنيفة على الريف المصري، مما دفع الأخير إلى الدخول الإجباري والقهري — في محاولة يائسة للخروج من المأزق — في برنامج "في ظاهره الرحمة وفي باطنه العذاب" يقال له "التكيف الهيكلي" Structural Adjustment وهو - كما جاء في موسوعة علم الاجتماع (جوردن مارشال: ٢٠٠٠: ٤٧١) — مجموعة مترابطة من السياسات المرتبطة بالقروض التي قدمها إلى بعض دول العالم الثالث صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والتكيف الهيكلي له ثلاثة أسس هي: التثبيت: ويعني السيطرة على التضخم عن طريق تقليل الإنفاق بالعجز، أي عجز الموازنة. والتحرير: ويعني خفض التدخل الحكومي في أسواق الإنتاج والتجارة، بحيث تقترب الأسعار المحلية من الأسعار العالمية، وأخيراً خصخصة هيئات ومؤسسات القطاع العام من أجل رفع مستوى الكفاءة الفنية للإنتاج، وتؤدي سياسات التكيف الهيكلي إلى آثار سلبية على عملية التوزيع في المدى القصير، بسبب ما تؤدي إليه من ارتفاع الأسعار وزيادة البطالة، أما آثارها في المدى البعيد فتتباين من دوله لأخرى.

وكان للتكيف الهيكلي تأثيراته الواسعة في الريف المصري وإفقار الفلاحين وانتشار البطالة بينهم وتدني الخدمات والافتقار إليها بعد أن رفعت الدولة يدها عن الدعم والخدمات الأساسية، لذا كان على الفلاحين أن يواجهوا مصيرهم بذاتهم وهنا ظهرت محاولاتهم للتكيف مع الفقر من خلال عمل أبنائهم في العديد من الأعمال ومن أهمها الحرف التقليدية ، ولجأ بعض الفلاحين إلى الحرف التقليدية أيضاً لتكون لهم بمثابة المصدر الأساسي لصناعة رأس المال، ويرى "أنتوني جيدنز" أن مجتمعا يتحرك بعيداً عن النزعة الإنتاجية، لا يعني بالضرورة أنه يتحرك بعيداً عن خلق الثروة(أنطوني جيدنز: ٢٠٠٠: ٢١٩)، وهذا صحيح بالنسبة إلى كل من القطاع غير الرسمي ونظام ما بعد الندرة. ويميز بين النزعة الإنتاجية، والإنتاجية. إن عمليات خفض الوقت المستغرق في أداء عمل مأجور، وتحول أنماط الأسرة، تكون عمليات تحريرية إذا ما ابتعدت عن النزعة الإنتاجية

في اتجاه الإنتاجية، ذلك أن النزعة الإنتاجية اليوم تعوق الإنتاجية، لذا فإن التمييـــز بين الاثنين يساعدنا على أن نتبين لماذا لا يعبر اقتصاد ما بعد النـــدرة بالضـــرورة اقتصاد اللانمو.

٣- نظرية رأس المال البشري: Human Capital Theory

على الرغم من أنه من المعروف أن "تيودور شـــولتز"Thedore Schultz يعتبر مؤسس نظرية رأس المال البشري، إلا أن أول من استخدم هذا التعبير هـــو "جاكوب ماينسر" Jacob Mincer عام ١٩٥٨، كما أن عملية إدماج البشـــر فـــي العملية الإنتاجية كرأسمال، له جذوره في الفكر الاقتصادي، فقد أدمج "آدم ســـميث" كل قدرات السكان المكتسبة في رأس المال، أي اعتبرها جزءاً من رأس المال(مني مصطفي البرادعي: ٢٠٠١: ٩-١١)، وكذلك نظر "فون تونان" Von Thunen إلى البشر كرأسمال، كما أن "ايرفنج فيشر" Irving Fisher قد وضـــع الأســـاس النظري لمفهوم شامل لرأس المال والدخل.

أ- **مفهوم رأس المال البشري**: يتلخص رأس المال البشري – كما يصفه شـــولتز – في المهارات والمعارف المفيدة، التي يكتسبها الأفراد، والتي لم يكـــن مـــن المعروف قبل ذلك أنها شكل من أشكال رأس المال، وهذا الشـــكل مـــن رأس المال هو في جزء هام منه ناتج عن استثمار مخطط، والسمة المميـــزة لـــرأس المال البشري، هو أنه جزء من البشر، فهو بشري لأنه جزء لا ينفصـــل مـــن البشر، وهو رأس مال لأنه مصدر لأنواع مـــن الإشـــباع أو المكاســـب فـــي المستقبل أو كلاهما، وهو ليس متجانس مثله في ذلك مثل رأس المال المـــادي، فكلاهما يتميز بأنه على قدر كبير من عدم التجانس، ويـــرى شـــولتز أن رأس المال البشري قد نما في المجتمعات الغربية بمعدل أسرع بكثير من رأس المال التقليدي (غير البشري)، وأن هذا النمو كان أحد أهم السمات التي ميزت النظام الاقتصادي في تلك الدول.

وبمقارنة الزيادات في الناتج القومي، بالزيادات في كل من الأرض، وساعات العمل، ورأس المال المادي القابل لإعادة الإنتاج، أتضح أن هناك فروقاً كبيرة بينهما، وكان الاستثمار في رأس المال البشري تقريباً هو التفسير السياسي للفروق بين هذه الزيادات، ويضيف شولتز أن فكرته الأساسية عن رأس المال البشري، هي التي قادته إلى فكرة الاستثمار في رأس المال البشري، بمعنى الاستثمار في تعليمهم، وفي صحتهم، وفي عملهم، وفي مهاراتهم التنظيمية، Enterpreneurial Experience ويترتب على ذلك أن كثيراً مما يطلق عليه الاستهلاك، يعتبر في الواقع استثماراً في رأس المال البشري، مثل الإنفاق المباشر على التعليم، والصحة، والهجرة الداخلية للإفادة من فرص عمل أفضل، كذلك المكاسب الضائعة على الطلاب البالغين بسبب الدراسة، أو على العمال الذين يكتسبون تدريباً أثناء العمل، كذلك استخدام وقت الفراغ لتحسين المهارات والمعارف، بكل هذه الطرق وغيرها تتحسن نوعية المجهود البشري، وترتفع إنتاجيته، ويشير "شولتز" إلى أن هذا الاستثمار في رأس المال البشري، يشكل معظم الزيادات الكبيرة في ارتفاع الدخل الحقيقي للعامل.

ب- فروض نظرية رأس المال البشري:

الفرض الأول: رشادة الأفراد، فالأفراد يعملون على تنمية قدراتهم كمنتجين وكمستهلكين عن طريق الاستثمار في أنفسهم، وعلى ذلك فالتكوين الرأسمالي سوف يتم عن طريق الأفراد ولمصلحتهم الخاصة.

الفرض الثاني: أن مكاسب الأفراد، تعتمد على إنتاجيتهم التي تعتمد بدورها على مستواهم التعليمي وخبرتهم.

الفرض الثالث :أن الموارد البشرية لها أبعاد كمية وكيفية، وأن زيادة النفقات التي تنمي هذه القدرات الكيفية هي التي تؤدي إلى زيادة إنتاجية المجهود البشري، التي سوف يترتب عليها معدلاً موجباً للعائد.

الفرض الرابع: يمكن تقدير الاستثمار البشري بنفس طريقة تقدير الاستثمار المادي، أي بواسطة النفقات التي تؤدي إلى إنتاج مثل هذا الاستثمار.

الفرض الخامس: أهم الأنشطة التي تحسن القدرات البشرية هي الصحة، والتدريب أثناء العمل، والتعليم، والهجرة لتحسين فرص العمل، ويعتبر التعليم أهم وأكثر هذه الأنشطة صلة بتحسين القدرات البشرية.

والواقع أن هذه النظرية قد أسهمت في وضع أسس الاهتمام بالبشر أو البعد البشري في إحداث النمو الاقتصادي، وفي التنمية الاقتصادية، وكان "شولتز" بحق هو رائد هذا الاتجاه، وكانت كتاباته أساس ثورة رأس المال البشري، التي بدأت في الستينات من القرن العشرين، ثم استمرت بشكل أو بآخر حتى يومنا هذا بعد أن تبلور المفهوم إلى مفهوم التنمية البشرية، وإذا كان مفهوم "رأس المال البشري" قد تعرض للنقد الشديد، إلا أنه يرجع إليه الفضل في التنبيه إلى دور البشر في إحداث النمو الاقتصادي والتنمية. ويعود الفضل إلى "شولتز" كذلك في التنبيه إلى فشل المساعدات المالية والفنية الأجنبية في مساعدة الدول المتخلفة على النمو بدون الاستثمار البشري، وقد ساهم "شولتز" بكتاباته في الاهتمام بالتعليم وضرورته للدول النامية، وفي إرساء وتطور فرع من فروع علم الاقتصاد، وهو اقتصاديات التعليم، وبالذات على حساب الجدوى الاقتصادية للتعليم، ومنذ تدشين مفهوم رأس المال البشري، اعتبر الإنفاق على التغذية والصحة والتعليم بوجه خاص، استثماراً في رأس المال البشري، وله مردوده على مستقبل التنمية وليس إنفاقاً على سلع استهلاكية، ومن ثم بدأ هذا الإنفاق الاجتماعي يحظى باهتمام حكومات الدول النامية.

٤- نظرية الصياغة البنائية: Structuration Theory

تعتبر نظرية الصياغة البنائية عند "أنتوني جيدنز" من أحدث النظريات الاجتماعية التي تتمتع بقدرة تحليلية وتفسيرية متميزة مع شمولية زمانية ومكانية واضحة، يجب على الباحث النظر للبناء الاجتماعي وخصائصة وديناميانه من خلالها، حيث الخصائص البنائية يمكنها أن تعقد الصلة وتوضح العلاقات الزمانية والمكانية في إطار النسق الاجتماعي، وهي خصائص تجعل من الممكن للممارسات الاجتماعية الملاحظة، والتي يمكن تمييزها بصعوبة نظراً لشدة تشابهها، أن توجد عبر مجالات زمانية ومكانية مختلفة، وتضفي عليها شكلاً منتظماً، كأن نقول أن البناء هو نظام متصور من العلاقات المتحولة، يعني أن النسق الاجتماعي بوصفه ممارسات معاد إنتاجها ليس له بناء، ولكنه ذو خصائص بنائية، وهكذا فإن البناء يوجد بوصفه حضور في الزمان والمكان، ومن خلال تأسيسه عبر هذه الممارسات فقط، وباعتباره بقايا ذاكرة موجهة لأفعال فاعلين إنسانيين يتمتعون بمعرفة كفؤة.

وانطلاقاً من نظرية الصياغة البنائية، يمكن تفسير الحياة الاجتماعية من خلال إدراكها بوصفها تفاعلات مؤسسه، وعلاقات متمفصلة عبر الزمان والمكان، وتعتمد القدرة والقابلية للنفاذ عبر الحدود الزمانية والمكانية للعلاقات المنتظمة على الشكل الذي يتخذه تمفصل هذه العلاقات وكيفية إنتاجها في إطار الممارسات الاجتماعية، فالتفاعل المباشر بين الفاعلين، يتم استيعابه في شكل أنساق من كافه الأشكال، أما الأنساق ذات العلاقات غير المباشرة (تلك التي تتسم بدرجة كبيرة من التمايز عبر الزمان والمكان، فإنها تنطوي أيضاً على علاقات مؤسسة بين الفاعلين الموجودين في أطر معزولة عن بعضها البعض، وفي هذا الصدد يتولى التمفصل المتعدد الأشكال نقل وتوصيل وتحويل نتائج الممارسات المتباينة(أنتوني جيدنز:٢٠٠٠: ٣١) . وهكذا فإن عمليه الصياغة البنائية، هي إعادة إنتاج أو تغير العلاقات المنتظمة عبر الزمان والمكان، وهو الأمر الذي قد ينتج أحياناً من خلال الآثار غير المقصودة للممارسة أو الفعل، أو التي تنطوي على التوجيه المقصود للقواعد عبر الزمان والمكان، وتسلم نظرية الصياغة البنائية بوجود ديالكتيك

للضبط في كافة أشكال النظم، ففي حين أن الجماعات المسيطرة تحوز موارد أفضل تمكنها من ممارسة القوة وتسخير أفعال الآخرين لمصلحتها، فإن الجماعات الخاضعة لا تفتقر كليه إلى الموارد التي تمكنها من مقاومة أو إعادة توجيه سيطرة الجماعات المهيمنة، لذلك فإن علاقات القوى المؤسسية، أو داخل النسق، تتخذ صورة توازن محتقن ما بين الاستقلالية الذاتية والضبط.

٥- وانطلاقا من التوجهات النظرية الأربعة سالفة الذكر، درس الباحث أحوال الحرفيين بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال فى مجتمعات البحث الميداني، وقد استفاد من التوجهات الأربعة كالآتي:

أ- التوجة الأول(نظرية التبعية) :

استفاد الباحث من تفسيراتها وتحليلاتها لعلاقات المركز والمحيط، وكيف أثرت تلك العلاقات بالسلب فى المحيط عامة بما فيه الريف المصري، مما أدى إلي إفقار الفلاحين، وتشوية الاقتصاد الريفي ، وما تبع ذلك من تكيف هيكلي أدي إلي قوانين وممارسات طردت الفلاحين من أراضيهم، وزاد الفقر بسببها ، وزادت معاناة الفلاحين ، فتطلعوا إلي أساليب وإستراتيجيات لمواجهة الفقر والتكيف معه، أو تجاوزه ، وكان من بينها التحول إلي الحرف التقليدية ، لذا تحول بعض الفلاحين إلي حرفيين بشكل كامل ،وذلك بهجر الزراعة والعمل بالحرف فقط ، أو جزئي وذلك بالجمع بين العمل بالزراعة والحرف فى ذات الوقت والمكان ، أو العمل بأحدهما فى مكان وبالآخر فى مكان ما.

ب- التوجة الثاني(نظرية النظم العالمية):

اعتمد الباحث على نظرية النظم العالمية ، باعتبارها تطويراً لنظرية التبعية،وتعتمد على الرؤية الشمولية من خلال المنظور " الماكرو" Macro، حيث يمكن فهم الجزء فى ضوء علاقته بالكل، لذا أمكن النظر إلي الحرفيين فى مجتمعات البحث فى ضوء علاقتهم بالمجتمع المصري والعالمي، وأقرت نظرية

النظم العالمية بإمكانية وجود الفقر والغني معاً، وهذا ما ثبت فى البحث الميداني مع الحرفيين ، ولما كانت نظرية النظم قد طرحت قضايا التبادل اللامتكافئ ، والقمع الواضح والخفي ، والإفقار ، والسيطرة على الأسواق ، أمكن للباحث فهم ذلك في مجتمعات البحث خاصة بين الحرفيين، أى التفاعل البشري بماله وما عليه . ولما طرحت نظرية النظم العالمية قضية التكيف الذى من الممكن أن يتحقق فى ضوء بعض الأمل المتاح انطلاقا من بعض التوجهات العلمانية للرأسمالية ، وما تتيحه من بعض الأمل، لذا كان تركيز الباحث على تكيف الحرفيين مع الفقر في مجتمعات البحث، وكذلك طرح قضية صناعة رأس المال خاصة في جانب أصحاب الحرف (أصحاب النشاط) وليس فى جانب العاملين لديهم.

جـ- التوجة الثالث(نظرية رأس المال البشري) :

قد أفاد الباحث من نظرية رأس المال البشري ، خاصة في تركيزها على المهارات والمعارف المفيدة التى يكتسبها الحرفيون أثناء تدربهم ثم أثناء ممارستهم للنشاط الحرفي فى المنشآت الحرفية، وذلك من أجل تحسين أوضاعهم المعيشية ، وعبور أزمة الإفقار إلي التكيف مع الفقر أو تجاوزه، وذلك من خلال النظر إلي الإنسان الحرفي بإعتباره فاعل منتج ومستهلك ، مع النظر إلي أهمية التعليم، والتدريب ، والرعاية الاجتماعية فى صناعة رأس المال البشري،الذى يدعم رأس المال التقليدي ويصنعه ، حيث البعد البشري فى النظام الحرفي بُعدٌ كمي وكيفي، يدخل فى العملية الإنتاجية ويؤثر فيها، وتظهر* نتائجه فى مخرجاتها ، حتي أن بعض الفلاحين الذين لا يجدون الفرصة سانحة فى مجتمعاتهم للعمل فى حرفه ما ، فإنهم يهاجرون إلي قري أخري للعمل بالحرف فيها ، كما كشف عنه البحث الميداني.

د- التوجة الرابع(نظرية الصياغة البنائية):

وقد استفاد الباحث منها ، خاصة من تركيزها علـــى أهميــة العلاقـــات الزمانية والمكانية ، وتأثيراتها فى الممارسات الاجتماعية الملاحظة،وذلك بـــالنظر إلي الحرفيين فى ضوء المرحلة التاريخية التى مر ويمر بها المجتمع المصــــري ، وكانت لها تأثيراتها فيما وصل إليه حال الحرفين الذين كانوا فيما سبق – ومـــا زال – بعضهم يعملون فى الزراعة فلاحين ، وأن ما وصل إليه حال الحرفيين اليـــوم ، لم يكن وليد اللحظة الآنية ، بل له جذور زمنية ممتدة يمكن تقسيمها إلي مراحـــل وفترات لكل منها أثره وتأثيره فيما وصل إليه حال الحرفيين الآن.

أما العلاقات المكانية ، فيتم النظر إليها فى البحث الميداني من خلال طبيعة وخصوصية مجتمع البحث، والبيئة الأيكولوجية التى يقع فيها المجـــال الجغرافـــي للبحث، وأثر البيئة فى الحرفيين مثلما يؤثر الحرفيون فى البيئة ، ولكن الرؤية هنا ليست تجزيئية مجحفة مكانية فى جانب وزمانية فى جانب ، بل زمانية ومكانية معا فى آن واحد لعبت وما زالت دوراً هاماً فى الممارسات الاجتماعية للفلاحين عامة والحرفيين منهم خاصة.

ثانياً: الإجراءات المنهجية للبحث

مقدمة:

يمثل هذا البحث المرحلة الوصفية التحليلية لبحث ميداني تم إجراء مرحلته الاستطلاعية خلال عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٣ بثلاث قرى في محافظة الشرقية، وقد تم نشر نتائجها في "المؤتمر الرابع لتنمية الريف المصري" بجامعة شبين الكوم في ١٥ – ١٧ سبتمبر ٢٠٠٣، وقد بدأت المرحلة الوصفية التحليلية في يناير ٢٠٠٤ وانتهت في مارس ٢٠٠٥ وبعدما تيقن الباحث من أن سكان القرى الثلاث موضوع الدراسة، جميعهم يمثلون أعضاء في النشاط الحرفي فيها بشكل أساسي، أو ثانوي، كل الوقت، أو نصف الوقت، أو بعضه، لذا اعتبر جميع سكان القرى الثلاث، الذين هم في سن ممارسة النشاط الحرفي، ضمن المجال البشري للمرحلة الوصفية التحليلية. ولما كانت كل قرية من القرى الثلاث، تتسم بسمات وخصائص مغايرة لتلك التي في غيرها، من خلال نوع النشاط الحرفي، والسمات الإيكولوجية، ونوعية وخصائص العمالة الحرفية، وأصحاب المنشآت الحرفية، وكذلك الظروف المحيطة بكل حرفة من الحرف الثلاث؛ لذا تتعددت الأساليب المنهجية وأدوات جمع البيانات، لتناسب كل مجتمع وكل حرفة، وكل نمط من العمالة، وأصحاب المنشآت الحرفية، بل وكل حرفة مراعاة لخصوصية كل حرفة على حدة.

١- أهداف البحث:

كان هدف البحث الراهن يتمثل فيما يلي:

أ- وصف وتحليل آثار العولمة والخصخصة والتكيف الهيكلي على قرى الدراسة.

ب- وصف وثائقي مصور للحرف التقليدية فى قرى البحث وعلاقاتها بالتحولات الاجتماعية.

جـ- توضيح أثر العوامل الإيكولوجية في الحرف التقليدية في قرى البحث.

د- وصف وتحليل الخصائص العامة والنوعية للحرفيين العاملين بالحرف التقليدية بقرى البحث.

هـ- توضيح كيف تمكن الحرفيون من التكيف مع الفقر باحترافهم حرفة معينة ، وكيف تمكن بعضهم من صناعة رأس المال من خلالها ؟

و- وصف وتحليل أسلوب صناعة رأس المال بالاعتماد على الحرف في قرى البحث.

ز- دراسة وتحليل أثر الحرفيين والنشاط الحرفي في قرى البحث، والعاملين بالنشاط الحرفي فيها .

٢- تساؤلات البحث:

انطلق البحث لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من التساؤلات هي:

س١:ما تأثيرات التحولات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن العولمة والخصخصة فى قري البحث؟

س٢: كيف أدي انتشار الفقر في الريف إلى ظهور محاولات للتكيف معه والبقاء على قيد الحياة؟ وما تلك المحاولات؟

س٣: كيف لعبت العوامل الإيكولوجية دوراً ملموساً في الحرف التقليدية فى مجتمعات البحث؟.

س٤: كيف مثلت الحرف التقليدية أحد آليات التكيف مع الفقر والبقاء على قيد الحياة خاصة بالنسبة للحرفيين فيها؟

س٥: كيف مثلت الحرف التقليدية أحد آليات صناعة رأس المال في مجتمعات البحث خاصة بالنسبة لأصحاب النشاط الحرفي ؟

٣- المفهومات الأساسية فى البحث:

أ- **الحرفيون الريفيون** : هم أولئك الأشخاص من الجنسين فى الفئات العمرية ابتداء من عشرة سنوات فأكثر ، والذين كانوا أو ما زالوا يعملون فى النشاط المرتبط بالزراعة ، أو المقيمون بالريف ويعملون بالزراعة أو بغيرها من الأنشطة، وتم دخولهم النشاط الحرفي بسبب عوامل الإفقار التى تعرضوا لها فى قراهم ، بسبب علاقة مجتمعهم بالرأسمالية العالمية ، والتبعية ، والتكيف الهيكلي ، وما نجم عنه من إفقار للفلاحين بسبب عوامل داخلية وخارجية، فتطلعوا إلي العمل بالحرف حتي يتمكنوا من التكيف مع الفقر أو تجاوزه إلى صناعة رأس المال .

ب- **الحرف** : هي ذلك النشاط اليدوي الذى يمارسه الحرفيون الريفيون فى منشآت محددة ، أو فى المساحات المتخللة داخل الكتلة السكنية بالقرية بين الوحدات السكنية أو بداخلها ، أو فى الشوارع والأجران ، باستخدام خامات بيئية يغيرون من شكلها وهيأتها وقيمتها إلي الأفضل ، ويعتمدون فى ذلك على القوة العضلية فى أغلب المراحل ، وإن استخدمت القوة الكهربائية الميكانيكية ، فإنها تستخدم على أضيق نطاق ، باستثناء حرفتي حلج القطن وعصر بذرته التى تمارس فى بيوت الفلاحين.

ويغلب على العمالة فى الحرف أنها عائلية أو مؤجرة فى كافة الفئات العمرية من الطفولة حتي الشيخوخة من الجنسين ، وقد تتسم أو لا تتسم بالتوارث المهني ، وتمارس داخل الوحدة المعيشة ، أو أمامها ، أو بالقرب منها، أو فى أماكن خاصة مملوكة لصاحب النشاط الحرفي أو مؤجرة له، ويكون هدفها توفير منتجات للاستهلاك العائلي أو المحلي ، أو التصدير الداخلي أو الخارجي ، وكل ذلك من أجل التكيف مع الفقر بالنسبة للفقراء، أو لصناعة

رأس المال بالنسبة للفئات الفلاحية الأيسر حالاً، أو أصحاب النشاط، وذلك بالاعتماد على الخامات البيئية، واستثمار الطاقة البشرية المتاحة فى القرية والقري المجاورة ، مع وجود تقسيم عمل أحيانا يرتبط بالعمر والنوع، وأحيانا لا يوجد تقسيم واضح للعمل ، حيث قد نجد الجميع يجيد جميع مراحل الحرفة.

جـ- **التكيف مع الفقر** : هو أسلوب مقاومة الفقر حتي لا يقهر الفقراء أو يقضي على حياتهم، أو هو أسلوب للتعايش مع الفقر بشكل يمكن الحرفيين الفقراء من البقاء على قيد الحياة فى ظل حياة الفقر التى يعيشونها بسبب عوامل إفقار داخلية وخارجية، ويستخدم الفقراء العديد من أدوات وأساليب التكيف مع الفقر مثل العمل الحرفي ، وعمالة الأطفال في الحرف ، وعمالة النساء والعمل فى أكثر من نشاط ، بالإضافة إلي العمل لساعات أطول ، وأساليب أخري كثيرة سبق تناولها فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

د- **صناعة رأس المال**: هى إدماج البشر فى العملية الإنتاجية (البشر كرأسمال) وذلك باستثمار المهارات والمعارف المفيدة التى يمتلكها أعضاء المجتمع الداخلون فى النشاط الحرفي، بالإضافة إلي استثمار المدخرات والموارد الخاصة أو الأسرية أو البيئية مهما كانت متواضعة ، حيث يتم تحويل كل ذلك إلي رأس مال تقليدي يمكن استثماره فى مزيد من صناعة رأس المال ، مثلما يحدث فى حرفة الكرينة ، حيث يتم استثمار المدخرات الشخصية والأسرية مهما كانت متواضعة بالإضافة إلي قدرات الشباب الذى تم تدريبه على حرفة الكرينة ، وتم استثمار " خوص جريد النخيل" الذى كان يُرمي فى شوارع القرية ويلوثها ولا يُباع أو يُشتري ، تم استثمار كل ذلك فى صناعة رأس المال.

٤- نوع البحث:

أ- يمثل هذا البحث المرحلة الوصفية التحليلية لبحث ميداني تم إجراؤه في قريتي القراموص ومنشأة رضوان مركز أبو كبير محافظة الشرقية وفى مدينة القُرين الريفية محافظة الشرقية ، التى تم تحويلها إلي مدينة بفعل زيادة عـدد سـكانها مع أنها تمارس الزراعة كنشاط أساسي، وكانت قريـة حتـي عـام ١٩٨٨م. وما زال السكان يعتبرونها قرية مع أنها رسمياً أصبحت مدينة منذ عام ١٩٨٨. وقد أجريت الدراسة الميدانية فى الفترة من يناير ٢٠٠٤ حتي مارس ٢٠٠٥م فى المواقع الثلاثة.

ب-ويعتبر المنهج الوصفي التحليلي من أكثر مناهج البحث الاجتمـاعي ملاءمـة للواقع الاجتماعي وخصائصه ، وهو الخطوة الأولي نحو تحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع الاجتماعي (محمد على محمد : ١٩٨١: ٣٠٠) ، إذ مـن خلالـه نتمكن من الإحاطة بكل أبعاد هذا الواقع محددة علي خريطة تصـف وتصـور بكل دقة كافة ظواهره وسماته ، وحين نصل إلي هذه الخريطة نكون قد وضعنا الأساس المكين لأية محاولة تستهدف تطوير أو تغيير أو تخطيط هذا الواقع من أجل بلوغ غايات مرغوبة من أعضائه.

جـ- وتستهدف البحوث الوصفية التحليلية تقرير خصائص معينة ، أو موقف تغلب عليه صفة التحديد ، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها) عبد الباسـط حسـن: ١٩٧١ :٢٤١ – ٢٤٥)، وتتجـه الدراسـات الوصفية التحليلية إلي الوصف الكمي أو الكيفي للظواهر المختلفـة بالصـورة التى هي عليها فى المجتمع ، للتعرف على تركيبها وخصائصها ، وأنها تعنـي بحصر العوامل المؤثرة فى الظاهرة. وتهدف أيضا إلـي جمـع المعلومـات الدقيقة عن جماعة أو مجتمع أو ظاهرة من الظواهر (محمد علـى محمـد : ١٩٨١ : ٣٠١)، وصياغة عدد من التعميمات أو النتائج التى يمكن أن تكـون أساسا يقوم عليه تصور نظري محدد للاصطلاح الاجتماعي، وتهدف البحوث

الوصفية التحليلية كذلك إلي وضع مجموعة من التوصيات أو القضايا العملية، التى يمكن أن ترشد السياسة الاجتماعية فى هذا المجال . ويعتبر المسح الاجتماعي حسب تصنيف " هويتني" (عبد الباسط حسن : ١٩٧١ : ٢٤٥) وحسب تصنيف " جود سكيتس" هو أحد أهم أنواع الدراسات والبحوث الوصفية التحليلية.

د- وقد حدد" ديرك لايدر" أسلوب إجراء البحوث الوصفية التحليلة (درك لايدر: ٢٠٠٠: ٢٩١-٢٩٤) فيما يلي:

- يجب أن يتم التحليل والبحث الاجتماعي انطلاقا من فرض مؤداه أن الواقع الاجتماعي متنوع بحكم طبيعته ، وليس متماثلا، ويعني ذلك فى ضوء اعتبارات الشكل أن العالم الاجتماعي يُعد تعدديا ويتضمن ما يلي:-
- المداخل التحليلية التى تفترض سلفاً أن الواقع الاجتماعي يمكن فهمه من خلال الإشارة إلي بعض السمات أو الملامح الموحدة، مثل أنواع الخطاب ، والممارسات المعاد إنتاجها ، والتشكيلات الاجتماعية والمعاني المتضمنة فى العلاقات بين الذوات، وأسباب ودوافع الفاعلين ، وازدواجية البناء، تلك المداخل يجب التخلي عنها لأنها تؤدي إلي أشكال متحيزة من التحليل(ديرك لايدر: ٢٠٠٠ : ٢٩١).
- وتصور العالم الاجتماعي على أنه يتكون من خلال عدد من المجالات التى تتميز بخصائص وسمات متميزة لا يمكن ردها إلي بعضها البعض ، أو الإدعاء بانتمائها إلي أساس شامل أو آلية بنائية معينة.
- من الضرورة أن تكون هناك استراتيجيات منهجية تمكن الباحثين والقائمين بالتحليل من التوصل إلي الميول الذاتية ،والمعاني التى يتم توليدها من خلال العلاقات بين الذوات ، والتى تشكل عوالم الحياة اليومية للأفراد فى المجتمع وتسمح فى نفس الوقت بالوصول إلي حقيقة الجوانب النسقية الاجتماعية الموضوعية للمجتمع (كالعلاقات الاجتماعية المعاد إنتاجها ، والمراكز

الاجتماعية ، والممارسات وأنواع الخطاب، وأشكال القوة) ، ومن شـأن مثـل هذه الاستراتيجيات أن تتيح للباحث فهم الطبيعة المعقدة والمتعددة الأوجه للواقع الاجتماعي فى نفس الوقت الذى تسمح فيه بتتبـع العلاقـات المتبادلـة بـين المجالات النوعية دون إغفال ما بينها من فروق.

- على الرغم من أن الصلات بين عالم الحياة والنسق تتخذ طرقا عديدة معقـدة، فإن التزاوج بينها قد اعتمد على تفرقة أساسية بين الظروف المتكونة تاريخيـا والمعاد إنتاجها اجتماعيا ، والتى انتقلت من أجيال سابقة (النسق) ، والأنشـطة المعاصرة ، والمعاني ، وأسباب ودوافع الإنسان فى التفاعل الاجتماعي اليومي (عالم الحياة) . وينطوي هذا التزاوج أيضا علي اقتران وانصـهار أشـكال وأطر مختلفة من الصفة المؤقتة .
- على هذا الأساس ، يتعين علينا أن نقر بأن علم الاجتماع والبحث الاجتمـاعي يهتم – ويجب أن يهتم – بعالم من الموضوعات المحددة مسـبقا فـي جانـب منها، كما يهتم أيضا بجوانب الواقع الاجتماعي الناتج عن الأداء الفعال للأفراد.
- يجب أن يتم التحليل والبحث الاجتماعي انطلاقا من أسـاس معرفـي تعـددي للوصول إلي تعظيم القدرة على الفهم والتفسير على أن ذلك يجـب أن يكـون مصحوبا بإدراك الصعوبات التى ستواجهنا فيما يتعلق بقضايا تناغم وصـدق أشكال مختلفة من المعرفة . وتعني هذه " التعددية" ما يلي : (ديـرك لايـدر: ٢٠٠٠: ٢٩٢)
- الانفتاح والرغبة فى الدخول فى حوار مع أشكال ومستويات وأنماط مختلفة من النظريات والشواهد التى يمكن أن توجد فى أوضاع معرفية متنوعة (وإلى حد ما متناقضة)
- يجب إعطاء الفروض المعرفية والضمنية ما تستحقه مـن اعتـراف ، وهـي الفروض التى تتضمن نظريـات ومبـادئ منهجيـة مختلفـة (الاسـتقراء ،

الاستنباط ، الإمبيريقية ، والنزعة العقلية) والاستفادة من قوتها فى نفس الوقت الذى نتجنب نواحي ضعفها الكامنة فيها.

- يجب اعتبار كل النظريات والمداخل المنهجية ..الخ عوالم مفتوحة فى حقيقتها.
- يجب أن يعمل الباحث الاجتماعي على أساس من التعددية المنهجية، وليس فى ظل التزام صارم بمجموعة واحدة أو محددة من الأساليب والقواعد المنهجية تشير بالتحديد إلي ما يلي :
- يجب أن يستخدم الباحث الاجتماعي أكبر عدد ممكن من أساليب جمع البيانات ، كي يستطيع تعظيم قدرته على سبرغور كل المجالات الاجتماعية بعمق.
- يتعين على الباحث الاجتماعي ألا يقتصر على تطبيق نمط واحد من المداخل أو يركز عليه وحده ، خاصة عندما يقصر هذا المدخل نفسه على أحد ميادين الواقع الاجتماعي ، على حساب مجالات أخري على نفس القدر من الأهمية (ديرك لا يدر : ٢٠٠٠: ٢٩٣).
- إن مبدأ التعددية يجب ألا يختلط بالفوضوية المعرفية أو المنهجية أو بالنزعة النسبية.
- من المهم أن يكون الباحث منفتحا ومرنا قدر الإمكان ، من حيث تطبيق القواعد بالاعتماد على مجموعة واسعة من المصادر النظرية والأمبيريقية والسياسات والأساليب المنهجية ، وإن كان من المهم على أي حال الإفادة من الجوانب المفيدة من شتي المداخل والمواقف المختلفة ، وليس التخلي عن فكرة المنهج المنظم تخليا تاما ، إن القواعد النظرية والمنهجية الواضحة والمحددة ضرورية ضرورة مطلقة لتوليد نظرية قوية يصل نطاقها وقوتها التفسيرية إلي أقصى الحدود.

٥- المجال الجغرافي للبحث:

ينقسم المجال الجغرافي للبحث إلى ثلاث قرى هي القراموص "حرفة صناعة ورق البردي"، والقُرين "لحرفة صناعة منتجات ومخلفات النخيل"، ومنشأة رضوان "لحرفة حلج القطن".

أ- قرية القراموص محافظة الشرقية:

حرفة صناعة ورق البردي

- القراموص من القرى القديمة، وردت في قوانين ابن مماتي، وفـي تحفـة الإرشاد، وفي التحفة القراموص من أعمال الشرقية، وقرية القرامـوص الآن هـي إحدى قرى الوحدة المحلية بالرحمانية مركز أبو كبير محافظـة الشـرقية، وتبلـغ المساحة الإجمالية للقراموص ١٧٤٦ فدان، منهـا ١٥٧٥ فـدان أرض زراعيـة، و ١٧١ فدان كتلة سكنية[١٥]، ويحدها من الشرق قرية الرحمانية، ومن الغرب عزبة المناسترلي، ومن الشمال عزبة الطوبجي وكفر النجار، ومن الجنوب بحر فـاقوس، الذي سمح للقرية بمياهه الوفيرة من زراعة البردي، الذي يسـتهلك الميـاه بشـكل واضح، وتبعد الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية عن قرية القراموص حـوالي ٤٠ كيلومتر، ويبلغ عدد سكان القرية ١٠٨٦٢ نسمة عـام ١٩٩٦(الجهـاز المركـزي للتعبئة العامة : ١٩٩٨ : ٢٣)، ارتفع عددهم إلى ١٢١٥٨ نسمة حسـب توقعـات عام ٢٠٠٣ (مركز المعلومات : ٢٠٠٣ : ١).

- ويمثل العاملون داخل منشآت حرفية فـي قريـة القرامـوص ٢٦,٦% ، والعاملون بالحرف خارج المنشآت الحرفية ٧٣,٤% من إجمالي العاملين بالحرف فى الفئة العمرية (١٥ سنة فأكثر) والذين يمثلون ٦٢,٣% من إجمـالي العـاملين من السكان فى الفئة العمرية ١٥ (الجهاز المركزي : ١٩٩٦ : ٢٠٠٥)، وكانـت معدلات القراءة والكتابة فى القرية وصلت إلي ٥٩,٩% مع أنهـا ٦٢,٣% علـى مستوي محافظة الشرقية واحتلت القراموص المركـز ٢١٦ فـي الترتيـب علـى

مستوي محافظة الشرقية البالغ ٥٠١ وذلك بالنسبة للخصائص السكانية (تقرير التنمية البشرية : ٢٠٠٣ : ١٤٣).

– وكان متوسط نصيب الفرد من الأرض الزراعية ، التى تبلغ ١٥٧٥ فدانا فى القراموص أى ٣٧٨٠٠ قيراطا هو ٣٧٨٠٠ ÷ ١٢١٥٨ = ٣,١ قيراط / للفرد، وهي قيمة تكشف عن حالة من الفقر الواضح فى القرية خاصة إذا علمنا أن الحائزين فى القرية لا يزيدون عن ١% من السكان ، أى أن ٩٩% من السكان لا يحوزون ، خاصة فى ظل انتشار ظاهرة كبار الملاك فى القرية ونظراً لأن الأرض الزراعية هى التي يعول عليها الفلاحون فى تدبير احتياجاتهم الغذائية وفرص العمل لهم ، لذلك لجأ الفلاحون فى القراموص إلي حرفة البردي للتكيف مع الفقر الذى يعيشونه هذا بالنسبة للفقراء، أما أصحاب الملكية الزراعية ، فقد لجأوا إلي حرفة البردي لصناعة رأس المال كما سيتم توضيحه فى الصفحات القادمة.

– بعدما تبين في المرحلة الاستطلاعية، إن حرفة صناعة ورق البردي، يعمل بها الإناث بنسبة تقترب من ٨٠%تقريباً، وجميعهن ممن بمراحل التعليم المختلفة أو الخريجات وبنسبة تقترب من ٩٠% تقريباً، وأنهن من الفئة العمرية الشابة وبنسبة ١٠٠% تقريباً، لذا كان لابد من الاعتماد بشكل أساسي على باحثات مساعدات (إناث) واستخدام صحيفة استبانة، إلا أنه لأن وقت العمل في النشاط وضرورة الإنجاز المطلوب في الوقت المحدد للعمل حالت وتوزيع صحيفة الاستبانة عليهن...، لذا قام الباحث وبمساعدة الباحثات المساعدات بإجراء المقابلات وعرض الأسئلة على المبحوثات، ودون الإجابات أثناء تأدية الحرفيات العمل من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة الثامنة مساءً، وهكذا تحول الموقف إلى إستبار مع أنه يطبق مع غير الأميين.

– نظراً لأن طبيعة التربة في قرية القراموص طينية سوداء، تمثل عائقاً للسير خاصة في الشتاء بالنسبة للباحثات المساعدات في حالة الحاجة إلى تطبيق

الاستمارات في فترة هطول الأمطار وبعدها بفترة قد تصل إلى أسبوع، ونظراً لأن نبات البردي يكون في أفضل حالاته، وأنضجها، وأنسبها للتصنيع، في فصل الربيع وفصل الصيف، ويتم تكثيف العمل في هذين الفصلين بشكل أكثر، مــع أن النشــاط الحرفي لم يتوقف طوال العام، لأن عمر نبات البردي يصل إلى عشـرة سـنوات، ويتم حصاده كل ٣ شهور، لذا لجأ الباحث لإجراء الدراسة الميدانيــة فــي فصــلي الربيع والصيف عام ٢٠٠٤م.

– ولأن قرية القراموص جميعها تمارس نشاط زراعــة وتصــنيع ورســم وتسويق ورق البردي؛ لذا قام الباحث باستخدام المسح الاجتماعي بالعينــة العمديــة من أولئك الذين يسمحون بإجراء المقابلات مع الحرفيين لديهم خاصــة فــى ظــل تخوفهم من الضرائب وعدم وعيهم بأهمية البحث العلمي واستقلاليته عن الضــرائب وعدم صلته بها، خاصة وأن جميع بيوت القرية تمارس النشاط الحرفي فى البردي . وقد استخدم الباحث صحيفة استبانة تم تطبيقها فى موقف استبار مع المبحــوثين أثناء أدائهم العمل الحرفي حتي لا يتم تعطيلهم عن العمل وهذا لن يسمح به صاحب العمل.

ب – القُرين محافظة الشرقية

حرفة منتجات ومخلفات النخيل

– القُرين هي القرية الوحيدة في مصر بهذا الاسم، وقد ورد ذكر القُرين في عدة مواضع من التاريخ، منها حادثة تآمر "الظاهر بيبرس" مع بعض المماليك فــي سنة ٦٥٨ هــ، وقتلهم الملك المظفر "قطز" عند قرية القُرين حال عودته فــي تلــك السنة من سوريا إلى مصر بعد محاربته التتار وانتصاره عليهم، ومنهــا إن الملــك الأشرف "قايتباي" أنشأ مسجداً وسبيلاً بالقُرين في سنة ٨٨٠ هــ، ويتضح من هــذا أن قرية القُرين هذه قديمة من قبل الروك الناصري، وكانت القُرين تابعــة لمركــز الزقازيق، فلما أنشئ مركز أبو حماد في ســنة ١٩٤٠ ألحقــت بــه لقربهــا منــه

(محمد رمزي:١٩٩٤: ٧٠-٧١)، وتبلغ المساحة الإجمالية للقــرين ٦١٠٨ فــدان (مركز المعلومات : ١٩٩٨ : ٤)، منها ١٩٣٠ فدان كتلة ســكنية، و٩١٣ فــدان منافع وأملاك دولة، و ٣٢٦٥ فدان أراضي مزروعة، ويبلغ سكانها ٥١٨٣٣ نسمة حسب تعداد ١٩٩٦(الجهاز المركزي للتعبئــة :١٩٩٨: ٤)، ارتفــع إلــى ٦٠٠٠٠ نسمه حسب توقعات عام ٢٠٠٣(مركز المعلومات : ٢٠٠١: ١)، وقــد تحولــت قرية القُرين نتيجة ارتفاع عدد السكان فيها إلى مدينة وذلك منذ عام ١٩٨٨ وتبعــد القُرين عن مدينة الزقازيق مسافة ٣٢ كيلومتراً، ويحدها من الشــرق زمــام كفــر العزازي، ومن الغرب ظهير صحراوي، ومن الشمال ترعة السعيدية ومن الجنوب ترعة الصالحية المبطنة وطريق الإسماعيلية، ويطلقون على القريــة اســم قريــة المليون نخلة، لكن تبين للباحث إن عدد النخيل المثمــر ٢٣٧٠٠٠ نخلــة(مركــز المعلومات : ٢٠٠٥:) وبمتوسط ٤ نخلة مثمرة لكل نسمة، وذلك على اعتبــار إن عدد سكان القرية وصل إلى ٦٠٠٠٠ نسمة.

– ويمثل العاملون داخل منشآت حرفية فــي القُــرين ٢٢,٥%، والعــاملون بالحرف خارج المنشآت الحرفية ٧٧,٥% من إجمالي العاملين بالحرف فــي الفئــة العمرية (١٥ سنة فأكثر) ، والذين يمثلون ٦٥% من إجمالي العاملين من الســكان فى الفئة العمرية ٥ فأكثر(الجهاز المركــزي : ١٩٩٦ : ١٨٩) ، وترتفــع نســبة القراءة والكتابة لتصل إلي ٦٦,٤% مع أنها على مستوي محافظة الشرقية ٦٢,٣% وبذلك احتلت القُرين المركز ١٢ فى الترتيب على مستوي محافظة الشرقية البــالغ ٥٠١ ، وذلك بالنسبة للخصائص السكانية (تقرير التنمية البشرية: ٢٠٠٣ : ١٥٤) ، وجاء متوسط نصيب الفرد فى القُرين متواضعاً مــن الأرض الزراعيــة التــى مساحتها ٣٢٦٥ فدانا أى ٧٨٣٦٠ قيراطا، حيــث كــان = ٧٨٣٦٠ ÷ ٦٠٠٠٠ = ١,٣ قيراط/ للفرد، وهي قيمة تكشف عن حالة الفقر الواضح فى القرية خاصــة إذا علمنا أن الحائزين فى القرية لا يزيدون عن ٢,٨% من السكان ، أى أن ٩٧,٢% من السكان لا يحوزون ، خاصة فى ظل انتشار ظاهرة كبار الملاك فــي القُــرين وتفتيت الملكية الزراعية ، ولما كانت الأرض الزراعية هي المصدر الذى عــول

عليه الفلاحون فى تدبير احتياجاتهم الغذائية والمالية ، ونظرا لأن الأرض الزراعية فى القُرين تجود فيها وتنتشر زراعات النخيل ، لذلك لجأ الفلاحون فى القرين إلـى التكيف مع الفقر من خلال عملهم فى حرف منتجات ومخلفات النخيل الذى ينتشـر داخل وخارج الكتلة السكنية .

– أطلق الباحث الاصطلاح (مدينة القُرين الريفية) على مجتمع البحـث ، لأنها كانت قرية بشكل رسمي حتي عام ١٩٨٨ ، حيث تم تحويل القرية إدارياً إلي رئاسة مدينة بسبب زيادة عدد السكان فيها والذين قُدرَ عددهم عـام ٢٠٠٥ بعـدد ٦٢٠٩٥ نسمة ، لكن ما زالت الزراعة والنخيل هى النشـاط البشـري الأساسـي لسكان المجتمع ، وما زالت تعرف بين سكانها وسكان المناطق المحيطة بها باسـم " قرية القُرين " ويطلقون عليها أيضا " قرية المليون نخلـة" ، فهـي رسـميا مدينـة وشعبيا قرية ، لذلك أسميتها فى بحثي هذا " مدينة القُرين الريفية " وينوه الباحث هنا إلي أن اسمها مازال فى المراجع المتاحة هو " قرية القُرين" لذا سـيلتزم بـه عنـد وروده.

– لما كانت حرفة صناعة منتجات ومخلفات النخيـل يعمـل بهـا الـذكور والإناث على السواء، والأميون وغير الأميين على السواء، وكافة الفئـات العمريـة القادرة على ممارسة النشاط، وغير المرتبطة "بمنشأة"، بل تمارس فـي الشـوارع، والحارات، والأزقة، والأجران، وغير ذلك؛ لذا تـم اختيـار العينـة مـن خـلال التخصص الدقيق داخل النشاط مثل حرفة الكرينة، والأقفاص، والمطارح، والأسـرة والكراسي، وكافة منتجات الليف كالحبال والمقشات والدواسات، والسلال، وتجفيـف البلح، وصناعة العجوة... الخ.(أى عينة طبقية) وتم اختيار ممارسة النشاط انطلاقاً من نوع النشاط، وبالنسبة والتناسب حسب نسبة انتشار النشاط ضمن حرفة منتجات ومخلفات النخيل(أى عينة عنقودية).

– نظراً لأن نوعية التربة في أرض القُرين هي التربة الرملية، وهناك طرقاً مرصوفة مؤدية للقرية، لذا لم تكن هناك مشكلة مع موسم الأمطار، ولم تكن هنـاك

عقبات تواجه الباحث في إجراء الدراسة الميدانية في فصل الشتاء أو باقي فصول السنة، خاصة إذا علمنا أن بالقرية مورداً دائماً للحصول على مخلفات النخيل ومنتجاته، بل وتستورد القُرين من بعض قرى الجمهورية مخلفات بعض النخيل بها لاستمرارية النشاط الحرفي وتكثيفه في القُرين (مع أنها قرية المليون نخلة)، لذا فالنشاط يُمارس طوال العام باستثناء صناعة تجفيف البلح وصناعة العجوة، التي تُمارس أيام موسم جني المحصول فقط. أما صناعات الجريد، والليف، والكرينة، فهي مستمرة طوال العام وبدون انقطاع، لكل ذلك تم إجراء الدراسة الميدانية " بالقُرين " ابتداءً من يناير ٢٠٠٤ حتى مارس ٢٠٠٥ على فترات، كلما احتاج الأمر تمثيل نشاط معين انطلاقاً من وزنه النسبي داخل القرية.

— وقد استخدم الباحث صحيفة الاستبانة وتم تطبيقها من خلال الاستبار بين ممارسي النشاط الخاص بالنخيل، وكذلك لعدم تعطيل بعضهم عن العمل.

ج – قرية منشأه رضوان محافظة الشرقية:

حرفة حلج القطن

— جاء في القاموس الجغرافي: إن "منشأة رضوان" من البلاد الحديثة، وأصلها من توابع ناحية الحصوة، ثم فُصلت عنها سنة ١٢٢٨ هـ، وبذلك أصبحت ناحية قائمة بذاتها(محمد رمزي: ١٩٩٤: ١٣٥)، أما الآن فقرية "منشأة رضوان" تُعد إحدى قرى مركز أبو كبير محافظة الشرقية، وهي ضمن قرى وحدة محلية تسمى باسمها وتضم: "منشأة رضوان" القرية الأم، ومنشأة صدقي، والحمادين، نزلة خيال، والمشاعلة، والعزازية، وتبلغ المساحة الإجمالية لزمام قرية منشأة رضوان ٢٣٣٣ فدان منها ١٩٥٠ فدان أراضي منزرعة، ومساحة حيز عمراني ٣٨٣ فدان(مركز المعلومات: ٢٠٠٣ :٤)، ويبلغ عدد سكانها ١١٣١٣ نسمه حسب تعداد ١٩٩٦(الجهاز المركزي :١٩٩٨: ٢٤)، ثم ازداد ليصل إلى ١٣٦٣٣ نسمه حسب توقعات عام ٢٠٠٣(مركز المعلومات :٢٠٠٣ : ١)، ويحدها من الشرق قرية

الحصوة، ومن الغرب "نزلة خيال" و "العزازية" ومن الشمال "المشاعلة" و"كفر عبد الشهيد"، ومن الجنوب "منشأه صدقي"، وتبعد منشأه رضوان عن مدينة الزقازيق ٣٠ كيلومتر تقريباً.

– ويمثل العاملون داخل منشآت حرفية في منشأة رضوان ١٠,٣% ، والعاملون بالحرف خارج المنشآت الحرفية ٨٩,٧% من إجمالي العاملين بالحرف فى الفئة العمرية (١٥ سنة فأكثر) ، والذين يمثلون ٨٢.% من إجمالي العاملين من السكان فى الفئة العمرية ١٥ + (الجهاز المركزي : ١٩٩٦ : ٢٠٠٦) ، وتنخفض نسبة معدلات القراءة والكتابة إلي ٤٥% مع أنها على مستوي محافظة الشرقية ٦٢,٣% وبذلك احتلت منشأة رضوان المركز ٤١٤ فى الترتيب على مستوي محافظة الشرقية البالغ ٥٠١ ، وذلك بالنسبة للخصائص السكانية (تقرير التنمية البشرية : ٢٠٠٣ : ١٤٣).ويمكن حساب متوسط نصيب الفرد من الأرض الزراعية فى منشأة رضوان ،والتى تبلغ مساحتها ١٩٥٠ فدان أى ٤٦٨٠٠ قيراط، ولما كان عدد السكان بها ١٣٦٣٣ نسمة ، لذا نصيب الفرد = ٤٦٨٠٠ ÷ ١٣٦٣٣=٣,٠ قيراط / لفرد، وهي أعلي نسبة فى المجتمعات الثلاثة ، حيث كانت فى القراموص الأفضل حالا ٣,١ قيراط/ للفرد ، وفى القُرين ١,٣ قيراط / للفرد، أما منشأة رضوان فكانت ٣,٤ قيراط / للفرد، حيث يحوز الأرض الزراعية أصحاب النشاط فى حلج القطن . وهم ندرة بينما باقي سكان القرية لا يجدون بديلا يقتاتون منه سوي العمل كعمال حرفيين لدي أصحاب النشاط وذلك كمحاولة للتكيف مع الفقر الذى يعانونه ، وعدم وجود فرص عمل بالزراعة نظراً للميكنة الزراعية والحيازات القزمية.

– لما كانت حرفة حلج القطن تُمارَس بعيداً عن أعين الشرطة والجهات الرقابية، مع انتشارها بالقرية منذ عام ١٩٧٠، ولما كانت القرية مرتبطة جميعها بشبكة علاقات اجتماعية مرتبطة بدورها بالحرفة (حيث البعض يمول، والبعض يشتري القطن من الفلاحين، والبعض يحلج القطن، والبعض يصرف الإنتاج، والبعض يستضيف الإنتاج وممارسته عنده في مكان آمن بعيداً عن أعين الجهات

الرقابية... الخ)؛ لذا فالقرية جميعها مرتبطة بالحرفة. ومع صعوبة اختراق التكتم والسرية التي تحيط بحرفة حلج القطن، إلا أن للباحث قد تمكن من الحصول على وعود بدخول عدد ٢٨ موقعاً ومقابلة ٩٦ عاملاً فيها، لذا اعتبر الباحث أن هذا العدد المتواضع يمثل نشاط حرفة حلج القطن، لأنه مرتبط بالقرية كلها ويمثل عينه ممثلة، خاصة وأن الحرفة ليست بها فنون حرفية أو فروق لأنها تعتمد على نمط واحد من ماكينة صغيرة للحلج، يطلق عليها "دولاب"، وماكينة كبيرة للحلج، يطلق عليها اسم "عفريتة" لسرعتها في الإنجاز، ونظراً لأن العمالة من الذكور الأميين في الغالب، ولبعضهم علاقة بالجريمة ـــ كما تكشف عن ذلك جداريات مواقع ممارسة النشاط ـــ لذا كان الإستبار هو الأسلوب المناسب معهم لتطبيق صحيفة الاستبانة ، وقد استخدم الباحث أيضا الإخباريين بشكل كبير في هذه الحرفة، وذلك لمزيد من التعمق، وفهم ما يتعلق بالحرفة.

– كلما تمكن الباحث من موافقة صاحب نشاط ـــ عن طريق وسطاء ـــ على السماح له بزيارة موقع ممارسة النشاط، وإجراء الحوار مع المبحوثين، كان يذهب للقرية على مدار العام، بعد إجراء الترتيبات اللازمة مع أصحاب مكان ممارسة النشاط، الذين يحتاطون بدرجات كبيرة حتى درجة الاطمئنان للسماح للباحث بمقابلة المبحوثين، لذا امتدت الدراسة الميدانية في قرية "منشأة رضوان" حتى تمكن الباحث من تحقيق أهداف الدراسة الخاصة بحرفة حلج القطن، ودورها في كل من التكيف مع الفقر، وصناعة رأس المال. واستغرقت عاماً كاملاً من بداية عام ٢٠٠٤ حتى بداية عام ٢٠٠٥ لكن بشكل زمني متقطع وليس متصلاً لظروف الحرفة.

٦ - المجال البشري للبحث:

يتكون المجال البشري للبحث من أولئك الذين يعملون في حرفة صناعة ورق البردي في قرية القراموص، التي يوجد بها تقريباً في كل منزل ورشة أو حــرفيين أو حرفيات بورشة، ومن أولئك الذين يعملون في حرفة صناعة منتجات ومخلفــات النخيل بالقُرين كالأقفاص، ومطارح الخبيز، والكراسي، والحبال، والمقشات الليف، والقفف، وغير ذلك، وأخيراً يضم المجال البشري أيضا، أولئك الذين يعملــون فــي حرفة حلج القطن بقرية منشأه رضوان.ولما كانت لا تتــوافر إحصـــاءات رســمية لأعداد الحرفيين ، لذا اعتبر الباحث كل من يعمل بالحرف ضمن المجال البشــري للبحث لكن لا توجد إحصاءات أو بيانات بشأنهم يمكن توظيفها.باستثناء أعداد مــن هم في الفئة العمرية ١٥ سنة فأكثر ، حيث هم الذين يعملون فى الحــرف بــالقري الثلاث ،ويُقدر عددهم عام ٢٠٠٣ بما يلي:

فى القراموص٧٦٧٤ نسمة ، وفي القُــرين ٣٥٢٤٣ نســمة ، وفــي منشــأة رضوان ٧٨٢ نسمة، (مركز المعلومات :٢٠٠٣: ١)وبذلك يكون المجال البشــري للدراسة يتكون من ٧٦٧٤+٣٥٢٤٣+٧٨٢٤ =٥٠٧٤١ نسمة فى القري الثلاث.

٧- الأساليب المنهجية المستخدمة في البحث:

انطلاقاً من عدم وجود بيانات أو إحصـــاءات عــن الحــرفيين وكــذلك صعوبة إجراء حصر شامل لهم فى الحرف الثلاث قام الباحث باستخدام المسح الاجتماعي بالعينة العمدية فى الحرف الثلاث.

٨- أدوات جمع البيانات:

لقد تمثلت أدوات جمع البيانات في البحث الوصفي التحليلي الراهنة فيما يلي:

صحيفة الاستبانة : استخدمها الباحث مع الحرفيين فى الحرف الثلاث، خلال الاستبار بسبب انتشار الأمية بين حرفتي النخيل والقطن، أما حرفة البردي، فمع انتشار التعليم بين العاملين ونسبة كبيرة من أصحاب النشاط، إلاأن دواعي عدم تعطيل العمل قد حالت واستخدام الاستبيان، حيث أن العمل يدوي، لذا فإن الباحث والباحثات المساعدات قد قاموا بتسجيل الإجابات أثناء تأدية العمالة للنشاط، وبذلك كان الاستبار هو الأمثل هنا. وقد استخدم الباحث نموذجين من استمارة الاستبانة.

النموذج الأول: موجه لصاحب النشاط (المنشأة) ملحق رقم (١)

ويحتوي على : فئات السن والنوع ، والحالة التعليمية ، والحالة الاجتماعية ومصدر تعلم الحرفة ، ومدي الاهتمام بتعليم الأبناء الحرفة (التوريث المهني)، وعدد أفراد الأسرة ، والحيازة الزراعية ، والدخل الشهري واستفادة صاحب العمل من الحرفة .

النموذج الثاني: موجه للعمالة (بالمنشأة) ملحق رقم (٢)

ويحتوي على: النوع ، والسن،والحالة التعليمية ، والحالة الاجتماعية، ونوع العمالة بين المؤقتة والدائمة ، ونوعها بين العائلية والمؤجرة ، وعلاقة العمالة بالقرية ، وسنوات الخبرة ، والأجر اليومي ، ومدي وجود مهن أخري من عدمه ، وأسباب العمل بالحرفة ، ومكونات الثروة الحيوانية لدى أسرة العمالة، والحيازة الزراعية ، وعدد أفراد الأسرة ، والدخل الشهري لأسرة الحرفي، وأخيراً رؤية العمالة لحالتها الاقتصادية وإمكانيات إنفاقها الأسري للبقاء على قيد الحياة.

- **اختيار العينة في البحث:**

تم اختيار العينة انطلاقاً مما يلي:

أ- **في حرفة صناعة ورق البردي:** تم اختيار عينة عمدية من خلال المصانع أو الورش المصفوفة على جانبي شوارع القرية داخل البيوت أو خارجها أو بجوارها، حيث تم اختيار المصنع (كما يطلقون عليه للوجاهة الاجتماعية مع أنه حجرة واحدة أو حجرتين) أو الورشة التى وافق صاحبها على إجراء الدراسة علي الحرفيين فيها، وبحصر كل ذلك تبين أن عدد العينة وصل إلى ٢٠٨ مصنعاً أو ورشة، وتبين أن بها عمالة حرفية وصل عددها إلى ٧٦٠ عاملاً وعاملة.وبذلك وصل عدد مفردات العينة فى حرفة ورق البردي إلي ٢٠٨ + ٧٦٠ = ٩٦٨مفرده ، وبنسبة ١٢,٦% من المجال البشري لحرفة ورق البردي بقرية القراموص.

ب- **حرفة صناعة منتجات ومخلفات النخيل:** تم الاختيار بأسلوب العينة العمدية ثم العنقودية من كل حرفة حسب وزنها النسبي بين حرف منتجات ومخلفات النخيل المتعددة، وكانت العينة التي وقع الاختيار عليها تمارس نشاطها في الشوارع والأجران والساحات وأمام باب المنزل وذلك للحيز الكبير الذي تحتاجه المنتجات والمواد الخام كالجريد بأطواله المعهودة والأقفاص وأحجامها والكراسي والليف ومنتجاته والكرينة ومناشرها التي تحتاج مساحات كبيرة للتشير والتجفيف وغير ذلك، وهكذا في جميع الأنشطة الفرعية لنشاط منتجات ومخلفات النخيل. لذا فقد تم اختيار عدد ٢٥٦ موقعاً لممارسة النشاط الحرفي لمنتجات ومخلفات النخيل يعمل بها عمالة تضم ٨٠٠ عامل حرفي وعاملة هم عينه هذا النشاط التي تم اختيارها. وبذلك وصل مفردات العينة في حرفة منتجات ومخلفات النخيل إلي ٢٥٦ + ٨٠٠ = ١٠٥٦ مفردة، وبنسبة ٣% من المجال البشري لحرفة منتجات ومخلفات النخيل بالقُرين.

جـ- **حرفة حلج القطن:** جاء اختيار العينة في حرفة حلج القطن بالطريقة العمدية من خلال إجراء محاولات من جانب الباحث وأصدقائه من أبناء مجتمع البحث الذين تعرف عليهم في المرحلة الاستطلاعية (قرية منشأة رضوان) مع العديد ممن لديهم مواقع ممارسة نشاط حلج القطن، وذلك للاتفاق مع من يوافق منهم على السماح بدخول الموقع الذي لديه، ومن هنا كانت العينة العمدية فجاءت من تعمد اختيار كل من وافق على دخول موقع النشاط الذي لديه، وقد تم الحصول على موافقة أصحاب ٢٨ موقعاً يعمل بها ٩٦ عاملاً، وقد اعتبر الباحث هذه المواقع وهؤلاء الحرفيون يمثلون حرفة حلج القطن في القرية. وبذلك وصل مفردات العينة فى حرفة حلج القطن إلي ٢٨ + ٩٦ = ١٢٤ مفردة، وبنسبة ١,٥% من المجال البشري لحرفة حلج القطن منشاة رضوان.

وهكذا يكون إجمالي المنشآت أو مواقع ممارسة النشاط التي تم اختيارها وهي تمثل أيضاً (صاحب النشاط) أو (صاحب المنشأة) في الحرف الثلاث والقرى الثلاث قد بلغت ٤٩٢ منشأة وموقعاً حرفياً وصاحب منشأه أو نشاط حرفي، وعدد العمالة الحرفية بتلك المنشآت أو المواقع الحرفية تبلغ ١٦٥٦ عامل وعاملة حرفية.بإجمالي ٤٩٢+ ١٦٥٦= ٢١٤٨ مفردة، وبنسبة ٤,٢% من المجال البشري للحرف الثلاث.

أما العينة العمدية، فيكمن منطقها وقوتها في اختيار حالات غنية بالمعلومات للتركيز عليها في الدراسات المتعمقة. إن الحالات الغنية بالمعلومات هي تلك المفردات التي يمكن أن نقف من خلالها على قدر وافر من المعلومات عن القضايا الفائقة الأهمية لأهداف البحث، وغالباً ما ترتبط مثل هذه العينات بالبيانات الكيفية المستخلصة من المقابلات المتعمقة، أو من خلال أنواع مختلفة من الملاحظة، ولا توجد أي شروط مسبقة تحدد حجم مثل هذه العينات، فالأساس هو ما تتسم به من مرونة ويمكن القول بصفة عامة أن الباحث يظل يجمع المعلومات أو البيانات من هذه العينات حتى يصل إلى الحد الذي يستطيع عنده أن يحصل على

إجابات كافية للأسئلة التي كانت الدافع الأساسي وراء الدراسة، أو يكون قد جمع ما يكفي لاختبار أو تشييد النظرية، أو لتفسير البيانات، كذلك يتوقف الباحث عن جمع المعلومات (عند اتساع نطاق حجم العينة) عند النقطة التي لا يتوافر بعدها معلومات جديدة، أو أفكار نظرية من خلال البيانات، كما تعتمد على قدرات الباحث على الملاحظة والتحليل أكثر مما تعتمد على حجم العينة في حد ذاته. (ديرك لايدر: ٢٠٠٠: ١١٠).

١٠- وحدة التحليل الأساسية في البحث:

تتعدد وحدات التحليل الأساسية في الدراسة الراهنة كمحاولة للتكامل المنهجي، وسواء كانت المنشأة أو موقع ممارسة النشاط هي وحدة التحليل الأساسية للحرف التقليدية ، أو كانت العمالة هي وحدة التحليل الأساسية، أو الحرفة هي وحدة التحليل الأساسية، فإن كل ذلك تم انطلاقاً من المنظورين "الميكرو" و "الماكرو" على مستوى وحدات التحليل في ضوء علاقاتها بالمحلية وبالعالمية.

وإذا اعتبرنا صاحب المنشأة يعتبر وحدة تحليل أساسية، فذلك لأن صاحب المنشأة يمثل الشخصية الأساسية والمحورية التي يدور حولها النشاط الحرفي، ومن ثم فإن البيانات الخاصة به تساعدنا في فهم الكثير عن النشاط وما يتعلق به، وقد أمكن التركيز على البيانات الأولية لصاحب المنشأة كالنوع، والسن، والحالة التعليمية، والمهن الأخرى ، والحالة الاجتماعية، ولماذا عمل في هذه الحرفة؟، ومن أين تعلم الحرفة؟، ومتى بدأ يتعلمها؟، وهل يورث المهنة أو يعمل على توريثها ؟، وأساليب تدريب الصبية على الحرفة، وكيف كان تاريخ الحرفة في أيام صباه، وعدد العمالة لديه في المنشأة، وعلاقته بهم، والعمالة العائلية أو المؤجرة لديه، ومدى إفادة الحرفة لقريته أو القرى المجاورة أو الجمهورية، ومشكلات الحرفة من وجهة نظره ومستلزمات الإنتاج وتصريف الإنتاج وكل ما يتعلق بالحرفة وصناعة رأس المال منها.

أما إذا اعتبرنا أن العمالة هي وحدة التحليل الأساسية، فقد ركــز الباحــث على النوع، والسن، والحالة التعليمية، والحالة الاقتصادية، ونوع العمالة بين الدائمة والمؤقتة، والعائلية والمؤجرة، ومن القرية، ومن خارجها، والتخصص في الحرفة، وسنوات الخبرة، والأجر اليومي، والمهن الأخرى إن وجدت، ومدى الرضـــا عـــن العمل، وماذا أخذ من الحرفة، وماذا أخذت الحرفة منـــه، ومـــا أمـــراض الحرفـــة وعيوبها وكيفية العلاج، وكيف تمثل حالة تكيف مع الفقر.

ويمكن كذلك اعتبار البيئة وحدة تحليل أساسية في علاقتها بالموراد الأساســـية اللازمة لممارسة النشاط. مثلما هو الحال في وجـــود بحـــر فـــاقوس بجـــوار قريـــة القراموص، مما وفر المياه لزراعة نبات البردي المستهلك للمياه بشكل كبير، وكـــذلك انتشار النخيل في بيئة القُرين "بلد المليون نخلة" مما أدى إلى انتشار حرفة منتجـــات ومخلفات النخيل، وكذلك بيئة قرية منشأة رضوان وجيرانها التي يزرع فيهـــا نبـــات القطن بشكل جيد فيوفر كميات لعمل ورش حلج القطن في المنازل طوال العام.

١١- التحليل الكمي للبيانات:

تم تفريغ البيانات في جداول إحصائية، تمثل المحاور الأساسية التي جـــاءت في استمارتي الاستبانة الخاصة بكل من أصحاب المنشآت، وبالعمال، وتـــم تحليـــل كل جدول من تلك الجداول في موقعه المناسب، وكذلك تم تقـــديم شـــرح وتفســـير لبعض الصور الفوتوغرافية لممارسة النشاط. وتلي كل ذلك كتابة الاستخلاصـــات الأساسية للدراسة وتوصياتها.

١٢- المجال الزمني للبحث:

إذا كان المجال الزمني للمرحلة الاستطلاعية السابقة لهذه الدراسة قـــد امتـــد منذ صيف ٢٠٠٢ حتى صيف ٢٠٠٣، حيث قام الباحث آنذاك بزيـــارات متفرقـــة ومتكررة لقرى الدراسة كلما سمحت الفرصة للباحث بـــذلك ــ لخصوصـــية تلـــك المواقع ــ حتى يتسنى للباحث الاقتراب أكثر وأكثر من مجتمعات البحث، وإزالـــة

شكوك المبحوثين تجاه الباحث وعلاقته بأمن الدولة أو الضرائب حسب حالة كل مجتمع، وقد تمكن الباحث من تحقيق أهدافه في صيف ٢٠٠٣، وقام بإجراء اللقاءات المنتظمة الفردية والجماعية في مجتمعات البحث الثلاثة "القراموص" و "القُرين" و"منشأة رضوان". أما الدراسة الوصفية التحليلية للحرف الثلاث في القرى الثلاث قد استغرقت ١٥ شهراً بمتوسط خمسة شهور لكل حرفة حسب الظروف المحيطة بكل حرفة والعوامل الجوية ونوع تربة شوارع القرية والمواصلات المؤدية إليها والطرق، وبدأت من يناير ٢٠٠٤ وانتهت في مارس ٢٠٠٥.



الحرفيون والنشاط الحرفي في مجتمعات البحث

مقدمــــة

أولاً : حرفة صناعة ورق البردي.

ثانياً : حرفة صناعة منتجات ومخلفات النخيل.

ثالثاً : حرفة حلج القطن وعصر البذرة.

رابعاً: الحرفيون والحرف الثلاث : رؤية تحليلية.

مقدمة:

يتناول الباحث فى الفصل الرابع الحرفيين والنشاط الحرفي فـــى مجتمعـــات الدراسة، وذلك لتوضيح الفكرة الأساسية التى انطلق منها الحرفيــون للعمـــل بتلـــك الحرف ، وما أهدافهم من العمل بتلك الحرف، وكيف يتم العمل ومراحلـــه ، وهـــل العمل دائم أم مؤقت ، وما الأدوات المستخدمة فيه ، وما تكلفة المدخلات ، وما قيمة المخرجات ، وما دورها فى التكيف مع الفقر أو صناعة رأس المال، وأهمية العمـــل الحرفي خاصة فى غياب الفرص البديلة ، وحالات الإبـــداع الحرفـــي ومـــا تمثلـــه للحرفيين المبدعين وغير المبدعين ، وأسلوب تخزين الإنتاج ، وأســـلوب توزعـــه ، وأخيرا المستقبل المرتقب للحرفيين والحرفة فى ضوء ما تتعرض له كل حرفة مـــن ضغوط أو عوامل داعمة أو معوقة.وبذلك سيعرض الباحث الحـــرف الـــثلاث فـــى البداية بشكل توثيقي يتضمن كيفية وجذور دخول الحرفة للقرية والأساليب والأدوات المستخدمة فى الحرفة ، وطرائق أداء الحرفيين للحرفة ، ومصادر المواد الخـــام ، وكيفية الحصول عليها ، ومراحل الإنتاج حتي نهاية تصريف الإنتاج. ويعقـــب كـــل ذلك رؤية تحليلية مقارنة بين الحرف الثلاث يتناول فيها الباحث ما يلي:

أ- خصائص وسمات الحرفيين فى الحرف الثلاث.

ب- الدوافع الاجتماعية والاقتصادية بالحرف الثلاث.

جـــ- نوع العمل الحرفي دائم أم مؤقت وأثر ذلك فى الحرفيين.

د- الأدوات المستخدمة فى الحرف ومصادرها.

هـــ- تكلفة المدخلات فى كل حرفة مقارنة بالأخري.

و- قيمة المخرجات من كل حرفة مقارنة بالأخري.

ز- دور الحرف فى التكيف مع الفقر.

ح- دور الحرف فى صناعة رأس المال.

ط- أهمية الحرف فى ظل ندرة الفرص البديلة.

ي- حالات الإبداع الحرفي فى الحرف الثلاثة.

ك- أساليب تخزين الإنتاج الحرفي.

ل- كيفية تسويق الإنتاج الحرفي.

م- المستقبل المرتقب للحرفيين والحرف الثلاث.

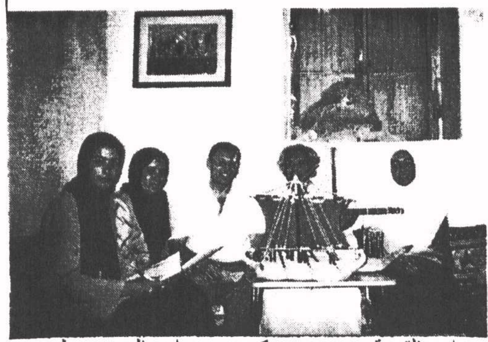
أولا: حرفة صناعة ورق البردي

يطلق سكان قرية القراموص مركز أبو كبير محافظة الشرقية على النشاط الحرفي القائم على تصنيع ورق البردي اسم "البردي"، حيث يُقال "بيشتغل في البردي"، ولقد بدأ نشاط زراعة نبات "البردي" ــ وهو من فصيلة السمار ــ وتصنيع ورسم أوراقه منذ عام ١٩٧٦، إذ أدخله إلى القرية أحد أبنائها، الذي تخرج من كليه الفنون الجميلة، حيث كان يدرس فيها ثبات الألوان على البرديات، وأساليب الرسم والتلوين على ورق البردي، وظل بعدما تخرج من الكلية يبحث عن شتلة نبات البردي ليعيد إنتاجه وتصنيعه، حتى تمكن من الوصول إلى شتلة لنبات البردي في حديقة "الأورمان" بالجيزة، وكان نبات البردي آنذاك يزرع للزينة فقط، ولم يزرع للتصنيع في مصر منذ قدماء المصريين ــ كما يروي القصة ابن القرية الذي أدخل النشاط إليها (الصورة رقم ١) حتى جاء ابن قرية القراموص به مرة ثانية وحاول إكثاره عام ١٩٧٦، وبعدما نجحت محاولاته للإكثار بعد العديد من المحاولات في حديقة منزله بالقرية من الشتلة الأولى، التي حصل عليها من حديقة "الأورمان"، بدأت مرحلة الإكثار بجمع الشتلات من حديقة "الحيوان"، وحديقة "الأورمان" وحديقة "الحرية" بالجيزة، حيث كان نبات البردي يستخدم في تلك بغرض الزينة، وبدأ ابن القرية يتوسع في الإكثار من نبات البردي من أجل الإنتاج وقام باستضافة مجموعة من أساتذة كلية الفنون الجميلة ليعاونوه في الوصول إلى طريقة لإعادة تصنيع ورق البردي، وتكررت



ابن القرية يحكي للباحث قصة البردي في القرية
(صورة ١)

محاولات التصنيع بين الفشل والنجاح، ولكن لأن ابن القرية كان مهموماً بالموضوع فقد تمكن من الاستمرار في المحاولات حتى نجحت الفكرة وتحولت القرية من نشاط الزراعة التقليدية إلى نشاط زراعة وتصنيع البردي، الذي انتشر في بيوت القرية جميعها ويزرع منه الآن ما يزيد عن ١٠٠٠ فدان في القرية ويتم تصنيعه فيها في كل البيوت، وتم تصنيع نماذج كثيرة من نبات البردي (صورة ٢)، وكان قرار أول من أدخل النشاط للقرية هو أن يعتمد بشكل أساسي على الإناث في نشاط البردي الذي يحتاج الصبر، والدقة وعمالة دائمة، ورخيصة الأجر، ولا يتوفر ذلك إلا في الإناث ـ كما يقول ـ وهكذا أصبح النشاط أنثوياً.

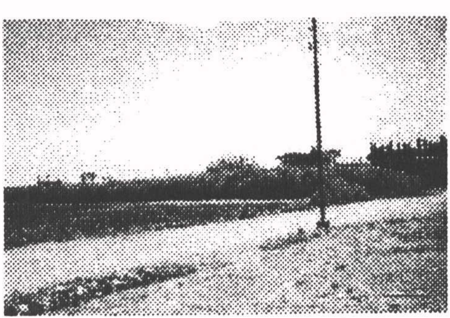

ابن القرية يعرض مركب من نبات البردي على الباحث ومساعديه
(صورة ٢)

وتمر حرفة صناعة "ورق البردي" بالمراحل التالية:

١ – مرحلة الزراعة:

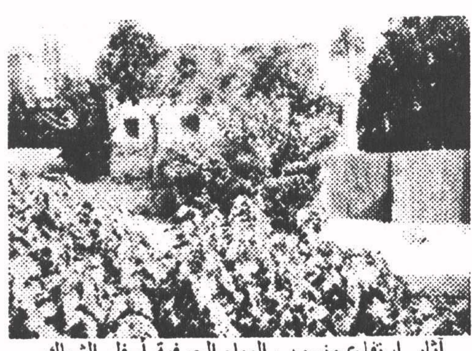
بدأ ابن قرية القراموص محاولاته إكثار نبات البردي في حديقة منزله أولاً، ثم توسع في مساحة ثلاثة قراريط، ثم تزايدت المساحة إلى فدان، ومنه انتشر في القرية جميعها التي تزرع منه الآن ١٠٠٠ فدان، تزرع نبات البردي ـ حيث تعلم الفلاحون النشاط من صاحب المحاولة والفكرة الأولى، ومثلما أدخل ابن القراموص خريج الفنون الجميلة نبات البردي إلى القرية، أدخل تصنيع ورقة البردي والرسم

البردي والرسم عليها حتى كيفية تسويقها، وانتشرت رراعات البردي في القريـة حتى تـداخلت مـع الكتلـة السـكنية (صورة ٣)، ويؤدي تداخل زراعـات نبات البردي مع الكتلة السـكنية إلـى انتشار البعوض وذلك لاستمرار المياه الراكدة في حقول البردي، ليس هـذا فقط بل تؤدي زيادة المياه في حقـول البردي إلى ارتفاع منسـوب الميـاه الجوفية داخل الكتلة السـكنية والـذي تتضـح آثـاره علـى المنـازل (صورة ٤)، حيـث يلاحـظ أن آثـار ارتفاع منسوب المياه الجوفيـة وصـل إلى مترين على حائط المنزل وأسـفل الشباك الأيسر، ويتغلب سكان القريـة على هذه الظاهرة بالبناء على النظـام الحضري باستخدام القواعد الخرسـانية والأعمدة الخرسـانية. وذلـك بعـدما ظهرت المشكلة على المنـازل التـي بنيت قبل إدخال نشاط البـردي إلـى القرية.



زراعات البردي على امتداد البصر وتتداخل مع الكتلة السكنية

(صورة ٣)

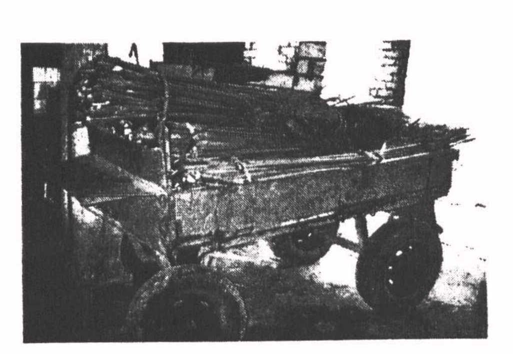


آثار ارتفاع منسوب المياه الجوفية أسفل الشباك الأيسر

(صورة ٤)

ويظل نبات البردي مزروعاً في الأرض لمدة عشر سنوات، حيـث يـتم حصاده كل ثلاثة شهور عن طريق القطع بالقرب من الجـذر (الحـش بالمنجـل) عند مستوى سطح الأرض، حينما يكون طول النبات من ٣: ٦ متر، حسب نـظام

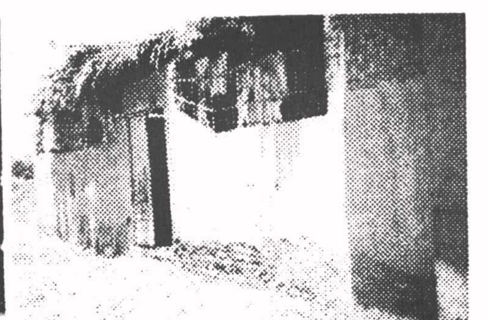
تسـميد التربـة ورعايتهـا والاهتمام بالنبات ثم يتم نقل النبـات من الحقـل إلـى "ورش التصـنيع" بالقرية، والتي يطلق عليها السـكان اسم "المصنع" مـن أجـل الوجاهـة الاجتماعيـة، حتـى يقـال "عنـدي مصنع" أو "عندي أربعة مصانع" يتم النقل بواسطة عربة حديـد يجرهـا حمار (صورة ٥) من الحقـل إلـى المصنع داخل القرية.



عربة حديد محملة بنبات البردي

(صورة ٥)

وقد لا تتجاوز مساحة المصنع حجرة واحدة ٣,٥ × ٣ متـر أو حجـرتين على الأكثر داخل المنزل أو ملاصقة لـه كامتـداد لـه، أو أمامـه، أو مدخلـه، (الصورة ٦)، ولا تحوي آلات سوى منشار كهربائي صغير لتقطيع سيقان البردي،



صورة خارجية لأحد الورش

(صورة ٦)



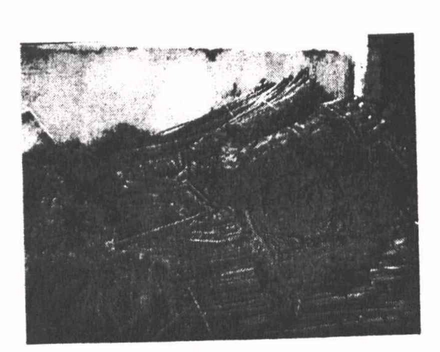
صورة داخلية لأحد الورش

(صورة ٧)

وبعض المكابس اليدوية، وآنية بلاسـتيك،وأكياس بلاسـتيك، وبـانيو، أو أكثـر كأحواض،كما هو واضح في (الصورة ٧) حيث في اليمين بانيو مُعلق، وفي الوسط مكبس وعلى اليسار مكبس آخر، وتنتشر أطباق بلاسـيتك فـي أرجـاء المصـنع (الورشة).

٢ – مرحلة التقطيع:

بعد جلب النبات من الحقول بواسطة "عربة كارو حديد" خاصة بالفلاحين، يوضع في الورش، ويغطى بالخيش المبلل بالماء حتى يظل أخضراً وليناً، ويحتفظ بنضارته (الصورة ٨)، ثم يبدأ الذكور من العاملين بالورشة وفي الغالب هم أصحاب المصنع بتقطيع سيقان النبات بواسطة منشار كهربي صغير في حالة وجود التيار الكهربي، (صورة ٩)، ويتم التقطيع يدوياً باستخدام "الشاطور" فوق جذع نخلة في حالة انقطاع التيار الكهربي (صورة ١٠)، ويتم التقطيع بأطوال محددة سلفاً، طبقاً لمقاسات الورقة المرغوب إنتاجها وأطوالها. وبعد التقطيع يتم "رص" السيقان المقطعة حسب أطوالها رأسياً في "أطباق بلاستيك" قطر الواحد منها ٦٠ سم، وذلك "كمكيال" أو "عبوة" تسلم للحرفيات من البنات، ويتم حساب الإنتاج انطلاقاً من عدد الأطباق التي تنجزها الأنثى في المراحل القادمة. ومهمة التقطيع يقوم بها الذكور من أصحاب الورش حتى لا يتعرض الغرباء



نبات البردي مغطى بالخيش المبلل
(صورة ٨)



صاحب ورشة على منشار كهربي للتقطيع وزوجته تملأ طبق بلاستيك مكيال
(صورة ٩)



صاحب ورشة يقطع بشاطور أثناء انقطاع الكهرباء
(صورة ١٠)

لبتر الأصابع أثناء التقطيع، وبالتالي المسئولية القانونية والمشكلات لصاحب الورشة الذي يفضل أن يتحمل بنفسه مسئولية التقطيع.

٣ – مرحلة التشريخ:



الخيوط مشدودة على الأعمدة الطوب الحاملة والبنات يجلسن بالتبادل وأمام كل واحدة مكاييل الإنتاج الخاصة بها من أطباق بلاستيك ويقمن بعملية التشريخ (صورة ١١)

مرحلة تقوم بها الإناث فقط في النصف الثاني من يوم العمل، والذي يبدأ بعد تناول طعام الغداء، وليس للذكور دور في مرحلة التشريخ الذي يتم بواسطة خيط بلاستيك دقيق جداً ومتين، مشدود من أحد طرفيه على مسامير مثبتة في الحوائط أو مشدود على أسياخ الشبابيك أو الأعمدة الحاملة لسقف الورشة (صورة ١١)، وتمسك العاملة الحرفية بالطرف الثاني للخيط البلاستيك بيدها، وهي جالسة في الجهة المقابلة لجهة المسمار، وهكذا تجلس العاملات بالتقابل لأن كل واحدة في مواجهة شد الخيط الخاص بها، ثم تمر العاملة بالخيط المشدود من أعلى إلى أسفل في سيقان البردي التي سبق تقطيعها حسب الأطوال المطلوبة والتي تمسكها باليد الثانية، وبذلك تتحول قطعة الساق بعد تقشيرها وتشريخها إلى مجموعة شرائح من "لُب الساق" تُسمى "باكو" وتقوم الحرفية الأنثى في الغالب بتشريخ عبوات من ٦: ٨ أطباق يومياً، وهكذا تنتهي عملية التشريخ (كما يطلقون عليها مع أنها تشريح).

ويقوم أصحاب الورش بتعليم أطفالهم عملية التشريخ حتى يجيدونها في طفولتهم كما هو واضح في (صورة ١٢) حيث تمسك الطفلة بالخيط المشدود على إصبع يدها اليمنى وتمسك الساق الذي تحوله إلى "باكو" بيدها اليسرى بمهارة فائقة، والأب والأم يراقبونها والصغار يراقبون الطرفين (تطلع لتوريث الحرفة)، وهكذا تنتهي مرحلة التشريخ لتبدأ مرحلة أخرى.



الطفلة تجيد عملية الشريخ الأبوان يرقبان والصغار يراقبون الطرفين

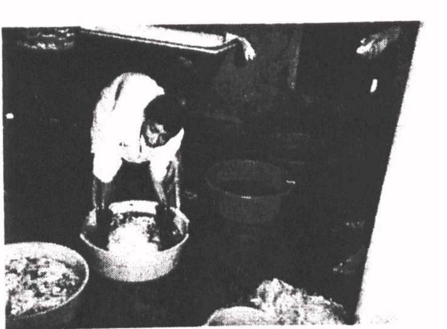
٤ - مرحلة التبتيس:

وهي عملية يقوم بها الذكور فقط، ويتم فيها "نقع" شرائح البردي، أو البواكي التي تم تشريخها في محلول البوتاس (هيدروكسيد الصوديوم) بمعدل كيلو جرام بوتاس / ٣٦٠ لتر ماء، ويوضع المحلول في آنية بلاستيك كبيرة "براميل"، ثم تلقى فيها الشرائح وتترك لمدة خمس ساعات تقريباً، (صورة ١٣) حتى يتغير لونها إلى الأصفر الداكن أو البني الفاتح، وتتآكل الزوائد الناتجة عن عملية (التشريخ)، ولا يتبقى غير الشريحة والخيوط الطبيعية اللاصقة الموجودة فيها،



برميل البوتاس وقفاز للوقاية وفي الصورة بتر أصابع الحرفي من المنشار
(صورة ١٣)

وحينئذ تنتهي مرحلة التبتيس، ثم يتم رفع الشرائح باستخدام "قفاز واق بلاستيك" وتوضع في أطباق بلاستيك أو بانيو للتشطيف، وذلك باستخدام كميات من المياه، ويقوم الذكور بتغيير المياه لأكثر من مرة للتخلص من آثار البوتاس (صورة ١٤)، وذلك تمهيداً لمرحلة تاليه يقوم بها الذكور والإناث على السواء خاصة أصحاب الورش، لأنها تعتبر عمليات تجهيزية للخامات التي سوف تستخدمها الحرفيات في بداية يوم العمل، إذاً هذه العمليات تتم قبيل بداية يوم العمل أي في ليل اليوم السابق وقد تستمر إلى صبيحة يوم العمل لكن قبيل حضور الحرفيات اللاتي تعملن بأجر.



حرفي صغير يقوم بشطف الشرائح من البوتاس ويلبس قفازاً واق
(صورة ١٤)

٥ - مرحلة الكلورة:

عملية يقوم بها الذكور والإناث لأن مخاطرها أقل، ويتم فيها "مزج" الكلور (هيبوكلوريد) بالماء، وبنسبة مكيال ١ كلور: ٤ ماء، وذلك في آنية كبيرة هي عبارة عن بانيو مستطيل ١,٥ متر معلق على حامل حديدي بارتفاع متر في الغالب حتى يتم العمل وقوفاً، ويوجد خزان كلور كبير في كل ورشة وهو عبارة عن مكعب بلاستيك متر × متر × متر، أو أكبر من نلك وله صنبور من أسفل، يتم التفريغ منه بالطلب في إناء بلاسنيك معيار (صورة ١٥)، ويلاحظ



الحرفي يملأ المكيال من خزان الكلور داخل المنزل
(صورة ١٥)

تداخل الورشة في المنزل، حيث خزان الكلور في طرقة داخل المنزل مفتوحة على الورشة في نهايتها، ويلاحظ في الصورة أيضاً أن الحرفي صاحب الورشة يقف حافي القدمين على أرض الورشة المختلطة ببقايا البوتاس والكلور، وأرض الورشة بها مسكوب عليها مزيج من الماء والكلور والبوتاس، والحرفيات تلبسن أحذية بلاستيك لوقاية أقدامهن من آثار البوتاس والكلور.

وتوضع الشرائح التي سبق "تبتيسها" وشطفها في محلول الكلور لمدة ساعتين تقريباً، حتى يتحول لون الشرائح من الأصفر الداكن أو البني الفاتح، إلى اللون الذهبي الفاتح أو الأبيض المائل للاصفرار، حينئذ يتم نقل تلك الشرائح لغسلها مرة أخرى بالماء الجاري، للتخلص من بقايا وآثار الكلور "لتفتيح" لونها، وتوضع في الأطباق البلاستيك السابق الحديث عنها في مرحلة التقطيع، ويضاف الماء النظيف إلى الشرائح في الأطباق، وهكذا تنتهي عملية "الكلورة" وتبدأ عملية "الرص".

٦ – مرحلة الرص:

الرص عملية تقوم بها الإناث فقط، حيث يقمن بوضع قطعة من قماش "دمور" بمقاسات الورقة المراد إنتاجها، يتم "رص" الشرائح المتساوية الأطوال بشكل أفقي بجوار بعضها البعض بشكل دقيق ومحكم، بحيث لا يتم ترك مسافات بينية، وهذه الطبقة الأولى تسمى الطول، ثم يتم "رص" شرائح العرض فوق طبقة الطول ولكن بشكل متعامد دونما ترك مسافات بينية أيضاً، وبعد الانتهاء من "رص" مكونات الورقة الأولى، طول + عرض، يتم وضع فاصل جديد من قماش "الدمور" لتبدأ مرحلة "رص" ورقة ثانية، ثم قماش "دمور" ،ثم "رص" ورقة ثالثة... وهكذا حتى ترتفع طوابق أوراق البردي، ثم تتكرر العملية في مجموعات أخرى من طوابق ورق البردي.

تداخل الورشة في المنزل، حيث خزان الكلور في طرقة داخل المنزل مفتوحة على الورشة في نهايتها، ويلاحظ في الصورة أيضاً أن الحرفي صاحب الورشة يقف حافي القدمين على أرض الورشة المختلطة ببقايا البوتاس والكلور، حيث أرض الورشة بها مياه دائماً بها بوتاس وكلور، والحرفيات تلبسن أحذية بلاستيك لوقاية أقدامهن من آثار البوتاس والكلور.

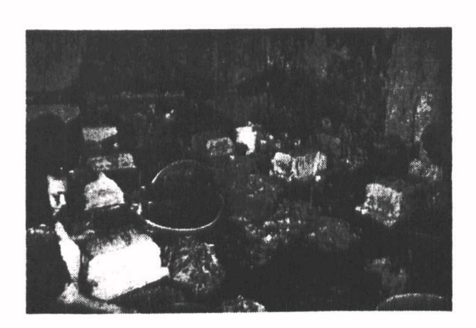
وتوضع الشرائح التي سبق "تبتيسها" وشطفها – توضع – في محلول الكلور لمدة ساعتين تقريباً، حتى يتحول لون الشرائح من الأصفر الداكن أو البني الفاتح، إلى اللون الذهبي الفاتح أو الأبيض المائل للاصفرار، حينئذ يتم نقل تلك الشرائح لغسلها مرة أخرى بالماء الجاري، للتخلص من بقايا وآثار الكلور "لتفتيح" لونها، وتوضع في الأطباق البلاستيك السابق الحديث عنها في مرحلة التقطيع، ويضاف الماء النظيف إلى الشرائح في الأطباق، وهكذا تنتهي عملية "الكلورة" وتبدأ عملية "الرص".

٦ – مرحلة الرص:

الرص عملية تقوم بها الإناث فقط، حيث يقمن بوضع قطعة من قماش "دمور" بمقاسات الورقة المراد إنتاجها، يتم "رص" الشرائح المتساوية الأطوال بشكل أفقي بجوار بعضها البعض بشكل دقيق ومحكم، بحيث لا يتم ترك مسافات بينية، وهذه الطبقة الأولى تسمى الطول، ثم يتم "رص" شرائح العرض فوق طبقة الطول ولكن بشكل متعامد دونما ترك مسافات بينية أيضاً، وبعد الانتهاء من "رص" مكونات الورقة الأولى، طول + عرض، يتم وضع فاصل جديد من قماش "الدمور" لتبدأ مرحلة "رص" ورقة ثانية، ثم قماش "دمور" ثم "رص" ورقة ثالثة... وهكذا حتى ترتفع طوابق أوراق البردي، ثم يتم تكرار العملية في مجموعات أخرى من طوابق ورق البردي.

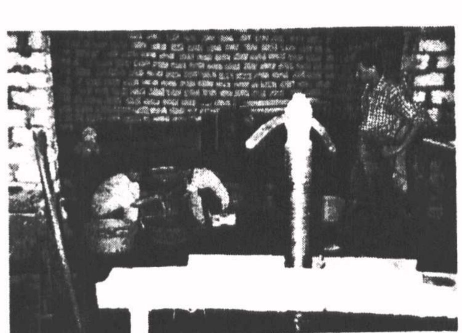
وهناك طريقتان لرص أوراق البردي هما:

أ- الـــرص جلـــوس القرفصاء: وفيه يتم وضع مكاييل شرائح البردي أمام الحرفيات وهن جلوس القرفصاء، وأمام كل واحدة منهن صندوق خشبي أو أي قاعدة بمساحة الورقة المــراد إنتاجهــا، (انظر صورة ١٦) ،ويلاحظ فـــي الصورة أكوام من شرائح البردي، وأطباق بها شرائح البـــردي فـــي مياه، أرض الورشة عليها طوال يوم العمل، مزيج من المـــاء والكلـــور والبوتـــاس ،وهكذا تقضي الحرفيات نصف اليوم الأول دائماً في الرص، ويديها وقـــدميها فـــي الماء حتى فترة تناول الغداء لأنها بعدها ستعمل في نشاط آخر سبق ذكـــره وهـــو التشريخ الذي لا يستلزم الجلوس في الماء، كما هو الحال في حالة الرص جلـــوس القرفصاء، وأمام كل واحدة مـــنهن رصات ورق البردي التي قامـــت بإنجازها.



الحرفيات تجلسن القرفصاء وأمامهن شرائح البردي وأرض الورشة مبللة بالمياه طوال فترة العمل
(صورة ١٦)

وتمارس الحرفيات الـــرص جلوس القرفصاء، حينمـــا تكـــون مســـاحات الأوراق المطلـــوب إنجازها صغيرة، كأن تكـــون ٢٠ × ٣٠ سم، أو ٣٠ × ٤٠ ســـم، لأن هذه الأطوال يمكـــن تنفيـــذها جلوساً، وتقوم بهذه العملية كل حرفية بمفردها، إلا إذا كانت هناك حرفيتان أخوات،



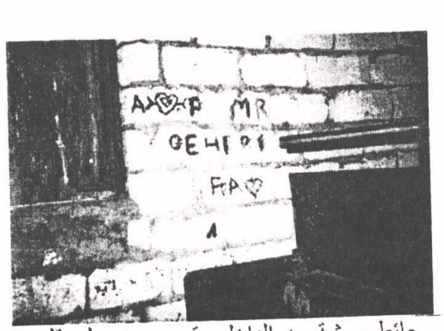
الحرفيتان الصغيرتان الأختان تتعاونان وصاحب الورشة يرقبهما
(صورة ١٧)

فتساعدان بعضهما البعض، وخاصة حديثات العهد بالحرفة، (انظر صورة ١٧)، ولكن حالتهما تستلزم مراقبة وإشراف صاحب الورشة، حتى لا يتم إتلاف شرائح البردي أو إنتاج ورقة غير مطابقة للمواصفات منهن حيث تحتجن في البداية إلى توجيه ومتابعة.

ومن الملاحظ أن الحرفيات جميعهن في مرحلة المراهقة والشباب ومن غير المتزوجات لأن المتزوجات غير مسموح لهن بممارسة العمل إلا بورشة الزوج، أو العمل بمنزل زوجها لحساب الآخرين بأجر. لذا نجد على جدار الورش من الداخل عبارات تدل على المراهقة والشباب مثل "شلة الفرفشة" الخماسي المرح، وحروف باللغة الإنجليزية ومصطفى ميشو، وقلوب وأسهم، مثلما هو واضح في (الصورتين ١٨، ١٩)وتعنيان أيضاً أن الحرفيات من المتعلمات حملة الشهادة الإعدادية أو الدبلوم.



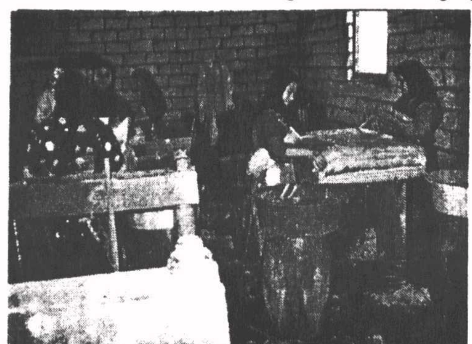
الحرفيات أعضاء شلة الفرفشة يعملن بتركيز وهن أعضاء الخماسي المرح
(صورة ١٨)



حائط ورشة من الداخل وقد رسمت عليه قلوب وأسهم وحروف إنجليزية تدل على الأسماء
(صورة ١٩)

ووجدت بينهن جامعيات حيث تكتبن باللغة الإنجليزية كما هو موضح (في الصورة ١٩)، أما خريجات الدبلومات المتوسطة فجميعهن يعملن بشكل دائم بينما الطالبات الجامعيات اللاتي ما زلن في مرحلة الدراسة الجامعية، فيعملن في العطلات الدراسية والأجازات، لتدبير مستلزمات العام الدراسي من ملابس،

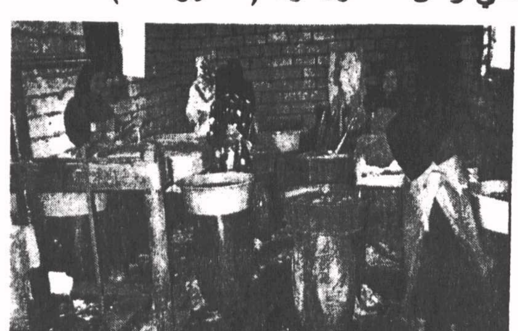
ومواصلات، وكتب، ومصروفات دراسية، ومصروف شخصي، ومساعدة الأسـرة الفقيرة في الغالب، أما غير الجامعيات فيعملن من أجل تدبير إحتياجـاتهن الماليـة لشراء مستلزمات الزواج المفروضة عليهن أو مساعدة الأسرة.



الحرفيات في حالة الرص وقوفا
المرحلة الأولى: رص الطول
(صورة ٢٠)

ب- الرص وقوفا:

تستخدم طريقة الرص وقوفـا فـي حالـة إنتـاج أوراق البـردي بمساحات كبيرة مثل ٦٠ × ٨٠ سم أو ٨٠ × ١٠٠ سـم، أو متـر × متر أو زيادة عن ذلك، حيث يصعب رص تلك الأطوال جلوسـاً، وتقـف الحرفيات فـي مواجهـة بعضـهن البعض، حيث تقوم كل اثنتان بالعمل معاً فـي رص الطـول أولاً (صـورة ٢٠)، وحتى لا تبلل ملابسهن بالمـاء مـن أعلى إلى أسفل تقمن بارتداء قطعـة طويلة مس البلاستيك تربطهـا مـن منطقة الوسط فوق ملابسها وتـدليها حتى القدمين لوقاية الملابـس مـن الماء. وبعد الانتهاء من رص الطول تستدير العاملات لتقف أمام العرض (انظر صورة ٢١) وتبدأ فـي رص العرض مع زميلتها المقابلـة لهـا،



الحرفيات في حالة الرص وقوفا
المرحلة الثانية: رص العرض
(صورة ٢١)

ويتم رفع الأطباق البلاستيك التي بها الشرائح إلى مستوى يد الحرفيات وهن وقوفا، وذلك بوضع الأطباق فوق البراميل البلاستيك التي تستخدم في مرحلتي التبتيس والكلورة. وهكذا تنتهي مرحلة الرص، لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة "الكبس".


المكبس يدار يدويا بواسطة الذكور فقط للقوة العضلية
(صورة ٢٢)

٧- مرحلة الكبس:

عملية "الكبس" يقوم بها الذكور فقط، لأنها تعتمد على القوة العضلية لإدارة المكبس (صورة ٢٢) حيث يتم وضع مجموعة أوراق البردي "المبللة" والتي تم رصها في مصفوفات بين رقائقها قماش "دمور" توضع مرصوصة مجموعات في المكبس الحديد، وهو صناعة "حدادي" محلية يقوم بها حداد القرية، ويتكون المكبس من لوحين من الحديد بمساحات متساوية للمكبس الواحد، مع أن هناك فروقاً بين مكبس وآخر في المساحة، وللمكبس "عامود" حديد "برمة"، أو "قلاووظ" رأسي له ذراع طويلة من الحديد، يقوم الذكور بتدويرها أفقياً، فيتم نقل الحركة رأسياً و"كبس" مجموعات أوراق البردي بأقمشتها بين لوحي الحديد، فيتم إخراج الماء من ورق البردي والقماش "الدمور"، وتتكرر العملية بزيادة تدوير الذراع ليزداد الضغط فيزداد خروج الماء، حتى يتم التأكد من توقف نزول الماء مع استمرار الضغط وزيادة أحمال "الكبس"، وهكذا تنتهي مرحلة الكبس لتبدأ مرحلة التجفيف.

٨- مرحلة التجفيف:

بعد الانتهاء من مرحلة "الكبس"، يتم إخراج المجموعات المضغوطة من المكبس، ونزع "القماش الدمور" من بين الأوراق، ثم يتم استبدال القماش "الدمور"

بألواح كرتون بذات المقاسات أو أكبر، ثم تعاد إلى المكبس مرة ثانية ولكن لفترات أقل، ويتم إعادة "الكبس" فيمتص الكرتون ما تبقى من آثار مياه بأوراق البردي ثم يستخرج الكرتون لتشميسه في منشر بتعريضه لحرارة الشمس (صورة ٢٣)، وبعد أن يجف الكرتون يعاد ثانية إلى الوضع بين صفحات ورق البردي، ويعاد كل ذلك إلى المكبس للضغط عليه مرة ثانية وثالثة ورابعة وهكذا حتى يتأكد الحرفي من جفاف الورقة تماماً والكرتون، وهكذا تنتهي مرحلة التجفيف. ولكل ورشة ألواح الكرتون الخاصة بها، فتقوم الورشة بتشميس ألواح الكرتون الخاصة بها في



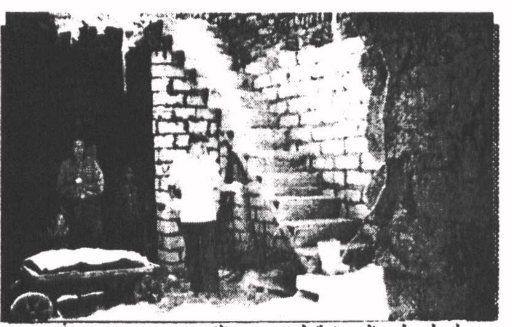
منشر لتشميس الكرتون لتجفيفه ليعاد استخدامه
(صورة ٢٣)



يوجد فاصل بين منشر كرتون كل ورشة في الشارع أو الجرن
(صورة ٢٤)

الشوارع والأجران، لكنها تترك مسافات بينية بين مجموعة كرتون كل ورشة والورشة الأخرى، (انظر صورة ٢٤)، ولما كان رجال الضرائب يمكنهم إحصاء ألواح الكرتون في المناشر في الشوارع والأجران وتقدير الإنتاج وبالتالي الضرائب على ضوء أعدادها، لجأ الحرفيون إلى إنشاء سلالم لأعلى الورشة حتى يتم التنشير للكرتون فوق الورش لإخفائه عن أعين الضرائب

(تهرب ضـريبي) وبعـد ذلـك توضع أوراق البردي على عربات لتوصيلها إلى المخازن، أو المرسم (انظر صورة ٢٥).



سلم لسطح الورشة لتشميس الكرتون بعيدا عن أعين الضرائب وعربة صغيرة تحمل الإنتاج إلى المخازن أو المرسم
(صورة ٢٥)

٩- مرحلة الرسم والتلوين:

بعـد أن تخـرج أوراق البردي الجافة تماماً والصالحة للرسم والتلوين تجد السعادة والفخار يظهران علـى وجه كل عاملة حرفية وهي تمسك بيدها ورقة من إنتاجها تعرضـها بفخار (صورة ٢٦)، وقد قام ابـن القرية خريج كلية الفنون الجميلـة بتعليم أبناء القرية وبناتهـا، حتـى الأميات منهن والأميـين طريقـة الرسـم والتلـوين علـى أوراق البردي، وذلك بمساعدة فريق عمل



كل حرفية تعرض إنتاجها بسعادة
(صورة ٢٦)

أتى من كلية الفنون الجميلـة لتعلـيم السكان الرسم والتلـوين علـى ورق البردي حتى أجاد أبناء القرية وبناتها هذا الفن وذلـك ابتـداء مـن عـام ١٩٧٩، ويستخدم في الرسـم نظـام Out Line على الرسم الأساسـي، ثم يتم تسقيط الألوان بالفرشاة بنـاء



أحد رسامي القرية أمام لوحاته
(صورة ٢٧)

على الشكل الذي أمام الحرفي، ويستخدم أيضاً نظام "الشابلونة"، وتتكون من قطعة من قماش الحرير مشدودة على إطار خشبي حسب المقاسات، على سبيل المثال ٣٥ × ٤٠ سم، ويوجد بها الشكل الأساسي للرسم، الذي يتم طباعته على الورقة، ثم يتم وضع الألوان، وعندما حدثت أزمة في استيراد الألوان قام أبناء القرية باختراع وابتكار ألوان ذات مواصفات فائقة الجودة، وفي مرحلة الرسم والتلوين يتم استخدام الألوان، والفرشاة، و"بلتات"، وماء "وكومبيروسر"، ومن أشهر المناظر التي يتم رسمها في القرية "الآلهة السبعة" ويطلقون عليها في القرية (الأشخاص السبعة)، وكليوباترا، ونفرتيتي، وحورس، وشجرة الحياة، وأبو سمبل، والمحاكمة، ورسومات إسلامية ومسيحية (انظر صورة ٢٧).

١٠- مرحلة التخزين:

يتم التخزين في أكياس بلاستيك شفافة، حيث يتم تجميع عدد ١٠٠ ورقة من كل نوع أبيض أو مرسوم، على أن يتم تجميع نسخ الرسمة الواحدة مجموعات، كل مجموعة مائة ورقة، توضع في الكيس الشفاف، وتوضع على أرفف خشبية معلقة على حوائط حجرة المخزن، بحيث يسهل التعرف على محتويات الكيس الشفاف من خلال الورقة الأولى فيه.

١١ - مرحلة التسويق:

هناك نمطان من التسويق: أولهما أن يأتي المشترون للأوراق ليشترونها من الورش الحرفية في القرية، ابتداء من التاجر الصغير أو الوسيط الذي يجمع بعض الأوراق لصالح تاجر جملة أكبر، لأصحاب المراسم، وصولاً إلى تجار الجملة والمصدرين للدول الأجنبية، حيث يأتي هؤلاء إلى القرية لجمع الأوراق من الورش، أما النمط الثاني من التسويق فهو انتقال الحرفي إلى خارج القرية لبيع إنتاجه من الورق الأبيض غير المرسوم، أو من الورق المرسوم، حيث يقيم

المعارض في المدن الكبرى والسياحية داخل مصر أو خارجها، أو يقوم بتسليم المنتجات إلى المعارض المملوكة للغير بالقرى السياحية والمزارات السياحية في مصر من الإسكندرية حتى أسوان وجنوب سيناء، وهكذا تنتهي مراحل تصنيع البردي.

وتتم ممارسة نشاط حرفة صناعة البردي "داخل ورش" يطلقون عليها اسم مصانع، وذلك للوجاهة الاجتماعية حتى يقال عندهم مصانع، وهي عبارة عن حجرة أو حجرتين داخل المنزل الريفي، أو بجواره، أو متداخلة معه، أو امتداد له، ويتم ممارسة النشاط من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة السابعة مساءً، ويستخدم الحرفيون نبات البردي، والخيط البلاستيك، والبوتاس، والكلور، والقماش الدمور، وألواح الكرتون، والحرير، والألوان، وأطباق، وبراميل بلاستيك، وبانيوهات كأحواض، وأكياس بلاستيك، ومنشار كهربي، وشاطور ومكابس، ويتم تقسيم العمل في النشاط بحيث يقوم الرجال ببعض المراحل، وتقوم الإناث ببعضها الآخر كما سبق التوضيح .أما نظام الوسطاء، فهو قائم في نشاط البردي ابتداءً من التمويل، والإنتاج، والتجارة، أو التسويق، وكل ما يتصل بالبردي، أما التمويل فأغلبه عائلي، والعمل والإنتاج فهو منزلي عائلي حيث كل بيت عبارة عن "ورشة"، وهناك تداخل واضح بين الورشة والبيت، وطريقة العمل تقسم اليوم نصفين: نصفه الأول لمرحلة "الرص" وما يتبعها، ونصفه الثاني عملية "التشريخ" وما يتبعها، أما أمراض المهنة، فتتمثل في بتر الأصابع، ويتعرض لها صاحب النشاط فقط، حيث هو الذي يقوم بالتقطيع على منشار كهربي أو بشاطور أثناء انقطاع الكهرباء، وهو يقبل ذلك حتى لا يتعرض الغرباء لهذه الإصابة، فيتعرض هو لأحكام قضائية كان في غنى عنها، أما الإناث فيتعرضن لآلام الظهر والركبة والتهابات بالأصابع وبعض الجروح البسيطة أثناء التشريخ أو بعض الالتهابات بفعل البوتاس والكلور، والجلوس القرفصاء طويلاً، وكذلك الوقوف طويلاً على أرض مبللة خاصة في الشتاء.

١٢- طريقة عمل البردي المطبوخ:

تمر صناعة البردي المطبوخ بعدة مراحل وهي على الترتيب:

أ- عملية التقطيع. ب- عملية الكمر.

جـ- عملية الطبخ. د- الدق "عملية الدق".

هـ- عملية الرص. و- عملية التجفيف.

ز- عملية التسويق.

المرحلة الأولى وهي:

أ- **مرحلة التقطيع**: ملحوظة: **لا يتم تقطيع قطع البردي إلى شرائح وهذه المرحلة لها جانبان وهما:**

الأول: يتم تقطيع سيقان البردي ونقلها في عربات إلى المكان الذى سوف يتم التصنيع فيه أي إلى ورشة العمل.

الثاني: يتم تقطيع سيقان البردي بواسطة المنشار الكهربي وذلك بمقاسات حسب الطلب ولتكن ٣٠سم × ٤٠سم وبعد ذلك يتم تقشير قطع البردي بواسطة سكينة حادة وبعد الانتهاء من التقشير يتم ربط من ١٥: ٢٠ قطعة سوياً وتسمى (ربطة)، وهكذا حتى يتم تربيط كل القطع الموجودة أمامنا. وهكذا تنتهي عملية التقطيع وتبدأ عملية جديدة وهي عملية الكمر.

المرحلة الثانية وهي:

ب- **عملية الكمر**: يتم وضع سيقان البردي التي تم ربطها في كيس بلاستيك كبير ويغلق الكيس جيداً حتى لا يتسرب له الهواء، ويترك هذا الكيس لمدة أسبوع وبداخلة قطع البردي، وبعد مرور الأسبوع يتم إخراج قطع البردي من الكيس فنجد أنها قد أخذت لون أصفر غامق أو لون بني بعد أن كان لونها أبيض وهكذا تنتهي عملية الكمر، وتبدأ عملية جديدة ألا وهي عملية الطبخ.

المرحلة الثالثة وهي:

جـ- عملية الطبخ:

يستخدم في هذه العملية حلة لتسوية قطع البردي وتأتي هذه الحلة من ورش خاصة لتصنيعها في "ميت غمر" ويوجد منها مقاسات عديدة بين صغيرة ومتوسطة وكبيرة وهناك مقاسات من الحلة الكبيرة يتراوح قطرها بين ٣٢: ٣٤: ٣٥ بوصة تقريباً، وتستخدم شعلة كبيرة حتى تتم تسوية قطع البردي، وتستهلك هذه الشعلة في عملية الطبخ مقدار أنبوبتين غاز.

وطريقة الطبخ كالآتي:

يتم وضع ربط البردي في الحلة الكبيرة لكي تتم تسوية قطع البردي وذلك بوضع كمية من المياه وهي حوالي نصف الحلة ماء، ثم نضع فيها قطع البردي، ونوقد على الحلة بشعلة كبيرة، وبعد أن تغلي الحلة لمدة ساعتين يتم وضع كمية صغيرة من البوتاس وذلك بمقدار ملعقتين شاي، ثم تزود الحلة بالماء، ثم نتركها تغلي حتى تتم التسوية وتأخذ قطع البردي اللون البني، وتأخذ عملية الطبخ والتسوية مقدار يوم كامل، وبعد أن نطفئ النار يتم أخذ قطع البردي ووضعها في إناء كبير (بانيو) به ماء بارد، وهكذا تنتهي عملية الطبخ، وتبدأ عملية جديدة وهي عملية الدق.

المرحلة الرابعة وهي:

د- **عملية الدق:** تتم عملية الدق في حجرة بها رخامة كبيرة، ويبدأ الشباب عملية الدق باستخدام شاكوش خشبي حيث يدق على العود حتى يصبح شريحة عرضها من ٤ سم: ٥ سم وكما أشرت مسبقاً إلى أن المقاس هو ٣٠ سم × ٤٠ سم فإن أحد الأشخاص العاملين يقوم بدق مقاس ٣٠ سم والشخص الآخر يقوم بدق مقاس ٤٠ سم، ولابد من توافر شخصين أمام بعضهما حتى يتمكنا من إنجاز العمل بسرعة، وهكذا تنتهي عملية الدق وتبدأ عملية جديدة ألا وهي عملية الرص.

المرحلة الخامسة وهي:

هـ- عملية الرص: تتم هده العملية بقيام شخصيين بعملية الرص حيث إن أحـدهما يقوم بوضع الشرائح طوليا والآخر يقوم بوضع الشرائح عرضياً ثم نضع فـوق كل دور أو فوق كل رصة كيس سلوفان شفاف، ويبدأ تكرار الـرص ووضـع أكياس السلوفان حتى نصل إلى أي عدد نريده وليكن إلـى الورقـة رقـم ٥٠} وتسمى ألـ (٥٠) ورقة باسم العصرة وهكذا تنتهي عملية الرص، وتبدأ عمليـة جديدة ألا وهي عملية التجفيف.

المرحلة السادسة وهي:

و- عملية التجفيف: تدخل العصرة المكبس ليتم عصرها وتجفيف المياه منها وبعد ذلك تخرج العصرة من المكبس، ويتم التغيير على هذه العصرة بكراتين بحيـث تكون كل ورقتين بين كرتونتين، ونضع بين هاتين الورقتين كيساً شفافاً، ويـتم تكرار ذلك في باقي الورق ثـم نـدخلها المكـبس بـالكراتين وتسـمى هـذه بـ {الغيارة الأولى}، وتكبس بمكبس الضغط حيث إنها تظل حوالي ٣٠ دقيقـة أي نصف ساعة فقط لأن المدة لو زادت عن نصف سـاعة سـوف يتعـرض الورق للتلف.

وبعد مرور النصف ساعة تخرج الكراتين والورق من المكـبس، ويوضـع الورق بنفس الطريقة في كراتين أخرى جافة، وتنشر الكراتين المبللة في الشـمس، وتدخل الكراتين بالورق مرة أخرى المكبس وهذه هي "الغيـارة الثانيـة" وتوضـع حوالي ساعة، وبعد ذلك تخرج من المكبس، ويتم تغيير الكراتيين بكـراتين أخـرى وتنشر المبللة، وتكرر هذه العملية إلى أن نصل إلى الغيارة الرابعة، وفـي هـاتين المرتين أي "الغيارة الثالثة والغيارة الرابعة" يمكن أن تطول مدة وجوة الورق فـي المكبس.

وبعد إتمام الغيارة الرابعة نخرجه من المكبس، ونخـرج الـورق مـن الكـراتين، ونخرج الكيس البلاستيك الموجود بين الورق لأنه من الممكن أن نستفيد مـن هـذه الأكياس مرة ثانية إذا كانت سليمة.

وهكذا تنتهي عملية التجفيف وتبدأ عملية جديدة وهي عملية التسويق.

المرحلة السابعة وهي:

ز- **عملية التسويق**: يتم التسويق من خلال طريقتين:

الأولى: يدخل ورق البردي في عملية الطباعة وذلك حسب السوق أو حسب رغبة المشتري.

الثانية: يتم بيع ورق البردي كما هو للتجار ويكون لون الورق في النهاية هو لون بني غامق محروق.

ملحوظة: سعر بيع ورق البردي متوقف على السياحة، فمع رواج حركة السياحة نجد أن سعر الورقة يتزايد، ومع توقف حركة السياحة تهبط أسعار ورقة البردي إلى الأرض، كما يقولون في القرية.

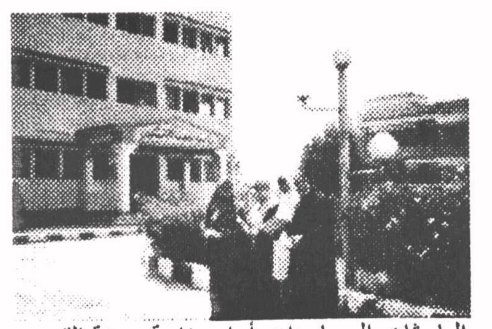
ثانياً: حرفة صناعة منتجات ومخلفات النخيل

تتميز حرفة منتجات ومخلفات النخيل بتعدد صور النشاط فيها، منذ زراعة النخلة حتى جني ثمارها وتقليمها وتنظيفها، ولكل مرحلة حرفة مرتبطة بها، حتى تسلق الحرفي للنخلة (أجر التسلق مرة واحدة جنيهان ونصف)، فالحرفي يتسلقها مرة "للتقليم" ومرة "للتلقيح" ومرة "للتدلية" (أي تدلية القنو للحفاظ على الثمر)، ومرة "لجني المحصول". وهناك نشاط ثان هو تجفيف البلح، وصناعة العجوة، وهو نشاط منزلي تقوم المرأة به، أما نشاط التسلق فيقوم به الرجل، وهناك نشاط القفاصين (صناعة الأقفاص)، وحرفة صناعات الليف "كالمقشات" و "الحبال" و "المطلاع وسلبة النخيل"، وحرفة "صناعة الكراسي"، و"مطرحة الخبيز" و "الأسرة"، وحبال الفراشة، والقفف، وكافة صناعات الخوص، وهناك تجارة الجريد حيث أن ١١٠ جريدة = ٣٠ جنيه، وتجارة الليف، حيث أن ٢٠ كيلو ليف = ٥ جنيهات، وأجور الصبية في مرحلة التدريب ٣ جنيه يومياً، والعمالة ١٠ : ١٥ جنيه يومياً.

ومع تعدد الحرف المرتبطة بمنتجات ومخلفات النخيل، إلا أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاث حرف رئيسية هي:

١- حرف الجريد ٢- حرف الخوص

٣- حرف الليف.



الباحثات المساعدات أمام رئاسة مدينة القرين
محافظة الشرقية
(صورة ١)

وتنتشر هذه الحرف بشكل واضح فيما كانت يطلق عليها اسم قرية "القُرين" والتي تحولت بسبب الزيادة السكانية التي تجاوزت ٦٠٠٠٠ نسمة عام ٢٠٠٣ إلى "رئاسة مدينة القُرين" (انظر صورة ١).

ولا يعني تحويل القرية إلى رناسة مدينة تحولها عن النشاط الزراعي، بل استمر النشاط الزراعي هو الأساس،ويرتبط به النشاط الحرفي المرتبط بالمحصول الرئيسي في القرية وهو النخيل، الذي تتميز به القُرين عن باقي مناطق محافظة الشرقية، فعندما يقال كلمة النخيل يرد إلى الذهن مباشرة اسم القُرين شرقية، مثلما عندما يذكر في محافظة الشرقية اسم فاكهة المانجو يرد إلى الذهن مباشرة اسم قرية "الصوة شرقية" ويطلق على قرية القُرين اسم قرية المليون نخلة لدرجة أنك تجد النخيل يحيط بك من كل جانب، في الحقول، في الطرقات، في كل مكان داخل الكتلة السكنية وخارجها، (انظر صورة ٢) التي توضح كثافة النخيل بالقرية في جانب واحد، هكذا يكون الحال على مستوى القرية جميعها، والتي أحسنت التعامل مع النخيل منذ القدم حيث متوسط عمر النخلة من ٨٠ : ١٠٠ عام، فقد أبدع الفلاح حرفة منتجات ومخلفات النخيل، فصنع منها كل احتياجاته الأساسية، ففي الطعام استخدم البلح والعجوة، والمطرحة التي يخبز عليها خبزه، وكان أثاث منزله من جريد النخلة فصنع السرير الجريد والكرسي الجريد، وحفظ البلح والقمح في القفف من خوص النخيل، وربَّى طيوره في قفص من الجريد، وربط ماشيته في حبال من الليف، ونظف منزله بمقشات من ليف النخيل، وسقف منزله من خشب النخيل، والأعمدة الحاملة في المنزل من جذوع النخيل وسقف المنزل و المظلة من الجريد... وغير ذلك.

زراعات النخيل تحيط بالقرية من كل الاتجاهات
(صورة ٢)

١ـ حرف الجريد:

تتعدد الحرف التي تعتمد على الجريد، لكن يجمعها جميعاً أنها تستخدم الأدوات نفسها المستخدمة في التعامل مع الجريد، ويمكن اعتبار صناعات الجريد المتعددة صناعة واحدة مهما كانت، وذلك لان الأدوات المستخدمة واحدة تقريباً عند



القفاص تحت التعريشة وعلى أقصى يمينه في الشارع بجوار السور أكوام الجريد المعدة للتصنيع أقفاص

(صورة ٣)

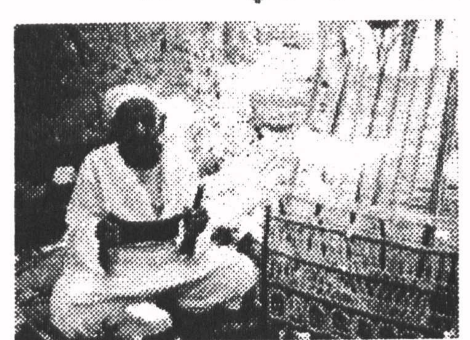


السلاح المعقوف أمام القفاص والإنتاج على يساره

(صورة ٤)

القفاص، وصانع الكراسي، وصانع مطرحة الخبيز ويجمع الجميع أنهم يمارسون النشاط في الشارع أمام المنازل، وذلك بسبب أطوال الجريد والمساحات المطلوبة لتخزينه فيها، حيث يقوم كل صاحب حرفة من حرف الجريد بتخزين الجريد الخاص به أمام تعريشة في الشارع العمومي لكن أمام منزله أو منازل عائلته (صورة ٣) أو في أملاك الدولة، حيث كل حرفي يخزن أمام منزله أو منازل أقاربه وأصدقائه، ثم يبدأ عند مرحلة التصنيع في تقطيع الجريد حسب المقاسات المطلوبة للتصنيع، وذلك بعدما يكون قد نزع الخوص من الجريد ليتم استثماره في حرفة الخوص التي يقوم بها آخرون، ويستخدم الحرفيون في تقطيع الجريد آله حديد حادة تسمى "السلاح" (صورة ٤) وللسلاح يد "مقبض" حوالي ٢٥ سم، وهو على شكل حرف L ، ووزنه حوالي ٢ كيلو جرام وثمنه خمسون جنيهاً، ويمسك الحرفي بالمقبض ويضرب شفرة السلاح على الجريد في المكان المطلوب القطع

عنده، ويستخدم الحرفيون في صناعة الجريد أيضاً "الفأرة"، وهي أداة حديدية حـادة (صورة ٥) يمسك الحرفي مقابضها بيديه، ويمرر شفرتها على الجريد فتزيل الزوائد، وتجعل سطح وملمس قطعة الجريد ناعماً، ويطلق البعض عليها اسم "المحكة"، وسعرها من ١٠-٢٠ جنيهاً، ويستخدم الحرفيون أيضاً "الرقة" (صورة ٦) وهي تشبه "المقورة" حديد، لتثقيب قطع الجريد للتعشيق وهي مدببة.



صانع الكراسي يمسك بيديه الفأرة "المحكة" وفي يده اليسرى "الرقة"

(صورة ٥)

يستخدمها الحرفي بالطرق فوقها رأسياً باستخدام "التقايل" أو "الخفايف" وذلك لتثقيب قطع الجريد للتعشيق، والتقايل عبارة عن مكعب طويل من الخشب طوله حوالي ٣٠ سم، وزنة التقايل نصف كيلو جرام وقد يزيد، وزنة الخفايف ربع كيلو جرام وقد ينقص، وتستخدم التقايل أو الخفايف للدق رأسياً فوق "الرقة" كما هو موضح في (صورة ٦) حيث يجلس القفاص، ويمسك بين إصبعي قدمه اليمنى قطعة الجريد المراد تثقيبها ويمسك بيده اليمنى "الرقة" المدببة ويضع السن المدبب في الموضع المراد ثقبه، ويدق بالتقايل أو الخفايف رأسياً فوق "الرقة" باليد اليسرى فتثقب الجريد، وتستخدم التقايل مع قطعة الجريد السميكة، وتستخدم الخفايف مع قطعة الجريد الخفيفة، وللرقة مقاسات حسب أقطار الثقوب المطلوبة،



القفاص يثقب الجريد باستخدام الرقة والتقايل أو الخفايف

(صورة ٦)

كما هو موضح في (صورة ٧) حيث يمسك صانع الكراسي في يده اليمنى "السلاح" المعقوف، وفي يده اليسرى مجموعة من "الرقة" تتبـاين أقطارهـا لـزوم التثقيب المتبـاين الأقطـار، حسب الطلب لكل منتج يُراد إنتاجه.



صانع الكراسي يمسك بيمناه السلاح المعقوف، وبيسراه مجموعة "الرقة" حسب المقاسات

(صورة ٧)

وتتشابه صناعات منتجات الجريد في طريقة التصنيع والفارق بين كل حرفة والثانية، هي درجة الإبداع والتشكيل، حيث المواد الخام والأدوات واحدة لكن النتيجة تتباين تبعاً لمهارة الحرفي الذي يصمم الشكل المراد إنتاجه وينتجه مباشرة، وذلك في حرفة القفاص، وحرفة صانع الكراسي والأسرَّة من الجريد، كلاهما يأت بالجريد، ثم ينزع الخوص عن الجريد، ثم يقوم بتقطيع الجريد حسب المقاسات المطلوبة، ثم يقوم بتنعيم الجريد، ثم التثقيب، ثم التعشيق، ثم التسليك أي الرباط بالسلك حتى لا يتفكك الإنتاج. وسوف يعرض الباحث هنا طريقة عمل "مطرحة الخبيز" كنموذج فقط لمنتجات جريد النخيل الكثيرة.

طريقة صنع مطرحة الخبيز كنموذج لصناعات الجريد:

أ- يأتي الحرفي بالجريد، ثم ينزع منه الخوص، ويقوم بالتقطيع حسب الأطوال المطلوبة (مقاسات).

ب- يقوم بتقشير قطع الجريد، لأن القشرة سوف تستخدم في نهاية التصنيع.

جـ- يقوم الحرفي بتنعيم القطعة وتجهيزها للتخريم (صورة ٨) وتقسيم الأدوار واضح في تصنيع "مطرحة الخبيز" يتناسب والنوع والفئة العمرية، والخبرة السابقة، حيث يقوم الابن الأكبر صاحب الخبرة والحالة الصحية الجيدة، يقوم بعملية التجهيز من خلال التقطيع، والتقشير، والتنعيم وتدبيب طرفي القطعة المراد استعمالها حتى يسهل تعشيقها في مرحلة تالية (صورة ٨).



الحرفي يقوم بالتقطيع والتقشير والتنعيم قبيل التخريم

(صورة ٨)

د- يقوم الأب "الحرفي الأكبر سناً والأضعف صحياً" يقوم بعملية محورية وأساسية في التصنيع، وتحتاج مهارة وخبرة خاصة، وهي عملية "وضع علامات" يتم التثقيب مكانها (صورة ٩)، ثم يقوم بتثقيب قطعة جريد على مسافات محددة - حسب الطلب - لاستخدامها كمؤشر، ثم يضع في كل ثقب "قلم كوبيا" ويمرر القطعة الموضوع بها الأقلام الكوبيا فوق باقي القطع واحدة واحدة، فتترك علامات يتم في المرحلة التالية مباشرة التثقيب أماكن العلامات.



الحرفي الأكبر في الأسرة يمسك بيده المؤشر بالأقلام الكوبيا، ويمرره على قطع الجريد تمهيدا لتثقيبها ثم تعشيقها

(صورة ٩)

هـ- يقوم ابن ثان من أبناء الحرفي الأب الأكبر بعملية التثقيب في المواضع التي وضع الأب العلامات عليها كما هو واضح في أقصى يمين مقدمة الصورة (صورة ١٠)، ثم يقوم ابن ثالث (ظهره في مقدمة يمين الصورة)بعملية التدكيك،



أعضاء الأسرة الحرفية يتضح تقسيم العمل بينهم جميعا، كل يعمل لتكتمل الصورة النهائية للمنتج (صورة ١٠)

ويقوم أيضاً بالتدكيك ابن رابع (أقصى يمين الصورة في العمق) ويجلس الطفلان لنقل الخامات أمام الجد والأعمام والآباء، وتقف في الخلف امرأة من الأسرة لتلبية احتياجات الأسرة الحرفية في صناعة "مطرحة الخبيز".

و- بعد عملية التعشيق، يتم وضع الجريد المعشق والذي يأخذ شكل المربع أمام الأب الأكبر الذي يقوم بدوره باستخدام مؤشر عبارة عن "عود جريد" في طرفه ثقبان بكل منهما "قلم كوبيا"، يقوم الأب الأكبر بتثبيت طرفه في مركز يتوسط مربع الجريد المعشق، ثم يدور بالطرف الثاني على حافة المربع فيصنع دائرتين متحدتين في المركز، وهكذا يتحول شكل "مطرحة الخبيز" من الشكل المربع إلى الشكل الدائري، ثم يضعها أمام أحد الأبناء، الذي يقوم بدوره بقطع الزيادات في محيط الدائرة الخارجية ويقوم بعد ذلك ابن آخر بتركيب "الإطار الخارجي" حول المطرحة الدائرية وهذا الإطار الخارجي هو عبارة عن القشرة التي كان الحرفي قد قشرها عند تقطيع الجريد فيستخدمها"مثل الشنبر الخارجي" ويقوم بتثبيتها بمسامير دقيقة طولها سنتيمتر واحد. وهكذا تنتهي مراحل صناعة "مطرحة الخبيز" التي يعتز

ويفتخر بها صاحبها لدرجة أنه قال للباحث "مين يقدر يعمل مطرحة زي دي؟ ومين يقدر يشتري قلم زي ده يقلد بيه شغلي؟ القلم ده غالي وثمنه ٢ جنيه (جنيهان)" حيث يقوم الحرفي برسم دائرتين "بالكوبيا الأحمر" كعلامة تجارية مميزة لمطرحته. وهكذا تشترك الأسرة جميعها في مراحل تصنيع وإنتاج "مطرحة الخبيز"، وهناك تقسيم واضح للعمل، يتناسب والفئة العمرية، والنوع، والخبرة، والحالة الصحية، ويقوم بعد ذلك بتصريف الإنتاج في الأسواق خارج القرية أو في محافظات أخرى. بحيث يكون كل ابن متخصص في جهة معينة وسوق معين يذهب إليه بالإنتاج ويعود بعائد البيع، وإن كانت صناعة "مطرحة الخبيز" تواجه أزمة بسبب الأفران الآلية واعتماد بعض الفلاحين على شراء الخبز جاهزا.

٢- حرف الخوص:

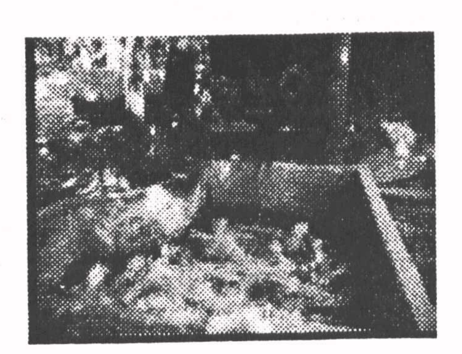
تتعدد حرف الخوص، فقد نجح الحرفيون في استثمار الخوص (وهو الأوراق المرصوصة على جانبي الجريد)، فمنهم من صنع منه "القفف" التي يستخدمها الفلاحون في حمل الحبوب، ومنهم من صنع منه الحصيرة، أو القبعة، أو وعاء يتم فيه "كبس البلح والعجوة"، ومنهم من صنع منه أطباق كبيرة يضع فيها الخبز، لكن هناك حرفة تدر عائداً متميزاً بل تصنع رأس المال من الخوص الذي كان يرمي في شوارع القرية ويلوث البيئة خاصةً وأن الخوص يزيد كثيراً عن الكميات التي يتم تصنيعها، لذا فكر الحرفيون فأبدعوا مهنة أو حرفة متميزة هي "حرفة الكرينة".

طريقه إعداد الكرينة من الخوص:

الكرينة هي خيوط من الخوص، تستخدم في حشو كراسي "الأنتريهات" و"الصالونات" وكراسي السيارات، وهي خير مثال لصناعة رأس المال من أشياء كانت مهملة وترمى في شوارع القرية وأزقتها وتلوث البيئة، فقام الحرفيون أصحاب النشاط بتحويل الخوص إلى كرينة كالآتي:

أ- يتم تجميع الخوص الذي ينزعه القفاصون من الجريد عند ممارستهم لحرفتهم، ويتم ترتيب الخوص، حيث القواعد مع بعضها والأطراف مع بعضها، ويتم التربيط بواسطة الخوص أيضاً (تربيط الخوص بالخوص).

ب- يتم إلقاء "ربطات" الخوص في حوض كبير به ماء (صورة ١١)، وذلك من أجل تليين الخوص، وجعله لا ينكسر، لأنه لو جف فسوف ينكسر، وبعد التأكد من ليونة الخوص تبدأ عملية تحويل الخوص إلى خيوط "عملية التنسيل" حيث يتم إدخال "ربطات" الخوص إلى ماكينة (صورة ١٢) يجلس عليها اثنان من الحرفيين، ويلقون بداخلها "ربطات الخوص" فتقوم الماكينة بتحويل الخوص إلى خيوط طولية بطول الخوصة



حوض "لنقع" الخوص، به ربطات الخوص وأمام الحوض مكبس الكرينة

(صورة ١١)



حرفيان يجلسان فوق ماكينة الكرينة

(صورة ١٢)

الأصلي لكنها على شكل خيط أخضر، يتم تجميع كل تلك الخيوط "المبللة" بالماء أصلاً، لأنها كانت منذ ثوان خوصاً موضوعاً في حوض الماء، يتم تجميع الإنتاج ثم "تنشيره" على مساحات من الأرض الفراغ أو المتخللات في حدائق المانجو – كما هو موضح بالصورة – حيث يتهرب الحرفيون من الضرائب بممارسة حرفة الكرينة بعيداً عن الأعين ووسط حدائق المانجو بالقُرين شرقية. وبعد تجفيف خيوط الكرينة تجفيفاً لا يترك ماءً ولا يجعل الخيوط "تنكسر" ننتقل إلى خطوة أخيرة.

جـ- مرحلة الكبس في بالات صغيرة، ويتم فيها تجميع خيوط الكرينة الجافة اللينة، ووضعها في مكبس (صورة ١٣) آلي طويل، حيث يتم تحويل خيوط الكرينة إلى "بالات" صغيرة على شكل مكعبات يسهل رصها وتحميلها (صورة ١٤)، وبذلك تصبح الكرينة جاهزة للدفع بها في أسواق تصنيع الصالونات والأنتريهات وكراسي السيارات، وهكذا نجح الحرفيون في تحويل الخوص الذي كان يلقى في الشوارع ثم تحويله إلى رأسمال، وهذا نموذج جيد لصناعة رأس المال من خلال حرفة الكرينة.



مكبس الكرينة الطويل أسفل التعريشة المحمولة على جذوع النخيل في النصف الأيسر من الصورة، والنصف الأيمن أشجار المانجو (صورة ١٣)



بالات الكرينة يمين الصورة والمكبس يسارها

(صورة ١٤)

٣- حرف الليف:

يصنع الحرفيون من الليف الحبال، والشباك التي يضعونها فوق "الجمل" لتعبئة أمتعتهم فيها، ويصنعون من الليف أيضاً الدواسات والأنواع المختلفة من الحبال الرفيعة والأكثر سمكاً حتى "السلب" وغير ذلك، وأيضاً يصنعون من الليف "المطلاع"، الذي يستخدمه الحرفيون في طلوعهم على النخيل، وهو عبارة عن مجموعة من الحبال الليف المتينة مجدولة مع بعضها (صورة ١٥) ومربوط في أحد طرفيها حبل متين، وفي طرفها الآخر ثقب يتم تمرير الحبال منه، كي يتم ربط الحرفي في جذع (ساق النخل الطويل) أثناء صعوده إياها أو هبوطه منها، وبالمطلاع مجموعة الحبال المجدولة تسند ظهر الحرفي لأنها عريضة، ويتحكم الحرفي في الحبل المربوط في المطلاع، حيث كلما صعد مسافة حرك الحبل نفس المسافة، ولا يمكن لكل الحرفيين إنتاج المطلاع، بل صفوة الحرفيين هم الذين يمكنهم صناعة "المطلاع" و "السلبة" المربوطة فيه، ونظراً لأن المطلاع والسلبة يحافظان على عمر الإنسان ويحميه من السقوط من فوق النخلة وبالتالي موته، فإن سعر المطلاع قد تجاوز ٢٥٠ جنيه وهو في ارتفاع مستمر لندرة الحرفيين فيه، لأنه يحتاج إلى وقت وجهد وخبرة. وهكذا هناك صناعات كثيرة من الليف، سوف نعرض لواحدة منها، وهي صناعة المقشات.



الحرفي يعرض المطلاع بين يديه بفخر واعتزاز لأنه دليل على تمكن الحرفي من حرفته ونرى أكوام الحبال والمقشات

(صورة ١٥)

صناعة المقشات الليف:

حاول الباحث هنا عرض صناعة المقشات الليف، لأنها صناعة صديقة للبيئة، حيث يتم تجميع فضلات الليف التي بقيت بعد جدل حبال الليف، وقطع الليف الخشنة الممزقة والتي كانت ستلقى في الشوارع كفضلات تلوث البيئة من كل ذلك يصنع جزء من المقشة، التي يتم بها تنظيف بيوت الفلاحين وبذلك **فهي** صديقة البيئة.

أما عن كيفية تصنيع المقشة الليف فهي كالآتي:

أ- يأتي الفلاح بأكوام الليف، وينثر عليها الماء حتى لا تثير غباراً وأتربةً أثناء التصنيع، وأيضاً حتى يكتسب الليف صفة الليونة.

ب-ينتقي الحرفيون أفرخ (ألواح) الليف غير الممزقة والسليمة إلى حدٍ كبير، ويتم "برم" الطرفين حتى ثلث المساحة إلى الداخل، أي أن ثلث الطرف الأول يتم برمه إلى الداخل (صورة ١٦)، وكذلك الثلث الأول من الجهة الثانية، ويتم تجميع الفضلات التي نتجت عن صناعة الحبال، وكذلك قطع الليف الممزقة، وجميع الفضلات يتم تجميع كل ذلك ووضعه في قطعة ليف درجة ثانية، ثم توضع في الثلث الوسط من "لوح" أو فرخ الليف الكبير، الذي تم "برم" ثلثه الأول إلى الداخل، والثلث الأخير إلى الداخل، ثم وضع الفضلات المبرومة في الثلث الأوسط وسندها بالثلثين الأول والأخير.



الحرفي يقوم ببرم أجزاء المقشة الليف
(صورة ١٦)

جـ- بعد تجهيز مكونات المقشة الليف يقوم الحرفي بعملية التثبيت من خلال خيط "دبارة نايلون"، يقوم الحرفي بشده من أحد طرفيه على قدمه اليمنى (صورة١٧)، والطرف الآخر في يده، ويقوم بلفه حول مكونات المقشة ثم يعقد الخيط في آخر عملية التثبيت، ويقطع نهاية الخيط بآلة حادة.


الحرفيان يثبتان مكونات المقشة بالخيط النايلون ورجل كل منهما ممدودة لشد الخيط وطرف الخيط الثاني باليد
(صورة ١٧)

د- يقوم بعض الحرفيين بعمل المقشات بنظام الإنتاج، فكل ١٠٠ مقشة أجرها عشرة جنيهات، ويستغرق عمل المقشة الواحدة حوالي ٣ دقائق، لذا نرى في (صورة ١٨، ١٩) أمام كل حرفي كمية المقشات التي أنتجها، ويقوم برصها على شكل دائرة، حتي يسهل العد حيث يتم عد الطبقة


(صورة ١٨)
حرفيان بكالوريوس تجارة وصاحب المنشأة بينهما


(صورة ١٩)
الحرفيون يعملون بالإنتاج وكل يضع كمية انتاجة أمامه

الواحدة ثم يتم الضرب في عدد الطبقات، فينتج عدد المقشات التي أنجزها الحرفي، ولا يمكن ممارسة حرفة المقشات وقوفاً بل لابد جلوساً وأحد الأرجل على الأقل مفرودة، ويتسابق الحرفيون في كميات الإنتاج، وذلك لإنتاج ٢٠٠ مقشة في اليوم بمبلغ ٢٠ جنيه.

وبذلك يتضح أن كافة الحرف المتعلقة بمنتجات ومخلفات النخيل تعتبر من حرف التكيف مع الفقر باستثناء حرفة "الكرينة" فهي حرفة لصناعة رأس المال، لأن الحرف الأولى عائدها المادي متواضع، وأسعار بيع منتجاتها متواضع، وتستغرق وقتاً طويلاً في إنتاجها، أما الكرينة فأسعارها مرتفعة وتدر عائداً كبيراً مع شدة رخص المواد الخام الداخلة في الصناعة كالخوص الذي يكاد يُهدَى بلا مقابل، وإن تم بيعه فيكون بأقل الأسعار، لذا يمثل صناعة رأس مال من لا شيء تقريباً.

ثالثاً: حرفة صناعة حلج القطن وعصر البذرة

يطلق سكان قرية "منشأة رضوان" على النشاط اسم "القطن"، حيث يقال: "بيشتغل في القطن"، ولقد بدأ نشاط حلج القطن في قرية "منشأة رضوان" عام ١٩٧٠، حينما كان هناك مجموعة من أبناء القرية يقومون بتجارة الحبوب بين المحافظات، فاطلعوا وتعرفوا على حرفة حلج القطن في بعض قرى مركز المنصورة محافظة الدقهلية، فجلبوا ذلك النشاط إلى قريتهم منشأة رضوان محافظة الشرقية، حيث يقول بعض سكان القرية: "فوجئنا بالعمل وكنا نتعجب"، وآنذاك كان محصول القطن وفير، ولم تكن هناك مشاكل بالنسبة للقطن، ولكن كانت المشاكل خاصة بعدم السماح بتوصيل التيار الكهربائي للنشاط، فاضطر الفلاحون إلى سرقة التيار الكهربي منذ عام ١٩٧٠ حتى مارس ٢٠٠٥م أثناء الدراسة الوصفية، وحينما تم خصخصة قطاع الكهرباء وأصبح مسموحاً للفلاحين توصيل الكهرباء إلى المنشآت الحرفية، جاء دور مباحث أمن الدولة لمهاجمة القرية باستمرار، لأن القطن محصول استراتيجي – كما يقولون – وغير مسموح العمل به بعيداً عن رقابة الدولة، ولما كان الفلاحون في قرية "منشأة رضوان" قد اعتادوا التخفي بعيداً عن أعين مباحث الكهرباء والأموال العامة ومارسوا نشاطهم لثلاثة عقود وزيادة، فإنهم لم يجدوا صعوبة في التخفي عن مباحث أمن الدولة أيضاً التي تقاوم النشاط في القطن، ومازال العمل مستمراً ويتزايد، ولم يجد الباحث بيتاً في القرية ليست له علاقة بالقطن فيها.

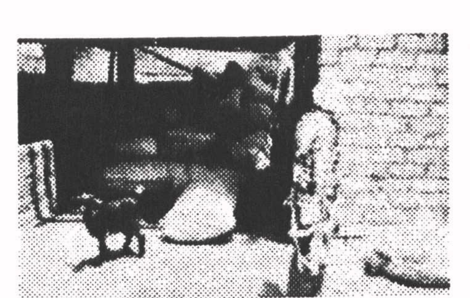
وحتى يتغلب الفلاحون العاملون بحرفة حلج القطن على مباحث الكهرباء والأموال العامة، وأمن الدولة، أقاموا شبكة للعلاقات الاجتماعية خاصة، ولجأوا إلى نظام الشراكة في النشاط، حيث يتم اختيار ممثلاً عن كل عائلة ليساهم في

المشروع، حتى يأمن الجميع جانب الجميع من الإبلاغ عن مكان ممارسة النشاط، ومواعيد الممارسة، ومخزون القطن، وأسراره، وغير ذلك، ليس هذا فقط، بل تستأجر المجموعة المشاركة مكاناً لممارسة النشاط لدى أحد فقراء القرية أو أغنيائها، وهكذا تصل القرية جميعاً إلى حالة من التوحد الاجتماعي، فالأغنياء يمولون النشاط، والطبقة الوسطى تستضيف النشاط في بيوتها، والطبقة الفقيرة تمثل الحرفيين الذين يقومون بالعمل في النشاط، وهكذا فالجميع يستفيد من النشاط، وحدوث مشكلة في النشاط سوف تضر بالجميع، لذا يتكتم الجميع أخبار النشاط، - ومثل ذلك عائقاً صعباً واجه الباحث لكنه انتصر عليه بعد فترة طويلة - ومازالت القرية تعمل في القطن دون توصيل كهرباء بشكل رسمي، أو فتح ملفات ضريبية، أو الالتزام بحصص قطن، أو الممارسة بشكل رسمي.ومازالت الجهات الرقابية تتعامل مع موضوع القطن بعقلية ما قبل الخصخصة والانفتاح والسوق الحر، والتحرر من الدورة الزراعية.

أما المراحل التي يمر بها نشاط حلج القطن فهي كالآتي:

١- مرحلة الشراء والتخزين:

فهي تخزين القطن بعد جنيه، وذلك بشرائه من الفلاحين في قرى المنطقة والمناطق المحيطة، حيث تخرج مجموعات من العربات تجوب القرى لشراء القطن أثناء موسم الجني ، ثم يأتي القطن إلى المخازن السرية بالقرية (صورة ١)،

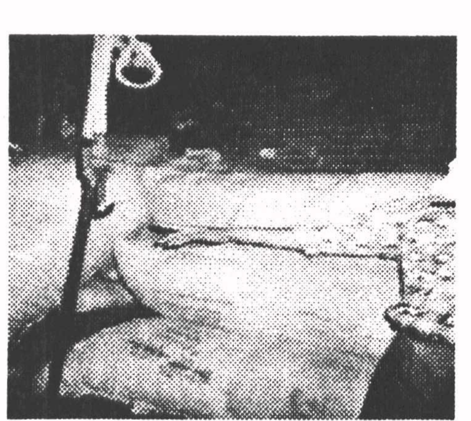


مخزن سري للقطن داخل حظيرة ماشية، وتم طمس معالم صورة صاحب النشاط بناء على رغبته

(صورة ١)

وهي عبارة عن حظائر تم إفراغها من الماشية، أو حجرات داخلية سرية بالمنازل، أو بدرومات المنازل، وأحياناً بين زراعات الأذرة حينما تكون النباتات طويله

تخفي ما بها، وقد اشترط صاحب النشاط أن يتم طمس صورته حتى لا يتم التعرف عليه وقد التزم الباحث بذلك مع المبحوثين الذين طلبوا منه ذلك، وعندما طلب أحد العمال أن تظهر صورته التزم الباحث بذلك أيضاً. وتستمر مخازن القطن السرية بالقرية تعج بأكياس القطن طوال العام حتى دخول المحصول الجديد، كي لا يتوقف دولاب العمل ساعة من نهار أو ليل، لأن تراجع الإنتاج يعني تراجع العائد الكبير الذي يتحقق ليل نهار، لأن ماكينة الحلج الواحدة الصغيرة تحقق ربحاً قيمته ١٠٠٠ جنيه يومياً، بواقع ٥٠٠ جنيه عن الفترة النهارية و ٥٠٠جنيه عن الفترة الليلية.



ميزان سيبيا معلق لوزن أكياس القطن
(صورة ٢)

وتوضح (صورة ٢) مخزن سري آخر، ويشير صاحب النشاط -الذي تم إخفاء معالمه بناءً على رغبته - بيده إلى الميزان المعلق في سقف المخزن (ميزان سيبيا)، حيث يتم استلام أكياس القطن بالميزان لتقييم الثمن الخاص بكل كيس على حده، أو تقييم كل كمية يأت بها مندوب معين، ويلاحظ كذلك أن المكان سري غير متاح للعامة دخوله لمزيد من الحرص والسرية والكتمان، لكن تم السماح للباحث بدخوله عن طريق إخباريين أحسن الباحث التعامل معهم حتى وثقوا به وسمحوا له بدخول الأماكن السرية التي وافق أصحابها على ذلك، مع أن هناك بعض الأماكن التي رفض أصحابها دخول الباحث إليها، وقد احترم الباحث رفضهم والتزم بذلك.

٢- مرحلة حلج القطن:



ماكينة حلج القطن تستعد للتشغيل داخل الورشة السرية

(صورة ٣)

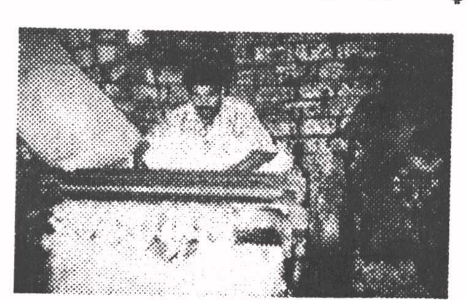
بعد مرحلة الشراء والتخزين تأتي مرحلة الحلج، حيث يتم نقل بعض الأكياس من المخازن السرية، إلى أماكن أكثر سرية توجد بها ماكينة صغيرة لحلج القطن(صور٣) تُدار بالكهرباء من خلال سرقة التيار الكهربي باستخدام سلك طويل يصل إلى المكان السري الذي يتم إخفاء ماكينة الحلج فيه، ويلاحظ في الصورة أن العامل وافق على أن تظهر ملامحه في الصورة، لأنه ليس لديه ما يخسره، والجميع يعرف أنه يتنقل من مكان عمل إلى آخر حسب ظروف العمل، ولا يظل في ورشة واحدة بالإضافة إلى أن العمالة في النشاط لهما خصائص وسمات خاصة تعكسها الجداريات التي سوف نعرضها لاحقاً، ويلاحظ فوق ماكينة الحلج كيس قطن جاهز للحلج منه، ومع بدء تشغيل الماكينة يقوم صاحب النشاط بتوجيه تعليماته للعامل(صورة ٤)، فيوضح كمية الإنتاج المطلوب تحقيقها،ودرجات النظافة المراد تحقيقها، وباقي التعليمات الخاصة بالقطن،والبذرة، والإنتاج، وغير ذلك، وقد طمس الباحث ملامح صاحب النشاط مراعاة لرغبة صاحب النشاط، ثم بدء عملية الحلج،



العامل يتلقى التعليمات من صاحب العمل قبل بدء العمل

(صورة ٤)

ويلاحظ خروج القطن المحلوج من الماكينة، وبين ذراعي العامل كمية من القطن غير المحلوج (قطن زهر) يضعها العامل في الماكينة (صورة ٥) حتى تتحول إلى قطن محلوج (قطن شعر)، ويلاحظ في الصورة أن طفلة العامل ترافق أباها بعض الوقت داخل الورشة السرية مع ما يمثله ذلك من خطورة على الطفلة من الماكينة أو السلك الكهربائي المشدود بطريقة غير آمنة، لكنها حياة الفقراء وظروفهم الصعبة من أجل الأجر اليومي الذي يمكنهم من البقاء على قيد الحياة والتكيف مع الفقر الذي يعيشونه. حيث يلاحظ وقوف الطفلة بجوار سير نقل الحركة الذي يدور بسرعة ومن الممكن أن يجذب الطفلة ويقتلها.



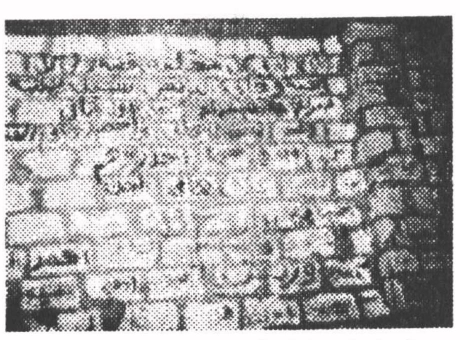
العامل يلقم الماكينة قطن زهر والماكينة تخرج قطن شعر
(صورة ٥)

وبعد أن قدم الباحث النصح حول ما قد يصيب الطفلة، تنبه المبحوث (صورة ٦) وحمل طفلته على ذراعه واستمر في ممارسة النشاط، لكنها حياة الفقراء الذين يبحثون عما يقيم حياتهم ولو بأجر محدود في محاولة للتكيف مع



العامل يحمل طفلته ويواصل العمل على ماكينة الحلج
(صورة ٦)

الفقر الذي يعيشونه، ومع حالة الفقر التي يعاني منها العمال في حرفة حلج القطن إلا أنهم يتسمون بالعنف ويفتخرون به بل ويسجلونه على حوائط الورش (كما تعكسه الجداريات) (صورة ٧) حيث يفتخر أحدهم قائلاً: "له في كل محكمة قضية وفي كل سجن بطنية"، وكلمات "صراع"، و "احذروهم"، وغير ذلك وقد يكون ذلك مناسباً ومطلوباً لطبيعة النشاط، حيث مكان سري لكن ليس من المستبعد أن تهاجمه قوات الشرطة في أية لحظة، لذا من يعمل على ماكينة الحلج يجب



الجداريات داخل الورش تكشف عن علاقات العمالة بالجريمة والسجون والعنف (صورة ٧)

أن يكون من الذين لا يهابون الشرطة، وإذا أمسكت الشرطة بهم فسوف يقضون فترة العقوبة، ثم يعودون مرة ثانية لممارسة النشاط ويفتخرون بفترات سجنهم والقضايا المطلوبين فيها، والذي يقوم بالإنفاق عليهم طوال فترة سجنهم هو صاحب النشاط.

وتستمر عملية حلج القطن ليل نهار، ويتم تجميع القطن الشعر من أمام الماكينة و "كبسه" في أكياس تمهيداً لبيعه إلى مصانع الغزل في القاهرة حيث يتم تجميع الأكياس المملوءة بالقطن الشعر (صورة ٨) ونلاحظ صاحب النشاط وأمامه على كيس



أكياس القطن الشعر بعد الحلج تمهيداً لنقلها للمغازل (صورة ٨)

القطن "رمانة الميزان" استعداداً لوزن القطن الشعر الناتج عن الحلج قبل إرساله للبيع لدى مغازل القاهرة الخاصة بسيارات أصحاب نشاط الحلج، حيث تهاجمهم الشرطة أثناء رحلات تصريف الإنتاج وقد تصادر الكميات وقد ينجح الحرفيون غالباً في الإفلات من الشرطة باستخدام طرق كثيرة.

٣- مرحلة غربلة وتجميع البذرة:



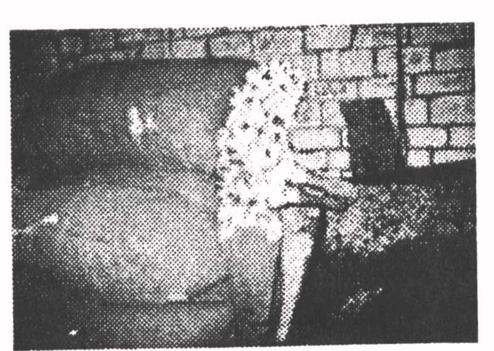
ابنة صاحب النشاط تفرز البذرة في الغربال اليدوي المستطيل

(صورة ٩)

تتداخل مرحلة غربلة وتجميع البذرة مع مرحلة حلج القطن، فأثناء عملية الحلج تخرج ماكينة الحلج القطن الشعر من ناحية وتخرج بذرة القطن من ناحية ثانية، فيتم تجميع القطن في أكياس، ويتم تجميع البذرة في "مقطف" لتوضع في الغربال المستطيل اليدوي (صورة ٩)، ويعلق الغربال اليدوي من أحد طرفيه بحبل في سقف الورشة ويمسك الحرفي بمقبضين للغربال من الجهة الثانية ويقوم بالغربلة بالاهتزاز فتتجمع بذرة القطن السليمة في جانب، وتتجمع البذرة المختلطة بالقطن أو الشوائب في جانب فتقوم الإناث من بنات أو زوجة صاحب النشاط بتعبئة البذرة الجيدة في "جوال" تمهيداً لبيعها إلى "معاصر البذرة" في القرية أيضاً.

ومثلما يشرف صاحب النشاط على تجميع القطن الشعر، يشرف أيضاً على تجميع البذرة وفرزها (صورة ١٠)، ويهتم بأن تكون بذرة ورشته خالية من الشوائب حتى يحصل على أعلى سعر، ولجودة الفرز في البذرة نجد أن الغربال اليدوي المستطيل يتكون من ثلاثة مستطيلات (صورة ١١) مجمعة، أي ثلاثة غرابيل تُكوّن مجتمعة غربالاً واحداً، حيث يضع الحرفي البذرة القادمة من تحت ماكينة الحلج في أول مستطيل، ويقوم بالغربلة، فينتج نوع جيد نظيف من البذرة يبقى عليه

في الغربال الأول كما هو، أما النوع الذي مازال مختلطاً بشوائب فيتم دفعه خلال عملية الغربلة إلى الجزء الثاني من الغربال الأكبر أي الغربال الأوسط، فيتم مزيد من الفرز، ويتم ترحيل الأكثر شوائب إلى الغربال الأخير الثالث (الجزء الثالث) المختلط فيه البذرة بالقطن الشعر فتعاد ثانية إلى ماكينة حلج من نوع آخر قادرة على حلج الشوائب.



صاحب النشاط يفرز البذرة بيديه أمامه بعدما اطمأن على القطن الشعر خلفه

(صورة ١٠)



الغربال الثلاثي اليدوي يفرز البذرة ثلاث فرزات داخل ورشة حلج القطن

(صورة ١١)

٤- مرحلة عصر البذرة:

يتم تجميع البذرة من ورش الحلج بالقرية، وذلك في "أجولة" تحملها سيارات (صورة ١٢) تجوب شوارع القرية، وتقف أمام البيوت التي بها ورش حلج ثم تأتي


سيارة تجمع البذرة من الورش

(صورة ١٢)


مخازن بذرة القطن حتى السقف

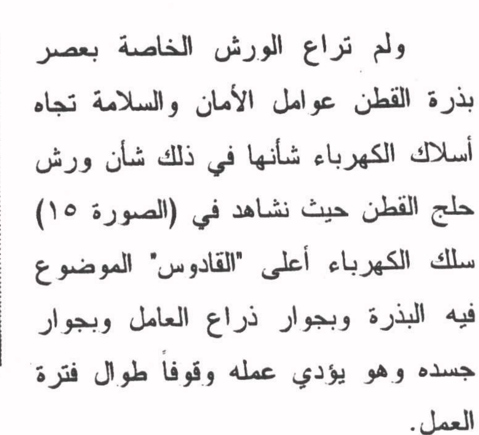
(صورة ١٣)

بالبذرة لتكدس في المخازن الخاصة بالبذرة حتى السقف كما في (صورة ١٣)، وورش عصر بذرة القطن لا تتوقف ليل نهار مثل حال ورش حلج القطن في القرية أيضاً، وإن كانت ورش عصر بذرة القطن بها عمالة أكثر من عمالة الحلج، وعصر البذرة يحتاج إلى عمالة تأتي بالبذرة من المخزن (صورة ١٤) وتقوم بتفريغها في أرضية ورشة عصر البذرة أمام ماكينة العصر، وعمالة أخرى تملأ المكاييل بذرة تمهيداً لإلقائها في ماكينة العصر "العصارة" وآخرون يتلقون الزيت


عامل يقوم بتعبئة بذرة القطن تمهيداً لعصرها

(صورة ١٤)

الناتج عن عملية العصر، ومجموعة أخرى تقوم بتجميع بقايا البذرة التي تم عصرها تمهيدا لتحويلها إلى ورش صناعة علف الماشية "الكسب"، ولذا نجد ملابس جميع من يعملون بحرفة عصر بذرة القطن ملوثة بزيت بذرة القطن، وكذلك حوائط الورشة من الداخل والخارج وأرضية الورشة بل والشارع أمام الورشة نظراً لسكب بعض الكميات أثناء عمليات نقل الزيت أو تفريغه في البراميل.



ولم تراع الورش الخاصة بعصر بذرة القطن عوامل الأمان والسلامة تجاه أسلاك الكهرباء شأنها في ذلك شأن ورش حلج القطن حيث نشاهد في (الصورة ١٥) سلك الكهرباء أعلى "القادوس" الموضوع فيه البذرة وبجوار ذراع العامل وبجوار جسده وهو يؤدي عمله وقوفاً طوال فترة العمل.

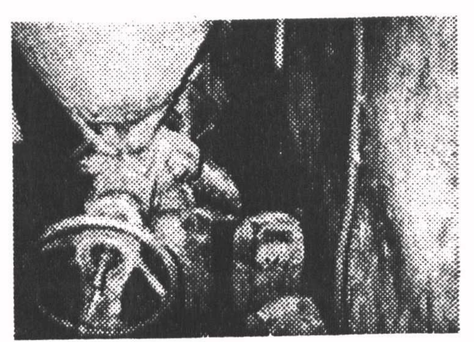


عصارة البذرة الكهربية يلاحظ سلك الكهرباء المكشوف

(صورة ١٥)

ويظهر سلك الكهرباء في الورشة بشكل أخطر في (صورة ١٦) حيث الناحية الخلفية للعصارة التي يتم فيها نزول الزيت في جراكن وتسقط كميات على الأرض فتحولها إلى أرض زلجة قد تنزلق أقدام العمالة ويقعون على أسلاك وتوصيلات الكهرباء المكشوفة فتعرضهم للخطر إما بالصعق وإما بالوقوع على السيور الناقلة للحركة التي تدير العصارة وفي الحالتين الخطر قائم إلى أن تنتهي

فترة العمل وتمتلئ "براميل" الزيت (صورة ١٧) بكميات الزيت الذي يتم توزيعه في القرى المحيطة للاستخدام الآدمي مع ما على ذلك النوع من ملاحظات علمية.



سلك الكهرباء يظهر في الجانب الذي تصب فيه العصارة الزيت في الجراكن ونرى الأرض زلجة

(صورة ١٦)



براميل الزيت في الشارع أمام المعصرة في قرية منشأة رضوان

(صورة ١٧)

٥- بعض مخاطر حرفة حلج القطن وعصر بذرته:

تتمثل بعض مخاطر حرفة حلج القطن وعصر بذرته فيما يلي:

أ- تدمير جهود مراكز بحوث وزارة الزراعة خاصةً في تحديد نوع معين من البذرة يزرع في جهة ما أو محافظة ما، حيث يتم تجميع الأقطان من محافظات عدة وتختلط بذورها أثناء عملية الحلج، حيث تختلط بذور قطن الشرقية ببذور قطن الدقهلية والمنوفية وهكذا، وبعد ذلك يشتريها الفلاحون لزراعتها في العام التالي فيتدهور الإنتاج والمحصول ويتراجع بعد ذلك الفلاحون عن زراعة القطن لقلة إنتاجه الناتجة عن اختلاط البذور وضياع جهود وميزانيات مراكز بحوث وزارة الزراعة بفعل الحرفيين في قرية منشأة رضوان وبعض القرى

المماثلة وهي كثيرة تمارس ذلك النشاط بالطريقة ذاتها في محافظات الشرقية والدقهلية والغربية، وغيرهم من محافظات مصر.

ب- يتم عصر بذرة القطن بشكل خاطئ، حيث يتم العصر دون معاملة سابقة للبذرة، تتمثل في عدم "تحميص" البذرة لقتل جنين البذرة، لأن عدم قتل جنين البذرة يؤدي إلى إنتاج نوع من الزيت به سموم مسرطنة، لأن المعاصر الرسمية في الدولة تقوم بعمليات قتل أجنة بذرة القطن قبل عملية العصر فينتج زيت صحي صالح للاستخدام الآدمي في الطعام، لكن قرية منشأة رضوان تأخذ البذرة مباشرة من أمام دولاب الحلج إلي المعصرة مباشرة فينتج زيت من النوع المسرطن بسبب السموم الناتجة عن عدم تدمير الجنين في البذرة أولاً. وليس هذا فقط بل إن علف الماشية الذي يستخدم البذرة المعصورة يكون ضاراً بصحة الحيوان أيضاً.

جـ- تؤدي الحرفة الراهنة إلى سرقة التيار الكهربي وعدم دفع ضرائب مع تحقيق أرباح كبيرة، وأكثر من كل ذلك، فإن عملية تجميع القطن من الفلاحين تحرم الدولة من كميات من القطن كانت مطلوبة لتنفيذ عقود تجارية أبرمتها الدولة مع بعض الدول بخصوص تجارة القطن، فتضطر الدولة لدفع غرامات لتلك الدول لعدم وفائها بالكميات المتعاقد عليها لأن القطن ذهب للورش المنزلية ولم يذهب للدولة للتصدير.

د- تؤثر حرفة حلج القطن سلبياً على الأجهزة المنزلية الكهربية بالقرية، لأن الطاقة الكهربية الواصلة إلى القرية يتم استهلاكها في ماكينات (دواليب الحلج)، فيضعف التيار الكهربي بالقرية، فيؤدي ذلك إلى احتراق الكثير من الأجهزة المنزلية بالقرية.

هـ- اتجه معظم الفلاحين لزراعة الأرض بالقطن على حساب المحاصيل الغذائية الضرورية للإنسان، مما مثل إجهاداً للتربة، ورفع أسعار الحبوب الغذائية لندرتها في القرية مما يضر بالفقراء الذين يعانون أصلاً من عدم القدرة على

تدبير احتياجاتهم الأساسية للحفاظ على النوع والقدرة على البقاء على قيد الحياة والتكيف مع الفقر، ويمثل عمل الفقراء في حرفة حلج القطن إحدى آليات مواجهة الفقر أو التكيف معه.

و- وحينما أعلم الباحث أصحاب النشاط بتلك المخاطر، طالبوا بمساواتهم بأصحاب نشاط عصر بذرة القطن في القرية، حيث يُسمح لهم بممارسة النشاط وفتح ملفات ضريبية، بينما لم يُسمح لأصحاب نشاط حلج القطن بذلك، ويتمنون أن تسمح لهم الدولة بذلك وتخصص لهم مشرفين لتمييز البذور أو تحديد حصص من القطن من نوع معين لكل ورشة حلج، لأن من مصلحة تلك الورش استمرار نجاح محصول القطن في مصر، والذى يمثل استمرارية لنشاطهم، وقد فطن بعض أصحاب نشاط الحلج لذلك في القرية، فأخذوا يجمعون كل نوع من البذور مستقلاً عن النوع الآخر، ويخبرن من يشتري منهم البذرة للزراعة بأن هذه البذور أصلها يرجع إلى مناطق كذا وكذا، وهكذا يتضح أن أصحاب ورش حلج القطن في قرية منشأة رضوان على استعداد تام لممارسة النشاط علناً وفتح ملفات ضريبية والالتزام بالتعليمات لكن المشكلة إدارية من جانب الجهات الرقابية التي لم تنجح منذ أكثر من ثلاثة عقود في ثني هؤلاء الحرفيين عن حرفتهم، فلماذا لا تجرب أن تستمع إليهم وتحقق مطالبهم المشروعة حتى يتحولوا من ضد القانون إلى مع القانون.

رابعا: الحرفيون والحرف الثلاث: رؤية تحليلية

١- خصائص وسمات الحرفيين فى الحرف الثلاث

ينتمي الحرفيون فى الحرف الثلاث(البردي ، والنخيل ، والقطن) إلي فقراء الفلاحين ، وينتمون إلي الفئة العمرية الشابة ، وتنتشر الأمية بينهم خاصة فى حرفة النخيل، بينما ينتشر التعليم بين الحرفيين فى البردي، ونجد فى حرفة القطن الأميين والمتعلمين على السواء . ويغلب على الحرفيين في البردي كونهم من الإناث فقط، ويغلب عليهم فى القطن انهم من الذكور فقط ، بيد أنهم فى النخيل من الذكور والإناث على السواء . وأغلب الحرفيين فى حلج القطن مؤقتين أما فى البردي والنخيل فالحرفيون يعملون بشكل مستمر ، والحرفيون فى حلج القطن لهم علاقة بالجريمة خاصة الأميين منهم ، أما الحرفيون فى البردي والنخيل فلا علاقة لهم بالجريمة وكذلك غير الأميين فى حلج القطن . ويغلب على الحرفيين فى البردي كونهم من العُزب بينما فى النخيل أغلبهم من المتزوجين وفى حلج القطن يوجد العُزب والمتزوجين ومن لم يصل سن الزواج بعد.

٢- الدوافع الاجتماعية والاقتصادية للعمل فى الحرف الثلاث

يتمثل الدافع الأساسي لعمل الحرفيين فى الحرف الثلاث، فى حل مشكلة البطالة بين من هم فى سن العمل، ويمثل الفقر الذى يعانيه الحرفيون دافعا أساسيا لعمل الحرفيين ، بالإضافة إلي الأعباء الاقتصادية التى يتحملها الحرفيون فى ظل التكيف الهيكلي وحالة الإفقار التى يعانونها ، حيث نجد تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات يعملون فى أيام الإجازات الأسبوعية والعطلات فى الحرف لتدبير مصاريف المدارس والجامعات وشراء مستلزمات

التعليم بل ومساعدة الأسرة الفقيرة التى عجزت عن تدبير احتياجات الأبناء فدفعت بهم إلي سوق العمل الحرفي. ويمثل امتلاك حرفة أحد الأسباب الاجتماعية خاصة بين الحرفيات فى البردي ، حيث يمثل العمل فى حرفة البردي مصدر دخل دائم يغني كثيرا عن التعيين فى الوظائف الحكومية حتي أن بعض الموظفين الحكوميين يعملون فى حرفة البردي بعد انتهاء وقت العمل الرسمي . وينظر المجتمع إلي الإناث اللاتي تعملن فى حرفة البردي نظرة تكريم وإعزاز، ولهن مكانة اجتماعية أفضل لأنهن تتقاضين أجراً دائماً، ومن مؤهلات زواج الإناث أن تكن من الحرفيات فى البردي فهن أفضل ممن لا تجيدن حرفة البردي.

٣- نوع العمل الحرفي (دائم أم مؤقت) فى الحرف الثلاث

يغلب على الحرف الثلاث كون العمل فيها دائما ، وإن تراجع بعض الوقت فيرجع السبب فى ذلك إلي أوقات الندرة فى المواد الخام، لكن الحرفيين يتجاوزون هذا الأمر ويحتاطون له، وفى حرفة ورق البردي يتراجع نمو نبات البردي قليلا فى فصل الشتاء، لذا نجد أصحاب النشاط يخفضون عدد العمالة قبيل فصل الشتاء لمواجهة الأمر لكن العمل يستمر مع ذلك طوال العام، وفى حرفة حلج القطن ، مع أن القطن يتم جنيه فى أكتوبر من كل عام إلا أن الحرفيين من أصحاب النشاط يقومون بتخزين كميات من القطن الزهر أيام جني المحصول تكفي حتي جني المحصول القادم فى العام التالي ، وفى النخيل يتجه الحرفيون عندما يتم استنفاد كميات الجريد والليف الذى تنتجه أكثر من مليون نخله في القُرين،إلي باقي محافظات الجمهورية التى تنتشر بها زراعات النخيل لشراء الجريد والليف منها وتصنيعه فى القُرين وهكذا فالحرف الثلاث العمل بها دائم لذا تمثل فعلا مصدراً دائماً للدخل الآمن الذى لن يتوقف ما دام الإنسان يعمل بالحرفة التى تمثل حالة من التكيف مع الفقر .

٤- الأدوات المستخدمة فى الحرف الثلاث.

تتفاوت الأدوات المستخدمة فى الحرف من البسيطة إلي المعقدة ، لكن بعض الحرف تستخدم أدوات بسيطة خاصة حرفة ورق البردي ، فالأدوات بسيطة للغاية مثل أطباق بلاستيك ، وقماش دمور ، وورق كرتون للتجفيف،وخيط بلاستيك للتشريخ، وشاطور للتقطيع وأحيانا منشار كهربائي صغير للتقطيع وكذلك مكبس صناعة محلية يقوم الحدادون فى القرية بتنفيذه ، أما حرفة منتجات ومخلفات النخيل فتستخدم أدوات بسيطة للغاية مثل الرقة،والمحكة ، والتقايل ، والخفايف ، وسلك الرباط ، وأقلام رصاص أو كوبيا وصولا إلي الآلة المعقدة المستخدمة فى حرفة الكرينة ، ويتم تصنيع هذه الآلة التى يقال عنها " المدشة" فى كل من محافظة دمياط ومحافظة الجيزة . وتنفرد حرفة حلج القطن بأنها تعتمد على ماكينة صغيرة " دولاب " أو كبيرة " عفريتة " ويتم تصنيعها فى المنصورة أو القاهرة، مع وجود غربال تصنيع محلي فى القرية.

٥- تكلفة المدخلات وقيمة المخرجات فى الحرف الثلاث:

هناك فارق متواضع لصالح المخرجات فى حرفة منتجات ومخلفات النخيل، حيث أسعار الجريد ، والخوص والليف متواضعة ، وأيضا أسعار الأقفاص الجريد والمطرحة والمقشات الليف ، والحبال ، والقفف ، والكراسي المصنوعة من الجريد وكافة منتجات الجريد ، والخوص، والليف ، أسعار كل ذلك متواضعة وهناك ربح محدود يرضي به الحرفيون فى هذه الحرفة.

أما حرفة ورق البردي ، فإن مدخلاتها أقل كثيرا من مخرجاتها ، ويغلب على مدخلاتها أنها جهد بشري يبذله الفلاحون الحرفيون فى زراعة نبات البردي ورعايته ، ثم نقله من الحقل إلي المصنع(الورشة) ، وأجور

العمال فقط هي المرتفعة فى البردي مقارنة بباقي الحرف الثلاث، أما أسعار " البوتاس" و" الكلور " و" الكرتون " و " الدمور " فهي متواضعة ، أما مخرجات الحرفة ، فهي مرتفعة جدا بسبب ارتفاع أسعار ورق البردي الذى يباع بالعملات الصعبة ويمثل صناعة رأس مال لأصحاب النشاط بشكل واضح.بيد أن حرفة حلج القطن يمثل العائد منها ما يزيد عن ٢٠٠% من الإنفاق عليها الذى يتمثل فى أسعار شراء القطن الزهر ، فقط وأجر عامل واحد على كل ماكينة وغير ذلك بدون مقابل ، فالكهرباء مسروقة ، ولا يتم تجهيز مكان ممارسة النشاط بشكل خاص ويعتبر العائد من حرفة حلج القطن هو الأعلي بين الحرف الثلاث.

٦- أهمية الحرف فى التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال.

يستثمر الفلاحون الفقراء حرفة ورق البردي لمواجهة الفقر والتكيف معه، فيدفعون ببناتهم للعمل كحرفيات فى صناعة ورق البردي ، ويستخدمون أجورهن فى مواجهة الفقر الذى يعيشونه ، بل أن بنات الفلاحين الفقراء تتخذن من العمل بحرفة البردي سبيلا " لتجهيز أنفسهن للزواج " أى شراء ما يجب على العروس أن تشتريه من جانب أسرتها حسب عادات الزواج فى الريف وتقسيم مستلزمات الزواج بين العروسين ، وهكذا مثلت حرفة البردي التكيف مع الفقر. وإذا كان هذا فى جانب العمال ، فإن أصحاب العمل يصنعون رأس المال من تجارتهم فى ورق البردي الذى يحصلون عليه من نبات يزرعونه أما حرفة منتجات ومخلفات النخيل فلا تصنع رأس المال إلا فى " حرفة الكرينة" وجميع حرف منتجات ومخلفات النخيل تمثل تكيفا مع الفقر بالنسبة للعاملين وأصحاب النشاط على السواء، وتمثل حرفة حلج القطن تكيفاً مع الفقر بالنسبة للعمالة، لأن دخلهم منها أساسي وضروري ولا غني عنه وإذا

افتقدوه لن يجدوا له بديلا ، أما صناعة رأس المال والاستثمار فيه فمنتشر بشكل واضح فى حرفة حلج القطن.

٧- أهمية الحرفة فى ظل ندرة الفرص البديلة:

تعاني القري الثلاث مجال الدراسة من ندرة وجود فرص بديلة للعمل ، حيث ترتفع نسبة البطالة ، وغالبية الحرفيين إما من الحاصلين على المؤهلات المتوسطة أو الجامعية التى تمثل أعلي نسب البطالة فى مصر ، أو أنهم من الأميين الذين لا يجدون فرص عمل إلا فى قطاع الخدمات أو مهن قاع المجتمع، التى يكرهها الفلاحون وثقافتهم الريفية ، بالإضافة إلي أن القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ طرد الفلاحين وأبناءهم من الأرض الزراعية فزادت أعداد البطالة بالإضافة إلي اعتماد الدولة علي التكنولوجيا كثيفة رأس المال بدلا من اعتمادها على كثيفة العمال مثلما هو حادث فى مصانع مدينة العاشر من رمضان القريبة من قري الدراسة ، أما العمل الزراعي فقد دخلته الميكنة ووفرت أعدادا إضافية من البطالة بين قطاعات الفلاحين . لكل ذلك لم يجد الحرفيون من الفلاحين وأبنائهم إلا الحرف فى ظل ندرة الفرص البديلة للعمل.

٨- حالات الإبداع فى الحرف

تبين أن حرفة صناعة ورق البردي هي الحرفة الأولى من حيث الإبداع ، حيث تتطلب مهارة خاصة ودرجة عالية من الدقة خاصة فى مرحلتي " التشريخ" و" الرص " ففى الأولي يجب أن تقوم الحرفيات بتحويل قطعة ساق نبات البردي إلي " باكو" أى مجموعة من الشرائح المتساوية فى السمك تماما حتي تنتج ورقة متساوية فى سمكها ، وكذلك تحتاج مرحلة الرص إلي دقة متناهية وإبداع فى رص الشرائح الأفقية والرأسية بجوار بعضها البعض دون ترك أية مسافات بينية حتي يكون ملمس الورقة المنتجة ناعماً ومستوياً ، وتباري الحرفيات فى التجويد ، مما يدفع صاحب العمل برفع أجور المبدعات

عن غير المبدعات، أما المدبعون من الحرفيين فى حرفة النخيل فهم ندرة خاصة فى حرفة صناعة الكراسي لأنها حرفة يدوية تحتاج إلى تشكيلات وتقسيمات زخرفية ، أما حرفة الليف كالحبال والمقشات وغيرها لا تحتاج إلي درجات عالية من الإبداع باستثناء صناعة " المطلاع " من الليف فهي حرفة إبداع ، أما غير ذلك لا يظهر إبداع بل حرف وعمل روتيني ، ولا نجد إبداعا على الإطلاق فى حرفة حلج القطن لأنه يتم من خلال ماكينة وليس يدويا.

٩- التخزين والتسويق للمنتجات الحرفية فى الحرف الثلاث

يتم تخزين أوراق البردي خلال فترات الإنتاج حتي تنشط السياحة ، ولا يحتاج التخزين مساحات كبيرة، بل توضع الأوراق فى أكياس شفافة حتي يسهل التعرف على نوع الورقة ، وتوضع فى شكل مجموعات كل مجموعة مائة ورقة،وتخزن على أرفف خشبية بسيطة عند صاحب النشاط، أو فى مخازن خاصة، ويتم تسويق الإنتاج من داخل القرية ، أما في حرفة القطن فإن التخزين خاص فقط بالقطن الزهر المطلوب للحلج ، أما القطن الشعر (المحلوج) فيتم إرساله فور حلجه إلي المغازل الخاصة بالقاهرة ، وكذلك البذرة لا تحتاج تخزين، بل يتم التصرف فيها بسرعة ، حيث يتم إرسالها إلي معاصر الزيت بالقرية أيضا ، ويتم تصريف الإنتاج داخل القري المحيطة ، أما مشكلة التخزين والتسويق فهي قائمة فى حرفة منتجات النخيل ومخلفاته، لأنها تحتاج إلي مساحات كبيرة للتخزين ويتكدس الإنتاج لفترات طويلة حتي يتم تسويقه لأنه يسوق خلال الأسواق الأسبوعية فى مراكز محافظة الشرقية ، التى تعقد لمدة يوم واحد فى الأسبوع ويتم تحديد سوق معين لكل تاجر منتجات

ومخلفات النخيل ، فيضطر للانتظار حتي يأتي يوم السوق المسموح له بالبيع فيه.

١٠- مستقبل الحرف الثلاث فى ضوء ما يُحيط بكل حرفة من عوامل إعاقة أو دعم.

يبدو أن حرفة منتجات ومخلفات النخيل هى الأقدر على البقاء ، وذلك لوجود زبائن دائمين يطلبون إنتاجها ولوجود النخيل بكميات كبيرة وتتزايد كل عام، والحرفة منزلية يتم توريثها فى جميع بيوت القرية، وليس هناك ما يعوق ممارسة النشاط فيها . أما حرفة ورق البردي ، فقد تتراجع لعدة أسباب أهمها تذبذب سوق السياحة الذى ترتبط به الحرفة ، وقد تتراجع إذا رأت الدولة ترشيد مياه الري خاصة وأن هناك أزمة مياه مرتقبة ، حيث يحتاج نبات البردي إلي مياه باستمرار تطمر الأرض المزروع فيها النبات حتي تتحول إلي مياه راكدة باستمرار أسفل النبات ، فالبردي مستهلك كبير للمياه ، وقد تراجع الدولة سياستها مع زراعة البردي التى بدأت تنتشر فى كثير من القري المصرية أما حرفة حلج القطن فسوف تستمر حتي يقلع الفلاحون عن زراعة القطن - وهم فى سبيلهم إلي ذلك - بسبب ارتفاع تكاليف زراعة القطن وعدم التوازن الواضح بين الإنفاق عليه والعائد منه.



خصائص العاملين في الحرف الثلاث

تمثلت أهم خصائص العاملين في الحرف الثلاث فيما يلي:

١- النوع:

تميزت حرفة ورق البردي عن باقي الحرف الثلاث موضوع الدراسة بارتفاع نسبة الإناث عن الذكور في العمالة بشكل واضح (جدول ١)، حيث مثلت نسبة الإناث ٧١,٦% من إجمالي العمالة بحرفة البردي، ومثل الذكور ٢٨,٤%، ويرجع ذلك إلى الفكرة التي انطلق منها ابن القرية الذي أدخل إليها النشاط لأول مرة، حيث رأى أن حرفة تشريخ ورص ورق البردي تحتاج إلى صبر، ودقة، ووقت عمل طويل ويحتاج المشروع الحرفي في بدايته إلى انخفاض أجور العمالة حتى يبدأ المشروع في الإنتاج وبيع الإنتاج، وكان آنذاك سوق العمل بالنسبة للذكور نشيطاً للعمل بالزراعة ومدينة العاشر من رمضان ومشروعات الخطارة والصالحية والتل الكبير، وكانت أجور العمالة الذكور مرتفعة، لذا لجأ ابن القرية آنذاك للاستعاضة عن الذكور بالإناث، اللاتي تنتشر بينهن نسبة البطالة ويقبلن أقل الأجور، ويتحملن العمل لفترة طويلة بأجر قليل لحالة الفقر الجماعي التي يعيشونها في أعقاب سياسة الانفتاح وما تبعها من تكيف هيكلي أثر في المجتمع المصري من قاعة إلى قمته. وبلغ عدد الذكور العاملين في حرفة البردي ٢١٦ حرفي أما الإناث فبلغن ٥٤٤ حرفية. حتى يمكن أن يطلق على حرفة البردي بأنها حرفة الإناث، لدرجة أن إناث القرية لم تَعُد أعدادهن تكفي لممارسة النشاط الحرفي فقامت القرية باستكمال حاجتها للعاملات الحرفيات من القرى المحيطة، بذلك أسهمت حرفة البردي في حل مشكلة البطالة بين الإناث بنسبة ١٠٠% في القرية وبنسب متفاوتة في القرى المحيطة.

جدول (١) العمالة: النوع والحرفة

الحرفة / النوع	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
ذكور	٢١٦	٢٨,٤	٥٧٢	٧١,٥	٩٦	١٠٠	٨٨٤	٥٣,٣
إناث	٥٤٤	٧١,٦	٢٢٨	٢٨,٥	-	-	٧٧٢	٤٦,٧
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

يعمل في حرفة النخيل الذكور والإناث كل وما يناسب من خطوات الحرفة لكن يغلب علي عمل الإناث ما يتم جدله كالخوص والحبال، أو عمليات تجفيف البلح وصناعة العجوة وغير ذلك من الحرف التي تناسب النساء، من هنا إذا كان إجمالي العمالة في حرفة منتجات ومخلفات النخيل قد وصل إلى ٨٠٠ مفردة (جدول ١) فإن نسبة الذكور كانت ٧١,٥% ونسبة النساء كانت ٢٨,٥%، أما الحرف التي يقوم بها الذكور، فهي ما يحتاج إلى قوة عضلية مثل تقطيع الجريد، وحكة، وتثقيبه، وصعود النخيل وغير ذلك من الحرف، وليس هناك غضاضة من عمل الذكور والإناث في حرفة النخيل، لأن غالبية العمالة الحرفية لديها النخيل الذي تأخذ منه منتجاته ومخلفاته، فالجميع لديه خبرة حرفية، وإن كان الذكور أكثر من الإناث، فإن ذلك قد يرجع إلى أن حرف الجريد هي الأكثر انتشاراً وهي حرفة تكاد تكون ذكورية.

اتسمت حرفة حلج القطن عن باقي الحرف في خاصية النوع بالنسبة للعمالة بأنها جميعها ذكور وبنسبة ١٠٠%، ولم يكن هناك مكان للإناث فيها (جدول ١) وهذا أمر منطقي إذا علمنا أن العمالة مهددة دائماً من قِبَل الشرطة نظراً لممارسة النشاط بشكل غير قانوني في أماكن سرية، وقد يرجع عدم وجود الإناث في عمالة الحرفة لمكان الممارسة الذي يتسم بالسرية، حيث تتم ممارسة حرفة حلج القطن في سراديب في أعماق المنازل أو البدرومات أو حظائر معطلة أو داخل الحقول وأحياناً بين المقابر، وجميع هذه الأماكن غير مناسبة لعمل الإناث، وبالإضافة إلى

أن العمل يكون ورديات كل وردية ١٢ ساعة وهذا أمر قد يكون مرهقاً بالنسبة للإناث، ولا يوجد من جنس الإناث من تعمل في حرفة حلج القطن إلا ابنة أو زوجة صاحب النشاط وتعمل في غربلة أو فرز البذرة فقط وهو عمل ينتهي بسرعة ويكون معاوناً للعامل الأجير في الورشة، كنوع من الإشراف ومتابعة الجودة.

٢- توزيع العمالة حسب السن ونوع العمالة:

تفاوتت الفئات العمرية للعمالة في حرفة البردي، ولكن يغلب عليها أنها في فئة المراهقة والشباب، حيث كان عدد العمالة الحرفية في البردي ٧٦٠ عاملاً وعاملة يقع في الفئة العمرية أقل من ١٠سنوات حتى ٣٠ سنة، ٧٥٦ عامل وعاملة وبنسبة ٩٥,٥%، العمالة، حيث أقل من ١٠ سنوات يمثلون ٠,٥%، ١٠ سنوات ــ يمثلون ٦٥,٨%، ٢٠ سنة ــ يمثلون ٢٦,٨%، ٣٠سنة ــ يمثلون ٦,٤%، ولم يتم تمثيل الفئة العمرية ٤٠ سنة- أو الفئة العملية ٦٠ سنة فأكثر، لكن تم تمثيل الفئة العمرية ٥٠ سنة- بنسبة ٠,٥%، (جدول ٢)، وقد يرجع كل ذلك إلى أن حرفة البردي لا تحتاج إلى قوة عضلية، بالإضافة إلى أنها حرفة يتطلع جميع فلاحي القرية لتوريثها لأبنائهم، لذا يقومون بالدفع بهم إليها منذ نعومة أظفارهم، وقد يرجع السبب في ذلك إلى حالة الفقر التي تعاني منها أسر تلك العمالة فتحاول استثمار الأبناء في مواجهة أزمة الفقر من خلال الدفع بهم إلى حرفة البردي من أجل الأجور اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية لمواجهة أعباء المعيشة ومتطلباتها، هذا بالإضافة إلى أن غالبية العمالة أو نسبة كبيرة منها ما زالت في مراحل التعليم وتعمل في حرفة البردي لتدبير المصروفات الدراسية والمواصلات والملابس والمصروفات الشخصية بالإضافة لدعم الأسر الفقيرة.

جدول (٢) توزيع العمالة حسب السن ونوع الحرفة

الحرفة / السن	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أقل من ١٠ سنوات	٤	٠,٥	٤	٠,٥	–	–	٨	٠,٥
١٠ –	٥٠٠	٦٥,٨	٣٢٠	٤٠,٠	٦٠	٦٢,٥	٨٨٠	٥٣,١
٢٠ –	٢٠٤	٢٦,٨	٢٥٢	٣١,٥	٢٠	٢٠,٨	٤٧٦	٢٨,٧
٣٠ –	٤٨	٦,٤	٩٢	١١,٥	١٦	١٦,٧	١٥٦	٩,٤
٤٠ –	–	–	٧٢	٩,٠	–	–	٧٢	٤,٤
٥٠ –	٤	٠,٥	٥٢	٦,٥	–	–	٥٦	٣,٤
٦٠ +	–	–	٨	١	–	–	٨	٠,٥
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

تركزت فئات السن للعمالة في حرفة منتجات ومخلفات النخيل في ثلاث فئات (انظر الجدول ٢) وهي الفئة العمرية ١٠ – ومثلت ٤٠% من العمالة، والفئة العمرية ٢٠ – ومثلت ٣١,٥%، والفئة ٣٠ – ومثلت ١١,٥%، وهكذا مثلت الفئات الثلاث مجتمعة ٨٣% من العمالة، وقد يعني هذا أن الشباب يتواجدون بكثافة في هذه الحرفة من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية لهم، حيث وجد منهم طلاب بالجامعات والمدارس وغير متعلمين لكن يجمع بينهم جميعا، أنهم ينتمون إلى أسر فقيرة، وان عملهم في هذه الحرفة إنما كان بهدف التكيف مع الفقر ومحاولة للبقاء علي قيد الحياة، لأن دخل حرفة منتجات ومخلفات النخيل متواضع للغاية إذا قورن بالبردي أو القطن.

انحصرت الفئات العمرية للعمالة في حرفة حلج القطن في الفئات العمرية من ١٠ سنوات حتى ٣٠ سنة (جدول ٢) وهي الفئة العمرية الأكثر شباباً، مع وجود لمرحلة المراهقة يتمثل في تلاميذ التعليم الأساسي (المرحلتين الابتدائية والإعدادية)، الذين يعملون في أيام العطلات الأسبوعية لتدبير مصروف الأسبوع،

حيث أجر يوم العمل عشرة جنيهات، وهو عمل يسير لا يزيد عن وضع كميات صغيرة من القطن لا تتجاوز ٣ كيلو جرام بشكل مستمر في الماكينة (دولاب الحلج، ولا يحتاج هذا العمل إلى فن أو دقة باستثناء التعرف على درجات نظافة القطن المراد وضعه في الماكينة، ويمثل طلاب المدارس الفئة العمرية ١٠- ٦٠ مفردة وبنسبة ٦٢,٥% من العمالة، ويفضل أصحاب العمل العمالة من ذلك النوع، حيث إذا تم القبض عليهم، فسوف يتم إطلاق سراحهم لصغر سنهم، أما الفئة العمرية ٢٠- فيمثلون ٢٠,٨% من العمالة، والفئة العمرية ٣٠- يمثلون ١٦,٧% من العمالة، والفئتان معاً تمثلان ٣٧,٥% من العمالة وهم كذلك لأن أجورهم تتراوح بين ١٥ إلى ٢٠ جنيه في اليوم، لذا يفضل صاحب العمل عمالة الأصغر سناً عنهم، وإن كانوا على درجة كبيرة من الأهمية لصاحب العمل لأنهم يمثلون العمالة الدائمة التي تسير دولاب العمل يومياً خاصةً أثناء أيام الدراسة لطلاب المدارس الذين لا يتواجدون إلا في العطلات الأسبوعية أو عند الحاجة إلى أجر يوم ولو على حساب التسرب من المدرسة أو الغياب لحاجة التلميذ وأسرته إلى أجر اليوم للحفاظ على القدرة على الحياة والتكيف مع حالة الفقر التي يعانون منها.

٣- توزيع العمالة حسب الحالة التعليمية والحرفة:

تكاد تكون حرفة البردي حرفة غير الأميين، هل هذا لأن ورق البردي ينتج للكتابة والرسم عليه لغير الأميين ؟ (سؤال مطروح). حيث مثل الأميون ١٥,١% فقط من العمالة (انظر جدول ٣)، وانخفضت النسبة لتصل إلى ٣% في حالة من يقرأ ويكتب، وقد يرجع ذلك إلى أن أول من أدخل النشاط إلى القرية أدخل فصول محو الأمية للفتيات والفتيان العاملين لدية في مصانعه (أو ورشته)، وكان يقيم لهم رحلات للمتاحف المصرية ليطلعهم على أوراق البردي الأصلية ورسوماتها، ونظراً لكثرة توافد السائحين الأجانب على القرية اتجه الجميع لتعليم الأبناء حتى يتمكنوا من التفاوض مع السائحين في أسعار أوراق البردي والإعلام عن النشاط، وكان الحاصلون على الابتدائية يمثلون ٦,٢% من العمالة، ويعني ذلك أن تلاميذ الابتدائي يعملون بالبردي، وأن بعضهم تسرب من التعليم بسبب الفقر واتجه إلى

البردي في محاولة للتكيف مع الفقر وتدبير إمكانيات البقاء على قيد الحياة من خلال الأجر اليومي الذي يتقاضاه الصغار، وكان الحاصلون على الإعدادية يمثلون ١٤,٧%، أما الدبلوم الفني وهو الشائع بالقرية وبعض الحاصلين على الحاصلين على الثانوية العامة فكانت النسبة ٤٧,٣% وهي النسبة الغالبة التي تعكس الحالة التي يعيشونها والأمل الذي افتقدوه في أن توفر لهم الدولة. فرصة عمل فلجأوا إلى حرفة البردي لتنقذهم من البطالة والعوز، وكان المؤهلون جامعياً يمثلون ١٣,٧% من العمالة وأغلبهم من أبناء أصحاب الورش والقادرين مادياً على تحمل نفقات التعليم ومتطلباته.

جدول (٣) توزيع العمالةحسب الحالة التعليمية، والحرفة

الحرفة / الحالة التعليمية	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أمي (لا يقرأ ولا يكتب)	١١٦	١٥,١	٢٠٠	٢٥	٢١	٢٢	٣٣٧	٢٠,٤
يقرأ ولا يكتب	–	–	٨	١	–	–	٨	٠,٥
يقرأ ويكتب	٢٠	٣	٤٠	٥	٧	٧	٦٧	٤
إبتدائية	٤٨	٦,٢	١٠٠	١٢,٥	٢٤	٢٥	١٧٢	١٠,٥
إعدادية	١١٢	١٤,٧	٨٠	١٠	٤٤	٤٦	٢٣٦	١٤,٤
ثانوية أو دبلوم فني	٣٦٠	٤٧,٣	٢٨٠	٣٥	–	–	٦٤٠	٣٨,٣
مؤهل جامعي	١٠٤	١٣,٧	٩٢	١١,٥	–	–	١٩٦	١١,٩
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

يغلب علي العمالة الحرفية في النخيل كونها من الحاصلين علي دبلوم المدارس الثانوية الفنية وبنسبة ٣٥% من إجمالي العمالة، يليها نسبة الأميين وهم من جيل الآباء والأمهات والأجداد ونسبتها ٢٥% (جدول ٣)، ثم يلي ذلك الحاصلون علي الابتدائية ١٢,٥% والمؤهل الجامعي ١١,٥% وقد يرجع ذلك إلى

أن هذه الحرفة منزلية يعمل بها جميع أفراد الأسرة كل حسب حالته التعليمية، وكان الباحث قد وجد طلابا في بكالوريوس التجارة ينتجون المقشات الليف بالإنتاج ١٠٠ مقشة بأجر عشرة جنيهات وكانوا يجتهدون حتى ينتجون عدد٢٠٠ مقشة مقابل ٢٠ جنيه يومياً.

تنتشر الأمية بين العمالة في حرفة حلج القطن وبنسبة الثلث تقريباً، حيث الأمية ٢٢% ومن يقرأ ويكتب ٧%، إذن الإجمالي (جدول ٣) ٢٩% من العمالة، وهم من شباب الفلاحين الذين لم تتح لهم فرصة التعليم بسبب الأوضاع الاقتصادية التي يعيشون فيها، والتي حالت وتفرغهم للدراسة وفضلوا حفاظاً على حياتهم أن ينزلوا سوق العمل كعمالة بدلاً من دخول التعليم الذي سوف يحتاج إلى مصروفات وتكاليف اقتصادية مهما كانت متواضعة إلا أنها فوق طاقتهم المالية المتدنية، ثم أن الأميين في حرفة حلج القطن لا يعبأون بمهاجمة الشرطة لهم ويفتخر بعضهم خاصةً من يقرأ ويكتب بأن "له في كل محكمة قضية وفي كل سجن بطنية"، أما تلاميذ المرحلة الابتدائية فيمثلون ٢٥% والمرحلة الإعدادية ٤٦%، بإجمالي ٧١% لتلاميذ التعليم الأساسي بشقيه الابتدائي والإعدادي، وهم النسبة الغالبة لأن أجورهم أقل مع تساوي كمية الإنتاج التي ينتجونها مع تلك التي ينتجها الكبار، وارتفاع نسبتهم هنا قد يعني أيضاً، بل ويؤكد الواقع الاقتصادي الاجتماعي الصعب الذي يعيشونه وتعيشه أسرهم مما يدفع للزج بهم إلى العمل في حرفة يعلم الآباء أن الشرطة تهاجمها وأن هذا قد يمثل تنشئة إجرامية لأطفالهم، ولم نر بين العمالة حالة تعليمية أكبر من ذلك بسبب زيادة الوعي كلما ارتفع مستوى التعليم.

٤- الحالة الزواجية للعمالة:

نظراً لأن حرفة البردي لا تحتاج إلى قوة عضلية من جانب العمالــة، لــذا كانت هناك نسبة ١% من العمالة ممن هم دون سن الزواج، أما من هم فــي ســن الزواج لكنهم من العزب فكانوا يمثلون ٨٧,٥% (انظر جدول ٤)، ويرجع ارتفــاع نسبتهم خاصة أن غالبيتهم من الإناث إلى أنهم يحاولون تدبير مســتلزمات الــزواج المادية من خلال عملهم في البردي بعدما ضن سوق العمل الرسمي عليهم بفرصــة

عمل أو دخل لمواجهة متطلبات الحياة. وكان المتزوجون يمثلون ١٠,٥% فقط من العمالة، ويرجع ذلك إلى القيم والعادات والتقاليد بالقرية التي تحظر على المرأة المتزوجة أن تعمل في غير ورشة زوجها مهما كانت ظروفها المادية صعبة أو سيئة، ومسموح لها فقط أن تعمل لحساب الغير لكن داخل منزلها، كأن تأخذ مكاييل من سيقان البردي لتشريخها، في منزلها ثم إعادتها لصاحب الورشة وتقاضي الأجر، أو تأخذ مكاييل من شرائح البردي وتقوم برصها في بيتها، ثم تسلمها لصاحب الورشة وتتسلم أجرها، لذا انخفضت نسبة المتزوجين لأنهم يمثلون أصحاب الورش فقط كزوجته، وهو شخصياً، وابنه المتزوج وزوجة ابنه، لكن ليس من حق ابنته التي تتزوج خارج الأسرة أن تعمل في ورشة أبيها بعد الزواج. وانخفضت نسبة المطلقين لتصل إلى ٠,٥% وكذلك الأرامل ٠,٥%، وفي الغالب هم ليسوا ممن تربطهم صلة قرابة بصاحب الورشة حيث اغلب سكان القرية يملكون ورشاً لممارسة النشاط باستثناء العمالة الوافدة من خارج القرية.

جدول (٤) العمالة: الحالة الزواجية، والحرفة

الحرفة / الحالة الزواجية	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
دون السن	٨	١	٢٤	٣	٦٨	٧٠,٨	١٠٠	٦
أعزب	٦٦٤	٨٧,٥	٤٨٨	٦١	١٥	١٥,٦	١١٦٧	٧٠,٥
متزوج	٨٠	١٠,٥	٢٨٠	٣٥	١٠	١٠,٤	٣٧٠	٢٢,٣
مطلق	٤	٠,٥	–	–	٢	٢,١	٦	٠,٤
أرمل	٤	٠,٥	٨	١	١	١,١	١٣	٠,٨
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

كانت النسبة الأعلى هي العزب، حيث بلغوا نسبة ٦١% من إجمالي العمالة (جدول ٤)، مما يعني أنهم يتطلعون للعمل بالحرفة كي يدبروا مستلزمات زواجهم بالإضافة إلى أن النسبة الغالبة في حرفة النخيل هي من الشباب العزب

والمتزوجين، وكان المتزوجون يمثلون ٣٥% مما قد يعني أن ممارسة الحرفة في المنزل ومشاركة الأزواج والزوجات قد رفعت نسبة المتزوجين، أو قد يرجع ذلك لزيادة متطلبات المتزوجين مما دفعهم للعمل بحرفة النخيل كمحاولة للتكيف مع الفقر في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي تواجه المجتمع الريفي بعامة وفقرائه بخاصة.

يكشف (جدول ٤) عن أن من هم دون سن الزواج كانوا يمثلون ٧٠,٨% من العمالة، وذلك لسهولة العمل على "دولاب" الحلج، وعدم اشتراطه لفن خاص أو مهارة حرفية، فهو عمل روتيني لا يتجاوز إلقاء كميات من القطن الزهر في "دولاب الحلج" ليقوم بدوره بعملية فصل البذرة عن الشعر، لذا وجدنا الصغار يمارسون الحرفة كعمال، ويعني وجود ٧٠,٨% من العمالة دون سن الزواج أن الآباء قد دفعوا بهم للضائقة المالية التي يمرون بها في ظل الخصخصة والتكيف الهيكلي وما ترتب عليهما من واقع اقتصادي أليم أثر في الأسرة الفلاحية الفقيرة فحاولت في سبيلها إلى التكيف مع الفقر والحفاظ على البقاء على قيد الحياة أن تدفع بصبيانها للعمل في حرفة حلج القطن من أجل الدعم المالي الذي يمثلونه للأسرة، أما من وصلوا سن الزواج ولم يتزوجوا من العمالة وهم العزب، فكانوا ١٥,٦% وقد يعني هذا ظروفهم الاقتصادية الصعبة حالت وتمكنهم من الزواج، أما من تمكنوا من الزواج فكانوا ١٠,٤% من العمالة وكان لابد لهم من العمل بالحرفة لتدبير احتياجات أسرهم، وكان المطلقون ٢,١% من العمالة بسبب ظروفهم الاقتصادية الصعبة، وكان هناك حالة واحدة ترمل.

٥- نوع العمالة بين المؤقتة والدائمة:

يغلب على العمالة في حرفة البردي أنها عمالة دائمة وبنسبة ٦١,٦% من إجمالي العمالة (جدول ٥)، وقد يعني هذا حالة من الرضا عن النشاط والأجر أو أن لا بديل أمام الحرفي إلا العمل في حرفة البردي، وقد يعني ذلك أيضاً انتشار الظروف الاقتصادية الصعبة التي تدفع العمالة من أجل التكيف مع الفقر إلى

الاستمرار في العمل بحرفة البردي، وبذلك ترتفع نسبة العمالة الدائمة. وقد يعني ارتفاع نسبة العمالة الدائمة في البردي ارتفاع نسبة البطالة في المجتمع باستثناء النشاط الحرفي، مما يدفع العمالة إلى الاستمرار في العمل في البردي، فيمثلون عمالة دائمة، أما العمالة المؤقتة فقد مثلت ٣٨,٤% من إجمالي العمالة، وهم أولئك الذين مازالوا في مراحل التعليم المختلفة، ويعملون بالنشاط الحرفي أيام العطلات الدراسية والأجازات، لذا فهم يمثلون عمالة مؤقتة، لكنها سرعان ما تتحول إلى عمالة دائمة بعدما تنتهي من إتمام الدراسة، وقد ترجع نسبة العمالة المؤقتة إلى أناس يمرون ببعض الأزمات المالية المؤقتة فيلجأون إلى العمل بحرفة البردي لتجاوز الأزمة، وبعد الانقشاع يتركون العمل.

جدول (٥) العمالة: نوع العمالة، والحرفة

الحرفة / النوع	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
عمالة مؤقتة	٢٩٢	٣٨,٤	١٨٧	٢٣,٤	٧٨	٨١,٢	٥٥٧	٣٣,٦
عمالة دائمة	٤٦٨	٦١,٦	٦١٣	٧٦,٦	١٨	١٨,٨	١٠٩٩	٦٦,٤
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

يغلب على العمالة في حرفة النخيل كونها من العمالة الدائمة وبنسبة ٧٦.% (انظر جدول ٥) وقد يعني دوام إستمرار فاعلية مصادر المواد الخام التي لم تنقطع طوال العام، لذا يجد الحرفيون المواد الخام بشكل مستمر، لذا نجد العمالة دائمة، وقد يرجع السبب في ارتفاع نسبة العمالة الدائمة إلى أن غالبية العمالة هي منزلية وتعمل في خامات حقولها، أو قد يرجع السبب إلى أن غالبيتهم يعيشون في ظل ظروف اقتصادية سيئة لا مخرج لهم منها إلا بالعمل الدائم في حرفة منتجات ومخلفات النخيل. أما العمالة المؤقتة، فمثلت ٢٣,٤% فقط وقد ترجع نسبتها إلى الاعتماد عليها عند الأزمات الناتجة عن ضرورة إنجاز "طلبيات" كبيرة من

الأقفاص أو الحبال أو غير ذلك مما يدفع الحرفيين إلى استدعاء المزيد من العمالة المؤقتة للمساعدة في إنجاز المهمة وينتهي عملهم بانتهاء إنجاز "الطلبية".

نظراً لحالة عدم الاستقرار التي تعاني منها حرفة حلج القطن بسبب كون الحرفة غير قانونية، ويتم تغيير مكان ممارسة النشاط باستمرار للتهرب من الشرطة، فإن العمالة المؤقتة هي الغالبة، حيث جاء في (جدول ٥) أن العمالة المؤقتة تمثل ٧٨% من إجمالي العمالة، وقد يرجع ذلك إلى أسباب أمنية يراعيها أصحاب النشاط بالادعاء بأن ممارستهم للنشاط قد توقفت كل فترة زمنية أمام بعض العمالة خوفاً من تسريب العمالة أسرار مواقع ممارسة النشاط الخاص بصاحب العمل إلى الجهات الأمنية أو مثل ذلك، فيتم تجديد العمالة الدائمة والتي تمثل ١٨,٨% فيبدو أنها من أقارب أصحاب النشاط أو ممن لهم علاقة ما بشبكة العلاقات الاجتماعية المرتبطة بحرفة حلج القطن بالقرية، والذين لا يمثلون مصدر خوف على سرية ممارسة النشاط.

٦- نوع العمالة بين العائلية والمؤجرة:

تمثل العمالة العائلية ٢٨,٤% من إجمالي العمالة في حرفة البردي في حين تمثل العمالة المؤجرة ٧١,٦% منها (جدول ٦)، وقد يرجع انخفاض نسبة العمالة العائلية إلى أن معظم سكان القرية لديهم ورشاً حرفية تمارس نشاط البردي يعملون بها، وأن العادات والتقاليد تمنع عمل البنات في ورش آبائهن بعد زواجهن لذا تتناقص نسبة العمالة العائلية، وترتفع نسبة العمالة المؤجرة، حيث يتم التعويض في النقص المتوالي في العمالة العائلية بارتفاع نسبة العمالة المؤجرة، وقد يرجع ارتفاع نسبة العمالة المؤجرة إلى ارتفاع معدلات ونسب الفقر في الريف المصري بعامة والريف الشرقاوي بخاصة ـ كما سبق توضيح ذلك ـ حيث يتجه أبناء الفقراء للعمل في حرفة البردي وذلك لتدبير احتياجاتهم ومساعدة أسرهم على البقاء على قيد الحياة في ظل الأوضاع الاقتصادية المترتبة على التكيف الهيكلي والخصخصة، وقد يرجع ارتفاع نسبة العمالة المؤجرة إلى الرضا عن الأجور

والعمل، وكذلك عدم توفر فرص عمل بعيداً عن النشاط الحرفي للبردي، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى حسن معاملة صاحب النشاط الحرفي للعاملين لدية بأجر.

جدول (٦) العمالة: بين العائلة والمؤجرة، والحرفة

الحرفة / النوع	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
عمالة عائلية	٢١٦	٢٨,٤	٥٨٠	٧٢,٥	٨	٨,٤	٨٠٤	٤٨,٥
عمالة مؤجرة	٥٤٤	٧١,٦	٢٢٠	٢٧,٥	٨٨	٩١,٦	٨٥٢	٥١,٥
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

كانت العمالة العائلية هي الأكثر، ومثلت ٧٢,٥% من إجمالي العمالة البالغ ٨٠٠ مفردة (انظر جدول ٦)، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن جميع الأسر أو أغلبها تحاول استثمار منتجات ومخلفات النخيل الخاص بها بأنفسهم، ونظراً لأن ممارسة النشاط تتم داخل المنزل أو أمامه، لذا فإن جميع أفراد الأسرة يساهمون في النشاط الحرفي بشكل أو آخر، مما يمثل تدريبا للأجيال وتوريثا للمهنة، وتعتبر الحرفة مصدر رزق لكثير من الأسر في القرين، لذا كانت العمالة المؤجرة لا تزيد عن ٢٧,٥ %من إجمالي العمالة وقد يرجع السبب في ذلك إلى احتياج بعض الأسر التي لا يكفي أعضاؤها لممارسة النشاط بمفردهم في ظل ارتفاع وزيادة المواد الخام المملوكة لهم، لذا يستأجرون عمالة بأجر لمساعدتهم في الإنجاز وقد ترجع نسبة العمالة المؤجرة إلى ارتفاع نسبة من ليس لهم ملكية نخيل وليس لهم مصدر دخل ويمثلون ٢٧,٥% فكان قرارهم للبقاء علي قيد الحياة في ظل الفقر الذي يعيشونه هو العمل في حرفة منتجات ومخلفات النخيل.

تراجعت كثيراً نسبة العمالة العائلية في حرفة حلج القطن، ولا يعني هذا أنه ليست هناك تطلعات لتوريث الحرفة، على العكس من ذلك فالجميع يعمل جاهداً لدخول حرفة حلج القطن، وكثيرون باعوا الأرض الزراعية ودخلوا النشاط لأن

العائد المادي من النشاط يفوق كثيراً العائد المادي من الأرض، لكن انخفاض نسبة العمالة العائلية إلى ٨,٤% فقط (جدول ٦) يرجع إلى خوف أصحاب النشاط من عمل أبنائهم على دواليب حلج القطن خوفاً من الشرطة التي تهاجمهم باستمرار وتحرر لهم محاضر وقضايا قد يسجنون بسببها، لذا نجد النسبة تراجعت كثيراً، أما العمالة المؤجرة فهي النمط الشائع وبنسبة ٩١,٦% لأن العامل المؤجر يتقاضى أجراً عن العمل ويتم دفع الغرامة عنه في حالة القبض عليه، أو الإنفاق عليه وأسرته في حالة تعرضه للسجن.

٧- علاقة العمالة بالقرية:

نظراً لأن القرية يطلق عليها اسم قرية البـردي، أي أن النشـاط الأساسـي لسكانها هو زراعة وتصنيع البردي، حيث يتم زراعة ما يزيد عـن ١٠٠٠ فـدان بردي يتم تصنيع ناتجها جميعها في القرية، لذا مـن المنطقـي أن نجـد أن نسـبة ٧٢,١% من العاملين بنشاط البردي هم من داخل القريـة، وذلـك لأنهـم العمـد الأساسية للنشاط في القرية (جدول ٧)، أما خارج القرية فيسـهم بنسـبة ٢٧,٩%، وهم غالباً من القرى الأقرب إلى القرية، والذين يأتون إلى القرية للعمل بأجر، ويتم تدريبهم بالورش وممارسة النشاط، مما يسهم في حل مشكلات البطالة فـي القريـة والقرى المحيطة. وذلك في ضوء مشكلة البطالة المتفاقمة فـي القريـة المصـرية عامة وبين الفقراء في الريف بخاصة، وقد ترجع أسباب ارتفاع نسبة من هـم مـن داخل القرية إلى أن أبناء أسرة صاحب كل نشاط يعملون لديه وأبناء من ليس لديـة نشاط يعملون لدى الآخرين داخل القرية، بالإضافة إلى السماح للإناث من أبناء من ليس لديهم ورشة خاصة أن يعملن لدى الغير داخل القرية في حالة عدم زواجهـن، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى تطلع سكان القرية لتعليم أبناء القرية وبناتها حرفة البردي حتى يرثوها حينما يصبحوا قادرين على امتلاك ورش جديدة أو تطـوير الـورش الموروثة عن آبائهم وأجدادهم، ولقد أسهمت الحرفيات من خـارج القريـة بـدور واضح في استمرار النشاط وتلبية متطلبات سوق البردي، مثلما أسهم النشاط الـذي تمتهنه القرية في حل مشكلات العاملات الحرفيات من خارج القرية، حيـث وفـر

لهن الدخل الذي يمكنهن من التكيف مع الفقر، ومواجهة متطلبات الحيـــاة، ليـــتمكن من الإبقاء على حياتهن.

جدول (٧) العمالة: علاقة العمالة بالقرية، والحرفة

الحرفة / النوع	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
من داخل القرية	٥٤٨	٧٢,١	٧٧٢	٩٦,٥	٩٦	١٠٠	١٤١٦	٨٥,٥
من خارج القرية	٢١٢	٢٧,٩	٢٨	٣,٥	-	-	٢٤٠	١٤,٥
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

يبدو أن حرفة النخيل هي حرفة خاصة بالقرية حيث كان من يعمل بالحرفة من داخل القرية يمثلون ٩٦,٥% من إجمالي العمالة (جدول ٧)، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن القرية قد نجحت في تنشئة أجيالها علي حرفة منتجات ومخلفات النخيل، وأنه في حالة الطلبيات الزائدة عن القدرة الإنتاجية لأبناء القرية، يتم الاعتماد علي العمالة من الخارج القرية لسد العجز، أو قد يرجع السبب في ذلك إلى حالة الفقر في القرى المجاورة مما يدفع بعض حرفيها للاتجاه صوب قرية القرين التي يتوفر فيها العمل بشكل مستمر وذلك كي تقتات تلك العمالة من أجرها الذي تحصل علية من حرفة النخيل.

يؤكد (جدول ٧) حالة الحرص الشديد من جانب أصحاب العمل على عدم تسريب معلومات عن مكان ممارسة النشاط، أو عن النشاط نفسه إلى خارج القرية، خاصةً وأن هناك شبكة من العلاقات الاجتماعية بين سكان القرية نشأت لتحمي حرفة حلج القطن في ظل المهاجمة المستمرة لقوات الشرطة للقرية وللنشاط، لذا كانت جميعها من أبناء القرية وبنسبة ١٠٠% ولم يتم تمثيل خارج القرية ولو بمفردة واحدة، حيث من مصلحة أبناء القرية استمرار النشاط فيها، لأن ذلك يعني استمرار فرصة الحصول على أجر في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة والفقر

الذي يعانونه، لذا يمثل العمل في حرفة حلج القطن محاولة التكيف مع الفقر والبقاء على قيد الحياة.

٨- سنوات الخبرة للعمالة:

يكشف (جدول ٨) عن قلة سنوات الخبرة بين العمالة الحرفية، مما يعني حالة تحديث دائمة ودماء جديدة يتم ضخها في النشاط الحرفي بقرية القرامـوص، فقد مثل من كانت سنوات خبرتهم أقل من سنة ١٦,٣% من العمالة، ولا يعني ذلك أنهم عمالة سيئة، بل يعني أن مهنة البردي يمكن للحرفي أن يتقنها في أقل من سنة كاملة، أما من كانت خبرتهم من سنة إلى أقل من خمس سنوات فكانت لهم الغلبة وبنسبة ٤٢,١% من العمالة، وكانت النسبة ٢٢,٦% لأصحاب سنوات الخبرة ٥ - ، و ١٣,٦% لأصحاب الخبرة عشرة سنوات لأقل من ١٥ سنة، وهكذا تكون الغلبة لمن كانت سنوات خبرتهم أقل من ١٥ سنة حيث بلغت نسبتهم جميعاً ٩٤,٦% وهي نسبة غالبة تكشف عن أن المراهقين والشباب يعملون في حرفة البردي التي لا تحتاج إلى سنوات خبرة كبيرة بل تحتاج إلى صبر، ودقة، في مرحلتي التشريخ والرص خاصة، وهاتان المرحلتان يتم تعليمهما للأطفال والصبية، أما من كانت خبرتهم أكثر من ١٥ سنة فلا يمثلون أكثر من ٣,٤% من العاملين في حرفة البردي وهم من المؤكد أبناء أصحاب النشاط وزوجاتهم أو أبناء أصحاب النشاط الذين لم يتزوجوا بعد، خاصة إذا علمنا أن نشاط البردي دخل القرية عام ١٩٧٦ أي أن أكبر إنسان في القرية سناً لن تزيد سنوات خبرته عن ٣٠ عام وهي عمر النشاط في القرية.

جدول (٨) العمالة: سنوات الخبرة، والحرفة

الحرفة / الخبرة	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أقل من سنة	١٢٤	١٦,٣	-	-	١٨	١٨,٧	١٤٢	٨,٥
سنة -	٣٢٠	٤٢,١	٩٦	١٢	٦٦	٦٨,٨	٤٨٢	٢٩,٢
٥ -	١٧٢	٢٢,٦	٢٠٠	٢٥	١٢	١٢,٥	٣٨٤	٢٣,٣
١٠ -	١٠٤	١٣,٦	٢٣٢	٢٩	-	-	٣٣٦	٢٠,٣
١٥ -	١٦	٢,٢	٨٤	١٠,٥	-	-	١٠٠	٦
٢٠ -	١٦	٢,٢	٥٦	٧	-	-	٧٢	٤,٤
٢٥ -	٨	١	٥٢	٦,٥	-	-	٦٠	٣,٦
٣٠ +	-	-	٨٠	١٠	-	-	٨٠	٤,٨
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

كان جدول الفئات العمرية قد أكد أن العمالة معظمها يقع في الفئة العمرية الشابة، حيث أسلم جيل الآباء راية الحرفة لجيل الأبناء، لذا نجد في (جدول ٨) أن سنوات الخبرة تركزت بشكل واضح في ١٠ سنوات خبرة وبنسبة ٢٩% وخمس سنوات خبرة وبنسبة ٢٥% أي أن ٥٤% من العمالة أصحاب خبرة من خمس إلى عشرة سنوات، وكان إجمالي من لهم خبرة من سنة حتى ١٥ سنة ويمثلون ٧٦,٥%وهذا يؤكد أن جيل الآباء قد أفسح المجال لجيل الأبناء، وقد يرجع السبب في ذلك إلى بداية التأثيرات السلبية للخصخصة والتي ترجع إلى خمس عشرة سنة سابقة، فلجأ منذ ذلك الحين الكثير ممن أضيروا من الخصخصة، لجأوا إلى حرفة منتجات ومخلفات النخيل، كي يوفروا احتياجاتهم للحفاظ علي حياتهم، وللتكيف مع الفقر الذي واجههم.أما جيل الآباء، أي أصحاب الخبرة لمدة ثلاثين عاما فكانوا يمثلون ١٠% فقط، وهذا يؤكد تسليمهم الراية للأبناء.

لا تحتاج حرفة حلج القطن إلى سنوات خبرة كبيرة، لأنها عمل روتيني يقوم فيه العامل الحرفي بوضع كميات من القطن الزهر في الماكينة (دولاب الحلج) بشكل مستمر وبالنظر إلى (جدول ٨) نجد أن من كانت خبرتهم تقل عن سنة يمثلون ١٨,٧% ومن كانت خبرتهم سنة- يمثلون ٦٨,٨%، أي أن ٨٧,٥% من العمالة تقل خبرتهم عن خمس سنوات، وذلك لأن الخبرة ليست عاملاً أساسياً، وكذلك قد يرجع السبب في ذلك إلى تغيير مكان ممارسة حلج القطن باستمرار لمزيد من الحماية خوفاً من قوات الشرطة والمباحث، أما من زادت سنوات خبرتهم عن خمس سنوات فكانت نسبتهم ١٢,٥%، وهم أولئك الذين تمكنوا كل مرة من الإفلات من قوات الشرطة التي تهاجمهم.

٩- الأجر اليومي للعمالة المؤجرة:

ترتفع أجور العمالة في حرفة البردي، حيث من كانت أجـورهم اليوميـة ٢ جنيه فأقل لا تزيد نسبتهم عن ٤,٥% فقط من العمالة المؤجرة، وبالطبع هؤلاء هـم الأطفال الذين يعملون في حرفة البردي من تلاميذ المدارس الابتدائية في مراحلهـا الأولى، والذين يعملون في التشـريخ، ورص الأوراق ذات المسـاحات الصـغيرة والذين دفعت بهم الظروف الاقتصادية السيئة للعمل بحرفة البردي مع صغر سـنهم وذلك من أجل جنيهين فأقل يومياً، لكن مع قلة الجنيهين إلا أن أهميتهما ووجودهمـا يعني الكثير لمن ينتمون إلى الفقر واقتصاد الإعاشة كي يتمكنوا من البقاء على قيـد الحياة، أما من كانت أجورهم اليومية ٤ جنيهات حتى أقل من ٦ جنيهـات فكانـت نسبتهم ٩%، ٦ جنيهات حتى أقل من ٨ جنيهات فكانت نسبتهم ١٨,٣%(جدول٩)، وكانت الغلبة والانتشار لمن يتقاضون ثمانية جنيهات حتى أقل من عشرة جنيهـات يومياً، وكانت نسبتهم هي الأكبر، حيث وصلت إلى ٥٩,٧%، بما يعنـي أن مـن يتقاضون أربعة جنيهات حتى عشرة جنيهات يمثلـون مجتمعـين ٩٣,٥%، أي أن أجور العمالة في مهنة البردي تعتبر معقولة ويجب أن تلعـب دوراً واضـحاً فـي مواجهة الفقر والعوز الذي يعيشه أبناء الفقراء في الريف، فيلجأون إلـى الحـرف التقليدية كأهم أساليب أو آليات التكيف مع الفقر في الريف المصري. وقـد يعنـي

ذلك أن الأجر اليومي للعامل الحرفي بحرفة البردي يعتبر كافياً بدليل استمرار العمالة في العمل بشكل دائم. ويعتبر رفع أجر العامل الحرفي بالبردي دليلاً على نجاح النشاط وتحقيقه عائداً يسمح لصاحب العمل بالاستمرار فيه وبتشجيع العمالة على الاستمرار من خلال رفع أجورهم إلى قيمة يرتضونها.

جدول (٩) العمالة: الأجر اليومي، والحرفة

الحرفة / الأجر اليومي	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أقل من ٢ جنيه يومياً	١٠	١,٨	-	-	-	-	١٠	١,١
٢ -	١٥	٢,٧	٢٠	٩	-	-	٣٥	٤,١
٤ -	٥٠	٩,١	٣٠	١٣,٦	-	-	٨٠	٩,٤
٦ -	١٠٠	١٨,٣	١٠	٤,٦	-	-	١١٠	١٣
٨ -	٣٢٥	٥٩,٧	١٠	٤,٦	٨٠	٩١	٤١٥	٤٨,٧
١٠ +	٤٤	٨,٤	١٥٠	٦٨,٢	٨	٩	٢٠٢	٢٣,٧
المجموع	٥٤٤	١٠٠	٢٢٠	١٠٠	٨٨	١٠٠	٨٥٢	١٠٠

يعتبر الأجر اليومي عشرة جنيهات فأكثر هو السائد في حرفة منتجات النخيل يومياً، ويمثل ٦٨,٢% من العمالة، وبالتأكيد هذه هي العمالة الأكثر خبرة والأسرع في الإنجاز، أما الأقل خبرة فكان الأجر اليومي جنيهين وكانت نسبتهم ٩% فقط (جدول ٩) ومن كانت أجورهم ٤ جنيه كانوا ١٣,٦% وهم من المؤكد من الأطفال الذين يقومون بجدل الحبال، حيث هي حرفة الأطفال، أو مساعدة الحرفيين في نقل الخامات والمنتجات، وإذا افترضنا أن متوسط الأجر اليومي لذوي الخبرة هو من ٦ - ١٠ جنيها يوميا تكون نسبتهم ٧٧,٤% وهم الأغلبية، أما الصبية الذين دفع بهم الفقر إلى العمل بأجر من ٢ - ٤ جنيهات فلا تزيد نسبتهم عن ٢٢,٦% وهم هنا يمثلون الفقراء الذين يدفعون بأطفالهم إلى العمل بحرفة النخيل لسد رمقهم.

انحصر الأجر اليومي للعمالة المؤجرة في حرفة حلج القطن في فئتي الأجر ٨ جنيه، ١٠ جنيه فأكثر (جدول ٩)، حيث من كانت أجورهم اليومية ٨- يمثلون الأغلبية وبنسبة ٩١% من العمالة وهم بالتأكيد تلاميذ التعليم الأساسي الذين يفضل صاحب العمل أن يعملوا لديه لأن أجورهم أقل ممن هم أكبر سناً منهم، الذين تزيد أجور كل منهم عن عشرة جنيهات في اليوم ويمثلون ٩% فقط، وإذا كان هناك ٩١% من العمالة يقبلون أن يعملوا بأجر أقل من عشرة جنيهات في اليوم لكل منهم، فقد يعني هذا أنهم ينتمون إلى أسر تعاني من ظروف اقتصادية صعبة مما يدفعهم إلى العمل بأجر منخفض لتوفير ما يعينهم على مواجهة الفقر العوز، أي أنهم يحاولون أن يتكيفوا مع الفقر هم وأسرهم بالعمل في حلج القطن.

١٠- مدى وجود مهن أخرى من عدمه:

يندر وجود مهن أخرى للعمالة الحرفية في البردي، حيث تبين في (جدول ١٠) أن من لهم مهن أخرى لا يمثلون أكثر من ١٥,٢%، وهم في الغالب أصحاب النشاط الذين كانوا يعملون قبل امتلاك الورش في مهن أخرى، وكذلك الأبناء الذين قد حصلوا على مؤهلاتهم الدراسية وأتيحت أمامهم فرص العمل في بعض المهن المرموقة من وجهة نظرهم فامتهنوها واستمروا يعملون في الورش التي يملكها آباؤهم أو التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، والعمل في حرفة البردي يسمح لصاحب الورشة أن يعمل في مهن أخرى لأن دوره الأساسي في الورشة يكون في الفترة المسائية حيث يقوم بتقطيع النبات على المنشار، أو يقوم بعملية التبتيس أو الكلورة أو الكبس وكل هذه العمليات يقوم بها صاحب الورشة بعد الساعة الثالثة تقريباً، أي بعد انتهاء يوم العمل في المصالح الحكومية غالباً. أما مراقبة الإنتاج في الورشة فيمكن لزوجته أو أحد الأبناء القيام به، خاصة أن معظم العمل بالورش يكون بالإنتاج الذي تحقق لكل عامل حرفي على حده. أما من لا يوجد لهم عمل آخر غير حرفة البردي فكانوا الأغلبية وبنسبة ٨٤,٨%، ويعني ذلك العمالة من غير أبناء صاحب العمل، أي من فقراء القرية والقرى المجاورة، وهكذا ينتشر الفقر بين العمالة بنسبة ٨٤,٨% ليس الفقر فقط بل والبطالة أيضاً،

مما يستدعي معه التزام العمالة بحرفة البردي في محاولاتهم للتكيف مع الفقر، وتدبير احتياجاتهم المالية واحتياجات الأسر التي ينتمون إليها، لمواجهة الفقر والعوز، الناجم عن الخصخصة والتكيف الهيكلي وتأثيراتهما السلبية على الفلاحين الفقراء.

جدول (١٠) العمالة: مدى وجود مهن أخرى، والحرفة

الحرفة / وجود مهن	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
يوجد مهن أخرى	١١٦	١٥,٢	٢٢٨	٢٨,٥	٧٨	٨١,٢	٤٢٢	٢٥,٤
لا يوجد مهن أخرى	٦٤٤	٨٤,٨	٥٧٢	٧١,٥	١٨	١٨,٨	١٢٣٤	٧٤,٦
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

كان من لهم مهنا أخرى غير حرفة النخيل يمثلون ٢٨,٥% وهم قد يمثلون الذين يعملون في القطاع الحكومي أو الخاص ثم يعودون للعمل بحرفة النخيل لتحسين أوضاعهم المادية في ظل المرتبات المتدنية ومعدلات الإعالة المرتفعة في الريف، لذا يحاول هؤلاء أن يكون لهم مصدر رزق ثان من حرفة النخيل، أو قد يكون هؤلاء هم العمالة التي تعمل في منتجات أرضهم بأنفسهم، لذا يعودون من أعمالهم إلى العمل بحرفة النخيل، أما من لم يكن لهم عمل آخر غير النخيل فكانوا يمثلون ٧١,٥% (انظر جدول ١٠) وهم الأكثر، مما يعني أن أغلب السكان يعملون في حرفة النخيل لمواجهة متطلبات الحياة في ظل الظروف والأوضاع الاقتصادية السيئة في الريف المصري بعامة وقرية الدراسة بخاصة، وقد يعني ذلك أيضا أن تمتع القرين بالمليون نخلة يجعلها قادرة على توفير المواد الخام الدائمة التي يمكن لنسبة ٧١,٥% من العمالة أن تعيش على الدخل الذي تحققه من حرفة النخيل.

نظراً لحالة عدم الاستقرار التي تلازم حرفة حلج القطن، فقد بحث كل عامل حرفي في حلج القطن عن حرفة بديلة يلجأ إليها كلما تم تغيير مكان ممارسة النشاط في الحلج أو كلما أغلق أصحاب النشاط أبوابهم لدواع أمنية، حيث لا يُعقل أن ينتظر الفقراء والمعدمون أمام أصحاب النشاط حتى يسمحوا لهم بممارسة النشاط وقتما يشاءون، فالفقر لا ينتظر والجوع لا ينتظر طويلاً، الجوع يقهر العمال الفقراء على البحث عن بدائل، لذا كانت نسبة من يوجد لهم مهن أخرى تمثل ٨١,٢% (جدول ١٠) وعندهم الحق في ذلك، أما من اطمأنوا على حياتهم مع حرفة حلج القطن فكانوا ١٨,٨% فقط ويبدو أن صلاتهم كانت قوية بأصحاب النشاط ويمثلون عمالة مستقرة ودائمة.

١١- أسباب العمل بالحرفة:

تعددت الأسباب التي دفعت العمالة الحرفية للعمل بحرفة البردي، ولكن تفاوتت النسب (انظر جدول ١١)، حيث كانت الغلبة للسبب الرئيسي في ذلك وهو "علشان نلاقي نأكل" وأجاب بها ٤٨,٥% من العمالة مما يؤكد أن اللجوء لحرفة البردي كان محاولة للبقاء على قيد الحياة، خاصة في ظل ظروف اقتصادية صعبة على الفلاحين في ظل التكيف الهيكلي، ويؤكد ذلك أن السبب الثاني الذي حصل على أعلى التكرارات كان "أساعد الأسرة بفلوس" أي أن هرم القيم قد انعكس، بدلاً من أن تساعد الأسرة الأطفال الأبناء نجد أن الأطفال الأبناء هم الذين يساعدون الأسرة والآباء، وكانت النسبة ١٩,٦%، مما يعني أن مساعدة الأسرة وتدبير الأكل تمثل معاً ٦٨,١% من العمالة يعانون أشد المعاناة المادية ولم يكن لهم من سبيل إلا العمل بحرفة البردي. وجاء السبب الثالث متمثلاً في "أجهز نفسي للزواج" وبنسبة ١٣% أي أن العمالة الفقيرة تتسم بالإيثار، حيث ركزوا على أسرهم أولاً وبنسبة ٦٨,١%، ثم بعد ذلك فكروا في احتياجاتهم للزواج والجهاز وبنسبة ١٣%، ثم جاء في مرتبة أدنى بعد ذلك مجموعة من الأسباب منها "لتدبير مصاريف الدراسة" وبنسبة ٦,٥%، و"علشان البطالة" وبنسبة ٦,٢%، مما يعني اهتمام العمالة بقضية التعليم كمخرج من الفقر ومحاولة لتحسين الأوضاع، وكذلك حل مشكلة البطالة

المنتشرة في الريف بشكل واضح، وجاءت الإجابة "أحوش لمشروع بردي صغير" وبنسبة ٤% فقط وقد يكون هؤلاء هم من أبناء القرية الفقراء الذين لا يملكون مشروعاً حرفياً وأتيحت لهم فرصة الإطلاع على أهمية المشروع الحرفي فتطلعوا إلى ذلك، أما من قالوا "علشان الفلوس" فكانوا ٢,٢% فقط ويمكن إضافتهم لمن قالوا أساعد الأسرة بفلوس أو من قالوا "علشان نلاقي نأكل" وهكذا يمكن القول أن حرفة البردي تمثل حالة من التكيف مع الفقر خاصة مع العمالة الحرفية.

جدول (١١) العمالة: أسباب العمل في الحرفة

الحرفة / أسباب العمل	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أساعد الأسرة بفلوس	١٥٠	١٩,٦	١٦٠	٢٠	٢	٢,١	٣١٢	١٨,٨
أجهز نفسي للزواج	١٠٠	١٣	١١٠	١٣,٧	–	–	٢١٠	١٢,٦
أحوش لمشروع صغير	٣٠	٤	١٥	٢	–	–	٤٥	٢,٧
علشان نلاقي نأكل	٣٧٠	٤٨,٥	٤٠٠	٥٠	٨٧	٩٠,٦	٨٥٧	٥١,٨
لتدبير مصاريف الدراسة	٥٠	٦,٥	٣٥	٤,٣	٧	٧,٣	٩٢	٥,٦
علشان البطالة	٤٥	٦,٢	٧٥	٩,٣	–	–	١٢٠	٧,٣
علشان الفلوس	١٥	٢,٢	٥	٠,٧	–	–	٢٠	١,٢
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

كان التطلع للبقاء علي قيد الحياة يمثل ٥٠% من العمالة وهم الذين قالوا أنهم يعملون في النخيل "علشان نلاقي نأكل" أي أن ٥٠% من العمالة البالغ عددها ٨٠٠ مفردة يعيشون حالة من الفقر يستحيل معها قدرتهم علي تدبير مأكلهم إلا من خلال العمل في النخيل (جدول ١١) ويمكن أن نضيف إليهم من كان عملهم في حرفة النخيل من أجل "مساعدة الأسرة بفلوس" ونسبتهم ٢٠% وهم أيضاً أبناء الفقراء الذين رأوا أن الفقر قد قهر أسرهم فحاولوا مساعدة أسرهم بدلاً من أن تساعدهم أسرهم بذلك تصل نسبة من دفعهم الفقر للعمل بالنخيل ٧٠% من العمالة

وهم الذين يحاولون التكيف مع الفقر الذي يعشونه، أما من دفعهم الاحتياج إلى "تجهيز أنفسهم للزواج" فكانوا ١٣,٧% ومن تطلعوا لحل مشكلة البطالة التي يعانون منها فكانوا ٩,٣% ومن تطلعوا لتدبير مصاريف الدراسة فكانوا ٤,٣%، معني كل ذلك أن ما يقرب من ٩٨% من العينة البالغة ٨٠٠ مفردة كان الفقر هو الدافع الرئيسي لعملهم بحرفة النخيل حيث من قالوا أنهم يعملون في حرفة منتجات ومخلفات النخيل من اجل إقامة مشروع حرفي لم تتجاوز نسبتهم ٢% فقط من العينة وهذا تأكيد علي أن الفقر يسيطر علي العمالة الحرفية بالقرين لذا يتكيفون مع الفقر من خلال عملهم في حرفة منتجات ومخلفا النخيل.

عكست أسباب العمل بحرفة حلج القطن عند العمالة الحالة الاقتصادية لهم جميعاً، حيث جاء على لسان ٩٠,٦% من العمالة أنهم يعملون بحرفة حلج القطن "علشان نلاقي نأكل" ويعني هذا أن النسبة الغالبة من العمالة ليس بإمكانها تدبير متطلبات حياتها دون العمل في حرفة حلج القطن، ولم يمثل العمل من "أجل الزواج" أو إقامة "مشروع صغير" أو من "أجل الفلوس" لم يمثل سوى صفر% (جدول ١١)، كان تركيز العمالة الأساسي وبنسبة ٩٠,٦% على توفير متطلبات الأكل، ولو كانت متطلباتهم من الطعام متوافرة بدون عملهم في الحرفة لقالوا "من أجل الفلوس أو من أجل الزواج وغيره"، لكن الواقع الاجتماعي الاقتصادي الفقير هو الذي دفعهم للعمل، ومن كان عملهم هو بسبب تدبير مصاريف الدراسة فكانوا يمثلون ٧,٣%، بمعنى أن أسرهم لا يمكنها أن تدبر لهم مصاريف الدراسة، وكان من "يساعدون أسرهم بفلوسهم" يمثلون ٢,١% من العمالة، وكل ذلك يؤكد أن العمل بحرفة حلج القطن كان محاولة للتكيف مع الفقر.

١٢- مكونات الثروة الحيوانية لدى أسرة العمالة:

أكدت مكونات الثروة الحيوانية والداجنة لدى أسر العمالة في البردي، الحالة الاقتصادية المتردية التي يعيشون في ظلها، (انظر جدول ١٢)، حيث إذا كانت الإبل هي دليل ثراء الفلاحين فإنها وجدت عند ٤% فقط من العمالة، وقد يكون

هؤلاء ينتمون لمن لهم علاقة بأصحاب الحرف والمنشآت الحرفية، بينما من لا يملكونها كانوا ٩٦%، ويلي الإبل في المكانة كدليل على ثراء الفلاحين اقتنائهم للجاموس، حيث مثل الذين يوجد لديهم جاموس ٢٠%، بينما ٨٠% من العمالة الحرفية ليس لديهم جاموس، وهذا دليل على انتمائهم لفقراء الفلاحين، أما نسبة من لديهم أبقار فقد ارتفعت، وان كانت لم تتجاوز ٣٣%، ومعلوم أن البقر يدل على أن من يمتلكه أو يربيه إنما ينتمي إلى الطبقة الوسطى أو الدنيا في القرية، بالإضافة إلى أن تربية الأبقار هي دليل على ضعف الأرض الزراعية الإنتاجي ولأن بطن البقرة أصغر من بطن الجاموسة، وبالتالي الإنتاج القليل من البرسيم والعلف يكفي البقر ولا يكفي الجاموس، فيقبل أصحاب الأرض الضعيفة والمالحة والمنخفضة الإنتاجية وهم الفقراء على تربية الأبقار، ومع ذلك كان هناك ٦٧% من مفردات العينة ليس لديهم أبقار. وكذلك الحال في حالة الماعز والخراف والحمير بعدما ارتفعت أسعارها الآن. أما الدواجن، فتنتشر بين الفلاحين ظاهرة تربية الدجاج، حيث وجد لدى ٨٤% من الحرفيين في البردي، يليه الأرانب بنسبة ٢٨%، ثم البط والأوز بنسبة ٢٣,٧%، وأخيراً المناحل بنسبة ٥,٥%، وهكذا يؤكد (جدول ١٢) أن غالبية العمالة الحرفية ينتمون إلى الفئات الدنيا من الفلاحين الذين لا يملكون إلا القدر القليل من الحيوانات والدواجن، التي لا تدل على أنهم يستطيعون البقاء دون احتراف مهنة تصنيع البردي وغيرها من الحرف التقليدية والمعاصرة، وبذلك تمثل الحرف حالة من التكيف مع الفقر خاصة في حالة العمالة الحرفية بأجر.

جدول (١١) مكونات الثروة الحيوانية لدي أسرة العمالة

الحرفة / ف	البردي				النخيل				القطن			
	يوجد		لا يوجد		يوجد		لا يوجد		يوجد		لا يوجد	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
جاموس	١٥٠	٢٠	٦١٠	٨٠	١٤٤	١٨	٦٥٦	٨٢	٥	٥,٢	٩١	٩٤,٨
أبقار	٢٥٠	٣٣	٥١٠	٦٧	٢٠٧	٢٥,٩	٥٩٣	٧٤,١	٩	٩,٤	٨٧	٩٠,٦
إبل	٣٠	٤	٧٣٠	٩٦	٤٢	٥	٧٥٨	٩٥	–	–	٩٦	١٠٠
حمير	٢٠٠	٢٦,٤	٥٦٠	٧٣,٦	٣٧١	٤٦,٤	٤٢٩	٥٣,٦	١٦	١٦,٦	٨٠	٨٣,٤
ماعز وخراف	٢٤٥	٣٢,٤	٥١٥	٦٧,٦	٣٠٢	٣٧,٧	٤٩٨	٦٢,٣	١٢	١٢,٥	٨٤	٨٧,٥

تعكس الثروة الحيوانية الحالة الاقتصادية للعمالة في حرفة منتجات ومخلفات النخيل، ولما كان الجاموس والإبل لدي الفلاح يمثلون الثراء والحالة الاقتصادية المتميزة، وجدنا أن من لديهم جاموس لا يمثلون إلا ١٨% فقط من العمالة، وأن من لديهم إبلاً كانوا يمثلون ٥,٢% فقط (جدول ١٢) ومعنى هذا أن من يعانون من الفقر من العمالة يمثلون ما بين ٨٢% إلى ٩٥%، والحال كذلك في المناحل ٢% فقط يملكون منحلاً و٩٨% فقراء لا يملكون منحلاً. أما ما تمكن العمال الفقراء من امتلاكه فكان الدجاج فقط وبنسبة ٩١,١%، والحمير بنسبة ٤٦,٤%، والماعز والخراف بنسبة ٣٧,٧%، وقد يعني كل ذلك أن العمالة في حرفة منتجات ومخلفات النخيل عمالة فقيرة، لذا كان عملهم في حرفة منتجات ومخلفات النخيل من أجل التكيف مع الفقر والحفاظ علي الحياة. حتى امتلاك العمالة للأبقار كان متواضعاً ولم يتجاوز ٢٥,٩% من العمالة مما يؤكد فقر العمالة في حرفة النخيل، ويؤكد أن العمل في حرفة النخيل كان من أجل التكيف مع الفقر.

إذا كان امتلاك الفلاح للجاموس يعكس حالته الاقتصادية الجيدة، فإن ٩٤,٨% من العمالة في حلج القطن لم يكن أحدهم أو أسرته يمتلك جاموسة كدليل على تحسن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ومعنى هذا أنهم يعيشون حالة من الفقر، حتى ملكية الأبقار لم تتجاوز نسبة من كانوا يحوزون أبقاراً سوى ٩,٤% من العمالة، أي أن هناك ٩٠,٦% من العمالة لا تملك حتى البقر، أما الإبل التي تمثل مكانة اجتماعية اقتصادية للفلاحين، فلا يوجد مفردة واحدة في العينة لديها إبل، وكان من ليس لديهم إبلا يمثلون ١٠٠% من العمالة (جدول ١٢)، حتى ملكية الحمير كانت متواضعة ولم تتجاوز ١٦,٦% بمعنى عدم ملكية حمير لنسبة ٨٣,٤%، أي حالة فقر تعاني منها العمالة وأسرها حتى في كل من الماعز والخراف وهي من أقل الحيوانات سعراً وقيمة مالية، لم يمتلكها من العمالة سوى ١٢,٥% فقط، أي أن هناك ٨٧,٥% لا يملك منها شيئاً، والدجاج مثل الذين عندهم دجاج ٢٧% من العمالة، والبط والأوز يوجد لدى ١٥,٧% من العمالة ولم يكن هناك مفردة واحدة من العمالة تملك منحلاً لعسل النحل وكل تلك مؤشرات وبراهين تؤكد الواقع الاجتماعي الاقتصادي الفقير الذي يعيشه العمال في حرفة حلج القطن، مما يؤكد على أهمية الحرفة لكل هؤلاء للتكيف مع الفقر الذي يعيشونه ومحاولة جادة للحفاظ على الحياة والإبقاء عليها.

١٣- الحيازة الزراعية، وعدد أفراد الأسرة، والدخل الشهري لأسرة الحرفي:

يؤكد (جدول ١٣) الظروف الاقتصادية الصعبة لأسرة العمالة الحرفية في البردي، مثل من لا توجد لهم حيازة زراعية ٧١% من أسر العمالة الحرفية، ومعلوم أن وجود الحيازة الزراعية يعني وجود مصدر للدخل والغذاء، أما عدم وجود ذلك لكن معنى عدم وجود ذلك عند ٧١% من العمالة يعني أنهم جميعاً يعانون العوز والحاجة، لذا لجأوا إلى العمل في حرفة البردي كمحاولة للبقاء على قيد الحياة، وللتكيف مع الفقر. وكان من يجوز أقل من فدان يمثلون ١٠% ومن يملك فداناً حتى أقل من ٣ يمثل ١٢,٨% إذاً هناك ٢٢,٨% تتمثل ملكيتهم من فدان إلى أقل من ثلاثة أفدنة، ولم تتجاوز الملكيات الكبيرة سوى ٠,٦% فقط، مما يؤكد فقر أسر العمالة الحرفية بالبردي، ومع حالة الفقر والمعاناة إلا أن نسبة كبيرة من أسر هؤلاء الحرفيين كان بها أربعة أفراد فأكثر ويمثلون ٩٥,١%، ويعني ذلك مزيداً من الأعباء والاحتياجات، وبالتالي المزيد من المعاناة والفقر. ويؤكد متوسط الدخل الشهري لأسرة المبحوث الحالة الاقتصادية التي يحياها الحرفيون في منازلهم، فمع ارتفاع نسبة من لديهم أعداد كبيرة في كل أسرة وبالتالي أعباء كبيرة متزايدة، فإن متوسطات الدخول المنخفضة والمتوسطة كانت هي الأعلى، وتراجعت كثيراً نسبة الدخول المرتفعة التي تمثل من ٧٠٠ : ١١٠٠ جنيه في الشهر، حيث لم تتجاوز النسبة ٢٢,٦% وهذا يعني أن ٧٧,٤% من أسر العمال الحرفيين في البردي يعانون في الفقر، وأن العمل بالبردي يمثل محاولة للبقاء على قيد الحياة، وقد يعني أيضاً محاولة للتكيف مع الفقر. وإذا كان ما سبق يمكن أن نطلق عليه قراءة رأسية (الجدول ١٣)، فإن القراءة الأفقية له، توضح أن ارتفاع نسبة من لا حيازة لهم (أي المعدمين) الذين كانت نسبتهم ٧١% تمثل في الوقت

ذاته نسبة الأكثر إعالة وهم الذين تتكون أسرة الواحد منهم من خمسة أفـراد إلـى سبعة فأكثر حيث مثلوا نسبة ٧٨,٧%، أي أن المعدمين الذين يمثلون ٧١% كـانوا كذلك يمثلون ٧٨,٧% من أصحاب الأسر الكبيرة التي تـزداد متطلباتهـا للبقـاء، وتزداد معاناتها بسبب الفقر الناجم عن الخصخصة والتكيـف الهيكلـي وانسـحاب الدولة من دعم الفقراء في كثير من القطاعات، ويمكن اسـتكمال القـراءة الأفقيـة (للجدول ١٣) بقضية الدخل الشهري لأسرة العمالة الحرفية في مهنة ورق البردي، فنلاحظ أن من كان دخل أسرهم ـ مع ارتفاع عدد أفراد الأسر ـ يقل عـن ٥٠٠ جنيه شهرياً يمثلون ٦٥,٢%، أي تأكيد أنهم من المعدمين خاصة إذا كان متوسـط عدد أفراد الأسرة ٦ أشخاص بمعنى أنه لو افترضنا أن متوسط الدخل ٣٠٠ جنيـه للأسرة ومتوسط عدد أفراد الأسرة ٦ أشخاص، أي ٣٠٠ ÷ ٦ = ٥٠ جنيه والقيمة ٥٠ جنيه / للفرد شهرياً تضع هؤلاء جميعاً وبلا أدنى شك في قائمة مـن ينتمـون إلى أصحاب الفقر المدقع، ولا نقول تحت خط الفقر. ويزيد ذلك من القناعـة بـأن عمل أبناء الفلاحين في الحرف التقليدية والمعاصرة خاصة العمالة بأجر إنما كـان للتكيف مع الفقر وكمحاولة للبقاء على قيد الحياة.

جدول (١٣) العمالة: الحيازة الزراعية للأسرة، وعدد أفراد الأسرة، والدخل الشهري للأسرة، والحرفة

الحرفة / الفئات	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أولا: الحيازة الزراعية:								
لا توجد حيازة	٥٤٠	٧١	٦١٥	٧٦,٩	٨٧	٩٠,٦	١٢٤٢	٧٥
أقل من فدان	٧٥	١٠	٨٢	١٠,٣	٩	٩,٤	١٦٦	١٠
١ فدان –	٩٧	١٢,٨	٩٦	١٢,٠	–	–	١٩٣	١١,٦
٣ فدان –	٤٢	٥,٦	٧	٠,٨	–	–	٤٩	٣
٥ فدان –	٣	٠,٣	–	–	–	–	٣	٠,٢
٧ فدان –	٣	٠,٣	–	–	–	–	٣	٠,٢
٩ فدان +	–	–	–	–	–	–	–	–
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠
ثانيا: عدد الأفراد:								
١	–	–	٦	٠,٧	–	–	٦	٠,٤
٢	٥	٠,٩	٧	٠,٨	٤	٤,٢	١٦	١
٣	٣٠	٤,٠	٥٦	٧,١	٦	٦,٣	٩٢	٥,٥
٤	١٢٥	١٦,٤	١١٣	١٤,١	١٤	١٤,٦	٢٥٢	١٥,٢
٥	١٢٠	١٥,٧	١٣٤	١٦,٧	١٧	١٧,٧	٢٧١	١٦,٣
٦	١٨٠	٢٣,٦	٢١٢	٢٦,٥	٢٥	٢٦	٤١٧	٢٥,٣
٧ +	٣٠٠	٣٩,٤	٢٧٢	٣٤	٣٠	٣١,٢	٦٠٢	٣٦,٣
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠
ثالثا: الدخل الشهري:								
أقل من ١٠٠ جنيه شهرياً	–	–	–	–	–	–	–	–
١٠٠ –	٤٧	٦	٢١٢	٢٦,٥	٩	٩,٣	٢٦٨	١٦,٢
٣٠٠ –	٤٥٠	٥٩,٢	٤٥٧	٥٧,١	٧٩	٨٢,٣	٩٨٦	٥٩,٩
٥٠٠ –	٩٣	١٢,٢	١٠١	١٢,٦	٥	٥,٢	١٩٩	١٢
٧٠٠ –	٦٠	٨,٠	٢٥	٣,١	٣	٣,٢	٨٨	٥,٣
٩٠٠ –	٦٠	٨,٠	٥	٠,٧	–	–	٦٥	٤
١١٠٠ +	٥٠	٦,٦	–	–	–	–	٥٠	٣
المجموع	٧٦٠	١٠٠	٨٠٠	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٦٥٦	١٠٠

يؤكد (الجدول ١٣) الأوضاع الاقتصادية الصعبة للعمالة الحرفية في النخيل، حيث بلغت نسبة من لا توجد لهم حيازة زراعية ٧٦,٩%، وفقراء الريف هم من لا توجد لهم حيازة زراعية، وإذا كان من يحوزون أقل من فدان يعتبرون من الفقراء، فكانت نسبتهم ١٠,٣%، أي أن الفقراء هكذا ٨٧,٢%، ومن بقي من العمالة له حيازة زراعية كان ١٢% فقط يحوزون فداناً، ٠,٨% يحوزون ثلاثة أفدنة، ولم يكن هناك عامل واحد من ٨٠٠ عامل يحوز خمسة أفدنة أو أكثر، ومعني هذا أن النسبة الغالبة كانت للفقراء من العمالة الحرفية في النخيل التي يعتبر عملها الحرفي حالة من حالات التكيف مع الفقر.

ويزداد الفقر قسوة إذا ارتفع عدد أفراد الأسرة، فيترتب عليه ارتفاع نسبة الإعالة، حيث فمن تكون أسرهم من أكثر من خمسة أفراد كانت نسبتهم ٧٧,٣% وهم الأغلبية، بما يعني ارتفاع معدلات الإعالة، أما من كانت نسبة الإعالة عندهم منخفضة فلم يتجاوزوا ١,٥%، وهذا تأكيد علي صعوبة أوضاع العمالة الحرفية في النخيل. وقد أكد الدخل الشهري الرؤية السابقة؛ فمن قل دخلهم كأسرة عن ٥٠٠ جنيه شهرياً يمثلون ٨٣,٦% ومن زاد دخلهم عن ٥٠٠ جنيه شهرياً، لم يتجاوز ١٦,٤% فقط، وذلك يؤكد حالة الفقر الجماعي، بما يعني أن العمل بحرفة النخيل كان للإبقاء علي قيد الحياة ومحاولة للتكيف مع الفقر.

يعكس (جدول ١٣) الحالة الاقتصادية التي تعاني منها العمالة في حرفة حلج القطن، فتبين أن ٩٠,٦% منهم لا توجد لديهم حيازة زراعية وهم بذلك قد لا يمارسون العمل بالزراعة أيضاً إلا لدى الغير بأجر" أي عمالة زراعية مؤجرة " ، أما من يحوزون أقل من فدان فيمثلون ٩,٤% من العمالة، وقد يكون هؤلاء من أقارب أصحاب النشاط أي أن غالبية العمالة ليست لها حيازة زراعية، وهذا يعني أنهم من الفقراء، ومع أنهم فقراء إلا أنهم ينتمون إلى أسر أكبر عدداً مما يجعلنا نفترض أن الأسر الفقيرة هي الأسر التي يزيد عدد أفرادها، أي "كلما زاد عدد أفراد الأسرة كلما زاد فقرها"، فمن كان أفراد الأسرة عندهم ٢ يمثلون ٤,٢% فقط، ومن كان عدد أفراد الأسرة ثلاثة أشخاص يمثلون ٦,٣%، وكلما ارتفع عدد أفراد

الأسرة ارتفعت النسبة حيث ٤ أفراد يمثلون ١٤,٦%، ٥ أفراد يمثلـون ١٧,٧%، و٦ أفراد يمثلون ٢٦%، و٧ فأكثر يمثلون ٣١,٢%، ويعني ذلك أن من كان عـدد أفراد الأسرة ٤ أشخاص فأكثر يمثلون مجتمعين ٨٩,٥% من إجمالي العمالة، بمـا يعني زيادة احتياجاتهم بسبب زيادة أعداد الأسرة عندهم فهم لا يعانون الفقر فقـط، بل وزيادة أعداد أفراد الأسرة مما يعني مزيداً من المتطلبات التـي ينبغـي علـيهم العمل على تحقيقها ولو بالعمل في نشاط تهاجمه الشرطة وهو نشاط غيـر قـانوني وهو حلج القطن في المنازل.

ويؤكد ما سبق كذلك وصف الدخل الشهري للعمالة وأسرها، فمن كان دخلهم ١٠٠ جنيه- يمثلون ٩,٣%، ومن كان دخلهم ٣٠٠ جنيه- يمثلـون ٨٢,٣% وهـم الأغلبية، فماذا يصنع مبلغ ٣٠٠ جنيه لأسرة تتكون من أربع أشخاص فأكثر، فـإذا افترضنا أن عدد أفراد الأسرة ٤ فقط يكون نصيب الفرد ٧٥ جنيهـاً شـهرياً، ٢,٥ جنيه يومياً وماذا تصنع هذه المبالغ للفرد؟ وإذا كانت الأسرة خمسة أفـراد فيعنـي نصيب الفرد ٦٠ جنيه شهرياً، ٢ جنيه في اليوم، وإذا كانت الأسرة ٦ أفراد فيعنـي ذلك أن نصيب الفرد ٥٠ جنيه شهرياً، ١,٦ جنيه في اليوم، وماذا لـو كـان عـدد أفراد الأسرة أكبر من ذلك..!؟ المحصلة النهائية لكل ذلك هـي أن العمالـة تتسـم بالفقر وأن عملها في حرفة حلج القطن إنما هو للتكيف مع الفقر ومحاولـة للبقـاء على قيد الحياة في ظل أوضاع اجتماعية واقتصادية فقيـرة بسـبب الخصخصـة والتكيف الهيكلي الذي أثر في المجتمع المصري بشكل عام والمجتمع الريفي بشكل خاص في مصر عموماً وفي محافظة الشرقية بشكل واضح مثلما هو الحـال مـع الحرفيين. وندر من تجاوز دخل الأسرة عندهم ٥٠٠ جنيـه فـي الشـهر وكـانوا ٨,٤% فقط من العمالة.

١٤- رؤية العمالة لحالتها الاقتصادية وإمكانيات إنفاقها الأسري للبقاء على قيد الحياة:

كما تقول دراسات الأمم المتحدة فإن أهم وأكبر خبراء يمكنهم وصف الفقر والحديث عنه هم الفقراء أنفسهم الذين يعيشونه ويعرفونه ويعرفهم ويمكنهم وصفه والشعور به، لذا كان (جدول ١٤) الذي يصف فيه كل مفردة من مفردات العينة حالته وحالة أسرته، وقد وصف ٥٨,٨% من العمالة في حرفة البردي أنفسهم وأسرهم بأنهم فقراء جداً (ولا يعرفون كلمة فقر مدقع من المؤكد مع أنهم يعيشونها ولو عرفوها لقالوها)، ثم نجد ١٤,٨% يصفون أنفسهم بأنهم فقراء، أي أن من كان الفقر قاسماً مشتركاً في إجابتهم كانوا ٧٣,٦% من إجمالي المبحوثين، وبالرجوع إلى (جدول ١٣) نتأكد أنهم فعلاً الفقراء فقراً يكاد يكون مدقعاً، حيث النتيجة في الجدولين متقاربة للغاية أو متماثلة، أما من اعتبروا أنفسهم "متوسطي الحال" فكانوا ١٢,٨%، ولا بد لنا أن نتوقع أن النسبة ستبدأ في التراجع الواضح في حالة من أجابوا بأنهم أغنياء، حيث كانوا ٧% فقط ومن أجابوا بأنهم أغنياء جداً ٦,٦% أي من ذكروا كلمة الغنى يمثلون ١٣,٦% وبالتأكيد هؤلاء هم أقارب أصحاب المنشآت الحرفية، الذين يمثل العمل الحرفي بالنسبة لهم صناعة رأس مال وليس تكيفاً مع الفقر أو محاولة للبقاء على قيد الحياة.

ويؤكد ما جاء عن الحالة الاقتصادية لأسرة المبحوثين ما جاء في حديثهم عن إمكانية الإنفاق الأسري بدون العمل في حرفة ورق البردي كعمالة مؤجرة فمن رأوا أنهم من "الفقراء جداً" وأن بإمكانهم الإنفاق على أسرهم بعيداً عن حرفة ورق البردي كانوا يمثلون ١٢,٣% فقط، وذلك يعني أن ٨٧,٧% من الفقراء جداً يرون أن لا سبيل لبقائهم على قيد الحياة إلا بالعمل في حرفة ورق البردي كعمالة مؤجرة وذلك للتكيف مع حالة الفقر التي يعيشونها. أما من رأوا من الفقراء فقط أن بإمكانهم الإنفاق دون العمل في حرفة البردي فكانوا ٢٩,٣% بما وهذا يعني أن الذين لا يستطيعون الإنفاق بدون العمل في البردي ما زالوا هم الأغلبية، ويمثلون ٧٠,٧% ممن وصفوا أنفسهم وأسرهم بأنهم "فقراء"، أما من وصفوا أنفسهم بأنهم

"متوسطي الحال" فقد ارتفعت عندهم نسبة من رأوا أن بإمكانهم الإنفاق دون العمل في البردي ووصلت إلى ٧٤% منهم، وقد يرجع السبب في ذلك إلى مساحة الحرية المتاحة أمامهم للعمل في حرف أخرى في مكان آخر لإمكانية توافر تكاليف المواصلات للبحث في مكان آخر، على عكس الفقراء الذين لا تتوافر لديهم إمكانيات السعي في مكان آخر، خوفاً من أن يضيع عليهم أجر يوم، فكيف يدبرونه خاصة إذا علمنا أن إنفاقهم يعتمد كلية على دخلهم اليومي "يوم بيوم"؟ أما عن وصف حاله بأنه متوسط فلديه رصيد يمكن أن يقتات عليه أثناء مرحلة بحثه عن بديل للعمل في البردي.

ودائماً كالعادة الأغنياء أفضل حالاً، ومعلوم أن الأغنياء من العمالة في حرفة ورق البردي هم أبناء قرية القراموص، الذين يدخلون النشاط كعمالة بأجر من أجل تعلم الحرفة، كخطوة سابقة وأولى لإقامة مشروع وورشة حرفية في البردي؛ لذا كانوا على حق عندما ارتفعت نسبة من رأوا أن بإمكانهم الإنفاق دون العمل بحرفة البردي، حيث مثلت نسبة الأغنياء ٦٩,٦% منهم، رأوا أنهم يمكنهم أن ينفقوا وأسرهم دون العمل بالبردي، وازدادت النسبة كثيراً في حالة "الأغنياء جداً" من العمالة بأجر، الذين وصفوا أنفسهم بذلك، لذا كانت نسبة من رأوا أن بإمكانهم الإنفاق دون العمل بحرفة البردي، قد وصلت إلى ٨٢% منهم، وهذا منطقي، خاصة إذا علمنا أن دخل القرية التي تمارس نشاط البردي قد تحسن كثيراً، خاصة إذا كانت القرية تقدم القدر الأكبر على مستوى الجمهورية من كميات منتجات أوراق البردي المرسومة وغير المرسومة لسوق السياحة المصري والعالمي.

جدول (١٤) العمالة: رؤية العمالة لحالتها الاقتصادية وإمكانيات إنفاقها الأسري للبقاء على قيد الحياة

الحالة الاقتصادية / الحرفة	الحالة الاقتصادية للأسرة			مدى إمكانية الإنفاق على المعيشة بدون العمل في الحرفة			
				يمكن الإنفاق بدون العمل في الحرفة		لا يمكن الإنفاق بدون العمل في الحرفة	
	الفئات	ك	%	ك	%	ك	%
البردي	فقراء جداً	٤٤٧	٥٨,٨	٥٥	١٢,٣	٣٩٣	٨٧,٧
	فقراء	١١٣	١٤,٨	٣٣	٢٩,٣	٨٠	٧٠,٧
	متوسطين الحال	٩٧	١٢,٨	٧٢	٧٤,٠	٢٥	٢٦,٠
	أغنياء	٥٣	٧	٣٧	٦٩,٦	١٦	٣٠,٤
	أغنياء جدا	٥٠	٦,٦	٤١	٨٢,٠	٩	١٨,٠
	المجموع	٧٦٠	١٠٠	٢٣٨	٣١,٣	٥٢٢	٦٨,٧
النخيل	فقراء جداً	٥٠٨	٦٣,٥	٨	١,٦	٥٠٠	٩٨,٤
	فقراء	١٨٢	٢٢,٨	٦	٣,٣	١٧٦	٩٦,٧
	متوسطين الحال	٧٨	٩,٧	١٠	١٢,٨	٦٨	٨٧,٢
	أغنياء	٣٢	٤,٠	١٢	٣٧,٥	٢٠	٦٢,٥
	أغنياء جدا	–	–			–	–
	المجموع	٨٠٠	١٠٠	٣٦	٤,٥	٧٦٤	٩٥,٥
القطن	فقراء جداً	٨٥	٨٨,٦	٤	٤,٧	٨١	٩٥,٣
	فقراء	٣	٣,١	٢	٦٧	١	٣٣
	متوسطين الحال	٥	٥,٢	٢	٤٠	٣	٦٠
	أغنياء	٣	٣,١	٣	١٠٠	–	–
	أغنياء جدا	–	–	–	–	–	–
	المجموع	٩٦	١٠٠	١١	١١,٥	٨٥	٨٨,٥

تؤكد الحالة الاقتصادية للعمالة في حرفة منتجات ومخلفات النخيل، أن غالبيتها تنتمي إلى الأسر الفقيرة بل والفقيرة جداً، فمن أجابوا بأنهم ينتمون إلى أسر فقيرة جداً كانوا يمثلون ٦٣,٥% من العينة، ومن أجابوا بأن أسرهم فقراء كانوا ٢٢,٨%، وهذا أن ذكر الفقر جاء على لسان ٧٦,٣% من مفردات العينة البالغ عددها ٨٠٠ عامل وعاملة، مما قد يعني أن ٧٦,٣% من العمالة كان العمل بحرفة منتجات ومخلفات النخيل يمثل لهم حالة من التكيف مع الفقر، ومحاولة للبقاء على قيد الحياة. ومن أجابوا بأنهم ينتمون إلى الأسر متوسطة الحال، فكانوا ٩,٧% وهذا أنهم ربما ينتمون إلى أسر لها ملكية زراعية وأن أسرهم تعتبر أصحاب نشاط، وأن الأبناء يعملون في المواد الخام المملوكة للآباء، لذا فالإنتاج سوف يعود إليهم، ومن المعلوم أن النخيل بقرية القرين ليس دليل ثراء بدرجة كبيرة لأنه ليس للاستثمار ولكنه للإبقاء على قيد الحياة، فهم يأكلون البلح والعجوة، ويصنعون المنتجات والمخلفات، وغالبية السكان ينتمون إلى طبقة الفقراء، لكن من كان له عدد أكبر من النخيل يمكن أن ينتمي إلى الطبقة الوسطى (متوسطي الحال) وهم كما جاء في (جدول ١٤) يمثلون ٩,٧% فقط، أما من رأوا أنهم ينتمون إلى الأغنياء فلم يتجاوزوا نسبة ٤% فقط من العمالة، وهذا يؤكد واقع العمالة في حرفة النخيل التي تعمل للبقاء على قيد الحياة والتكيف مع الفقر.

ويؤكد ما سبق تراجع نسبة من يمكنهم الإنفاق بدون العمل في حرفة النخيل، حيث وجدنا أن من الفقراء جداً من قالوا بإمكانية الإنفاق دون العمل في حرفة النخيل لا يزيدون عن ١,٦% منهم فقط، ومن الفقراء ٣,٣% منهم فقط، مما يؤكد أن العمل بحرفة النخيل كان ومازال الملاذ والملجأ في ظل حالة الفقر التي يعيشونها، وتحسنت النسبة في حالة متوسطي الحال ووصلت إلى ١٢,٨%، والأغنياء ٣٧,٥% منهم، وقد يرجع ذلك إلى مساحة الحرية المتاحة أمامهم للبحث عن بدائل للعمل فيها، لأن أوضاع الأسر التي ينتمون إليها أفضل من حال أبناء الفقراء جداً والفقراء، ومن الملاحظ أن العمالة في حرفة منتجات ومخلفات النخيل لم يقل أحدٌ منها أنه ينتمي إلى "أسر غنية جداً"، وهذا أمر يعكس الواقع الاجتماعي الاقتصادي في القرين جميعها، فنادراً ما توجد الأسر الغنية جداً، وإن وجدت فلن

يعمل أبناؤها في حرفة منتجات ومخلفات النخيل، لكن أغلب من يعملون بهذه الحرفة ينتمون إلى الطبقة الريفية الفقيرة التي أجابت نسبة كبيرة منها بعدم إمكانية الإنفاق بدون العمل في النخيل، وبنسبة ٩٨,٤% عند الفقراء جداً، وبنسبة ٩٦,٧% عند الفقراء، وبنسبة ٨٧,٢% عند متوسطي الحال، وبنسبة ٦٢,٥% عند الأغنياء، أي أن حرفة النخيل تمثل تكيفاً مع الفقر ومحاولة للإبقاء على قيد الحياة في ظل ظروف اقتصادية سيئة للغاية في الريف عامة وبين الحرفيين خاصةً.

ترى نسبة ٨٨,٦% من العمالة أنها تنتمي إلى الفقراء جداً، بالإضافة إلى ٣,١% فقراء أي أن ٩١,٧% من العمالة في حلج القطن ينتمون إلى فئة الفقراء جداً والفقراء، مما يؤكد ما سبق توضيحه من أن العمالة تعاني من الفقر الذي دفع بهم إلى العمل في حرفة حلج القطن لمواجهته، أما من رأوا أنهم "متوسطي الحال" فكانوا ٥,٢%، أما من ذكروا أنهم أغنياء فكانوا ٣,١% فقط من العمالة (جدول ١٤)، وقد يعني كل ذلك أن من رأوا أنفسهم في غير الفقراء لا يمثلون سوى ٨,٣% من العمالة وقد يكونون من المنتمين إلى أصحاب العمل بصلة قرابة او شراكة في النشاط بأية صورة من صور المشاركة. وتزداد معاناة الفقراء جداً والفقراء الذين يعملون في حرفة حلج القطن خاصةً إذا علمنا أن من يمكنهم منهم الإنفاق بدون العمل في حلج القطن لم يتجاوزوا ٤,٧% فقط من الفقراء جداً، أي أن نسبة ٩٥,٣% منهم لا تستطيع البقاء على قيد الحياة دون العمل في حرفة الحلج أو حرفة أخرى، أما الفقراء فكان حالهم أفضل من حال الفقراء جداً، حيث ٦٧% منهم يمكنهم الإنفاق بدون العمل في حرفة حلج القطن، أما من رأوا أنهم من "متوسطي الحال" فقد كانت نسبة ٤٠% منهم يرون أن بإمكانهم الإنفاق دون العمل في حلج القطن، وترى نسبة ٦٠% منهم أنهم لا يستطيعون الإنفاق دون العمل في حرفة حلج القطن، ويعني كل ذلك أن الحرفة التي يعملون بها تمثل آلية من آليات التكيف مع الفقر في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشونها بعد الخصخصة والتكيف الهيكلي، وما أديا إليه من أزمات اجتماعية واقتصادية، وأنه قد لجأ الفقراء إلى العمل في الحرف كمحاولة للبقاء على قيد الحياة.



خصائص أصحاب العمل في الحرف الثلاث

تتمثل أهم خصائص أصحاب العمل في الحرف الثلاث فيما يلي:

١- فئات السن والنوع لأصحاب العمل:

يبدو أن حرفة ورق البردي هي حرفة الشباب في أصحاب العمل مثلما كانت كذلك في العمالة، لكن في حالة أصحاب العمل، كانت الغلبة للمنتمين للفئة العمرية "٢٠"، (انظر جدول ١٥)، حيث مثلوا ٥٠% في حالة الذكور والإناث على السواء، أما الفئة العمرية "٣٠"، فكانت النسبة ٢٥% للذكور و ٢٥% للإناث والفئة العمرية "٤٠"، كانت ٢١% للذكور و ٢١% للإناث، ويعني كل ذلك أن ٩٦% من أصحاب الحرف الذكور كانوا يقعون في الفئة العمرية من ٢٠ : ٤٠ سنة أي الفئة العمرية الشابة، وهم يمثلون الجيل الثاني من أصحاب العمل في حرفة ورق البردي، حيث كان الجيل الأول في عقد السبعينيات أي منذ ثلاثين عاماً عند بدء النشاط في القرية. أما في حالة الإناث فقد مثلن ٩٦% أيضاً في الفئة العمرية من ٢٠ : ٤٠ سنة، وهن اللاتي توفي والدهن وترك لهن ورشة بردي إرثاً لهن، فأدرن إرثهن، ودخلن نشاط البردي "كأصحاب عمل"، وليس معنى هذا أن الإناث من أصحاب العمل كثيرات، فهن لم يتجاوزن ١٦ مفردة فقط من إجمالي أصحاب العمل البالغ عددهم ٢٠٨ مفردة، وهكذا يمثلن ٧,٧%، أما الذكور فيمثلون ٩٢,٣% من إجمالي أصحاب العمل.

أما من كانوا في الفئة العمرية ٥٠ فأكثر، فكانوا ٢% فقط من الذكور، ٤% فقط من الإناث، فكانت في حالة الذكور تمثل ٤ مفردات، بينما كانت تمثل مفردة واحدة من الإناث، وقد يعني ارتفاع نسبة الشباب بين أصحاب العمل، أن جيل الآباء بعدما درب جيل الأبناء على فنون الحرفة ودقائقها وإدارتها واطمأن إلى قدراتهم في إدارة المشروع الحرفي تنازل لهم عنه لإدارته، وهكذا ارتفعت نسبة الشباب، وقد يرجع السبب في ذلك أيضاً إلى أن جيل الأبناء بعدما أجاد فنون الحرفة وتسويق المنتج، قام بتدبير ورشة معتمداً في ذلك على حقل الوالد المزروع أصلاً بنبات البردي، وأخذ الأبناء على عاتقهم مسئولية تصنيع ورق البردي

بجهودهم الذاتية في البداية، بعدما نجحوا في ذلك، وحولوا جهدهم إلى رأسمال مثلما حولوا النبات الموجود في حقل الأب إلى ورق بردي، وباعوه وحصلوا على رأس المال، كان كل ذلك دافعاً لجيل الآباء لتسليم الراية لجيل الأبناء الذين أبدعوا في صناعة رأس المال.

جدول (١٥) أصحاب العمل: فئات السن والنوع، والحرفة

الحرفة / ف	البردي						النخيل						القطن					
	ذكور		اناث		مجـ ك		ذكور		اناث		مجـ ك		ذكور		اناث		مجـ ك	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
٢٠ –	٩٦	٥٠	٨	٥٠	١٠٤	٥٠	٢٧	١٠,٨	١	١٢,٥	٢٨	١١	٨	٢٨,٦	–	–	٨	٢٨,٦
٣٠ –	٤٨	٢٥	٤	٢٥	٥٢	٢٥	٣٥	١٤,٢	١	١٢,٥	٣٦	١٤	٨	٢٨,٦	–	–	٨	٢٨,٦
٤٠ –	٤٠	٢١	٣	٢١	٤٣	٢١	٨٩	٣٥,٨	٣	٣٧,٥	٩٢	٣٦	٨	٢٨,٦	–	–	٨	٢٨,٦
٥٠ –	٤	٢	١	٤	٥	٢	٦٦	٢٦,٧	٢	٢٥,٠	٦٨	٢٦,٥	٤	١٤,٢	–	–	٤	١٤,٢
٦٠ +	٤	٢	–	–	٤	٢	٣١	١٢,٥	١	١٢,٥	٣٢	١٢,٥	–	–	–	–	–	–
المجموع	١٩٢	٩٢,٣	١٦	٧,٧	٢٠٨	١٠٠	٢٤٨	٩٧	٨	٣	٢٥٦	١٠٠	٢٨	١٠٠			٢٨	١٠٠

بالاطلاع في (جدول ١٥) نلاحظ أنه قد تراجعت كثيراً نسبة الإناث كأصحاب عمل في حرفة منتجات ومخلفات النخيل ولم يتجاوزن ٣% فقط، وأفسحن المجال للذكور عن رضا أو عن عدم تمكين، وهي أحوال النساء في الريف ،فكثيراً ما نجد الذكور يديرون ممتلكات النساء نيابة عنهن بالرضا أو بالإجبار، وقد يرجع السبب في تراجع نسبة النساء إلى وجود أولاد لهن يقومون بالإشراف على العمل، ويكتبون صفة أصحاب العمل مما يسهم في تراجع نسبة النساء في أصحاب العمل، أما الذكور كأصحاب عمل فكانت لهم الغلبة، ومثلوا ٩٧% من إجمالي أصحاب العمل، وقد يرجع ذلك إلى ما تحتاجه حرفة منتجات ومخلفات النخيل من فترة عمل طويلة قد تصل النهار بالليل صيفاً خاصةً أنها تمارس في الشوارع لا في المنازل، وتستهجن الثقافة الريفية تأخر المرأة ليلاً في الشوارع، لذا كانت غالبية الأنشطة الحرفية ملكاً للذكور ولم تمثل الإناث

سوى ٣% فقط، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى أن الحرفيين الذين يعملون في الحرفة غالبيتهم من الذكور الشباب، ووقاية للمرأة وحماية لها وحفاظاً على كرامتها، فإن من يخالط الشباب الذكور طوال وقت العمل يجب أن يكون ذكراً حفاظاً على العادات والتقاليد الريفية، خاصةً وأن حرفة مقشات الليف تتطلب أن يمد الحرفي إحدى ساقيه إلى آخرها لشد خيط الرباط طوال فترة العمل، فهل يُعقَل أن تسمح المرأة لنفسها أن تمد إحدى ساقيها أمام الذكور الشباب من غير أهلها وذويها؟ لكل ذلك كانت نسبة الذكور هي الأكبر ٩٧%.

أما فئات السن فكانت متقاربة ولكنها موزعة بين الفئة العمرية من ٢٠ : ٦٠ سنة فأكثر عند الذكور، أما في حالة الإناث فكانت هناك فئتان عمريتان هما الأعلى في التمثيل، وهما الفئة "٤٠" وكانت ٣٧,٥% والفئة العمرية "٥٠" وكانت ٢٥%، أما باقي الفئات العمرية من ٢٠ : ٦٠ سنة فأكثر فكانت متقاربة. وقد يرجع ذلك في حالة الذكور إلى مساهمة الذكور من كافة الفئات العمرية القادرة على العطاء من الفئة من ٢٠ : ٦٠ سنة فأكثر في تحمل أدوارهم في مسئوليات الأسرة وتخليد النشاط الحرفي العائلي الذي ورثه كل منهم عن أبيه وجده، لذا كانت مساهمات الجميع متقاربة مع ارتفاع نسبة الفئة العمرية "٤٠" لتصل إلى ٣٥,٨% والفئة العمرية "٥٠" لتصل إلى ٢٦,٧% أما بالنسبة للإناث، فقد يرجع ارتفاع النسبة في حالة الفئة العمرية "٤٠" ،"٥٠"إلى كونهن من الأرامل، ويجب أن يشرفن على ما ورثنه عن الزوج، وقد يرجع إلى أن أولادهن من الإناث وليس من الذكور، لذا قمن بإدارة النشاط بأنفسهن.

كشف (جدول ١٥) عن عدم وجود إناث كأصحاب عمل في حرفة حلج القطن، ومن المؤكد أن ذلك يرجع إلى طبيعة النشاط، حيث أن حلج القطن في المنازل عمل ضد القانون ويمارس في أماكن سرية في المزارع، والمقابر، وأماكن سرية بالمنازل، والبدرومات، والحظائر المهجورة، ولم ير الباحث باباً مباشراً لمكان ممارسة النشاط، فقد تدخل من باب على الشارع، ثم تسير في فتحة داخل المنزل جهة اليمين، ثم باب فيها يتجه يساراً ثم باب يتجه يميناً، ثم أسفل، وهكذا

هناك استحالة أن تجد مكان ممارسة النشاط يتصل بالشارع بشكل مباشر، وأحياناً تجد نفسك أمام ثلاثة أبواب في حجرة واحدة لا تعرف أيها يؤدي إلى سرداب يوصلك إلى مكان ممارسة النشاط، فهل من المعقول أن نجد إناثاً على هذه الدرجة من التخفي من الشرطة والمباحث؟ حقيقة لم ير الباحث إناثاً باستثناء ابنة أو زوجة صاحب النشاط وهي تقوم بتعبئة "البذرة" أو تقديم شاي للعامل أو الإشراف المؤقت على العمل وتنظيف المكان، لذا لم تكن هناك إناث أصحاب نشاط، أي أن الأناث نأين بأنفسهن عن الجريمة ومخالفة القانون في حرفة حلج القطن.

أما الذكور فكانوا يمثلون ١٠٠% من أصحاب النشاط، وكانوا موزعين تقريباً بالتساوي بين الفئات العمرية، ففي الفئة العمرية ٢٠ سنة كانوا ٢٨,٦% من إجمالي أصحاب العمل، وكذلك الفئة العمرية ٣٠سنة كانوا ٢٨,٦%، وكذلك ٤٠ سنة كانوا ٢٨,٦%، مما يعني أن أصحاب العمل في حرفة حلج القطن كانوا من الشباب لدرجة أن من كانوا في الفئة العمرية ٥٠ سنة لم يتجاوزوا نسبة ١٤,٢% ،وهم أيضاً يمكن اعتبارهم من فئة الشباب، بما يعني أن ١٠٠% من العينة كانوا من الشباب أي أن حرفة حلج القطن خاصة أصحاب العمل، هي حرفة شباب ذكور فقط، ومن المؤكد أن ذلك يرجع إلى طبيعة النشاط والمراحل القبلية والمراحل البعدية التي يحتاجها هذا النشاط، حيث تتمثل المراحل القبلية في الذهاب إلى كافة حقول زراعة القطن المتاحة في أي مكان وذلك لشراء محاصيل القطن من الفلاحين، ونقل الكميات المشتراة أثناء الليل في أوقات غير ثابتة ترتبط بمدى تراخي الحالة الأمنية في الطرق، خاصة أن الطرق يسهل الآن مراقبتها والإبلاغ عن حالتها باستخدام التليفون المحمول، فتتحرك السيارات المحملة بالقطن هنا أو هناك وهكذا عند تصريف الإنتاج بعد عملية الحلج يتم التوزيع كذلك بنفس الأسلوب الذي استخدم عند جمع المحصول من الفلاحين، وإن كانت ظروف تصريف الإنتاج تكون أكثر صعوبة لأنها على مسافات بعيدة وعلى طرق بها أكمنة شرطة حتى

القاهرة، لكن هناك طرق بديلة يعرفها القائمون علـــى تصـــريف القطـــن الشـــعر وتوصيله إلى المغازل الخاصة بالقاهرة وغيرها.

٢- الحالة التعليمية لأصحاب العمل:

جاء في (جدول ١٦) الخاص بالحالة الاجتماعية أن الفلاحين الأميين كأصحاب عمل يمثلون ١٩,٣% فقط، ويمكن أن يضاف إليهم من يقرأ ويكتب والذين يمثلون ٣,٨%، أي أن إجمالي من لهم علاقة بالأمية كانوا ٢٣,١%، وبالطبع هؤلاء هم جيل الآباء الذين بدأوا نشاط البردي منذ ثلاثين عاماً أو أقل، أما جيل الأبناء الذي دخلوا حرفة البردي كأصحاب نشاط وبقوة، فكانوا جميعاً من المتعلمين ولم يكن بينهم أميٌ واحدٌ، حيث كان الحاصلون على الإعدادية ٥,٧%، والدبلوم الفني والثانوية العامة ٣٦,٥% وهم الأغلبية، أما الحاصلون على مؤهل جامعي فكانوا ٣٤,٧%، أي أنهم جميعاً من غير الأميين، وقد ترجع النسبة المرتفعة للتعليم بينهم إلى الإمكانيات الاقتصادية للوالد، فهو صاحب ورشة تدر عائدا متميزاً، وأن جيل الآباء كانوا يفضلون تعليم الأبناء حتى يتمكنوا من التحدث مع السائحين لأن سوق البردي مرتبط باللغات الأجنبية بل وأحياناً كثيرة بالسفر حول العالم لتسويق الإنتاج.

جدول (١٦) أصحاب العمل: الحالة التعليمية، والحرفة

الحرفة / ف	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أمي (لا يقرأ ولا يكتب)	٤٠	١٩,٣	١١٦	٤٥,٤	٨	٢٨,٦	١٦٤	٣٣,٣
يقرأ ويكتب	٨	٣,٨	٣٦	١٤,١	٤	١٤,٢	٤٨	٩,٧
إبتدائية	-	-	٤٤	١٧,٢	-	-	٤٤	٩
إعدادية	١٢	٥,٧	٤	١,٦	-	-	١٦	٣,٣
ثانوية أو دبلوم فني	٧٦	٣٦,٥	٣٦	١٤,١	٨	٢٨,٦	١٢٠	٢٤,٤
مؤهل جامعي	٧٢	٣٤,٧	٢٠	٧,٦	٨	٢٨,٦	١٠٠	٢٠,٣
المجموع	٢٠٨	١٠٠	٢٥٦	١٠٠	٢٨	١٠٠	٤٩٢	١٠٠

يبدو من (جدول ١٦) أن حرفة منتجات ومخلفات النخيل هي حرفة الأميـــة، يمثل الأميون ٤٥,٤% ومن يقرأ ويكتب ١٤,١% والابتدائية ١٧,٢% وإذا جمعنـــا ثلاثتهم تكون النتيجة ٧٦,٧% يمثلون الأمية في أصحاب النشاط، لأنه مـــا معنـــى صاحب نشاط رجل حاصل علي الابتدائية؟ هذا معناه أنه حصل عليهـــا بـــالتمرير عملاً بقانون المرحلة الإلزامية، الذي لا تخفى على أحد عيوبه، وارتفاع النسبة هنا يرجع إلى أن أصحاب العمل في حرفة النخيل هم من الفلاحين، ومعلـــوم ارتفـــاع نسبة الأمية بينهم، لكن مع ذلك يمثل الحاصلون علـــى الإعداديـــة نســـبة ١,٦% والحاصلون على الدبلوم الفني بنسبة ١٤,١% أما الجامعيون فكانوا ٧,٦%، وبذلك يتضح ارتفاع نسبة الأمية بين أصحاب العمل، أما المتعلمون فربما ورثوا النشـــاط عن آبائهم، أو مرض آباؤهم فقاموا بالإشراف على النشاط وذلك لمواجهة متطلبات الحياة القاسية في الريف وذلك بعد الخصخصة والتكيف الهيكلي، ومـــع أن القـــرين رئاسة مدينة إلا أن نشاطها الأساسي هو الزراعة والنخيل في المقام الأول.

من اللافت للنظر في (جدول ١٦) أن أصحاب العمل في حلج القطن ينتمون إلى جميع الفئات، منهم ٢٨,٦% من الأميين، ١٤,٢% يقـرأ ويكتـب، و٢٨,٦% ثانوية عامة أو دبلوم، وجامعيون بنسبة ٢٨,٦%، ويبدو أن الجميع سواسـية أمـام إغراءات الدخل الكبير الذي يصل إلى ١٠٠٠ جنيه كل ٢٤ ساعة، فتساوى خـريج الجامعة مع الأميّ مع حامل الدبلوم الفني مع من يقرأ ويكتب، وقـد يرجـع ذلـك للكسب السريع الذي يأتي من النشاط لدرجة أن الكثيرين يبيعون أراضيهم الزراعية من أجل امتلاك مشروع حلج قطن، وإن كان أهل القرية يُجمِعون على أن "الغلطـة تخرب بيوت" بمعنى إذا تسرب خبر للشرطة وهاجمت المكان وصـادرت كميـات القطن والماكينة فإن ذلك يعني ضياع رأس المال الذي من الممكن أن يكـون هـو ثمن الأرض الزراعية التي باعها صاحب المشروع. لكن فـي النهايـة إغـراءات العائد وما حققه السابقون تمثل دافعاً يصعب مقاومته من جانب الداخلين الجدد فـي النشاط، فيتحول من يدخل النشاط بسرعة إلى رأسمالي من خلال توظيف ما لديـه من أصول رأسمالية لمزيد من رأس المال، الأمر هنا ليس صناعة رأس مال مثلمـا كان في البردي أو الكرينة، ولكنه استثمار رأس مال من أجـل المزيـد مـن رأس المال وليس صناعة رأس المال كما في الحرفتين السابقتين.

٣- الحالة الزواجية لأصحاب العمل:

كان العُزب يمثلون ٤٤,٢% من أصحاب العمل (جدول ١٧)، وهم يعملون كأصحاب نشاط حتى يدبروا مستلزمات زواجهم، بالإضافة إلى أن بعضهم يشغله النشاط عن الزواج لبعض الوقت، حيث إثبات الذات في النشاط ، خاصة أن سوق البردي اتسع على مستوى الجمهورية الآن ودخلته فئات كثيرة وأماكن أخرى على مستوى الجمهورية يمثل أولوية، لذا فالمنافسة القوية قد تمثل عاملاً هاماً في وجود بعض العُزب بالإضافة إلى أن بعض العُزب في سبيلهم لإتمام الزواج، أما المتزوجون فكانوا يمثلون ٤٩% من مفردات العينة، وأولئك هم الذين يدربون المزيد من الأجيال لاستمرارية حرفة البردي في القرية. ومثلت نسبة الأرامل ٦,٨% من الذكور والإناث معاً وهم يمثلون ١٤ مفردة، ويمثل نشاط حرفة البردي

مصدراً لصناعة رأس المال لهم جميعاً، فيتم تحويل الجهد والوقت إلى رأسمال لدى كلٍ من الذكور والإناث من أصحاب العمل في حرفة البردي. وقد لاحظ الباحث عدم وجود حالات طلاق بين أصحاب العمل، وقد يعني ذلك أن حرفة البردي قد وفرت رأس المال للعاملين بالنشاط وأسهمت في حل المشكلات المالية التي تمثل السبب الرئيسي في الخلافات الزوجية وبالتالي في الطلاق، وهكذا تحسن الأوضاع المالية لأصحاب الحرف في البردي أدى إلى اختفاء ظاهرة الطلاق.

جدول (١٧) أصحاب العمل: الحالة الزواجية، والحرفة

الحرفة / الحالة الزواجية	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أعزب	٩٢	٤٤,٢	٢٨	١٠,٩	٨	٢٨,٦	١٢٨	٢٦
متزوج	١٠٢	٤٩	٢١٢	٨٢,٨	١٧	٦٠,٧	٣٣١	١٧,٢
مطلق	–	–	–	–	–	–	–	–
أرمل	١٤	٦,٨	١٦	٦,٣	٣	١٠,٧	٣٣	٦,٨
المجموع	٢٠٨	١٠٠	٢٥٦	١٠٠	٢٨	١٠٠	٤٩٢	١٠٠

يمثل المتزوجون النسبة الأكبر من أصحاب العمل في حرفة منتجات ومخلفات النخيل انظر (جدول ١٧)، تجد نسبتهم ٨٢,٨%، وقد يرجع ذلك إلى أن حرفة النخيل حرفة منزلية أسرية يمارسها الزوج وزوجته وأولاده، ولكل رب أسرة في القرين نشاط يملكه في النخيل، لذا ارتفعت نسبة المتزوجين بين أصحاب النشاط، أما العُزب فكانوا ١٠,٩% فقط، وقد يعني هذا أن امتلاك نشاط حرفي لمنتجات ومخلفات النخيل يؤدي إلى صناعة رأس المال الذي يساعد العُزب على تحمل تكاليف الزواج، لذا ارتفعت نسبة المتزوجين وانخفضت نسبة العُزب، أما حالات الطلاق بين أصحاب النشاط فكانت معدومة، ولم يكن بين مفردات العينة البالغة ٢٥٦ مفردة حالة طلاق واحدة. وقد يرجع ذلك إلى أنه لا يوجد عندهم وقت فراغ فالكل يمسك بيديه من الصباح حتى المساء إما جريدة يقطعها، أو ليفة يفتلها،

أو قفصاً ينتجه أو مطرحة يقوم بعمل مرحلة في إنتاجها حتى يسلمها لصاحب المرحلة التالية، الكل مشغول بالإنتاج والعمل، لذا يمكن القول أنه كلما زاد وقت الفراغ زادت نسبة الطلاق ومعدلاته. أما الأرامل فقد مثلن ٦,٣% فقط من إجمالي أصحاب النشاط، وهم هن يحافظن على النشاط للبقاء على قيد الحياة ثم صناعة رأس المال ولو بقدر يسير.

بالنظر في (جدول ١٧) مثّل المتزوجون النسبة الأعلى من أصحاب العمل في حرفة حلج القطن،فكانوا ٦٠,٧% من إجمالي أصحاب العمل، وهذا أمر منطقي لأن المتزوج قد استقل، وقد استقل عن أسرته الممتدة ومن حقه أن يفعل ببيته ما يشاء فيغير ملامحه، ويحور فيه، ويغير ويبدل، بحرية أكبر من الأعزب، بالإضافة إلى أن المتزوجين يتطلعون إلى المزيد من المال لأبنائهم الذين يجب الإنفاق عليهم، ولم تعد لديهم أولويات أكثر من جمع المال ولو كان ضد القانون، لذا كانت نسبة المتزوجين هي الأعلى. أما العُزب فكانوا يمثلون ٢٨,٦% وكانوا جميعهم من الأبناء الكبار للآباء، وقد أسند إليهم الآباء المهمة لإكمال المشوار بعدما تقدم السن بالآباء، خاصة أن من الأبناء من تعلم وأصبحت له اتصالاته وصداقاته التي يمكنه توظيفها لتسهيل عمليات جمع وتوزيع الإنتاج. وأخيراً كان هناك ١٠,٧% من العينة من الأرامل الذكور الذين يمارسون النشاط، ويعني هذا أنهم أصحاب بيوت يمكنهم ممارسة النشاط فيها. وسبق أن أوضحنا أن القرية تدخل في شبكة من العلاقات الاجتماعية مرتبطة بالحرفة وبكافة مراحلها ولكل شخص من القرية علاقة بالنشاط والقضية هي توزيع أدوار.

٤- مصدر تعلم الحرفة لأصحاب العمل:

من الملاحظ في (جدول ١٨) أن مصدر تعلم الحرفة كان بالتساوي في النسبة بين "من العائلة" ٥٠%، "من خارج العائلة" ٥٠%، وقد يعني هذا أن صنف أصحاب العمل هم من جيل الآباء أو بعض أفراد جيل الأبناء الذين لم يتمكن آباؤهم من تأسيس ورشة بردي، لذا فقد تعلم هؤلاء وآباؤهم لدى الغير، وبذلك وصلت

نسبة من تعلم خارج العائلة إلى ٥٠%، وقد يعني نسبة ٥٠% أن عادات القرية وتقاليدها لا تستهجن العمل لدى الغير والتعلم خاصة إذا علمنا أن صاحب النشاط الأول في القرية هو الوحيد في القرية الذي يمتلك النشاط، وجميع سكان القرية يعملون لديه في مصانعه، وبعدما تعلموا أسرار الحرفة في مصانعه بدأوا يستقلون عنه بالتدريج، وبعدما استقل جميع سكان القرية عن مصانع أول من أدخل النشاط للقرية، بدأ هو يتوقف عن الإنتاج ويعمل في تجارة الإنتاج الخاص بمصانع القرية جميعها، حيث يجمعه لحسابه ويبيعه لحسابه إلى أن تعلم الفلاحون من أصحاب العمل سر تجارة الورق فبدأ يفسح لهم المجال. أما النصف الثاني من مفردات العينة والذين يمثلون من تعلموا الحرفة من العائلة فكانوا ٥٠% من إجمالي أصحاب العمل في حرفة البردي، وقد يعني هذا أن ظاهرة التوارث المهني قائمة في القرية، وكذلك قد يعني أن حرفة البردي تُدِرُ عائدات مالية كبيرة تجعل الجميع يتطلعون لامتلاك مشروع بردي.

جدول (١٨) أصحاب العمل: مصدر تعلم الحرفة، والحرفة

الحرفة / مصدر التعليم	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
من العائلة	١٠٤	٥٠	٢٥٥	٩٩,٦	٨	٢٨,٦	٣٦٧	٧٤,٥
من خارج العائلة	١٠٤	٥٠	١	٠,٤	٢٠	٧١,٤	١٢٥	٢٥,٥
المجموع	٢٠٨	١٠٠	٢٥٦	١٠٠	٢٨	١٠٠	٤٩٢	١٠٠

يبدو أن حرفة منتجات ومخلفات النخيل حرفة عائلية وموروثة كاملة انظر (جدول ١٨)، حيث وصلت نسبة من تعلموا الحرفة من العائلة نسبة ٩٩,٦%، وهي نسبة لم تتوفر لأي من الحرف الثلاثة الرئيسية موضوع الدراسة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن القرية جميعها ينتشر بها النخيل في كل مكان، في الحقل وفي المنزل وفي الشارع أمام المنزل، ولم يترك الفلاحون مكاناً يمكن لنخلة أن تنمو فيه وتركوه حتى ناءت أرض القرية بحمل النخيل الذي تكاثر فيها، فبدأت

القرين تجارة النخيل ذاته، حيث من أراد أن يزرع نخيلاً من خارج القرين عليه أن يذهب إلى تجار النخيل بالقرين، وسيجد ما يريد وأي عدد يريد، لأن القرية كلها نخيل، لذا نجد المبرر الذي يبرر أن ٩٩,٦% من أصحاب النشاط تعلموا النشاط في عائلاتهم، لأن جميع العائلات تعمل في النخيل ويتم تدريب الأطفال على الحرفة منذ نعومة أظفارهم في أعمال تتناسب وفئاتهم العمرية، لذا كانت النسبة هكذا، أما من كان تعليمهم من خارج العائلة وكانوا ندرة تمثل ٠,٤%، فقد يرجع ذلك إلى أنهم ليسوا من أبناء القرين الأصليين، بل من الوافدين إليها تطلعاً لحرفة منتجات ومخلفات النخيل وما يمكن أن تدره من عائد، فتعلموها من خارج عائلاتهم، ثم امتلكوا نشاطاً في منتجات ومخلفات النخيل.

لم تكن العائلة هي المصدر الوحيد لتعلم الحرفة مثلما كان الأمر في حرفة منتجات ومخلفات النخيل، أو مثلما كان في كثير من الحالات في حرفة ورق البردي، بل كانت العائلة هي المصدر الأقل شأناً في تعلم حرفة حلج القطن، لأن الحرفة كانت حكراً لنفر قليل من أبناء القرية الذين كانوا يعملون في تجارة الحبوب بين المحافظات وتعرفوا على الحرفة في قرى المنصورة ونقلوها إلى قريتهم منشأة رضوان في سبعينيات القرن العشرين، واحتكروها لفترة طويلة حتى تدخلت علاقات المصاهرة في انتشار الحرفة في القرية، وبدأت الدولة تهاجم الحرفيين فتكاتفت القرية وأنشأت شبكة من العلاقات الاجتماعية هدفها الأول والأخير هو حماية النشاط من الشرطة والمباحث، وهنا أصبح تعليم الحرفة ليس حكراً على العائلة مثلما جاء في (جدول ١٨) فنجد أن من تعلموا الحرفة من العائلة يمثلون ٢٨,٦% فقط بينما من تعلموها من خارج العائلة يمثلون ٧١,٤% ،وأصبح حال الحرفة الآن لا فرق بين داخل العائلة وخارجها فالجميع يعمل، والجميع له علاقة بالحرفة، ومن مصلحة الجميع الحفاظ على الحرفة وسريتها.

٥- الاهتمام بتعليم الأبناء حرفة ورق البردي:

يعكس (جدول ١٩) حالة رضا المبحوثين كأصحاب عمل في نشاط البردي، حيث اهتم ٨٠,٨% من المبحوثين بتعليم الأبناء حرفة البردي، مما يعني أن جيل الآباء الآن قد حقق نجاحات في صناعة رأس المال ويتطلع إلى توريث هذه النجاحات للأبناء، خاصة في ظل ظروف وأوضاع اقتصادية يعاني منها المجتمع المصري بعامة والمجتمع الريفي بخاصة، وأن حل المشكلة الاقتصادية في القرية يتمثل في العمل في نشاط البردي، الذي يجد سوقاً رائجة في ظل انتعاش السياحة، مما يحقق رأسمال أفضل كثيراً مما يحققه الفلاحون من الزراعات التقليدية، حيث فدان البردي يحقق ٥٠٠٠٠ جنيه في العام أي ما يزيد عن عشرة أمثال ما تحققه الزراعات التقليدية في العام، مع أن الخامات المستخدمة ليست مكلفة مادياً، وأجور العمالة في مقابل الإنتاج الذي يتحقق يومياً تعتبر متواضعة للغاية خاصة،وأن معظم العمالة من الإناث اللاتي تتسم أجورهن أصلاً بالتواضع، كل ذلك يمثل عوامل داعمة لمحاولات توريث المهنة من جيل الآباء إلى جيل الأبناء، أما من رفضوا تعليم الأبناء الحرفة، فكانوا ١٩,٢% فقط من أصحاب النشاط وقد يمثل هؤلاء النسبة التي لم تتمكن من تحقيق الأهداف بشكل كبير لظروف إدارية من جانبهم أو فنية أو تسويقية أو غير ذلك، لذا تراجعوا في تعليم أبنائهم الحرفة خوفاً عليهم من تكرار ما حدث معهم.

جدول (١٩) أصحاب العمل: مدى اهتمام صاحب العمل بتعليم الأبناء الحرفة

الحرفة / الاهتمام	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	١٦٨	٨٠,٨	١٨٠	٧٠,٣	٢٤	٨٥,٧	٣٧٢	٧٥,٦
لا	٤٠	١٩,٢	٧٦	٢٩,٧	٤	١٤,٣	١٢٠	٢٤,٤
المجموع	٢٠٨	١٠٠	٢٥٦	١٠٠	٢٨	١٠٠	٤٩٢	١٠٠

يبدو أن الجيل الجديد بدأ يتخلى عن توريث الحرفة للأبناء، إما طوعاً أو مجبراً بسبب دخول الأبناء التعليم الجامعي، وخاصة الإناث، اللاتي تعرفن على الثقافة الحضرية وبعض عناصرها في الملبس والمأكل وانشغلن عن الحرفة مع أنهن يجدنها منذ مرحلة الطفولة، بالإضافة إلى بعض الأبناء من الذكور الذين دخلوا التعليم العالي وانشغلوا عن الحرفة، لذا نجد في (جدول ١٩) أن من اهتموا بتعليم الأبناء الحرفة يمثلون ٧٠,٣% من أصحاب النشاط، ومن لم يهتموا بذلك كانت نسبتهم ٢٩,٧%، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى معرفة جيل الآباء بمزاحمة المنتجات البلاستيك لمنتجات النخيل في الأقفاص والحبال والسلال وغير ذلك، ومزاحمة الخبز الجاهز للخبز المنزلي، فتراجع الطلب على مطرحة الخبيز، لكل ذلك تراجع الاهتمام بتعليم الأبناء الحرفة.

يتطلع معظم أصحاب العمل في حرفة حلج القطن إلى تعليم الأبناء الحرفة وتوريثهم إياها، وذلك لما تدره من دخل مرتفع يصل إلى ١٠٠٠ جنيه كل ٢٤ ساعة للدولاب الواحد (الماكينة الواحدة الصغيرة)، من هنا كان اهتمام الآباء بتعليم الأبناء، حيث يكشف (جدول ١٩) أن من وافقوا على تعليم الأبناء حرفة حلج القطن يمثلون ٨٥,٧% وهم يطمونهم لا لكي يعملوا بها كعمال، بل كأصحاب عمل، يرثون (الورشة) بما فيها من ماكينات وأقطان وغير ذلك، وقد وضعت كلمة (ورشة) بين قوسين لأنها ليست ورشة بالمفهوم التقليدي للورشة لأن الاسم الأمثل لها هو "مكان ممارسة نشاط"، أما من لم يهتم بتعليم الأبناء الحرفة، فكانوا ١٤,٣%، وهم أولئك الذين قد مروا بتجربة صعبة وسيئة من الشرطة والمباحث ويخافون على أبنائهم أن يمروا بذات التجربة، لذا فضلوا أن ينأوا بأبنائهم عن حرفة حلج القطن ومشاكلها لأنها ليست مهنة يسيرة وميسرة، بل محفوفة بالمخاطر والسهر ليل نهار، والسفر هنا وهناك والتعرض لمصادرة الإنتاج والأموال والآلات والسجن، ولكل ذلك يرفض ١٤,٣% من أصحاب العمل أن يعلموا أبناءهم الحرفة.

٦- الحيازة الزراعية، وعدد أفراد الأسرة، والدخل الشهري لأسرة أصحاب العمل:

تؤكد علاقة المبحوثين بالحيازة الزراعية ما سبق إثارته حول مدى نجاح أصحاب العمل في نشاط البردي، في تحقيق صناعة رأس المال بشكل متميز، حيث تبين في (جدول ٢٠) أن جميع أصحاب العمل لهم حيازات زراعية، ومتى كان جميع الفلاحين لهم حيازات زراعية ؟ ! هذا أمر يمكن إرجاعه فقط إلى العمل في حرفة البردي التي تؤدي إلى صناعة رأس المال، الذي تم استخدامه في شراء أرض زراعية والدخول في جماعة أصحاب الحيازات الزراعية، تلك الحيازات التي يتم استخدامها في مزيد من إنتاج البردي، وبالتالي مزيد من صناعة رأس المال، ويؤكد ذلك أن من كانت حيازاتهم أقل من فدان يمثلون ١٠,٦%، ويعني هذا أن ما يقرب من تسعة أعشار أصحاب العمل في البردي يحوزون أكثر من فدان، فإذا كان الفدان يحقق رأس مال قدره ٥٠٠٠٠ جنيه سنوياً في نشاط البردي، يعني هذا أن ٩٠% من أصحاب العمل في البردي يحقق كل واحد منهم ما يزيد عن ٥٠٠٠٠ جنيه سنوياً. حيث كان من يحوزون فداناً يمثلون ٤٠,٥٤% من العينة، ومن يحوزون ٣ فدان- يمثلون ٣٥%، أي أن معظم أصحاب العمل يحوزون من فدان إلى ثلاثة أفدنة، أي يحققون من ٥٠٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠٠ جنيه سنوياً، أما من زاد ما تحقق لهم من رأس مال يفوق ذلك، فكانوا يمثلون ٩% من يحوزون خمسة أفدنة-، ٣% من يحوزون ٧ أفدنة-، ٢% من يحوزون تسعة أفدنة فأكثر، أي أن من يزيد دخلهم السنوي عن ١٥٠٠٠٠ جنيه كانوا يمثلون ١٤% من عينة أصحاب العمل في نشاط البردي، ويعكس كل ذلك أهمية حرفة ورق البردي في صناعة رأس المال خاصةً مع أصحاب العمل.

جدول (٢٠) أصحاب العمل: الحيازة الزراعية، وعدد أفراد الأسرة، والدخل الشهري، والحرفة

ف / الحرفة	الحالة الاقتصادية للأسرة			عدد أفراد الأسرة			الدخل الشهري للأسرة بالجنيه		
	ف	ك	%	ف	ك	%	ف	ك	%
البردي	لا توجد حيازة	-	-	١	-	-	أقل من ١٠٠٠٠	٩	٤,٣
	أقل من فدان	٢٢	١٠,٦	٢	٧	٣,٤	١٠٠٠٠ -	٣٠	١٤,٤
	١ فدان -	٨٤	٤٠,٤	٣	٢٣	١١,١	١٥٠٠٠ -	٤٠	١٩,٢١
	٣ فدان -	٧٣	٣٥	٤	٦٧	٣٢,٢	٢٠٠٠٠ -	٤١	٩,٧
	٥ فدان -	١٩	٩	٥	٧٩	٣٨	٢٥٠٠٠ -	٣٥	١٦,٩
	٧ فدان -	٦	٣	٦	٣٢	١٥,٣	٣٠٠٠٠ -	٢٩	١٤
	٩ فدان +	٤	٢	+٧	-	-	٣٥٠٠٠ +	٢٤	١١,٥
	الجملة	٢٠٨	١٠٠		٢٠٨	١٠٠		٢٠٨	١٠٠
النخيل	لا توجد حيازة	٦	٢	١	-	-	أقل من ١٠٠٠٠	٤	١,٧
	أقل من فدان	٢٣٠	٩٠	٢	١٢	٤,٦	١٠٠٠٠ -	١٢٢	٤٧,٦
	١ فدان -	١٥	٦	٣	٤٠	١٥,٦	١٥٠٠٠ -	١٢٠	٤٦,٨
	٣ فدان -	٥	٢	٤	١٧٥	٦٨,٣	٢٠٠٠٠ -	٢	٠,٨
	٥ فدان -	-	-	٥	٢٠	٧,٨	٢٥٠٠٠ -	١	٠,٤
	٧ فدان -	-	-	٦	٥	٢	٣٠٠٠٠ -	١	٠,٤
	٩ فدان +	-	-	+ ٧	٤	١,٧	٣٥٠٠٠ +	٦	٢,٣
	الجملة	٢٥٦	١٠٠		٢٥٦	١٠٠		٢٥٦	١٠٠
القطن	لا توجد حيازة	-	-	١	-	-	أقل من ١٠٠٠٠	-	-
	أقل من فدان	-	-	٢	-	-	١٠٠٠٠ -	-	-
	١ فدان -	٥	١٧,٩	٣	-	-	١٥٠٠٠ -	-	-
	٣ فدان -	١٠	٣٥,٧	٤	-	-	٢٠٠٠٠ -	-	-
	٥ فدان -	٨	٢٨,٥	٥	٦	٢١,٤	٢٥٠٠٠ -	-	-
	٧ فدان -	٥	١٧,٩	٦	١٠	٣٥,٧	٣٠٠٠٠ -	٨	٢٨,٥
	٩ فدان +	-	-	٧	١٢	٤٢,٩	٣٥٠٠٠ +	٢٠	٧١,٥
	الجملة	٢٨	١٠٠		٢٨	١٠٠		٢٨	١٠٠

ويرى الباحث أن عدد أفراد الأسرة، يوضح أن النسبة الأكبر من العينة وبنسبة ٨١,٣% من العينة كانت أسرهم تتكون من ٣ – ٥ أفراد، وقد يعني ذلك أن توريث المهنة سوف يكون بشكل كبير مما يؤكد استمرار حرفة البردي وعدم انقراضها، لأن أصحاب العمل خلفهم ورثة سيرثون النشاط الذي نجح فيه الآباء وحقق لهم رأس المال المتميز، أما من كانوا يعيشون في أسر تتكون من أقل من ٣ أفراد أو أسر تزيد عن خمسة أفراد يمثلون جميعاً ١٨,٧% أي أقل من خمس العينة. ويعكس متوسط الدخل الشهري أوضاع أصحاب العمل في البردي، حيث من كان دخلهم الشهري من أصحاب العمل يقل عن عشرة آلاف جنيه كانوا أقل نسبة ولم يتجاوزوا ٤,٣% من أصحاب العمل ويعني هذا أن ٩٥,٧% من أصحاب العمل يزيد ما يحققونه من رأسمال شهري من العمل في البردي عن عشرة آلاف جنيه، وكانت نسبة من يحققون ١٠٠٠٠ : أقل من ١٥٠٠٠ جنيه شهرياً، يمثلون ١٤,٤% واقتربت من تلك النسبة نسبة من يحققون ٣٠٠٠٠ شهرياً حيث كانوا ١٤% أيضاً، أما من حققوا صناعة رأس مال تقدر بحوالي من ١٥ إلى ٢٠ ألف جنيه شهرياً فكانوا ١٩,٢% للأولى و ١٩,٧% للثانية، وانخفضت نسبة من يحققون ٢٥٠٠٠ جنية شهرياً إلى ١٦,٩% وانخفضت أكثر نسبة من يحققون ٣٥٠٠٠ فأكثر شهرياً، لكن ينظر إلى كل ذلك على أنه نجاح واضح وكبير في صناعة رأس المال يحققه أصحاب العمل في نشاط البردي مما يؤدي إلى استمرار الحرفة وتوريثها للأجيال اللاحقة، ويوضح الدور المتميز للحرفة في مواجهة الأوضاع الاقتصادية الصعبة.

تبين في (جدول ٢٠) أن نسبة ٩٨% من أصحاب النشاط في حرفة منتجات النخيل ومخلفات النخيل لهم حيازة زراعية، ويرجع ذلك بالتأكيد إلى كونهم من الفلاحين الذين يمارسون النشاط الحرفي بفضل ما يوجد بحيازاتهم من نخيل يتم استثمار إنتاجه ومخلفاته، لكن تباينت مساحات الحيازة، حيث من كانوا يحوزون أقل من فدان كانوا الأغلبية وبنسبة ٩٠%، بمعنى أنه مع وجود حيازات إلا أنها كانت قزمية، ولا يعني وجود الحيازة حالة من الثراء والغنى خاصةً إذا كانت الحيازات صغيرة كحالة أصحاب النشاط في النخيل، أما من كانت حيازاتهم فداناً

فكانوا يمثلون ٦% فقط وهم قلة كذلك، وأقل منهم من يحوزون ٣ أفدنة، حيث لم يتجاوزوا نسبة ٢%، وكل ذلك يؤكد أن الحالة الاقتصادية لأصحاب النشاط في النخيل لم تكن بأي شكل جيدة بل كانت ضعيفة، بما يعني أنها تنتمي لحالة تكيف مع الفقر ولا تنتمي جميعها لحالة صناعة رأس المال، باستثناء أصحاب النشاط في الكرينة فجميعهم ينتمون إلى صناعة رأس المال بشكل وبكميات كبيرة، أما حالات صناعة رأس المال في باقي حرف منتجات ومخلفات النخيل فكانت متواضعة، وصناعة رأس مال من أجل البقاء على قيد الحياة، والتكيف مع الفقر.

وجاء عدد أفراد الأسرة ليدعم هذه الرؤية، حيث كانت النسبة الأعلى لمن يبلغ عدد أفراد الأسرة عندهم ٤ أفراد وكانت نسبتهم ٦٨,٣% من العينة، يليهم من كان عدد أفراد الأسرة ٣ أفراد نسبتهم ١٥,٦% من العينة، وقد يعني هذا أن الدخل الذي يتحقق من النشاط إنما يتم توجيهه لتلبية متطلبات أعضاء الأسرة، حيث بذلك معدلات الإعالة مرتفعة مما يزيد من الأعباء على أصحاب النشاط، خاصةً إذا علمنا أن ٤٩,٣% من العينة كان دخل الأسرة الشهري لهم يقل عن ٤٠٠ جنيه، وأن ٩٦,١% من العينة يقل دخل أسرهم عن ٦٠٠ جنيه شهرياً، وهذا يعني أن ما يتحقق من دخل شهري من النشاط ليس بالكبير ولا بالكافي للأسر، خاصةً إذا كان من كان دخلهم ٦٠٠ جنيه شهرياً لم يتجاوزوا ٠,٦%، ومن كان دخلهم ٨٠٠ جنيه شهرياً ٠,٤% ومثلهم من كان دخلهم ١٠٠٠ جنيه شهرياً، أما من زاد دخلهم عن ١٢٠٠ جنيه شهرياً فكانوا ٢,٣% وهم يمثلون أصحاب حرفة الكرينة الأعلى عائداً وسعراً.

جاء في (جدول ٢٠) ما يؤكد تحسن الحالة الاقتصادية لأصحاب العمل في حرفة حلج القطن، حيث لم يكن بينهم من ليست له حيازة، حيث من كانت حيازتهم (فدان) يمثلون ١٧,٩% من إجمالي أصحاب النشاط، ومن كانت حيازتهم (٣ فدان) يمثلون ٣٥,٧% أما من كانت حيازتهم (خمسة أفدنة) فكانوا يمثلون ٢٨,٥%، ومن يحوزون ٧ أفدنة فأكثر ١٧,٩%، وهكذا جميع أصحاب العمل لهم حيازات زراعية، ومتى كان جميع الفلاحين لهم حيازات زراعية؟ هذا أمر يمكن

إرجاعه فقط إلى العمل في حرفة حلج القطن التي تدر عائداً كبيراً يجعل كل صاحب نشاط يتحول إلى حائز للأرض الزراعية كي يقوم بزراعتها قطناً لتزيد من الدخل الذي يحصل عليه أصحاب النشاط. ليس هذا فقط بل إن معنى امتلاك مشروع حرفي لحلج القطن أصبح يعني امتلاك حيازة زراعية، لذا يتطلع الجميع إلى امتلاك مشروع حلج قطن.

ويلاحظ أن ١٠٠% من أصحاب النشاط في حلج القطن تتكون أسرة كل منهم من خمسة أفراد فأكثر، حيث يستثمرون معظم أفراد الأسرة القادرين على العطاء في مجال حلج القطن، وإذا كان من تتكون أسرهم من خمسة أشخاص يمثلون ٢١,٤% فإن من كانت أسرة كل منهم ٦ أفراد يمثلون ٣٥,٧%، أما من كان عدد أفراد الأسرة عندهم ٧ فأكثر فكانوا هم الأغلبية وبنسبة ٤٢,٩%، أما الدخل الشهري لكل من أسر هؤلاء أصحاب النشاط فكان ٣٠٠٠٠ جنيه شهرياً عند ٢٨,٥% من أصحاب النشاط، أي بواقع ١٠٠٠ جنيه يومياً، وهم أولئك الذين يمتلكون دولاباً واحداً للإنتاج (ماكينة حلج قطن صغيرة)، حيث دخلها اليومي (ربح) ١٠٠٠ جنيه، أما من كان دخلهم الشهري ٣٥٠٠٠ جنيه فأكثر، فكانوا هم الأغلبية ويمثلون ٧١,٥% من إجمالي أصحاب العمل في حرفة حلج القطن، وهؤلاء هم من لديهم أكثر من ماكينة حلج صغيرة أو من لديهم الماكينة الكبيرة التي يطلق عليها اسم "العفريتة" التي توفر ربحاً يومياً يفوق ٢٠٠٠ جنيه في اليوم، وهكذا يتضح أن أغلب أصحاب النشاط لهم دخل شهري ٣٠٠٠٠ جنيه وزيادة، وأن لمعظمهم أو جميعهم أسر عدد أفراد كل منها خمسة أفراد فأكثر، وأيضاً لجميعهم حيازة زراعية، أي أن العمل في حرفة حلج القطن كأصحاب نشاط إنما يؤدي إلى مزيد من رأس المال، لكنه ناتج عن استثمار رأس مال كان موجوداً بالفعل لكنه صغير تم استثماره بشراء ماكينة وكمية قطن فحققت ربحاً يومياً ١٠٠٠ جنيه بواقع ٥٠٠ جنيه للوردية النهارية ومثلها للمسائية وبذلك حرفة حلج القطن تستثمر رأس المال ولا تصنعه مثل الحرفتين السابقتين.

٧- استفادة صاحب العمل من الحرفة:

تعكس أنماط استفادة صاحب العمل من حرفة البردي أهم ما يحققه النشاط في البردي من أهداف لأصحاب النشاط، حيث جاءت رؤى أصحاب النشاط موضحة أن نسبة ١٤,٤% منهم استفادوا من عائد النشاط في توسيع النشاط، أي فتح ورش جديدة تطلعاً لتحقيق المزيد من صناعة رأس المال (جدول ٢١)، أما من رأوا أن البردي أفادهم في بناء منزل حديث فلم يتجاوزوا ٥,٧%، لكن من حقق شراء أرض زراعية لتوسيع النشاط أيضاً فكانوا ٩,١%، وبالطبع تطلع هؤلاء لتوسيع حيازاتهم للحصول على مزيد من نبات البردي الذي يتم تصنيعه إلى ورق بردي وبالتالي يؤدي إلى مزيد من صناعة رأس المال الذي يمثل أحد أهم أسباب ممارسة النشاط في البردي. ويؤكد ذلك ما جاء في قول بعض المبحوثين أنهم استفادوا من حرفة البردي في شكل "تحسن مالي" حيث كانت نسبتهم هي أعلى نسبة ووصلت إلى ٦٤,٨% من العينة وهم الذين يرون أن البردي قد أدى إلى تحسن مالي بمعنى صناعة رأس مال من خلال استثمار الأرض وقوة العمل ووقت صاحب العمل الذي نجح في تحويل كل ذلك إلى رأس مال يواجه به الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الريف المصري عقب الخصخصة والتكيف الهيكلي. وقد رأى البعض وبنسبة ٥٤% أن الاستفادة من نشاط البردي تتمثل في "دخول عملة صعبة لمصر" وذلك نظراً لارتباط تجارة البردي بالسياحة. وهكذا يمكن القول أن أصحاب العمل في حرفة البردي قد تمكنوا من صناعة رأس المال، وذلك من خلال تفعيل المساحة الزراعية التي كانت لا تدر عائداً يزيد عن ثلاثة آلاف جنيه أو خمسة على الأكثر سنوياً، لتدر عائداً سنوياً يصل إلى خمسين ألف جنيه سنوياً، هذا هو أسلوب صناعة رأس المال، أي إيجاد مال بأساليب لم تكن معروفة قبل ذلك حيث تم إيجاد ٤٥٠٠٠ جنيه زيادة في كل فدان أرض زراعية كان يحوزه الفلاح، من أين أتى هذا المبلغ الزائد؟ وماذا يمثل. أتى من تعديل دور الأرض في صناعة رأس المال. وأتى من استثمار جهد ووقت الفلاح بشكل جديد وفكر جديد، ومثل كل ذلك صناعة رأس المال الذي تتميز حرفة البردي بإجادة

صناعته وتحقيقه بمعدلات فائقة، ويبشر المستقبل باستمرارها مادامت السياحة مستمرة.

جدول (٢١) أصحاب العمل: استفادة صاحب العمل من الحرفة، والحرفة

الحرفة / الاستفادة	البردي		النخيل		القطن		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
توسيع النشاط	٣٠	١٤,٤	–	–	٨	٢٨,٦	٣٨	٧,٧
بناء منزل حديث	١٢	٥,٧	–	–	٥	١٧,٩	١٧	٣,٤
شراء أرض زراعية	١٩	٩,١	٥	٢	٤	١٤,٣	٢٨	٥,٧
تعليم الأبناء(كويس)	٢	١,٠	٧٢	٢٨	١	٣,٥	٧٥	١٥,١
الاعتماد على النفس	٢	١,٠	٢٥	١٠	–	–	٢٧	٥,٤٦
تحسن مالي	١٣٥	٦٤,٨	١٥٤	٦٠	١٠	٣٥,٧	٢٩٩	١,٧
دخول العملة الصعبة لمصر	٨	٤,٠	–	–	–	–	٨	١
المجموع	٢٠٨	١٠٠	٢٥٦	١٠٠	٢٨	١٠٠	٤٩٢	١٠٠

ينظر أصحاب النشاط إلي حرفة منتجات ومخلفات النخيل إلي أنها تؤدي إلي تحسن مالي في أوضاعهم حيث يري ذلك بنسبة ٦٠% من أصحاب العمل، وهذا مؤكد لأنهم ينجحون بأنفسهم وجهدهم ومن حقلهم وكان إنفاقهم علي المواد الخام غير قائم وإن وُجد فيكون علي أضيق نطاق، لذا فالحقيقة أن العمل بهذه الحرفة يؤدي إلي تحسن مالي كما جاء في (جدول ٢١)، أما من استثمر العائد من حرفته في تعليم الأبناء في المدارس والجامعات فكانت نسبتهم ٢٨% وهي المجموعة التي رأت أن الاستثمار في الأبناء هو أفضل أنواع الاستثمار، وتطلعوا إلي أن تتحسن أوضاع الأبناء عن أوضاع الآباء، يلي ذلك من رأوا أن حرفة منتجات ومخلفات النخيل قد علمتهم وعودتهم علي الاعتماد علي النفس بدلا من ان يكونوا عالة علي

الآخرين الذين يبدو أنهم لن يوجدوا في ظل الخصخصة والتكيف الهيكلي الذي أثر في المجتمع الريفي بالسلب فلم يجعل لأحد القدرة علي مساعدة أحد فالجميع يحاول إنقاذ نفسه من براثن الفقر وتم تمثيل هؤلاء بنسبة ١٠% من العينة، أما من استفادوا بشكل كبير من الحرفة فكانوا يمثلون ٢% فقط حيث أمكنهم شراء أرض زراعية من ناتج عملهم في حرفة منتجات ومخلفات النخيل وبالتأكيد هم من أجادوا صناعة رأس المال من الحرفة ويبدو أنهم أصحاب حرفة الكرينة علي وجه الخصوص وبذلك يمكن القول أن حرفة منتجات ومخلفات النخيل تمثل حالة من الإبقاء علي قيد الحياة، والتكيف مع الفقر بالنسبة للعمالة ولكثير من أصحاب العمل وتمثل حالة من صناعة رأس المال بشكل واضح وكبير مع أصحاب العمل في الكرينة خاصة.

وتعكس مؤشرات استفادة أصحاب العمل من حرفة حلج القطن الآثار الاقتصادية التي تحققت لأصحاب العمل من النشاط، حيث من أجابوا بأن استفادتهم تمثلت في تحسن مالي كانوا ٣٥,٧% من العينة، ويعني هذا أنهم كان لديهم أموالاً فيما سبق لكن ممارسة النشاط أدت إلى تحسينها، ويليهم في النسبة من قالوا أنهم استفادوا من الحرفة في "توسيع النشاط" حيث كانت نسبتهم ٢٨,٦% انظر (جدول ٢١)، وبذلك من حققوا تحسناً مالياً وتوسعاً في النشاط يمثلون معاً ٦٤,٣% وهم أولئك الذين زادت استثماراتهم بشكل ملحوظ نتيجة امتلاكهم نشاطاً في حلج القطن، أما من استفاد من النشاط في "بناء منزل حديث" فكانوا ١٧,٩% وهي نسبة كبيرة تعكس ما يتحقق من تحسن مالي نتيجة العمل في حلج القطن خاصةً وأن عمليات بناء مساكن مكلفة مادياً بشكل واضح، ثم نجد استفادوا بشراء أرض زراعية يمثلون ١٤,٣%، أما يمثل هذا أمام سكان القرية جميعاً عاملاً جاذباً لممارسة النشاط في حلج القطن مهما كانت المخاطر التي من الممكن أن يسببها من صدام مع الشرطة والقانون؟ خاصةً من يمارس النشاط كصاحب عمل ينظر إلى الجميع على أنه في طريقه إلى القمة، فالجميع يتسابقون للوصول إليها لذا كان النشاط على درجة كبيرة من الانتشار في القرية.



نتائج البحث

نتائج البحث

مقدمة

يمثل هذا البحث المرحلة الوصفية التحليلية لبحث أنجزت مرحلته الاستطلاعية في الفترة من صيف ٢٠٠٢ حتي صيف ٢٠٠٣، وتم نشره في " المؤتمر الرابع لتنمية الريف المصري"بجامعة المنوفية عام ٢٠٠٣، تحت عنوان:" الحرف التقليدية وتنمية القرية المصرية: دراسة ميدانية في محافظة الشرقية ". ورأيت أن يُستكمل بمرحلة لبحث وصفي تحليلي، فكان هذا البحث الذي أجريت دراسته الميدانية في الفترة من يناير ٢٠٠٤ حتي مارس ٢٠٠٥، حيث تم تطوير العنوان إلي: " الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال". وألقي في المؤتمر السنوي لقسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة في ٢٠٠٥/٥/٣، وفيه حاول الباحث وصف وتحليل التأثيرات السلبية للعولمة وآثارها والتكيف الهيكلي على الريف المصري، وما نتج عن ذلك من تحولات اجتماعية واقتصادية أدت إلي انتشار ظاهرة الإفقار الريفي في مصر، وما تبع ذلك من محاولات للفلاحين من أجل مواجهة هذا الإفقار أو التكيف مع الفقر بوسائل عديدة كان من بينها تحولهم إلي حرفيين في بعض الحرف التقليدية في قراهم، كي يتمكنوا من التكيف مع الفقر، أو يتمكن بعضهم من صناعة رأس المال. وكانت نظرية التبعية وما تبعها من نظريات حذت حذوها وسارت على هداها، هي الموجه النظري للباحث، ومن هنا يعرض الباحث لنتائج بحثه في ارتباطها بمحاور أربعة أساسية هي:

أولا: نتائج البحث في ضوء الإطار النظري.

ثانيا: نتائج البحث في ضوء الدراسات السابقة.

ثالثا: نتائج البحث في ضوء خصوصية مجتمع البحث.

رابعا: نتائج البحث في ضوء الحرف الثلاث مجال البحث.

أولا: نتائج البحث في ضوء الإطار النظري.

١- أدى ارتباط مصر بالرأسمالية العالمية، من خلال علاقات التبعية، بسبب العوامل الخارجية والداخلية معاً إلي تحولات اجتماعية واقتصادية، أدت إلي تشوية الاقتصاد الريفي، وإفقار الفلاحين، وطردهم من أراضيهم، فزادة معاناتهم، وزاد فقرهم، فتطلعوا إلي أساليب واستراتيجيات لمواجهة الفقر والتكيف معه، وكان من بينها تحول الفلاحين في مجتمعات البحث إلي حرفيين بشكل كامل. وذلك بهجر الزراعة والعمل بالحرف فقط، أو جزئي، وذلك بالجمع بين العمل بالزراعة والحرف في ذات الوقت والمكان، أو العمل بأحدهما في مكان وبالآخر في مكان آخر.

٢- تبين من الدراسة الميدانية، انطلاقا من نظرية النظم العالمية، أن مجتمعات الحرفيين الريفيين يتعايش فيها كل من الفقر والغني معاً، حيث مثلت العمالة الحرفية الفقر، ومثل أصحاب النشاط الحرفي الغني، ومن هنا كان هدف العاملة الحرفية هو التكيف مع الفقر، وتمثل هدف أصحاب النشاط الحرفي في صناعة رأس المال، وهناك تفاعل اجتماعي واضح بين الفقراء والأغنياء في مجتمعات البحث.

٣- توصلت الدراسة الميدانية انطلاقا من نظرية رأس المال البشري إلي أن الحرف التقليدية تمثل حالة من الاستثمار في رأس المال البشري، من خلال التدريب الذي يتلقاه الحرفيون حتي يكتسبوا المهارات الحرفية، ويتحولوا إلي حرفيين قادرين على الإنجاز الحرفي، وتقاضي الأجور، بالإضافة إلي أن أغلبهم ينتمي إلي مراحل تعليمية متباينة، حيث يمثل التعليم أحد روافد الاستثمار البشري، بالإضافة إلي الرعاية الصحية، التي أصبحت متاحة وميسرة، بسبب ما تيسر من أجور يتقاضاها الحرفيون من العمل بالحرف التقليدية.

٤- أكدت الدراسة الميدانية صدق نظرية الصياغة البنائية، حينما ركزت على أهمية العلاقات الزمانية المكانية وتأثيراتها في الممارسات الاجتماعية الملاحظة، حيث تبين أن التاريخ والجغرافيا لعبا دوراً واضحاً فيما آلت إليه أوضاع الحرفيين في مجتمعات الدراسة، حيث مثل التاريخ الزمان الذي بدأ فيه التغلغل الرأسمالي والاستنزاف والتبعية، ومثلت الجغرافيا المكان، وهو المحيط في علاقته بالمركز، أي علاقة المركز الرأسمالي العالمي بالريف في الدول النامية عامة، وفي مصر خاصة، وفي مجتمعات الدراسة بأكثر خصوصية، وكيف لعب المكان دوراً واضحاً مثل الذي لعبه الزمان فيما وصل إليه حال الفلاحين الذين تحولوا إلي حرفيين الآن.

٥- تمكن الحرفيون من التكيف مع الفقر باحترافهم للحرف التقليدية بمجتمعات البحث، كما تمكن أصحاب النشاط الحرفي من صناعة رأس المال.

٦- أجر جميع العمال في الحرف الثلاث يدور بين ثمان جنيهات أو عشرة جنيهات في اليوم، مع زيادة طفيفة أو نقصان متواضع.

٧- لا يوجد مهن أخرى لأغلبية العاملين في حرفتي البردي والنخيل، أما حرفة القطن فيوجد للعمالة فيها مهن أخرى.

٨- معظم العمالة في الحرف الثلاث كان سبب عملها الحرفي هو أن تدبر احتياجاتها للطعام كسبب رئيسي، أي أن تلك الحرف كانت تمثل محاولة للبقاء علي قيد الحياة، وتكيف مع الفقر خاصة بالنسبة للعمالة في الحرف الثلاث.

٩- جميع العمالة الحرف الثلاث لديها دجاج، ولا تملك مناحل، أو إبل، أو جاموس، وندرة تملك أبقاراً، وهناك بعض البط والأوز.

١٠- معظم العمالة في الحرف الثلاث ليست لها حيازة زراعية، وأن وُجدت حيازات زراعية فمساحاتها قزمية، ويغلب علي أسر العمالة في الحرف الثلاث كونها تتكون من سبعة أشخاص فأكثر، ويغلب علي دخل الأسرة الشهري كونه ينتمي إلى فئة ثلاثمائة جنيهاً شهرياً وهكذا الحرفيون في الحرف الثلاث فقراء، وظروفهم المادية صعبة.

١١- تنتمي أغلبية العمالة في الحرف الثلاث في فئتي الفقراء جداً والفقراء، ولا يمكنهم الإنفاق بدون الحرفة، أي أن الحرفة محاولة للبقاء علي قيد الحياة والتكيف مع الفقر.

١٢- يهتم معظم أصحاب العمل بتعليم الحرفة لأبنائهم وتوريثهم إياها، مما قد يعني أن الحرف تمثل صناعة رأس مال متواصل لأصحاب النشاط، فيحاولون تعليم أبنائهم النشاط لتستمر صناعة وحصاد رأس المال.

١٣- أغلب أصحاب العمل في البردي يزيد دخل أسرة كل منهم عن ١٥ إلى ٢٠ ألف جنيه في الشهر، والقطن يزيد الدخل الشهري لأسرة صاحب النشاط فيصبح من ٣٠ إلى ٣٥ ألف جنيه شهرياً أما النخيل فيتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٤٠٠ جنيه شهرياً لأسرة صاحب العمل.

١٤- تمثل حرفة البردي صناعة رأس المال لأصحاب العمل، وكذلك حرفة منتجات ومخلفات النخيل خاصةً حرفة صناعة الكرينة، أما حرفة حلج القطن فهي حرفة لاستثمار رأس المال وزيادته خاصةً لأصحاب العمل. والخلاصة أن الحرف الثلاث تصنع رأس المال لأصحاب العمل فيها وتمثل تكيفاً مع الفقر للعمالة فيها.

ثانيا: نتائج البحث في ضوء الدراسات السابقة

١- مثّل العمل بالحرف التقليدية في مجتمعات البحث أحد أشكال التكيف مع الفقر الناجم عن إفقار الفلاحين بسبب العوامل الخارجية والعوامل الداخلية التي عرض لها " حسنين كشك" في دراسته " إفقار الفلاحين الآليات وسبل المواجهة"، وكذلك دراسة " محمد عبد النبي " " الفقر في الريف المصري الأبعاد والملامح وأساليب التكيف"، ودراسة "عايدة فؤاد عبد الفتاح " " استراتيجيات مواجهة الفقر في العالم الثالث " وغيرها..،

٢- أكدت الدراسة الميدانية ما أشار إليه " هيرناندودي سوتو " عن قدرة وإمكانية الفقراء علي صناعة رأس المال من موارد متواضعة للغاية مثلما ذكر ذلك في دراسته" سر رأس المال " ، ودراسته " الدرب الآخر. الثورة الخفية في العالم الثالث". ودراسة " ديبا نارايان وآخرون " " أصوات الفقراء صيحة للتغيير " وغيرها من الدراسات.

٣- ركز كتاب " وصف مصر "لعلماء الحملة الفرنسية خاصة " الجزئين الثالث والرابع من الموسوعة " علي وصف للحرف التقليدية في مصر وأماكن انتشارها، ووصف للأداء الحرفي لبعض الحرف، ولذلك قدم الباحث وصفا للأداء الحرفي لثلاث حرف في مجتمعات البحث، ولما كان " صلاح هريدي " في دراسته " الحرف والصناعات في عهد محمد على " قد قدم أسباب تدهور الحرف أثناء الحكم العثماني لمصر ،عندما نقل السلطان سليم الأول العديد من الحرفيين إلي الآستانة حتي عادوا بأوامر من ابنه السلطان سليمان القانوني في أعوام ١٥١٩ – ١٥٢١، وبدأت تزدهر بسبب الاهتمام الذي أولاه محمد علي للحرف، فإن الباحث رأي أن التدهور الذي أصاب الريف المصري بسبب التبعية والتغلغل الرأسمالي، أدي إلي اتجاه الفلاحين إلي الحرف التقليدية كملاذ

ومخرج من حالة الفقر التي يعانون منه، وبالتالي ازدهرت الحرف التقليدية في قري الدراسة.

٤- لما كانت " موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية" الجزء الأول والثاني ، ودراسة " اعتماد علام " " الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير" قد قدمت وصفاً تحليلياً متميزاً للحرف والحرفيين ومشاهيرهم في مدينة القاهرة حيث ركزت الموسوعة على " خرط الخشب " و " التطعيم في الخشب " و "الخيامية " و" المصاغ الشعبي " و" الفخار والخزف " و " والزجاج المعشق " و " النسيج "و" الأزياء الشعبية " ، وركزت دراسة " اعتماد علام " على " دبل البخت" و " وابور الجاز" و " المشغولات النحاسية " و " النقش على المعادن بالحفر " و "النقش البارز "، و" خراطة المعادن" ، و" السمكرة البلدي "، و" صناعة الخيام " وصناعة الأحذية " كل ذلك في مدينة القاهرة أيضا ، أما الباحث فقد ركز عل حرف " صناعة ورق البردي " و" منتجات ومخلفات النخيل " بالتركيز على حرفة " مطرحة الخبيز " و " المقشة الليف " ، و"الكرينة من الخوص "، وحرفة " حلج القطن " و " عصر البذرة " ، وكل ذلك في المجتمع الريفي وإن كانت احدي مجتمعات البحث قدتم تحويلها إدارياً إلي رئاسة مدينة وهي القرين .

ثالثا: نتائج البحث في ضوء خصوصية مجتمع البحث

١- لعبت العوامل الإيكولوجية دوراً واضحاً في نوع الحرفة في قرى الدراسة، حيث لما كان القطن يزرع بوفرة في قرية منشأه رضوان والقرى المجاورة، ظهرت حرفة حلج القطن وعصير بذرته، وقد يرجع السبب في ذلك أيضاً إلى موضع القرية وموقعها البعيد عن الطرق المرصوفة المؤدية إلى المدينة، مما يمثل عقبة تعوق الجهات الرقابية والشرطة عن ملاحقة العاملين بتلك الحرفة، لما تسببه من آثار سلبية علي بذور القطن وجهود مراكز البحث العلمي، بالإضافة إلى تحويل كميات من القطن إلى طريق غير الذي كانت الدولة تؤمل أن يمر به، ناهيك عن سرقة التيار الكهربي والتهرب الضريبي.

٢- كان وجود أحد فروع نهر النيل في قرية القراموص بالشرقية عاملاً بيئياً محورياً لزراعة وصناعة ورق البردي الذي يحتاج إلى كميات وفيرة ودائمة من المياه قد لا تتاح للكثير من القرى الأخرى.

٣- أدى انتشار النخيل في بيئة قرية القُرين "قرية المليون نخلة" إلى ازدهار حرفة منتجات ومخلفات النخيل، وكذلك توارث الحرفة عبر الأجيال لعب دوراً واضحاً في استمرارها وكذلك مؤشراً علي عدم اختفائها.

رابعا: نتائج البحث في ضوء الحرف الثلاث:

١- تتوزع الحرف الثلاث حسب مواقع مجتمعاتها علي القوس الشرقي الشمالي الغربي لمحافظة الشرقية ويبعد موقع كل واحدة منهم عن مدينة الزقازيق عاصمة المحافظة بمسافة تتراوح بين ٣٠ / ٤٠ كم.

٢- أدت التحولات الاجتماعية والاقتصادية في قري الدراسة إلى تراجع النشاط الزراعي وازدهار أنشطة جديدة، منها إحياء النشاط الحرفي التقليدي.

٣- مثلت حرفة حلج القطن وعصير بذرته في منازل الفلاحين حرفة استثمارية رأسمالية ،يستثمر فيها بعض الفلاحين رؤوس الأموال الخاصة بهم، من أجل تحقيق المزيد من الأرباح والمكاسب الخاصة، ولو علي حساب الدولة والاقتصاد القومي، وتدمير جهود مراكز بحوث وزارة الزراعة، بل وسرقة التيار الكهربي بالقرية والتهرب الضريبي أيضاً.

٤- احترف الفلاحون حرفة صناعة ورق البردي، وهي حرفة لصناعة رأس المال، في إحدى قري الدراسة، حيث لا يستثمر فيها الفلاحون رؤوس أموال، بل يستثمرون جهدهم ووقتهم فقط بمساعدة أرضهم التي يزرعونها بشتلات البردي، التي يعيرونها أو يهدونها لبعضهم البعض بدون مقابل مادي، ثم تنمو تلك الشتلات في شكل نباتات ليجمعها الفلاحون ويحولونها بأنفسهم وأولادهم إلى ورق بردي يباع بالعملات الأجنبية والمحلية، مما يعود علي الفلاحين برؤوس أموال تتزايد باستمرار حتى أن فلاحي تلك القرية يتعاملون مع بعضهم باليورو، والدولار، والإسترليني، وغير ذلك.

٥- أما حرفة صناعة منتجات ومخلفات النخيل، فهي حرفة تقليدية بإحدى قرى الدراسة والتي يطلق عليها "قرية المليون نخلة" فهي حرفة تمثل صناعة رأس المال؛ حيث ما كان يمكن أن يلوث البيئة من مخلفات النخيل، تم تصنيعه إلى أقفاص ومقشات وحبال وسلال، وغير ذلك، وبواسطتها تم الحصول علي رأس المال خاصة مع حرفة الكرينة وكذلك من البلح والعجوة يحصل الفلاح علي رأس المال، وهكذا تمثل حرفتا ورق البردي ومنتجات ومخلفات النخيل صناعة

رأس المال في الريف، أما حرفة حلج القطن وعصير البذرة فتمثل استثماراً فى رأس المال.

٦- الحرف الثلاث مجتمعة تمثل حرفاً للتكيف مع الفقر؛ خاصة العاملين فيها من غير مالكيها وهم فقراء قرى الدراسة أو القرى المحيطة والذين أثرت فيهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية في الريف تأثيرات سلبية أدت إلى إفقارهم، فلجأوا إلى العمل لدي الغير في تلك الحرف كمحاولة منهم للتكيف مع الفقر الذي يعيشونه.

٧- إذا وضعنا الحرف الثلاث في هرم طبقي، فإن قاعدته سوف تكون حرفة منتجات ومخلفات النخيل والعاملين فيها، وأوسطه سوف يكون حرفة حلج القطن وعصير بذرته والعاملين فيها، وقمته سوف تكون حرفة صناعة ورق البردي والعاملين فيها، لكن اللافت للنظر أن العاملين لدي الغير بأجر في الحرف الثلاث يمكن التفرقة بينهم أيضا، حيث إن العاملين في حرفة القطن من الذكور فقط العُزب والمتزوجين، ويغلب عليهم الأمية، ولهم علاقات بالجريمة كما تكشف عن ذلك الجداريات في ورش النشاط، أما العاملون بالبردي فهم من الإناث فقط العُزب غير المتزوجات باستثناء أصحاب النشاط من الذكور وزوجاتهم، ولا نجد ذكوراً يعملون لدى الغير بأجر في حرفة البردي، وهي الحرفة التي تتمتع العاملات فيها بدرجات متفاوتة من التعليم، وتكاد تختفي بينهن الأمية، أما مهنة منتجات ومخلفات النخيل فيعمل فيها كل من الذكور والإناث وفي كل الفئات العمرية القادرة على العمل، والعُزب والمتزوجين بالتساوي تقريباً، هناك تقسيم عمل واضح في هذه الحرفة يتناسب والخصائص النوعية Gender، ويوجد في هذه الحرفة أيضاً الأميون والمتعلمون على السواء.

٨- تتداخل الوحدة المعيشية مع المنشأة كما في حرفة حلج القطن وعصير البذرة، حيث يتم تحوير إحدى الغرف أو الحظائر خاصةً التي لا تربطها علاقة مباشرة بمدخل المنزل إلى ورشة لمزاولة النشاط، لأن الشرطة والسلطات تقاوم هذه الحرفة، فهي تمارس في أماكن سرية حتى بين المزارع وأحياناً بين المقابر من خلال سحب سلك كهربائي إلى مسافة معينة لتشغيل "دولاب" ماكينة الحلج. أما في صناعة البردي فهي ملحقة بجوار المنزل أو في المنزل القديم قبل ممارسة النشاط حيث يتم الاحتفاظ به والتوسع في غيره والإبقاء عليه كورشة يطلقون عليها اسم مصنع ولو كانت حجرة واحدة للوجاهة الاجتماعية حتى يقال عنده مصنع بردي أو مصنعين وهكذا "وأحياناً تُقام ورش بجوار منزل صاحب النشاط وهي في الغالب من الطوب الجيري وسقفها من الأعشاب الخفيفة وجذوع الأشجار. أما حرفة منتجات ومخلفات النخيل فبعضها يمارس داخل أو فوق المنزل خاصة صناعات تجفيف البلح والعجوة وصناعات الحبال والمقشات والسلال، أما حرفة القفاصين وكل ما يصنع من الجريد الذي يتجاوز أطواله ٣,٥ متر تقريباً، فتمارس أمام المنزل في الشارع أو خلف المنزل أو بجواره أو في الأجران، كما أن أسطح المنازل تُستخدم في تجفيف البلح والعجوة، مثلما تُستخدم الأسطح أيضاً في تجفيف وإخفاء ألواح الكرتون الماص للمياه أثناء عمليات كبس ورق البردي إخفاء عن أعين مأموري الضرائب في مهنة البردي لأنه دليل على استمرارية ممارسة الحرفة بدرجة كبيرة.

٩- يغلب علي العمالة في حرفة البردي الإناث مع ندرة من الذكور، والعكس في العمالة في حرفة النخيل، أما حرفة حلج القطن فهي ذكورية فقط ولا وجود للإناث فيها، باستثناء ابنة أو زوجة صاحب النشاط.

١٠- أغلب العمالة في الحرف الثلاث ينتمون إلي الفئة العمرية من ١٠ إلى ٢٠ سنة.

١١- يغلب على العمالة في حرفتي البردي والنخيل كونهم من الحاصلين علي دبلوم المدارس الفنية، أما حرفة حلج القطن فيغلب علي عمالتها التعليم الأساسي الابتدائي والإعدادي.

١٢- كان العُزب أغلبية في حرفتي البردي والنخيل أما حلج القطن فالأغلبية دون سن الزواج.

١٣- العمالة في حرفتي البردي والنخيل أغلبها دائمة، أما حرفة حلج القطن فأغلبها مؤقتة.

١٤- أغلب العمالة في حرفتي البردي وحلج القطن مؤجرة، أما أغلب العمالة في حرفة النخيل عائلية.

١٥- يغلب علي العمالة في الحرف الثلاث جميعاً كونهم من داخل القرية.

١٦- لا تحتاج الحرف الثلاث إلى سنوات خبرة تزيد عن خمس سنوات في أكثرها وهى حرفة النخيل، أما حرفتي البردي وحلج القطن فيكفي سنة واحدة خبرة لممارسة النشاط وإجادته لدى العمالة.

١٧- أغلب أصحاب العمل في حرفتي البردي والنخيل من الذكور، أما حرفة القطن فجميعها من الذكور.

١٨- يغلب علي أصحاب العمل في حرفة البردي كونهم في الفئة العمرية ٢٠ - ٣٠ سنة أما النخيل فأغلبهم في الفئة ٤٠ - ٥٠ سنة، والقطن منتشر امتلاك نشاطه بين جميع الفئات العمرية من ٢٠ - ٥٠ سنة.

١٩- الحالة التعليمية لأصحاب النشاط يغلب عليها الدبلوم الفني والمؤهل الجامعي لأصحاب النشاط في البردي والقطن، ويغلب عليها الأميون في حرفة النخيل.

٢٠- يغلب علي أصحاب النشاط في الحرف الثلاث كونهم من المتزوجين ثم من العُزب. وينعدم وجود حالات طلاق بين أصحاب الحرف.

٢١- مصدر تعليم الحرفة كان بالتساوي من العائلة ومن خارجها بالنسبة لحرفة البردي، وكان جميعه من العائلة في حرفة النخيل، وأغلبه من خارج العائلة في حرفة حلج القطن.

٢٢- أغلب أصحاب العمل في الحرف الثلاث لهم حيازات زراعية، وأغلب الحيازات بين فدان إلى ثلاثة أفدنة. باستثناء حرفة منتجات ومخلفات النخيل أغلب حيازات أصحاب النشاط هي أقل من فدان.

٢٣- تتكون أسرة صاحب العمل في الغالب من أربعة إلى خمسة أشخاص في حرفتي البردي والنخيل، ومن ستة إلى سبعة أشخاص في حرفة القطن.

٢٤- يغلب على أصحاب العمل في الحرف الثلاث استفادتهم من الحرفة من خلال "التحسن المالي"، يلي ذلك توسيع النشاط في كل من البردي وحلج القطن، أما في حرفة النخيل فكانت الاستفادة الثانية وهي تعليم الأبناء في المدارس والجامعات وتوفير احتياجاتهم للدراسة والتعليم.

٢٥- مثلت الحرف الثلاث أسلوباً ناجحاً للتنمية الاجتماعية المحلية التعاونية، من خلال استثمار الموارد البيئية مهما كانت متواضعة، والموارد المالية الأسرية مهما كانت ضعيفة، ومثلت أيضاً أحد الحلول الشعبية لمشكلة البطالة ولمواجهة الفقر.

توصيات البحث

انطلاقا من نتائج البحث يمكن أن يوصي الباحث بما يلي:

١- إجراء المزيد من البحوث الاستطلاعية والوصفية حول أساليب الفلاحين للتكيف مع الفقر وصناعة رأس المال انطلاقا من خصوصية كل مجتمع ريفي.

٢- رسم خريطة حرفية حديثة للريف المصري يوضح عليها أماكن تركز كل حرفة.

٣- إنجاز خريطة معلوماتية لكل حرفة ريفية على حدة تشمل كل ما يتعلق بالحرفة والحرفيين فيها.

٤- الاستفادة من الأساليب التعاونية للحرفيين فى التنمية ومواجهة الفقر، وتفعيلها فى باقي المجتمعات الريفية حسب ظروف كل مجتمع.

٥- نشر إبداعات الحرفيين الريفيين وأساليبهم لمواجهة الفقر من خلال وسائل الإعلام والجمعيات الأهلية، كي يمثلوا قدوه يقتدي بها من هم فى حاجة إلي مثل ذلك.

٦- توجيه الدعم الفني والفكري والمادي للحرفيين واستثمار خبراتهم وأساليبهم التنموية ، لتوسيع القاعدة الحرفية كي تتمكن من استيعاب المزيد من العمالة للإسهام فى حل مشكلة البطالة ودعم التنمية التعاونية من خلال الجهود الذاتية.

٧- فتح المزيد من الأسواق وتقديم التسهيلات الحكومية والأهلية والإعلاميـــة، لتصريف المنتجات الحرفية على المستويين الداخلي والخارجي.

٨- فتح فصول للتدريب الحرفي فى أماكن ممارسة النشاط الحرفي، علـــى أن يقوم بالتدريب الحرفيون المتمكنون، تحت إشـــراف وتوجيـــه الجمعيـــات الأهلية والمهتمين بالتنمية الريفية المعتمدة على الذات.

٩- إعادة النظر فى موقف الحكومة من القطن، وذلك بالتنسيق مع الحـــرفيين فى القطن كي لا يتم تدمير جهود وزارة الزراعة البحثية فى قضية بـــذور القطن.

١٠- القيام بحملات توعية للحرفيين خاصة تجاه الضرائب، مع مراعاة التقدير الموضوعي للضرائب المستحقة على المنشآت الحرفية، وأن يوجه جـــزء من الضرائب المتحصلة من الحرفيين لخدمتهم، كأن تستخدم في الإقـــراض والتمويل الحرفي ، ويزداد الإعفاء الضريبي بازدياد عدد العمال الحـــرفيين داخل المنشأة كمكافأة لصاحبها على إتاحته فرص عمل للشباب وغيره.


المراجـع

المراجع

١- أحمد حلمي عبد اللطيف: الصناعات الصغيرة وأثرها على مشكلة البطالة في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٤.

٢- أشرف عبد اللاهي محمود: التنمية الريفية والفقر في الريف المصري تنمية أم إعادة إنتاج للفقر ، منشور في محمود الكردي (تحرير) وآخرون : الفقر في مصر - الجذور والنتائج واستراتيجيات المواجهة، أعمال الندوة السنوية السادسة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩، ص ص: ٥٠٧ - ٥٣٤ .

٣-ـــــــــــــــــــ: قياس عمل المرأة الشابة في الريف المصري... ملاحظات أولية، منشور في: د. محمود الكردي (تحرير)، تأليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية: الشباب ومستقبل مصر، أعمال الندوة السنوية السابعة لقسم الاجتماع، كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٩ - ٣٠ أبريل ٢٠٠٠، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠١، ص ص :٢٣١ - ٢٤٠.

٤- اعتماد علام: الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١.

٥- البنك الدولي: تقرير عن التنمية في العالم ٢٠٠٣، التنمية المستدامة في عالم دائم التغير، التحول في المؤسسات والنمو ونوعية الحياة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.

٦- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء: النتائج النهائية لتعداد السكان محافظة الشرقية، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٨.

٧- الحسين أحمد عبد الله: مصر في عصر الرومان، دار ياسمينا للنشر، الزقازيق، مصر، ٢٠٠٥.

٨- المنظمة الإفريقية الأسيوية للإنعاش الريفي: التخطيط للتنمية الريفية، وزارة الشئون الاجتماعية، الحلقة الدراسية العربية، القاهرة ٩ - ٣٠ مايو ١٩٧٠.

٩- أمارتيا صن: التنمية حرية . مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر، ترجمة شوقي جلال ، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٣، الكويت ، مايو ٢٠٠٤.

١٠- أماني طولان: الأسرة الفلاحية والإنتاج المعيشي وإعادة الإنتاج الاجتماعي فى القرية المصرية. دور النساء والأطفال فى الأسرة المعيشية ، منشور فى محمود عوده آخرون : بين شقي الرحى – أساليب البقاء لدي الأسر الفلاحية المعيشية مركز البحوث العربية ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٨، ص ص : ٢١٣ – ٢٢٩ .

١١- أنطوني جيدنز: قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع، ترجمة د. محمد محيي الدين، مراجعة د. محمد الجوهري، المشروع القومي للترجمة (٢١٤)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.

١٢- ـــــــــــــ: مقدمة نقدية فى علم الاجتماع ، ترجمة أحمد زايد وآخرون ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب جامعة القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

١٣- ـــــــــــــ: بعيداً عن اليسار واليمين... مستقبل السياسات الراديكالية، ترجمة د. شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب ٢٨٦، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت، ٢٠٠٢.

١٤- أوسيبوف: قضايا علم الاجتماع دراسة سوفيتية نقدية لعلم اجتماع الرأسمالي، ترجمة د. سمير نعيم أحمد، د. فرج حمد فرج، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠.

١٥- إيمـان مـرعـي: المشروعات الصغيرة والتنمية التجارب الدولية المقارنة والحالة المصرية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٦- بـول هاريسـون: العالم الثالث غداً، ترجمة: مصطفى أبو الخير عبد الرازق، مهرجان القراءة للجميع، الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.

١٧- بول هيرست، وجراهام طومبسون: ما العولمة... الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم، ترجمة د.فالح عبد الجبار، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ٢٠٠١.

١٨- بيتـي آل كـوك: فهم الفقر، عرض د. علي الدجوي، سلسلة كراسات عروض، المكتبة الأكاديمية، ط ١،القاهرة، ٢٠٠٠.

١٩- تومـاس. س. باترسـون: التغيير والتنمية في القرن العشرين، ترجمة عزة الخميسي، المشروع القومي للترجمة، الكتاب ٨٠٣، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٢٠- ج. تيمونز روبيرتس، أيمي هايت: من الحداثة إلى العولمة... رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي، ترجمة سمر الشيشكلي، سلسلة عالم المعرفة، الجزء الثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٣١٠، ديسمبر ٢٠٠٤.

٢١- جـــــاك تشونشـــــول: التحديث الزراعي والاستراتيجيات الريفية في أمريكا اللاتينية، ترجمة سعاد الطويل، منشور في: المجتمعات الريفية... استراتيجيات الفلاحين... سياسة الدولة وعلاقات السوق، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد ١٢٤، اليونسكو، مايو ١٩٩٠.

٢٢- جــالن سبنسر هــل: منشآت الأعمال الصغيرة اتجاهات في الاقتصاد الكلي، ترجمة د. صليب بطرس، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.

٢٣- جمــال محمـد صيام: أثر برنامج التكيف الهيكلي على المؤشرات الرئيسية للأداء في الزراعة المصرية والسياسات التصحيحية، منشور في: د. مصطفى كامل السيد (تحرير) ماذا جرى في الريف المصري؟ الآثار الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لبرنامج التكيف الهيكلي، قضايا التنمية (العدد ٢٠)، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١.

٢٤- جهاز بناء وتنمية القرية المصرية: وزارة التنمية المحلية، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي: الشرقية تقرير التنمية ٢٠٠٣، مصر، ٢٠٠٣.

٢٥- جـــوردن مارشـــال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمـة د. أحمـد زايـد وآخرون، تقديم د. محمد الجوهري، المجلـد الأول (١٦٣)، المجلس الأعلـى للثقافـة، مصـر، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٠.

٢٦- حـــاتم المقـــدم: التنمية البشرية في مصر والعالم، كتـاب الأهـرام الاقتصادي (١٩٩)، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يوليو ٢٠٠٤.

٢٧- حســن فتحـــي: عمارة الفقراء، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمـي، مكتبة الأسرة، الأعمال الفكرية، الهيئـة المصـرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٢٨- حسنيـــن كشـــك: إفقار الفلاحين الآليات وسبل المواجهة ، دار ميريت ، القاهرة، ٢٠٠٤.

٢٩- حكمت أبـو زيـــد: نظريات ومناهج فى دراسة الفقر مع إشارة خاصـة للمجتمع المصري، منشـور فـي محمـود الكـردي (تحرير) وآخرون : الفقر فـي مصـر- الجـذور والنتائج واستراتيجيات المواجهـة ، أعمـال النـدوة السنوية السادسة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب جامعة القاهرة، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ص: ٧٧ - ٩٦.

٣٠-خالد سليمان، سوسن مرقة: أضواء على ظاهرة عمالة الأطفال مقاربة نقدية، منشور في: عالم الفكر، في الفكر العربي، المجلد ٣٠، المجلس الـوطني للثقافـة والفنون والآداب، الكويت، يناير / مارس ٢٠٠٢.

٣١- ديبان برايــان وآخــرون: أصوات الفقراء صيحة للتغييــر، البنــك الــدولي، ترجمة مركز الأهرام للترجمة والنشــر، القــاهرة، ٢٠٠٢.

٣٢- ديـــــــرك لايـــــــدر: قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، ترجمة د. عــدلي السمري، مراجعة وتقديم د. محمد الجوهري، المجلــس الأعلى للثقافة بمصر، العدد ١٤٣، القاهرة.٢٠٠٠.

٣٣- راجي أسعد، د. ملك رشدي: الفقر واستراتيجيات مواجهته في مصر، كراســات التنمية (٦)، مركز دراسات وبحوث الدول الناميــة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعــة القــاهرة، القاهرة سبتمبر ١٩٩٦.

٣٤- رأي بـــــــــــوش: استراتيجية زراعية بدون مــزارعين... الريــف المصري في الألفية الجديــدة، منشــور فــي: د. مصطفى كامل السيد (تحرير) ماذا جــرى فــي الريف المصري؟، الآثار السياسية والاجتماعيــة لبرنامج التكيف الهيكلي، قضايا التنمية(العدد٢٠) مركز دراسات وبحوث الــدول الناميــة، كليــة الاقتصاد والعلوم السياســية جامعــة القــاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ص : ١٥- ٤٢.

٣٥- رشـــــــدي سعيد: الحقيقة والوهم فى الواقع المصري ، دار الهــلال ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٣٦- رمـــزي زكـــي: الاقتصاد السياسي للبطالــة... تحليــل لأخطــر مشكلات الرأسمالية المعاصــرة، سلســلة عــالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر ١٩٩٧.

٣٧- سامية محمد صابر : المجتمعات الريفية الجديــدة - تحليــل اجتمــاعي عمليتي التوطين والتنمية الريفيــة فــي الأقطــار النامية، منشور في دراسات اجتماعية ميدانيــة (٢) تأليف نخبة من أســتاذة قســم الاجتمــاع ، كليــة الآداب جامعة الإســكندرية ، مكتبــة دار المعرفــة الجامعية ، الإســكندرية ، ٢٠٠٢، ص ص : ٢١٥ - ٣٣٩.

٣٨- سعيد مغــاوري محمــد: الألقاب وأسماء الحــرف والوظــائف فــي ضــوء البرديات العربية، مطبعــة دار الكتــب المصــرية بالقاهرة، المجلد الأول، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣٩- عيــد مغــاوري محمــد: الألقاب وأسماء الحــرف والوظــائف فــي ضــوء البرديات العربية، مطبعــة دار الكتــب المصــرية بالقاهرة، المجلد الثاني، القاهرة، ٢٠٠٠.

٤٠- ســمير نعــيم أحمــد: النظرية في علم الاجتماع، مكتبــة ســعيد رأفــت، القاهرة، ١٩٧٧.

٤١- شريف شحاتة: العولمة والمرأة وتقسيم العمل الدولي (حول فكر سمير أمين)، منشور في: د. عبد الباسط عبد المعطي: العولمة، مركز البحوث العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨.

٤٢- صلاح أحمد هريدي على، تقديم عمر عبد العزيز عمر: الحرف والصناعات في عهد محمد على، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٣- صلاح رسلان: الفقر .. جذور وسبل علاجه.. رؤية إسلامية ، منشور فى محمود الكردي(تحرير) وآخرون : الفقر في مصر – الجذور والنتائج واستراتيجيات المواجهة ، أعمال الندوة السنوية السادسة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ص: ٤١٣ – ٤٢٨.

٤٤- طايع آصيفا، سيفرين روجومامو ، وعبد الغفار محمد أحمد: العولمة والديمقراطية والتنمية فى إفريقيا – تحديات وآفاق ، مركز البحوث العربية للدراسات العربية والإفريقية والتوثيق بالقاهرة ، ومنظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوب إفريقيا (أديس أبابا)، مركز المحروسة ، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٥- طلعت إبراهيم لطفي: علم الاجتماع الصناعي ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع الرياض ، السعودية، ١٩٨٢.

٤٦- عادل سلطان وآخرون: التحولات فى أوضاع عمل المرأة فى الريف المصري قراءة في تعدادي ١٩٨٦ و ١٩٩٦ ، منشور فى إنعام عبد الجواد (مشرفاً ومحرراً) وآخرون : الأوضاع الراهنة لعمل المرأة الريفية التقرير النظري، قسم بحوث المجتمعات الريفية والصحراوية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة، ٢٠٠٥ ، ص ص : ٩٩- ١٦٢ .

٤٧- عاصم الدسوقي: خروج المرأة الريفية للعمل .. لمحة تاريخية ، منشور في إنعام عبد الجواد (مشرفاً ومحرراً) وآخرون : الأوضاع الراهنة لعمل المرأة الريفية التقرير النظري، قسم بحوث المجتمعات الريفية والصحراوية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة، ٢٠٠٥ ، ص ص : ١١- ١٩.

٤٨- عايدة فؤاد عبد الفتاح: استراتيجيات مواجهة الفقر في العالم الثالث- دراسة حالة مصر، منشور فى محمود الكردي (تحرير) وآخرون: الفقر في مصر - الجذور والنتائج واستراتيجيات المواجهة، أعمال الندوة السنوية السادسة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩، ص ص: ٤٢٩ - ٤٦٩.

٤٩- عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٧١.

٥٠- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة. تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.

٥١- عبد الله شحاته: مشروع شروق وعملية التنمية الريفية (تعريف عام لفلسفة المشروع وأهدافه)، منشور في: د. مصطفى كامل السيد (تحرير)، ماذا جرى في الريف المصري؟، الآثار الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لبرنامج التكيف الهيكلي، قضايا التنمية (العدد ٢٠)، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١ص ص : ١٧٥- ١٨٤.

٥٢- عزت حجازي: الفقر في مصر... بحث الخريطة الاجتماعية لمصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٦.

٥٣- عُلا مصطفي أنور ، نانيس حسن عبد الوهاب: عمالة الأطفال فى آسيا ومصر، (أوراق آسيوية)، العدد ٤٨، مركز الدراسات الأسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، فبراير ٢٠٠٣.

٥٤- علماء الحملة الفرنسية: موسوعة وصف مصر. دراسات عن المدن والأقاليم المصرية، ترجمة زهير الشايب، الجزء الثالث، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ٢٠٠٢.

٥٥- علماء الحملة الفرنسية: موسوعة وصف مصر، الزراعة – الصناعات والحرف – التجارة، ترجمة زهير الشايب، الجزء الرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.

٥٦- علي الصاوي: دراسة تحليلية لبرنامج شروق، منشور في: د. مصطفى كامل السيد (تحرير) ماذا جرى في الريف المصري؟، مرجع سابق.

٥٧- فتحي أبو العينين: ثقافة الكفاف... دراسة ميدانية لبعض قيم الأسرة المعيشية في الريف المصري، منشور في د. محمود عوده، وآخرون: بين شقي الرحى... أساليب البقاء لدى الأسر الفلاحية المعيشية، مركز البحوث العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨، ص ص: ١٣٧- ٢٠٩.

٥٨- فوستين . تي . كالابامو: من بانيات إلي عاملات غير ماهرات، تغريب دور النساء فى بناء البيوت فى بوتسوانا، ترجمة مصطفي مجدي الجمال، ، وعبد الغفار محمد أحمد : العولمة والديمقراطية والتنمية فى إفريقيا – تحديات وآفاق ، مركز البحوث العربية للدراسات العربية والإفريقية والتوثيق بالقاهرة، ومنظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوب إفريقيا(أديس بابا) مركز المحروسة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ص: ٣٩٧- ٤٢٢.

٥٩- فيك جورج، وبول ويلدينج: العولمة والرعاية الإنسانية، ترجمة طلعت السروجي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الكتاب ٧٨٣، القاهرة، ٢٠٠٥.

٦٠- كرم صابر: ملامح تغيرات جديدة في ريف مصر، منشور في: د. مصطفى كامل السيد (تحرير): ماذا جرى في الريف المصري؟، الآثار الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لبرنامج التكيف الهيكلي، قضايا التنمية (العدد ٢٠)، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١، ص ص: ٢٠٧- ٢٣٩.

٦١- كريمة كريم: دراسات في الفقر والعولمة... مصر والدول العربية، ترجمة سمير كريم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الكتاب ٨٤٤، القاهرة، ٢٠٠٥.

٦٢- مجلس الشورى تقرير لجنة الإنتاج الصناعي والطاقة والقوى العاملة عن الصناعات الصغيرة،مكتبة مجلس الشورى، القاهرة فبراير ١٩٩٢.

٦٣- مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م، تاريخ المصريين، الكتاب ١٧٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

٦٤- مجموعة من الباحثين: موسوعة الحرف التقليدية بالقاهرة التاريخية، الجزء الأول، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة، ط ١، القاهرة، يناير ٢٠٠٤.

٦٥- مجموعة من الباحثين: موسوعة الحرف التقليدية في مصر، الجزء الثاني، أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥.

٦٦- محمد الجوهري: علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٦٧- محمد الجوهري، علياء شكري: علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

٦٨- محمد حامد علوب: الصناعات الصغيرة والحرفية في مصر المقومات والمعوقات، الجزء الأول، دار الحكيم للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣.

٦٩- محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، القسم الثاني، البلاد الحالية، الجزء الأول، المحافظات ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

٧٠- محمد عبد النبي إبراهيم: الفقر فى الريف المصري - الأبعاد والملامح وأساليب التكيف ، منشور فى محمود الكردي (تحرير) وآخرون: الفقر في مصر - الجذور والنتائج واستراتيجيات المواجهة، أعمال الندوة السنوية السادسة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩، ص ص: ٢٨٣- ٣١٧ .

٧١- محمد علي محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمي : دراسة فى طرائق البحث وأساليبه، دار المعرفة الجامعية ، ط٢، الإسكندرية ، ١٩٨١.

٧٢- محمد فريد أبو العلا، أسامة سعد خليل: تواصل الأجيال وتأثيره على الصناعات الصغيرة في الريف المصري حالة دراسية صناعة الجلباب السياحي بقرية كرداسة، دراسة منشورة في: لجنة الجغرافيا بالمجلس الأعلى للثقافة... الريف المصري حاضره ومستقبله، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

٧٣- محمود عوده ، وآخرون: بين شقي الرحي. أساليب البقاء لدي الأسر الفلاحية المعيشية ، مركز البحوث العربية ، القاهرة،ط١، ١٩٩٨.

٧٤- محمود فهمي الكردي (إشراف وتحرير): تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب السادس، تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية. دراسة ميدانية لسياقات اجتماعية متباينة بمصر، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢.

٧٥- محيا زيتون: الإنفاق العام الاجتماعي ومدي استفادة الفقراء .. التطورات والآثار ، كتاب الأهرام الاقتصادي، العدد ١٣٠، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أول نوفمبر، ١٩٩٨.

٧٦- مركز المعلومات بمديرية الزراعة بالشرقية، قسم مكافحة سوس النخيل، الزقازيق، ٢٠٠٥، بيانات النخيل في القرين.

٧٧- مركز المعلومات واتخاذ القرار بديوان عام محافظة الشرقية: خريطة البنية المعلوماتية لقرية القراموص محافظة الشرقية، ٢٠٠٣.

٧٨- مركز المعلومات واتخاذ القرار بديوان عام محافظة الشرقية: خريطة البنية المعلوماتية لقرية القرين محافظة الشرقية، ٢٠٠٣.

٧٩- مركز المعلومات واتخاذ القرار بديوان عام محافظة الشرقية: خريطة البنية المعلوماتية لقرية منشأة رضوان محافظة الشرقية، ٢٠٠٣.

٨٠- مركز دراسات وبحوث الدول النامية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة: رؤى جديدة (٣)، نشرة فصلية العدد الثالث ديسمبر ١٩٩٦، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، العدد الثالث، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٦.

٨١- منصور مغاوري: التغيرات والتحولات الاقتصادية والاجتماعية وتأثيراتها على عمل المرأة الريفية ، منشور في إنعام عبد الجواد (مشرفاً ومحرراً) وآخرون : الأوضاع الراهنة لعمل المرأة الريفية التقرير النظري، قسم بحوث المجتمعات الريفية والصحراوية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة، ٢٠٠٥ ، ص ص : ٥٧- ٩٧ .

٨٢- منى مصطفى البرادعي، منال محمد متولي: البعد البشري والنمو الاقتصادي النظرية والتطبيق، سلسلة أوراق بحثية، العد (١٧)، قسم الاقتصاد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، سبتمبر ٢٠٠١.

٨٣- موريس آليه: العولمة تدمير العمالة والنمو التجربة خير دليل، ترجمة أميرة جمعه، مراجعة رقية جبر، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الكتاب ٧٢٨، القاهرة، ٢٠٠٥.

٨٤- نــــادر فرجـــــاني: البطالة في مصر: الأبعـاد والمواجهـة، مركـز المشكاة للبحث، مصر، ديسمبر ١٩٩٩.

٨٥- نــــانيس عبد الوهــاب: عمالة الأطفال فى آسـيا ، منشـور فـي ،عُـلا مصطفي أنور، ونانيس حسن عبد الوهاب: عمالـة الأطفال فى آسيا ومصر (أوراق آسيوية) ، العـدد ٤٨، مركز الدراسات الآسيوية، كليـة الاقتصـاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة، القاهرة، فبراير ٢٠٠٣، ص ص : ٢ - ٢٠ .

٨٦- نجوى عبد الحميد سعد الله: الصناعات البيئية كمـدخل للاسـتقرار الاقتصـادي والاجتماعي، دراسة لقرية مصرية (كحك بحـري)، منشور في: نجوى عبد الحميد سعد الله: دراسـات بيئية في المجتمع المصـري، مطبوعـات مركـز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٢.

٨٧- هانس بيتر مارتين، وهارالد شومان: فخ العولمة... الاعتداء علـى الديمقراطيـة والرفاهية، ترجمة د. عدنان عباس على، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنـون والآداب، الكويت، أكتوبر ١٩٩٨.

٨٨- هرنانـــدو دي ســـوتو: الدرب الآخر. الثورة الخفية فـي العـالم الثالـث، ترجمة شوقي جلال، مركـز الأهـرام للترجمـة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧.

٨٩- هرنانـــــدو دي ســـــوتو: سر رأس المال. لماذا تنتصر الرأسمالية في الغرب وتفشل في كل مكان آخر، ترجمة كمـــال الســـيد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.

٩٠- هنري حبيـــب عيـــــروط: الفلاحون، ترجمة محيي الدين اللبان، ولـــيم داوود مرقص، ميراث الترجمة، المجلس الأعلى للثقافـــة، الكتاب ٤٤٨، القاهرة، ٢٠٠٥.

٩١- وركينــــــــي كيبيســــــا: العولمة والمعرفة البيئية المحلية في أثيوبيا، ترجمة يسري مصطفى، منشـــور فـــي: طـــايع آصـــيفا، وسيفرين روجومامو، وعبد الغفار محمـــد أحمـــد: العولمة والديمقراطيـــة والتنميـــة فـــي أفريقيـــا... تحديات وآفاق، مركز البحوث العربية للدراســـات العربية والإفريقية والتوثيـــق بالقـــاهرة، ومنظمـــة العلـــوم الاجتماعيـــة لشـــرق وجنـــوبي أفريقيـــا (أديس أبابا)، مركز المحروسة، القـــاهرة، ٢٠٠٣، ص ص: ٣٣٣ - ٣٧٢.

المراجع الأجنبية:

92- Assaad, R. (1999): The Transformation of the Egyption Labour Market, 1988 – 1998, EPIC, Cairo, November 1999.

93- Fergany, Nader (1991): Overview and General Features of Employment in the Domestic Economy, Final Report, LIS Project, CAPMAS, Cairo, 1991

94- ____________ (1994): on the Age Pattern of the Participation of Women in Economic Activity in Egypt, Almishkat Research, Notes 04, Cairo, January, 1994.

95- ____________ (1995): Recent Trends in Participation in Economic Activity and Open Unemployment in Egypt, Almishkat Research, Notes 10, Cairo, October, 1995.

96- ____________ (1996): Review of the Labour Force Sample Survey & Basic Measures of Employment and Cairo, July, 1996.

97- ____________ (1998a): Dynamics of Employment Creation and Destruction, Egypt, 1990 – 1995, Almishkat Research, Notes 11, Cairo, January, 1998.

98- ____________ (1998b): The growth of Poverty in Egypt, Almishkat Research, Notes 12, Cairo, January, 1998.

99- ______________ (1998c): Human Capital and Economic Performance in Egypt, Almishkat, Cairo, August, 1998.

100- ILO (1997): The World Employment Report, 1996 / 97, Geneva, 1997.

101- Internet: http:// www.kougei.or.jp/english/html.

102- ______: http: // www.Islamonline.net/ Arabic/economics /2004/05/ article 01. shtml.

103- ______: http: // www.Islamonline.net/ Arabic/news/ 2005-10/03/article09.shtml.

104-______ : http: // www.kougei . or.jp/english/metal.html

105-______ : http: // www.kougei . or.jp/english/bamboo.html

106-______ : http: // www.kougei . or.jp/english/promotion.html

107-______ : http: // www.kougei . or.jp/english/

108-______ : http: // www.kougei . or.jp/english/

109-______ : http: // www.handicraftsindia.org/11/9/2004.

110-______ : http: // www.kougei . or.jp/english/25/9/2004

111-______ : http:// www.alwatan.com/graphics/2004/04apr/1.4/index.html

112- ______: http: // www.Islamonline.net/ Arabic/economics /2004/05/ article 01. shtml.

113- John K. Galbraith: The Nature of Mass Poverty, Cambridg, Mass., Harvard University Press, 1979.



ملحق (١) صحيفة استبانة العمالة.

ملحق (٢) صحيفة استبانة أصحاب النشاط.

ملحق (٣) الحالات المثيرة للاستبصار التى لم يتم نشرها فى المرحلة الاستطلاعية للبحث.

ملحق (١)

صحيفة استبيان

بحث:"الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال"

استبانة العمالة

١- بيانات أولية:

النوع ( ) ذكر ( ) أنثي

السن ( ) أقل من عشر سنوات

( ) ١٠- ( ) ٢٠ -

( ) ٣٠- ( ) ٤٠ -

( ) ٥٠- ( ) ٦٠+

٢- الحالة التعليمية:

( ) أمي (لا يقرأ ولا يكتب) ( ) يقرأ ويكتب

( ) ابتدائية ( ) إعدادية

( ) ثانوية أو دبلوم ( ) مؤهل جامعي

٣- الحالة الزواجية :

( ) دون السن ( ) أعزب

( ) متزوج ( ) مطلق

( ) أرمل .

٤- نوع العمالة :

( ) عمالة مؤقتة ( ) عمالة دائمة

( ) عمالة مؤجرة ( ) عمالة عائلية

( ) من داخل القرية ( ) من خارج القرية

٥- سنوات الخبرة

( ) أقل من سنة ( ) سنة -

( ) ٥ - ( ) ١٠-

( ) ١٥ - ( ) ٢٠-

( ) ٢٥ - ( ) ٣٠-

٦- الأجر اليومي

( ) أقل من ٢ جنيه يوميا ( ) ٢-

( ) ٤ - ( ) ٦-

( ) ٨ - ( ) ١٠-

٧- مدي وجود مهن أخري

( ) يوجد مهن أخري ( ) لا يوجد مهن أخري

٨- أسباب العمل بالحرفة

( ) أساعد الأسرة بفلوس ( ) أجهز نفسي لزواج

( ) أحوش لمشروع صغير ( ) علشان نلاقي نأكل

( ) لتدبير مصاريف الدراسة ( ) علشان البطالة.

( ) علشان الفلوس

٩- مكونات الثروة الحيوانية لدي الأسرة

( ) جاموس ( ) أبقار

( ) إبل ( ) حمير

( ) خراف وماعز

١٠- الحيازة الزراعية للأسرة

( ) لاتوجد حيازة ( ) اقل من فدان

( ) ١- ( ) ٣-

( ) ٥- ( ) ٧ -

( ) ٩+

١١- عدد أفراد الأسرة

( )١ ( )٢

( )٣ ( )٤

( )٥ ( )٦

( )٧+

١٢- الدخل الشهري للأسرة

( ) أقل من ١٠٠ جنيه ( ) ١٠٠ -

( ) ٣٠٠ - ( ) ٥٠٠-

( ) ٧٠٠ - ( ) ٩٠٠-

( ) ١١٠٠+

١٣- رؤية المبحوث لحالته الاقتصادية

( ) فقير جدا ( ) فقير

( ) متوسط الحال ( ) أغنياء

( ) أغنياء جدا

ملحق (٢)

صحيفة استبانة

بحث : "الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال"

استبانة أصحاب النشاط

١- بيانات أولية:

النوع ( ) ذكر ( ) أنثي

السن :

( ) ٢٠- ( ) ٣٠ -

( ) ٤٠- ( ) ٥٠ -

( ) ٦٠+

٢- الحالة التعليمية:

( ) أمي (لا يقرأ ولا يكتب) ( ) يقرأ ويكتب

( ) ابتدائية ( ) إعدادية

( )ثانوية أو دبلوم ( ) مؤهل

جامعي .

( ) ماجستير أو دكتوراه

٣- الحالة الزواجية :

( ) أعزب ( ) متزوج

( ) مطلق ( ) أرمل .

٤- مصدر تعلم الحرفة

( ) من العائلة ( ) من خارج العائلة

٥- الاهتمام بتعليم الأبناء الحرفة

( ) نعم ( ) لا

٦- الحالة الاقتصادية للأسرة

( ) لاتوجد حيازة ( ) حيازة اقل من فدان

( ) فدان - ( ) ٣-

( ) ٥- ( ) ٧ -

( ) ٩+

١١- عدد أفراد الأسرة

( )١ ( ) ٢

( )٣ ( ) ٤

( )٥ ( ) ٦

( )٧+

١٢- الدخل الشهري للأسرة

( ) أقل من ١٠٠٠ جنيه ( ) ١٠٠٠٠ -

( ) ١٥٠٠٠ - ( ) ٢٠٠٠٠-

( ) ٢٥٠٠٠ - ( ) ٣٠٠٠٠-

( ) ٣٥٠٠٠+

٩- الاستفادة من الحرفة

( ) توسيع النشاط ( ) بناء منزل حديث

( ) شراء أرض زراعية ( ) تعليم الأبناء كويس

( ) الاعتماد على النفس ( ) تحسن مالي

( )دخول العملة الصعبة لمصر .



الحالات المثيرة للاستبصار

التى درست أثناء المرحلة الاستطلاعية للبحث

ملحق (٣)

الحالات المثيرة للاستبصار التي لم يتم نشرها في المرحلة الاستطلاعية للبحث

أولاً: حرفة ورق البردي:

الحالة الأولى:

أول من أدخل البردي للقرية: هو رجلٌ في العقد السادس من العمـــر، وقـــد تخرج في كلية الفنون الجميلة ١٩٧٢، وقرأ كثيرا عن تاريخ الفنـــانين وإبـــداعاتهم، فحاول أن يقلد الفنانين المبدعين من خلال الإبداع في صـــناعة الـــورق البـــردي، وأدخل النبات إلى القرية عام ١٩٧٦، في حديقة منزله الصغيرة التـــي لا تتجـــاوز النصف قيراط، بعد تكاثر الشتلات في حديقة المنزل، نقلها إلى ثلاثة قراريط كانت ملكاً خاصاً لأسرته وتقع خلف مسجد القرية بها خزان مجاري المسجد ورشح ميـــاه صرف المسجد "بركة مياه صرف المسجد"، تكاثرت الشتلات ونمت نباتات البردي حتى وصل ارتفاع النبات إلى ٦ متر، وبدأ بعد ذلك محاولات تحويل النبـــات إلـــى أوراق بردي (تصنيع البردي) وذلك باستدعاء أساتذة كلية الفنـــون الجميلـــة إلـــى القرية، وكانت أولى المحاولات هي تشريخ الساق بواسطة ســـكينة، لكـــن كانـــت النتيجة سيئة حيث جاءت الشرائح غير متساوية في السُمك، لأن السكينة لم تضـــبط عملية التشريخ، فلجأ إلى استخدام "أمواس الحلاقة "وكانت النتيجـــة أســـوأ، فأخـــذ بعض سيقان البردي إلى القاهرة حيث توجد "قطاعات اللانشون والبسطرمة "لـــدي البقالين وكانت النتيجة سيئة أيضاً، وذات مرة وهو جالس بيده ساق وفي يده الثانية خيط مشدود فمرر الخيط المشدود في الساق فوجد النتيجة مبهرة، شريحة متســـاوية الارتفاع في كل سطحها، وهكذا قال "وجدتها" وبدأ تعميم التجربة، وجلـــب الخـــيط البلاستيك للقرية، وبدأ تعليم البنات كيفية استخدامه في عمليـــة التشـــريخ، وبـــاقي مراحل التصنيع السابق ذكرها.

بدأ يتوسع في زراعة البردي داخل أسرته فقط، ولم يُطلع أحـداً مـن أهـل القرية علي أهمية هذا النبات والعائد المادي الذي يأتي منه، كان كل ما يعرفه أهـل القرية أن هذا النبات يتم تحويله إلي ورق، وطريقة التصنيع يتم تدريب جميع سكان القرية عليها من أجل العمل في مصانع أسرة خريج الفنون الجميلة لكن ما فائدة هذا الورق ؟لا أحد يعرف، أين يباع ؟ لا أحد يعرف، ماذا نصنع به ؟لا أحـد يعـرف ما العائد منه ؟ لا أحد يعرف.احتفظ بهذه الأسرار إلي أسرته فقط وبالتـالي جميـع بنات القرية وذكورها يعملون في مصانعه، ويتقاضون أجوراً فقط، فهـم يجيـدون الصنعة، لكن لا يعرفون كيف يتم تصريف الإنتاج، وعندما بدأت وفـود السـائحين الأجانب تأتي إلي القرية لشراء ورق البردي، وللاطلاع علي مراحـل التصـنيع، وبدأ احتكاك السائحين بأبناء القرية من خارج عائلة صاحب النشـاط الأول خـريج الفنون الجميلة، حينئذ تسرب للفلاحين سر المهنة والعائـد الكبيـر الـذي يجمعـه صاحب النشاط، وفكر السكان في تقليد الرجل والتصنيع لحسابهم لكن كانت هنـاك مشكلة وهي من أين يأتون بالشتلات ؟

كان الرجل الأول خريج الفنون الجميلة قد فرض طوقاً أمنياً علـي مـزارع البردي الخاصة بأسرته حتى لا تنتشر الشتلات ما دام بعض الفلاحين قـد عـرف طريقة التسويق التي كان قد احتكرها له ولأسرته، فقام بتجهيـز أجهـزة تصـنت ركبها في حقول البردي بشبكات ووصلها بمنزله الذي حوله إلي غرفـة اسـتماع، وقام بتعيين حراسة مسلحة بالبنادق حول حقول البردي خوفاً من سرقة الشـتلات، وبالتالي انتقال النشاط إلي الآخرين، لكن ذكاء الفلاحين لن يخونهم خاصـة أنهـم تعلموا جميع مراحل التصنيع كل ما يلزمهم فقط هي الشتلات، ونظـراً لأن نبـات البردي يستمر في الحقل لمدة عشر سنوات، ولابد من مياه راكـدة تحـت النبـات باستمرار، ولذا تنمو الطحالب تحت ساق النبات فـوق الميـاه الراكـدة "طحالـب خضراء" تجمعها الفلاحات كغذاء للبط والدواجن عموما، وهذا مسـموح بـه مـن صاحب النشاط، حيث كل فلاحة تريد علفاً لدواجنها تذهب إلي حقول الرجل وتبـدأ في جمع الطحالب الخضراء "ريم" ثم تأخذها إلي بيتها علف لطيورها، وكانت هـذه فرصة لسرقة جذور الشتلات وإخفائها أسفل الطحالب، ثم تكثر الفلاحـة وزوجهـا

جذور هذه الشتلات في أماكن مستترة، ويقول الرجل: وفجأة وجدت القريـــة كلهـــا بردي.

هل سيحارب الرجل قريته جميعها بعد أن انتشر البردي في كل أرجائهـــا ؟ فكر الرجل، وحاول استثمار الموقف، فقرر أن يجمع الإنتاج من الفلاحــين بســعر وبيعه بسعر أعلي ويحصل علي أرباح واستمر الوضع كذلك لفتــرة، حتــى فهــم الفلاحون فروق السعر، فبدأوا يرفعون الأسعار عندما يبدأ جمع الإنتاج منهم، فقــام باستئجار بعض السماسرة يجمعون الإنتاج لصالحه دون أن يعلم الفلاحــون بــذلك. وعندما علم الفلاحون بذلك بدأوا يحملون إنتاجهم ويذهبون إلى الأســواق الداخليــة بمصر بل والأسواق الخارجية في أوربا والعالم الخارجي، واستمر الحال كذلك إلى أن جاءت مصلحة الضرائب للقرية، وانتشرت شـــائعة بــأن الرجــل أتــي لهــم بالضرائب للانتقام منهم، فقام الفلاحون بتدمير محصوله حيث قاموا بقطــع ســيقان البردي من أرضه قبل مرحلة النضج حتي لا يمكن تصنيعها، وكان لابد من عقــد صلح بين الرجل وأهل القرية، حتى يتوقف تدمير الطرفين، وبدأ الرجل الصلح مع أهل قريته، خاصة وأن العصر الذهبي للحرفة في القرية قد ولّي بعدما زاد العرض من خلال بيوت جميع الفلاحين، خاصة وأن الرجل قد كون ثروتــه فــي العصــر الجميل الذهبي، لذا بدأ في تجارة مســتلزمات الإنتـــاج مــن الألــوان، والبوتـــاس والكلور، والمكابس، وغير ذلك، وجمع المحصول بأسعار أفضــل مــن ذي قبــل للفلاحين حتى تحسنت العلاقات بينه وبين أهل القرية جميعا الذين أصبحوا يذكرونه بكل خير ويعترفون بدوره في نشر الحرفة في القرية ومازالت علاقاته بأهل قريتــه طيبة للغاية، لكنه توقف عن الإنتاج الكبير لمقارناته بين الأســعار الآن والأســعار حينما كان هو الأوحد في القرية صاحب النشاط.

ويكشف الرجل عن أن عمل الإناث في البردي فخــر لهــن، فمــن أراد الزواج من ذكور القرية، يبحث عن الأنثى التي تجيد صناعة البردي، لأنها ســوف تساعده في الورشة التي يمارس النشاط فيها ويمتلكهـــا، بــل إن الإنـــاث يفضــلن العريس الذي يمتلك ورشة بردي عن خريج الجامعة الذي لا يمتلك ورشة، ومعلوم

أن سكان القرية في معاملاتهم المالية معاً يتبادلون العملات المحلية والأجنبية، فهـم يتعاملون باليورو والدولار وكافة العملات من خلال الصفقات التي يعقـدونها.لكـن حرفة البردي أدت إلى تراجع الثـروة الحيوانيـة بالقريـة لأن الأرض الزراعيـة بالقرية تصل إلى ١٤٦٥ فدان، يتم زراعة ألف فدان بـردي والبـاقي محاصـيل تقليدية ولا يتبقى لعلف الماشية أية مسـاحات وإن وجـدت فهـي علـي حسـاب المحاصيل التقليدية، لذا يقلع الفلاحون عن تربية الماشية وقد أحدث نشاط البـردي تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة في القرية والقرى المحيطة، وبعد ما كانت قيمة النقوط بين الفلاحين خمسة جنيهات الآن ١٠٠ جنيه، وتُكتب دعوات الأفراح علـي ورق البردي في القرية، وتنتشر الجمعيات الدوارة بين العمالة التي تجهـز نفسـها للزواج من خلال عملها في البردي، أما أصحاب الورش مـن الفلاحـين وأبنـائهم فيتجهون للأسواق العالمية ويسافرون بورق البردي ويعودون إلى القرية بالعملات الأجنبية،وليس غريباً أن تجد فلاحاً يقترض من أخيـه الفـلاح بالـدولار ويسـدد باليورو، وهكذا تحولت القرية إلى سوق عالمي، وقد أدى نشاط البردي إلى حـراك اجتماعي صاعد في القرية، وأدي إلى تغيرات في القيمة الاجتماعية والاقتصـادية، حيث فقدت الحيوانات مكانتها لصالح الأرض الزراعية المزروعة بنبات البـردي، وأيضاً جزء من المنزل يتم تحويله إلى ورشة يطلق عليها اسم مصنع حتـى يقـال يمتلك مصنعا أو مصنعين أو أكثر، وأدي البردي في القرية إلى صناعة رأس المال بشكل كبير.

الحالة الثانية:

صاحب عمل في حرفة البردي:

شاب في العقد الرابع من العمر حاصل علي دبلوم صـنايع قسـم نجـارة، متزوج ويعول طفلة وزوجته، وقد تعلم الحرفة حيث قال "أنا اتعلمت من صـغري من أصحاب المصانع اللي كانت شغالة من سنين من أول مادخلـت الشـغلانة دي البلد" ولم يرث المهنة أو الورشة، بل لدية خبرة ٢٢ سنة، حيث تعلم الحرفـة فـي

سن عشر سنوات، وليست له مهنة غير البردي، وفكر في الاستقلال بورشة قائلاً "الفكرة جت لما شربت الصنعة كويس جداً، لقيت نفسي أعرف أشتغل لوحدي، واهو المكان موجود في البيت (أي الورشة داخل السكن. تداخل بين النشاط والمسكن) وأدوات الشغل أمرها سهل (يقصد تكاليفها المالية متواضعة) وعن مصادر تمويل المنشأة يقول: أنا وأخواتي كنا مشتركين في المصنع ده (ولم يقل الورشة)، "وبنصرف عليه من إيراده، وفي الأول كان فيه مبلغ جمعناه وبدينا بيه" أما مصادر المواد الخام: "أنا بجيب البردي من أرضنا زي كل البلد، الكل زارع البردي في أرضه سواء الملك أو المؤجرة، وأهم مشكلة هي عدم وجود رابطة أو نقابة لتنظيم العمل "عايزين رابطة تنظم لنا الشغل ومايحصلش ضرب لأصحاب المصانع بعضهم لبعض في الأسعار علشان كده لازم الدولة تهتم بينا لأن إحنا بنشتغل شغل مهم جداً للدولة والسياحة وبندخل فلوس للدولة، فلازم تكون لينا رابطة أو حاجة زي نقابة صغيرة تحكم شغلنا من الأول للآخر".

ويقول الشاب عن ساعات العمل: "أنا ببدأ اليوم هنا ومعايا العمال من الساعة سابعة الصبح، وبنشتغل لحد نص النهار، ونقوم نتغدى، وبعدها بنكمل الشغل لحد الساعة سابعة بالليل، تقوم البنات تروح، وأكمل أنا والشباب الشغل ونحضره ونجهزه لليوم اللي بعده". وعن طريقة التخزين يقول: أنا بخزن الورق بعد ما بيخلص ويبقي زي ما أنت شايف (يقصد انتهاء جميع المراحل) في أكياس بلاستيك بتكون خفيفة وشفافة، وبحط كل ١٠٠ ورقة في كيس منهم، وبعدين أرصها علي رف خشب متعلق علي الحيط زي ما أنت شايف "وعن نظام التسويق يقول: "بيجي المشتري يأخد مني الشغل علي حسب الاتفاق معاه، وده مني ومن أصحاب المصانع التانية"وبعدين هو بيسلم الشغل اللي بيجمعه لتاجر جملة كبير، وفيه مصانع في البلد بدأوا يروحوا بنفسهم ويبيعوا شغلهم في البلاد اللي فيها السياحة شغالة." والأسعار بتكون حسب حالة السياحة يعني لو السياحة شغالة كويس بتزيد الأسعار طبعا (ولم يقل المبحوث كم يبلغ سعر الورقة) ولما بتقل السياحة بتنزل الأسعار زي دلوقتي، بيع الورق الأبيض، الورقة بتلاته جنيه والورقة البني الغامق باتنين ونصف، وأجر العامل اليومين دول من ٢٠٠ إلى

٣٠٠ جنيه حسب الخبرة مش حسب السن أما أجر البنات فيبدأ من ١٥٠ جنيه في الشهر لحد ٢٠٠جنيه وده برضه حسب الخبرة (جاء في حديث المبحوث أن بداية أجر البنات٢٠٠ جنيه وبداية أجر الشاب ٢٠٠جنيه هكذا التفرقة من خلال النوع وليس من خلال الخبرة مهما كانت !!!).

وعن العمالة يقول المبحوث: "أنا عندي هنا في المصنع ٤ ولاد شباب و٩ بنات والعمالة العائلية عندي هنا همه أخواتي الشباب، لكن همه شغلهم في البيت "بيقوموا بتسليم الشغل وبيعه، ومراتي شغاله معايا هنا في المصنع" أي هناك تقسيم للعمل هو وزوجته للإنتاج وإخوته الذكور للتسويق "وأعمار العمالة عندي أخويا الكبير ٣٠ سنة والصغير ٢٦سنة، ومراتي ٢٢ سنة، والشباب المؤجرين واحد ٢٠ سنة و واحد ٢٢ سنة و واحد ٣٠ سنة و واحد ٣٤ سنة، والبنات المؤجرات ١٤ سنة، ١٦، ١٧، ١٨، ١٥، ١٤، ١٦، ١٥، ١٤ سنة.وعن الحالة التعليمية للعمالة يقول: "اخويا الكبير إعدادية والصغير دبلوم صنايع قسم لحام، ومراتي بتقرا وبتكتب، والعمالة المؤجرة الشباب: دبلوم زراعة ودبلوم زراعة، إعدادية أزهرية، ويقرا ويكتب، أما البنات: بتقرا وتكتب، إعدادية، إعدادية، ودبلوم تجارة، إعدادية، بتقرا وتكتب.وسنوات الخبرة عندي في المصنع في العمال الشباب والبنات من سنة واحدة لحد ١٨ سنة خبرة "وعن درجات القرابة للعمالة داخل الورشة يقول "مافيش قرابة غير أخواتي الشباب ومراتي وبس، عندي ٢ أخوات لبعضهم من الشباب الأربعة، وعندي ٣ بنات لخوات من التسع بنات الموجودين معايا في المصنع (المبحوث يصر علي تسمية الورشة مصنعاً مع إنها حجرة كبيرة داخل منزل ريفي مبني بالطوب اللبن، لكن نظراً لأن أول من أدخل النشاط القرية كان يُطلق علي مكان ممارسة النشاط اسم مصنع البردي، لذا عندما استقل الفلاحون عنه ومارسوا النشاط ولو في حجرة واحدة ٣ x ٣,٥ متر يطلقون عليها مصنعاً للوجاهة الاجتماعية وللإحساس بالاعتزاز والفخر والمكانة، فإذا كان الفلاح يمارس النشاط في حجرتين منفصلتين يقول عندي مصنعين وهكذا، ونظراً لأزمة أعداد العمالة خاصة الإناث، فإن كل صاحب ورشة يقوم برفع المكافآت في فترات زيادة الطلب علي الإنتاج حتى يجذب العمالة من الورش الأخرى، لذا يتسابق أصحاب الورش

في إغراءات العمالة حتى لا تتركه وتذهب لغيره، ولمزيد من الإغـــراء إذا توقـــف العمل لفترة فإن صاحب الورشة يدفع الأجور للعمالة دون أن يكونوا قد عملوا عنده هذه الفترة وذلك لكسب المزيد من ولائهم له ولورشته أو مصنعه كما يقول.

الحالة الثالثة:

توارث مهني: شاب في العقد الرابع، تخرج في كلية أصول الــدين متــزوج ويعول طفلين، يقول ورثت المصنع عن جدي ووالدي كــانوا يعملــون فــي ورق البردي منذ حوالي عشرين سنة. وعن مصادر تمويل المنشأة يقول: يكون التمويــل من الورق البردي نفسه، حيث نأخذ عربون من التجار، ونشتغل به، ثم نبيــع لهــم الإنتاج، أما النبات نفسه فهو من الأرض التي نزرعها. وعن التفاعلات الاجتماعية داخل النشاط، يري أنها ممتازة، توجد علاقات طيبة بين صاحب العمل والعمــال، التجار، وداخل السوق، لدرجة أنه إذا أخذ أحدٌ من أصحاب العمــل عامــل معــين عرف ويحاسب صاحب العمل الذي أخذ العامل بالفلوس، والباحث يــري أن هــذا شيء طيب لصاحب العمل لكنه سيء بالنسبة للعامل، حيث يضــيق مــن مســاحة الحرية المتاحة أمامه للانتقال من ورشة لأخرى تطلعاً للأجر أو حســن المعاملــة الأفضل،

ويري المبحوث مشكلات الحرفة متمثلة في انخفاض ســعر الورقــة فــي بعض أوقات السنة وخاصة في الصيف (نظراً لزيادة الإنتاج صيفياً) أو قلة السياحة ويرى أن سوق البردي تأثرت سلبياً بسبب عدم تنظيم مصر لكأس العالم لكرة القدم عام ٢٠١٠ وعدم حضور المزيد من السائحين، وكذلك مشكلة ارتفاع أسعار المواد الخام مثل البوتاس والكلور والأقمشة، مع ثبات سعر ورق البردي ويري كــذلك أن مشكلات البردي تتمثل في الجروح والإصابات خاصة البتر للأصابع للــذكور فــي حالات التقطيع بالمنشار الكهربي أو الشاطور أو المنجل، و الخيط بالنسبة للإنــاث وكذلك تأثيرات البوتاس والكلور علي يد الإناث حيث تطول فترة ملامســة أيــديهن

لذلك، ومشكلة الأسعار، حيث إيجار الفدان البردي سنويا ١٠٠٠ جنيه، وأحياناً يتم بيع سيقان البردي بالرابطة لأصحاب المصانع، حيث كل ١٥ رابطة بمعدل ١٠٠ جنيه وكذلك أسعار الألوان والبوتاس والكلور في ارتفاع مستمر "وأحياناً نوزع العيدان علي الستات في بيوتهن لتقشيرها بسعر ١٢,٥ قرش للربطة" وأسعار الإنتاج عندما يكون هناك طلبيات كبيرة يطلقون علي الورقة اسم حته، فيقول ١٠٠ حته بـ ١٢,٥ جنيه أي أن سعر إنتاج الورقة ١٢,٥ قرش ويعترف المبحوث بأن الحرفة أثرت في حل مشكلة البطالة في القرية والقرى المحيطة "الحرفة دي بتساعد علي تشغيل الكبار والشباب والصبيان لأنها كلها يد عاملة منذ قطع النبات في الأرض حتى يصل كورقة إلى المطبعة، وتشغيل مصانع البوية والألوان، بالإضافة أي عمليات التسويق والنقل وخلافة، وأدت الحرفة إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية لأبناء القرية والقرى المجاورة، حتى العواجيز بنودي لهم الشغل في بيوتهم في مراحل التجهيز يعني التقشير، أو التشريخ، أو الرص، ثم نجمعه منهم ونعيده للمصنع لإكمال المراحل، واستثمرنا الموارد المتاحة عندنا وحولناها لفلوس (صناعة رأس المال) سواء كانت الأرض أو المياه أو حتى المنازل القديمة يتم تحويلها علي حالها إلى مصانع صغيرة للبردي تُدِرُ رأسمال، ومعظم إنتاج حرفة البردي للسياحة وليس للاستهلاك المحلي.

وتكشف الجداريات في مصنع المبحوث عن الفئة العمرية الشابة التي تمارس النشاط والحالة التعليمية، حيث وجد علي الجدار = M + G حب وحياة سعيدة للأبد، وعبارة أخرى تقول "الحب الضائع بين شرائح البردي" وثالثة تقول: "من احترم نفسه احترمه الناس". هذا وكان الباحث قد لاحظ انتشار الكتابة باللغة الإنجليزية (خاصة أحرف بدايات الأسماء) وعبارات الغرام والقلوب، والأسهم مثل A E، K-H.R-MW ♡ A ، وموني.

الحالة الرابعة:

أنثى عاملة حرفية بأجر: عمرها ٢٢ سنة لم تتزوج بعـد، دبلـوم تجـارة، الوالد متوفي والأم كذلك، هي العائلة الوحيدة لأخواتها خمس بنـات وولـد، هـي الكبرى، معها أختان أصغر منها تعملان في نفس الورشة تقول "أجـري بالإنتـاج وليس بالشهر "لأني جبت أخواتي معايا أعلمهم فن الصنعة علشان يساعدوا معايـا على المعيشة وأعلمهم حرفة للزمن الصعب اللي إحنا فيه، طبعا صاحب العمل مش عايز أضيع الوقت في تعليم إخواتي الحرفة علشان يبقوا كويسين وأجـرهم يزيـد، لقيت حل المشكلة إن أنا أشتغل عنده بالإنتاج كل ١٠٠ ورقة آخد عليها ١٠ جنيـه مع إنه بيدي للناس ١٢,٥٠ جنيه على ١٠٠ ورقة، قلت ماشي علشان أعلم إخواتي الحرفة لأن شغلها دايم ومطلوبين على طول، والبنت المتعلمة لما تكـون بتعـرف تشتغل كويس في البردي بتتجوز أحسن من المتعلمة اللي ما بتعرفش في البـردي، واستحملت والحمد لله إخواتي كل يوم أحسن من اللي قبله، وبدأنا أنا وإخواتي نطلع في اليوم ٣٠٠ ورقة بتلاتين جنيه في اليوم، الحمد لله بدأت أوسع على إخواتي فـي الأكل واللبس، وأعمل جمعية بخمسة جنيه في اليوم علشان جهازي، وناويـة أعلـم إخواتي علشان لما أتجوز يجهزوا نفسهم بجمعيات كل شهر علشـان مـافيش حـد بيساعدنا، أنا معايا دبلوم ما عمليش حاجة ليه أعلم إخواتي البنات؟ ومنين أعلمهـم ولما يتعلموا حيعملوا إيه؟ الحرف أهم من التعليم لأن الحرفة بتـدينا فلـوس لكـن التعليم بيآخد مننا فلوس، وإحنا أصلاً ما حيلتناش حاجة ربنا يعلم، المهم الحمـد لله إخواتي ملكوا حرفة هي تعليمهم وأهلهم وأبوهم وأمهم وأختهم وكل حاجة ليهم لكن التعليم عمل إيه؟ كل الناس قاعدة في الشوارع مـافيش شـغل ولا حاجـة، لكـن المتعلمة حرفة البردي الحمد لله الشغل كل يوم الكل يتمناها.

وعن مشكلاتها هي وأخواتها مع حرفة البردي تقول "عيـوب الحرفـة دي الملل، اللي بنام فيه بنصبح فيه، وشغله مملة والبوتاس والكلور بيبـري الصـوابع

وبتتفتح وتتجرح وبنشتري أصابع بلاستيك طبية مــن الأجزخانـــات نلبســها فـــي صابعنا، لكن المشكلة إننا طول النهار قاعدين أو واقفين في المية، مبلولين وبتزيــد المشكلة أيام البرد والشتاء بنكون متلجين، كتير من أصـــحاب المصـــانع اشــتروا أرض وبنوا بيوت وحوشوا فلوس كتير، لكن العمال غلابة يدوب اللي بنعمــل بــه بنأكل به، ويدوب وربنا يسترها (تقصد المبحوثة أن صناعة البردي صــنعت رأس مال لصاحب المشروع وتؤدي إلى نوع من التكيف مع الفقر أو الإبقاء على الحيــاة بالنسبة للعمال)، وتقول المبحوثة: بنتمنى يوم الجمعة علشان نقعد ونريح يــوم فـــي الأسبوع من آلام الركب من القعدة القرفصاء الطويلة أو من الوقوف الطويل حسب أطوال الورقة اللي بنعملها. صحيح فيه فلوس لكن فيه تعب كبير، والراحة بتكــون في شهر رمضان بس، لأننا بنمشي نروح على بيوتنا في رمضان العصــر، لكــن غير كده كله تعب وتسلخات وجروح في اليدين والقدمين".

ثانياً: حرفة منتجات ومخلفات النخيل:

الحالة الأولى: حرفة الكرينة:

صاحب الحرفة عمره ٣٤ سنة وحاصل علي دبلوم صنايع وأعزب، يقول أنى تدرب علي الحرفة في الجيزة، ولم يرثها عن العائلة، حيث الحرفة جديدة بالقرين، وهو الذي أدخلها للقرين، بعدما تعلمها في الجيزة، ثم بدأ يعلم إخوته، ووالده، ثم علم العمال والصنايعية الجدد وذلك علي مدي عشر سنوات أي أنه عاد من الجيزة عندما كان عمره ٢٤ سنة، حيث قضي أربع سنوات في تعلم الحرفة بموافقة والده الميسور الحال والذي يمتلك حديقة مانجو وتجارة ماشية لكنه (أي الأب) أراد لابنه أن يتعلم مهنة جديدة لا تعرفها القرين حتى يبدع فيها، فكان له ما أراد، ويقول صاحب الحرفة: الجيزة بها نخيل كثير وبها صناعة الكرينة، تعلمت في إحدي مصانعها، ثم عدت لبلدتي لأنفذ ما تعلمته خاصة أن المواد الخام متوفرة بالمجان في البداية، ثم بدأت أكلف آخرين بتجميع الخوص لي بأسعار زهيدة جداً ومهما ارتفع سعر الخوص فهو رخيص للغاية حيث الآن ١٠ ربطات = جنيه واحد، وساعدني أبي ماديا في البداية واشتري لي المكبس، وكانت هناك مشكلة واجهتني وهي عدم وفرة المياه، حيث قررت ممارسة النشاط بعيداً عن أعين أهل القرين حتى لا يتعرفوا عليه ويقلدوني، وبالتالي تتراجع أسعار الكرينة، لذا مارست النشاط بعيداً عن الكتلة السكنية ووسط حدائق المانجو الكثيفة الأشجار وفى ملك أبى (ولم يقل بعيداً عن الضرائب كما علمنا من الحرفيين) وقام أبى بمساعدتي مادياً بتوفير مصدر مياه جوفية دائمة وماكينة ديزل لتشغيل ماكينة فرم الكرينة "مدشة"وكذلك لاستخراج المياه الجوفية لزوم صناعه الكرينة.

وعندما تحدث أزمة في الخوص خاصة في فترات حظر تقليم النخل في فترة التزهير والمحصول (البلح)، استورد الخوص من الإسماعيلية والسويس، والعايد، وكرداسه، لكن خوص دمياط يصنع كرينه في دمياط، لكن المشكلة التي تواجهني هي مشكله نقل الإنتاج خاصة وأن الطرق داخل حدائق المانجو ضيقة

لا تستوعب السيارات، ونعانى من نقل المواد الخام إلى المكان أو نقل الإنتاج من المكان، وساعات العمل ٨ ساعات للعمالة المؤجرة عندي، وأقوم بتوصيل المنتج إلى التجار، وأحيانا يأتي التأجر إلى المصنع ليأخذ "بالة الكرينة" بمبلغ ٣,٥ جنيه وهى تتكلف حوالي جنيه واحد، أي كل بالة فيها مكسب ٢ جنيه، ويتقاضى العامل عندي من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ جنيه شهرياً، وتتمثل مشكلات النشاط أيضا في إصابات المدشة لأيدي العمال وأحيانا الذراع كاملا، وكذلك خطورة السير الناقل للحركة على العمال، وإذا حدث لأحد العمال إصابة أو بتر في يد أو ذراع أقوم بدفع تعويض مناسب، وللحرفة دور في الأمراض الصدرية خاصة الأتربة العالقة بالخوص، وكذلك تؤثر على الأذن من ضجيج الماكينة والديزل، لأننا نستخدم الديزل لعدم وجود كهرباء في حدائق المانجو. أما تخزين الإنتاج فهو في الحقل بجوار "المدشة" وهى الآلة التي تقوم بتحويل الخوص إلى خيوط، وعندما أجد السوق في الشرقية قد تشبع بالكرينة اتجه إلى سوق دمياط حيث تصنيع الصالونات والأنتريهات كثير ومحافظة الجيزة وغيرها من المحافظات حسب الطلب.

أما عن تقسيم العمل في حرفة الكرينة، فالكل يعرف عمله، البعض يبلل خوص النخيل ويرحله إلى جوار "المدشة"، واثنان يقومان بالعمل على المدشه، واثنان يأخذان الكرينة من المدشة "للتفريد والتنشيف"، وواحد يجمع الكرينة التي تم تنشيفها ويضعها أمام المكبس، وواحد يدير المكبس، وآخر يتلقى البالات الصادرة عن المكبس ويضعها في المخزن تمهيدا لبيعها للتأجر. ونحن نتميز عن الآخرين بأننا نحسن استخدام الخوص وهو أخضر ولين، ونحسن فترة "التنشيف والكبس" في بالات منتظمة "ملمومة". والحمد لله نحقق أرباحاً ممتازة لأننا ممتازين في عملنا ومنتجنا ممتاز أيضاً ولذلك عائلتنا سترث الحرفة، وبعد زواجي سأعلمها لأولادي الذين سيرزقني الله بهم مثلما علمتها لإخوتي وأبى، وبعض العمال الذين يعملون عندي.

الحالة الثانية: حرفة مطرحة الخبيز:

صاحب الحرفة رجل يبلغ من العمر ٥٦ عاماً، ومتزوج ويعول ٥ ولم يسبق له التعليم بالمدارس، لكنه يقرأ ويكتب، وقد ورث الحرفة عن الأب والجد، وتعلم الحرفة من الصغر، ولديه سنوات خبرة ٥٠ سنة، والمنشأة عبارة عن "تعريشة" أمام المنزل يتم ممارسة النشاط فيها، وتمويل النشاط عائلي، وجريد القرين لا يكفى الحرفيين بها، فنستورد الجريد من وادى الملاك، والجيزة، والقنطرة، وأسعار الجريد ١٠٠ جريدة = ٢٥ جنيه وسعر المطرحة الكبيرة = ٢ جنيه والمتوسطة ١,٥ جنيه والصغيرة جنيه واحد وأجر العامل ١٥جنيه في اليوم، ولديه ٦ عمال ذكور وعاملتين وغير أولاده الذين يمارسون معه النشاط أيضاً، لكن أثناء إجازتهم المدرسية ويوجد عقاب للعمالة في حالة إهمال الصنعة أو الغياب أيام الطلبيات، وهناك تداخل بين مكان ممارسة النشاط وبين المنزل، وجدار المنزل مكتوب عليه "حج مبرور وذنب مغفور "ألف مبروك يا حاج سيد وعقبال السنة الجاية" وكأنهم لايكتفون بحجة واحدة. ويمارسون النشاط طوال النهار في الورشة "التعريشة" حتى طعام الغداء يتناولونه جميعا في "التعريشة" وتوجد نوتة صغيرة إمساك دفاتر فيها حسابات المواد الخام والمبيعات وأجور العمال ومالهم وما عليهم ولا يمكن استخدام "الشنيور الكهربي" مثلا بدلاً من "الرقة" لأن الشنيور يصنع ثقباً موحد أما الرقة فتصنع ثقب غير موحد القطر، حيث الثقب متدرج القطر لمتانة التعشيق.

أما عن إجادة الحرفة والاعتزاز بها فيقول المبحوث: (كان زمان مطرحة "هاشم" هي الأولى في البلد كلها، وكل الناس يقولوا كده، وهاشم هو والده، لكن علشان الوالد كبر أنا بروح الأسواق والناس الجداد ميعرفوش هاشم دلوقتى يقولوا مطرحة"عبد المجيد" هي الأولى طبعا أنا عبد المجيد بن هاشم وأبويا طبعا مبسوط أن المطرحة الأولي في البلد ما طلعت من عندنا لأي حد تانى، لأننا بنختار جريد كويس ولو في الجريد حاجة مش كويسة لا أصنعه مطارح أبيعه للقفاص هو يمشيه عنده، ولو كان واحد تانى بتاع مطرحة ممكن يشغل الجريد الوحش علشان كده مطرحته تطلع وحشة لكن إحنا بنراعى ربنا في عملنا وسمعتنا زى الجنيه الدهب).

وعن أمراض المهنة يقول المبحوث: (كل الناس اللي بتشتغل في الجريد زى القفاصين، وبتوع المطارح، أو بتوع الكراسي، أو أي حد بيشتغل جريد لازم تيجى له "البواسير" لأننا طول النهار قاعدين، ماينفعش الشغل وإحنا واقفين لازم نكون قاعدين فترة طويلة جداً، والمرض التاني بتاع الجريد "العمود الفقري" لأننا لازم نكون محنيين على طول تلاقى معظم الحرفيين مقتبين لأننا مكفيين على الشغل طول النهار، وكمان ممكن كتير تلاقى قطع صوابع من" السلاح" اللي بنقطع بيه الجريد، وممكن تلاقى أصابه "مشط الرجل" يقصد منطقه أصابع الأرجل بسبب التخريم "بالرقة" ممكن "الرقة" تتزحزح وتخرم أصابع الرجل أو مشط الرجل، وممكن الدق على أصابع اليد لو الواحد مش واخد باله، علشان كده لازم الواحد تكون عنيه في راسه على طول علشان ميتعورش وربنا يسترها "(لكن حرفتنا إحنا والقفاصين بيطلع منها علف للمواشى) " القطع الصغيرة الناتجة عن التخريم" تستخدم علف للماعز والماشية، لما "الرقة" تخرم الجريد بتنزل قطعة صغيرة من مكان التخريم، هي القطع دي علف للماشية والماعز.

الحالة الثالثة: حرفة المقشة الليف:

صاحب الحرفة ذكر ٢٩ سنة، متزوج ويعول اثنين، وحاصل على دبلوم صنايع قسم سيارات، ورث الحرفة عن الأب، ولديه ١٩ سنة خبرة، ولا يعمل في غير المقشات الليف، وعن التمويل يقول لا تمويل ولا حاجه الليف رخيص نشتريه من "الطلاع" يقصد الرجل الذي يتسلق النخيل، حيث يكون الليف من حقه، فيبيعه للحرفيين في أعمال الليف ٢٠ كيلو = ٥جنيهات، أما ثمن بيع المقشة فيتراوح بين ١٥ إلى ٢٥ قرش، ولا يوجد بيع لأهالي القرية لأي من منتجات أو مخلفات النخيل لأن الجميع لديهم نفس الشيء، لا أحد يشترى بلح أو عجوة أو قفص أو مقشة أو كرسي أو سرير أو قفة أو مقطف أو حبل... الخ، فالجميع يصنع كل ذلك، لذلك ليس هناك بيع داخلي باستثناء المواد الخام الزائدة عن احتياجات بعض الأسر فقط الجريد الزائد أو الخوص الزائد أو الليف الزائد أو البلح الزائد أو العجوة الزائدة لكن البلح والعجوة يباعان خارج القرين. وأجور العمال عندي بالإنتاج

١٠٠مقشه=٩جنيه، لكن عيوب الحرفة أن دخلها بالقروش وبالجنيهات حيث المقشة بربع جنيه، لكن ميزتها أن الإصابات فيها تكاد تكون معدومة غير القفاصين أو المطارح أو الكرينة.....الخ.

إصابتنا فقط، جرح خفيف من الليف، أو أحياناً بسيطة من سكين قطع الخيط البلاستيك اللي بنربط به المقشة.

"لكن عيوب الحرفة إننا طول النهار قاعدين ولازم الرجل مفرودة، علشان شد الخيط، والمشكلة كمان أن الليف بتاع القرية لا يكفى نضطر نسافر ونشترى الليف من الإسماعيلية ودمياط وبلاد كثيرة وطبعا بنأجر عربيات تجيب الليف وبكدة التكاليف بتزيد علينا فبنضطر نرفع سعر المقشة ٣٥ قرش أو خمسين قرش".

"أما مزايا حرفتنا، إننا بنصنع المقشات اللي بتنضف البيوت، وكمان تلت المقشة عبارة عن ليف مقطع كان بترمى في الشوارع، كده إحنا نضفنا الشوارع والبيوت، أما إخواننا الحبالين (يقصد صناع الحبال)، بيستخدموا الليف لعمل حبال الفراشة اللي بيربطوا بيها خيم الأفراح والمياتم علشان متقعش على الناس، ن الأعمدة الخشب يتم ربطها بالحبال الليف، وكمان "المطلاع" الليف بيحمى "الطلاع" (يقصد الرجل الذي يتسلق النخل) حتى لا يقع ويموت".

ثالثاً: حرفة حلج القطن:

الحالة الأولي:

ذكر عمره ٤٣ سنة، يقرأ ويكتب، فلاح، متزوج بواحدة وله أربعة أبناء، ورث المصنع عن الوالد (يطلقون علي الماكينة أو الدولاب الصغير الموضوع في أي مكان اسم مصنع) ولدية خبرة ٢٥ سنة في النشاط ويتطلع لتوريثه للأبناء. يمول المشروع من "دهب الحريم في العائلة وكل واحدة تأخد حقها في الربح" "وأحياناً أهالي البلد بيساعدوا بعض مادياً لارتفاع سعر البضاعة وكل واحد يأخد

نصيبه من الربح حسب المبلغ اللي دفعه"، أما مصادر القطن الزهر فهي من محافظة الشرقية وباقي المحافظات حتى يصلوا إلى محافظة البحيرة، وهذا يؤكد كارثة خلط البذور وتدمير جهود مراكز بحوث وزارة الزراعة، أما ماكينة حلج القطن (الدولاب)، فيتم تصنيعها في ورش بنها، وكذلك عندما تم تصفية وبيع محلج أبو كبير في مزاد علني تجمع أهالي القرية واشتروا ماكينات الحلج جميعها وتم توزيعها علي سكان القرية، وتتجمع العائلات كل عائلة لامتلاك مجموعة ماكينات حلج بمالها الخاص، وإذا لم يكن المال كافياً يتم مشاركة آخرين من القرية، لكن جميع سكان القرية لهم علاقة بالنشاط، ولا يوجد أي شكل من أشكال الصراع داخل القرية، لأن الجميع شركاء، والجميع يعلم كل شيء عن النشاط والأسعار والعائد، ويستمر العمل طوال ٢٤ ساعة يومياً باستثناء أوقات انقطاع التيار الكهربي، أما وقت الصلاة أو الأكل فان العمال يتناوبون العمل بحيث لا تتوقف الماكينات.وتقول الحالة الأولى أن سعر قنطار القطن الزهر = ٥٥٠ جنيه، ويباع بعد الحلج بمبلغ ٩٠٠ جنيه بالإضافة إلى أنه ينتج عنة كمية بذرة تباع بمبلغ ١٣٥ جنيه بما يعني أن قنطار القطن الزهر الذي يشتري بمبلغ ٥٥٠ جنيه يباع بمبلغ ١٠٣٥ جنيه، أي يحقق ربح ٤٨٥ جنيه وذلك بأسعار عام ٢٠٠٤، أما أجور العمال فهي عشرة جنيهات لليومية أو عشرة قروش لحلج كل كيلو قطن بالإنتاج بما يساوي ١٢ جنيه يومياً أي في الوردية النهارية أو الليلية، ويفضل العمالة العائلية أولاً ثم أبناء القرية أما عن حوافز العمال فيقول "ممكن بالإضافة لأجر اليوم، أن يقوم العامل بتنزيل حمولة عربية قطن أو تحميل عربية قطن ادفع للعامل ٥ جنيهات وكذلك لو كان فاضل كيس قطن يحتاج حلج ولا يستدعي يوم عمل أدفع للعامل جنيهين زيادة علي أجره"، مساحة الورشة ٤ x ٦ بها عدد ٧ عمال، أما الماكينة فتحتاج إلى مساحة ٢ متر مربع، ويقول الرجل: "لو الدولة تسمح بممارسة النشاط في الحلج كُنت أبيع الأرض وأشتري مكن وبضاعة أحسن من الأرض ألف مرة" أما جدار المنشأة من الداخل فمكتوب عليه: ملك الحب، البرنس، الوحش، خطر، الكومندا، اللورد.

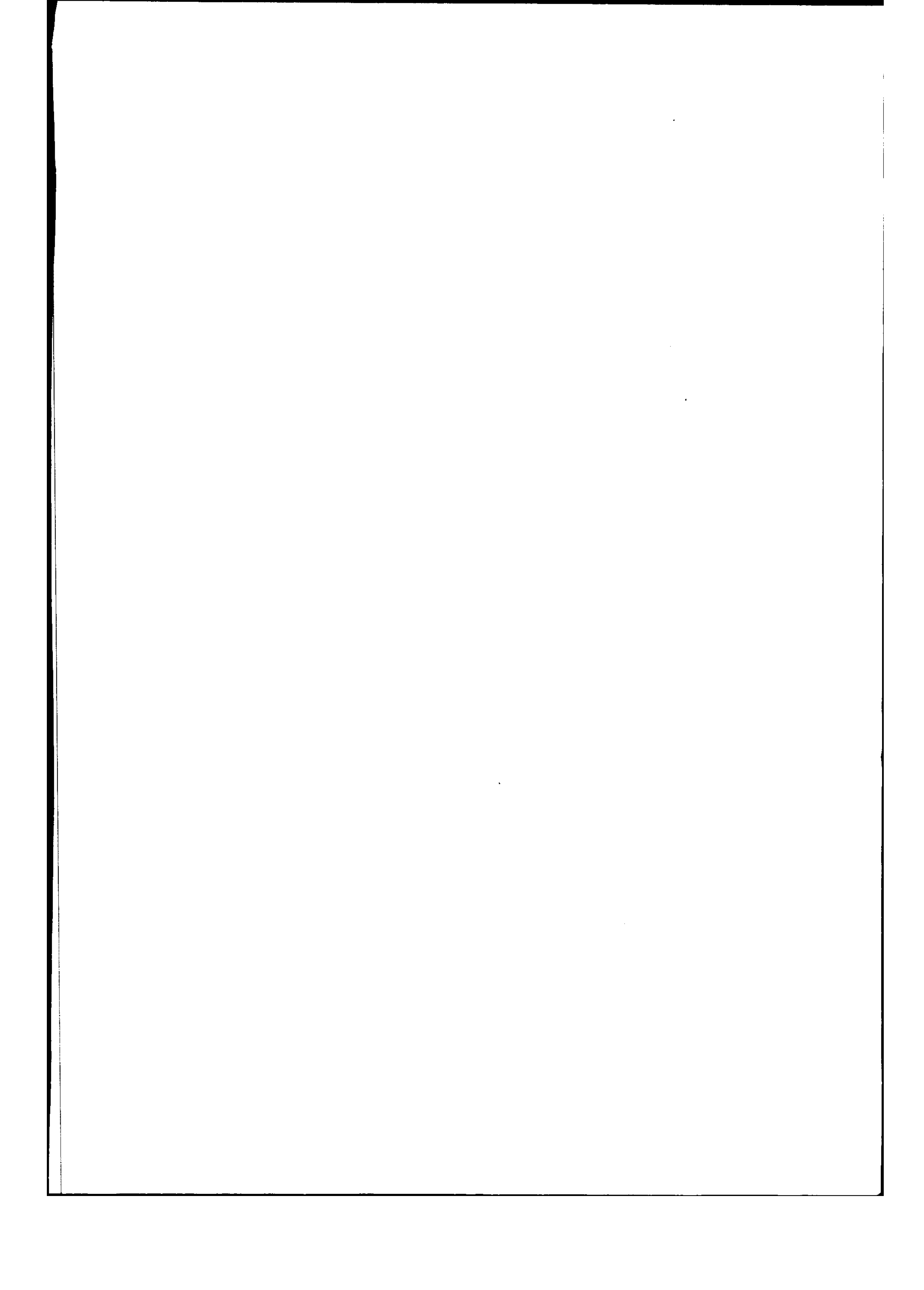
الحالة الثانية:

ذكر يبلغ من العمر ٥٨ عام، فلاح، متزوج بواحدة ويعول ثلاثة، لدية ١٠ سنوات خبرة، عن فكرة إنشاء المشروع يقول: كنت باشتغل عند ناس في البلد عندهم مكن حلج قطن، ولقيتهم بيكسبوا كتير قوي، دخلت معهم بالربع وبعدين بالنص وبعدين استقليت بنفسي وعملت لنفسي مصنع خاص، بعت دهب مراتي وكان معاها قيرشين اشتريت الدولاب (المكنة) وكان الكلام ده يوم ١٩٩٤/٤/٢٥ وطبعا إحنا بنشتري القطن من كل المحافظات أما إحنا نروح لهم أو همة يجيبوا قطنهم لغاية هنا، وأحيانا تحصل مشكلة الشرطة نقوم نخزن القطن في الجبل أو نسيبه عند ناس وندفع لهم إيجار (يقصد بالجبل الأراضي المستصلحة حديثا في الصالحية والخطارة وصحراء شمال وشرق محافظة الشرقية عند البدو وهي ليست مناطق جبلية بل مناطق رملية منبسطة فيها بدايات زراعات تجريبية، حيث من يمتلك رأس مال من المشروع يشتري أرض زراعية حديثة في مناطق الاستصلاح الحديثة التي يطلقون عليها أرض الجبل وهي ليست مناطق جبلية)، وتري الحالة الثانية أهم مشكلات الحرفة في مطاردة الأرض، والكهرباء، والضرائب، لكنة يضيف قائلا: لكن مفيش مشكلة وكلها أمور عادية" أي أنهم تكيفوا مع الموقف. ويمتلك عدد ٢ ماكينة حلج، يعمل علي كل واحدة عامل واحد، ويوجد عامل ثالث "علي الغربال" أي تخصصه غربلة البذرة، وتعبئتها في أجولة، وعامل رابع لتعبئة القطن وتحميل أو تفريغ السيارات، بالإضافة إلى فني ماكينات يقوم بالمرور طوال النهار علي مواقع الإنتاج في القرية لإصلاح الأعطال أن وجدت وغالبا يأتي بالاستدعاء. ويقول الرجل "المهنة دي كويسه جداً ومكسبها كبير، واللي عنده مكن الناس في البلد بيعتبروه كبير وغني لأن دخلها كبير جداً، و طبعا لو الشرطة هاجمت واحد مننا وأخدت المكن والقطن بتاعه، نسلفه قطن ومكن ونقف جنبه لغاية ما يقف تاني علي رجليه ويسددنا، لأن النهارده عليك بكره عليَّ ولازم نشيل بعض، وعلشان كده لو قبضوا علي واحد لازم عياله تعيش زي ما كان موجود وأحسن، كده كلنا راجل واحد".

الحالة الثالثة:

ذكر عمرة ٤٠ سنة، حاصل علي ثانوية أزهرية، متزوج بواحدة ويعول أربعة، سبق له التدريب في محلج الوالد، الذي كان قد ورثة عن الجد، أما الخبرة فهي ٢٠ عام، وجاءت فكرة إنشاء المشروع قال المبحوث: "لقد عملت عاملاً في مصنع والدي، تعلمت العمل علي الدولاب (ماكينة الحلج)، وعلي الغُربال "للبذرة وتعلمت أساليب التجارة، وشراء القطن الزهر، وبيع وتصريف المنتج (القطن الشعر) والبذرة، وتدربت مع والدي حوالي ثلاث سنوات ففكرت في الاستقرار وعمل مصنع خاص بي، وشاركني في المصنع أحد أصدقائي في القرية في المشروع برأس المال والمكان وبدأ العمل منذ ١٥ سنة، وصار المصنع في تحقيق الربح، ونتعامل مع شركات الغزل والنسيج والمنجدين. "أما عن التعاون بين أصحاب العمل في حرفة حلج القطن فنحن نساعد بعضنا البعض من خلال تسليف بعضنا مواد خام حتى يكمل أي منا الصفقة المطلوبة منه وكذلك إذا كانت هناك طلبية بذرة من أحدنا نجمعها كلنا من بعض ونعطيها له ليصرف حاله وبعدين نتحاسب. بل ممكن نشغل المكن بتاعنا لزميلنا علشان نخلص له الطلبية المطلوبة منة في الميعاد، لأن ده ممكن يحصل معانا وهوه سوف يشغل مكنه لمصلحتنا" بل يتجاوز الأمر هذه الحدود: "إذا احتاج أحد من أصحاب المصانع إلى فلوس لشراء كمية قطن زهر أو لشراء مكن زيادة كلنا نجمع فلوس له من بعضنا ونحل المشكلة، الحمد لله ما عندناش مشكلة من الناحية دي خالص كلنا راجل واحد".

المنشأة تقع في بدروم المنزل مساحتها ٩ x ١٠ = ٩٠ متر مربع وعدد العمال ٥، وعدد الآلات ٣ ماكينات، أما جدران المصنع من الداخل فمكتوب علية:القلب يعشق كل جميل، "البرنس H" "عيون القلب سهرانه وعنيه علي المكنة شغالة" "السنجة مراتي والمطوة حماتي" والعبارة الأخيرة تعني أن صاحبها غير متزوج، وأنه خطر ويستخدم السنجة (سيف) في مشاجراته وأنها تلازمه كزوجة وكذلك المطواة قريبته مثل حماته والمطواة سلاح أبيض يستخدم في المشاجرات بين الخطرين والأشقياء وسبق توضيح أن أغلب العمالة في حرفة حلج القطن لهم علاقة بالجريمة.



إصدارات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

*****

١- الببليوجرافيا الشارحة للترجمات العربية فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إشراف أحمد زايد، ١٩٩٧.

٢- الملخصات السوسيولوجية العربية: من الأول وحتى السابع، إشراف أحمد زايد، ١٩٩٧.

٣- الملخصات السوسيولوجية العربية: من الثامن وحتى الحادى عشر، إشراف محمد الجوهرى فى عامى ١٩٩٩-٢٠٠٠.

٤- الإنتاج الفكرى العربى فى علم الفولكلور: قائمة ببليوجرافية، إعداد محمد الجوهرى وآخرون، ٢٠٠٠.

٥- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الأول)، إشراف محمد الجوهرى، ٢٠٠٠.

٦- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الثانى)، تحرير محمد الجوهرى، وإبراهيم عبدالحافظ، ومصطفى جاد، ٢٠٠١.

٧- استخدام الحاسب الآلى فى مجال العلوم الاجتماعية (استخدام برنامج SPSS من خلال Windows)، عبدالحميد عبداللطيف، ٢٠٠٠.

٨- البناء السياسى فى إحدى قرى الصعيد، محمود جاد ، ٢٠٠٠.

٩- آثار القبلية على المزاج الغنائى والموسيقى لأهل الصعيد، تأليف محمود جاد، ٢٠٠١.

١٠- العنف فى الأسرة، تأديب مشروع أم انتهاك محظور، تأليف على السمرى، ٢٠٠١.

١١- ملامح التغير فى القصص الشعبى الغنائى، تأليف إبراهيم عبدالحافظ، ٢٠٠١.

١٢- الصحة والبيئة: دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور نبيل صبحى، تأليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية، ٢٠٠١ (ضمن مشروع توثيق الإنتاج العربى فى علم الاجتماع).

١٣- الإنتاج الفكرى العربى فى علم الاجتماع: قائمة ببليوجرافية مشروحة (١٩٢٤-١٩٩٥)/ إشراف أحمد زايد ، ومحمد الجوهرى ،٢٠٠١، (وهى طبعة منقحة ومزيدة من المجلدات السبعة الأولى من الملخصات السوسيولوجية العربية التى سبق أن أصدرها المركز ونفذت) .

١٤- الشباب ومستقبل مصر : الندوة السنوية السابعة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ٢٩-٣٠ أبريل ٢٠٠٠/ تحرير محمود الكردى، ٢٠٠١.

١٥- المجتمع الاستهلاكي ومستقبل التنمية في مصر: الندوة السنوية الثامنة لقسم الاجتماع، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ٢٢-٢٣ إبريل ٢٠٠١/ تحرير أحمد مجدى حجازى ، ٢٠٠١ .

١٦- الإدراك البيئى عند الطفل: دراسة مقارنة بين الريف والحضر، تأليف أحمد مصطفى العتيق، ٢٠٠١.

١٧- دراسات مصرية فى علم الاجتماع: مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور حسن الساعاتى، ٢٠٠٢.

١٨- الجماعات الهامشية: دراسة أنثروبولوجية لجماعات المتسولين بمدينة القاهرة، تأليف ابتسام علام ، تقديم: فاروق العادلى ، ٢٠٠٢ .

١٩- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الأول: الإطار النظرى وقراءات تأسيسية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢٠- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثانى: التراث فى عالم متغير: قراءات تأسيسية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢١- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثالث: مقترحات ومحاولات بحثية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢٢- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الرابع: عمال مصر بين ثقافة التصنيع والثقافة التقليدية: دراسة ميدانية بمجمع الألومنيوم، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، أحمد محمد السيد عسكر، ٢٠٠٢.

٢٣- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الخامس: التيار الإسلامى بين التأييد والمعارضة: قراءة فى الصحافة المصرية، تأليف على ليلة، ٢٠٠٢.

٢٤- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السادس: تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية: دراسة ميدانية لسياقات اجتماعية متباينة بمصر، إشراف وتحرير محمود الكردى، ٢٠٠٢.

٢٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السابع: الاحتفالات الشعبية الدينية: دراسة لديناميات التغير وقوى المحافظة والتجديد. تأليف منى الفرنوانى، ٢٠٠٢.

٢٦- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثامن: الطب الشعبى: دراسة فى اتجاهات التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى، تأليف سعاد عثمان، ٢٠٠٢.

٢٧- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب التاسع: قوى المحافظة والتجديد فى بعض عناصر التراث المادى: دراسة حالة للأزياء الشعبية المصرية. تأليف: فاتن الحناوى، ٢٠٠٢.

٢٨- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب العاشر: ديناميات تغير التراث الشعبى فى المجتمع المصرى: دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة. إعداد نجوى عبدالمنعم قاسم، إشراف علياء شكرى.

٢٩- علم الاجتماع ودراسات المرأة: تحليل استطلاعى، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، ٢٠٠٢.

٣٠- المرأة وقضايا المجتمع، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٣١- بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، مهداة إلى الأستاذ الدكتور أحمد أبوزيد، تحرير/ ناهد صالح، ٢٠٠٢.

٣٢- دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور أحمد الخشاب، ٢٠٠٢.

٣٣- القيم كما تعكسها الصحافة المحلية: تحليل مضمون صفحة (المحليات) بجريدة الأهرام، تأليف فاطمة القلينى، ٢٠٠٢.

٣٤- علم الاجتماع والرعاية الاجتماعية، دراسات مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور عبدالمنعم شوقى، تحرير/ عبدالهادى الجوهرى، ٢٠٠٢.

٣٥- العدالة بين الشريعة والواقع فى مصر فى العصر العثمانى، إشراف رؤوف عباس، تحرير/ ناصر إبراهيم، عماد هلال، ٢٠٠٢.

٣٦- علم السكان، تأليف محمد محى الدين، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣٧- أنتونى جيدنز: مقدمة نقدية فى علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣٨-دراسات فى علم الاجتماع، مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور مصطفى الخشاب، تحرير/ أحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٣٩- رشدى صالح والفولكلور المصرى. دراسة لأعماله وفصول من تأليفه، محمد الجوهرى، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٠- الإنتاج العربى فى علم الاجتماع، قائمة ببليوجرافية مشروحة (المجلد الثانى: ١٩٩٥-٢٠٠٠)، إشراف محمد الجوهرى وأحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤١- الملخصات السوسيولوجية العربية، المجلد الثانى عشر، إشراف محمد الجوهرى وأحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٢- التقاء الحضارات فى عالم متغير، حوار أم صراع، تحرير: عبادة كحيلة، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٣- الثقافة الثأرية والثقافة المسالمة: تأصيل نظرى ودراسة ميدانية للثقافة الفرعية ومحددات السلوك الإجرامى، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، أحمد محمد السيد عسكر، ٢٠٠٣.

٤٤- قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع، ترجمة مصطفى خلف عبدالجواد، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى، القاهرة، ٢٠٠٢.

٤٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب الحادي عشر: التراث والحداثة في منظومة القيم المرتبطة بالعمل الأهلي عند قادة المجتمع المدني، تأليف خالد عبدالفتاح، ٢٠٠٣.

٤٦- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب الثاني عشر: التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير، تأليف أشرف عبدالوهاب، ٢٠٠٣.

٤٧- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب الثالث عشر: قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع: دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي، تأليف علياء شكري، ٢٠٠٣.

٤٨- دراسات بيئية في المجتمع المصري، تأليف نجوى عبدالحميد سعدالله، ٢٠٠٢.

٤٩- كتابات اجتماعية معاصرة، مهداة إلى الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوي، تحرير: محمد سعيد فرح، ٢٠٠٣.

٥٠- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب الرابع عشر: الثابت والمتغير في آليات الضبط الاجتماعي، تأليف: عدلي السمري، ٢٠٠٣.

٥١- الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث، تأليف: سيد عشماوي، ٢٠٠٣.

٥٢- سخرية الرفض وتهكم الاحتجاج. عوام أهل مصر وتعسف وعنطظة الأتراك. مصر العثمانية ١٥١٧-١٩١٤، تأليف: سيد عشماوي، ٢٠٠٣.

٥٣- الطوائف المهنية والاجتماعية في مصر في العصر العثماني، تحرير: ناصر إبراهيم، إشراف رءوف عباس، ٢٠٠٣.

٥٤- الأسرة المصرية وتحديات العولمة: الندوة السنوية التاسعة لقسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٧-٨ مايو ٢٠٠٢/ تحرير أحمد زايد وأحمد مجدي حجازي، ٢٠٠٣.

٥٥- الدين والدولة في العالم العربي، أعمال ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، تحرير: عاصم الدسوقي، ٢٠٠٣.

٥٦- العولمة وقضايا المرأة والعمل، أعمال الندوة العلمية لمركز الدراسات والبحوث والخدمات المتكاملة بكلية البنات، جامعة عين شمس، تحرير: عبدالباسط عبدالمعطي واعتماد علام، ٢٠٠٣.

٥٧- اختراع التراث: دراسات عن التقاليد بين الأصالة والنقل والاختراع، تحرير/إيريك هوبسباوم، تيرنس رينجر، مراجعة وتقديم/ عاصم الدسوقي، ٢٠٠٣.

٥٨- إدوارد شيلز، التراث.. تأصيل وتحليل من منظور علم الاجتماع، مراجعة وتقديم/ محمد الجوهري، ٢٠٠٤.

٥٩- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب الخامس عشر: الفنون الأدبية الشعبية.. دراسة في ديناميات التغير، تأليف: إبراهيم عبدالحافظ، ٢٠٠٤.

٦٠- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السادس عشر: صناعة الولى. دراسة أنثروبولوجية فى الصحراء الغربية، تأليف: فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، ٢٠٠٤.

٦١- الرفض والاحتجاج فى المجتمع المصرى فى العصر العثمانى، تحرير: ناصر إبراهيم، إشراف: رؤوف عباس، ٢٠٠٤.

٦٢- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السابع عشر: الفكاهة وآليات النقد الاجتماعى، تأليف: شاكر عبدالحميد، معتز سيد عبدالله، سيد عشماوى، ٢٠٠٤.

٦٣- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثامن عشر: ثقافة التحايل.. دراسة ميدانية لنماذج من التجمعات العشوائية بالقاهرة الكبرى، تأليف:هناء الجوهرى، ٢٠٠٤.

٦٤- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب التاسع عشر: الزواج العرفى. واقعه وآثاره النفسية والاجتماعية، تأليف: معتز سيد عبدالله، جمعة سيد يوسف، ٢٠٠٤.

٦٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب العشرون: أطلس دراسات التراث الشعبى، تأليف: مصطفى جاد، ٢٠٠٤.

٦٦- جرائم العنف الأسرى بين الريف والحضر، تأليف: السيد عوض، ٢٠٠٤.

٦٧- المخدرات والأزمة الراهنة للشباب المصرى، تأليف: أحمد مجدى حجازى، ٢٠٠٤.

٦٨- الثورة والتغيير فى الوطن العربى عبر العصور، تحرير: عبادة كحيلة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٦٩- النساء المعيلات فى محافظة الفيوم: دراسة اجتماعية ميدانية، تأليف أحمد مجدى حجازى، خليل عبدالمقصود، ٢٠٠٥.

٧٠- الفرد والمجتمع فى مصر فى العصر العثمانى، تحرير/ ناصر إبراهيم، إشراف/ رءوف عباس، ٢٠٠٥.

٧١- اتجاهات بعض فئات الشباب نحو ظاهرة الإرهاب فى المجتمع المصرى وكيفية مواجهتها، تأليف: أحمد فاروق الجهمى، ٢٠٠٥.

٧٢- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الثالث)، تحرير/ محمد الجوهرى، وإبراهيم عبدالحافظ، ومصطفى جاد، ٢٠٠٦.

٧٣- رأس المال الاجتماعى لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، تأليف: أحمد زايد، آمال طنطاوى، محمد عبدالبديع، ٢٠٠٦.

٧٤- الفكر العربى عبر العصور.. بين الأصالة والإبداع، تحرير/ عُبادة كُحيلة، ٢٠٠٦.



رقم الإيداع	٢٠٠٥ / ٢٢٢٣٩
الترقيم الدولي	I.S.B.N.977 -1 - 2864 - 4

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ـ المنيب ت: ٣٧٥٦٢٢٩٩